أطلس

تاريخ الدولة الأموية

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

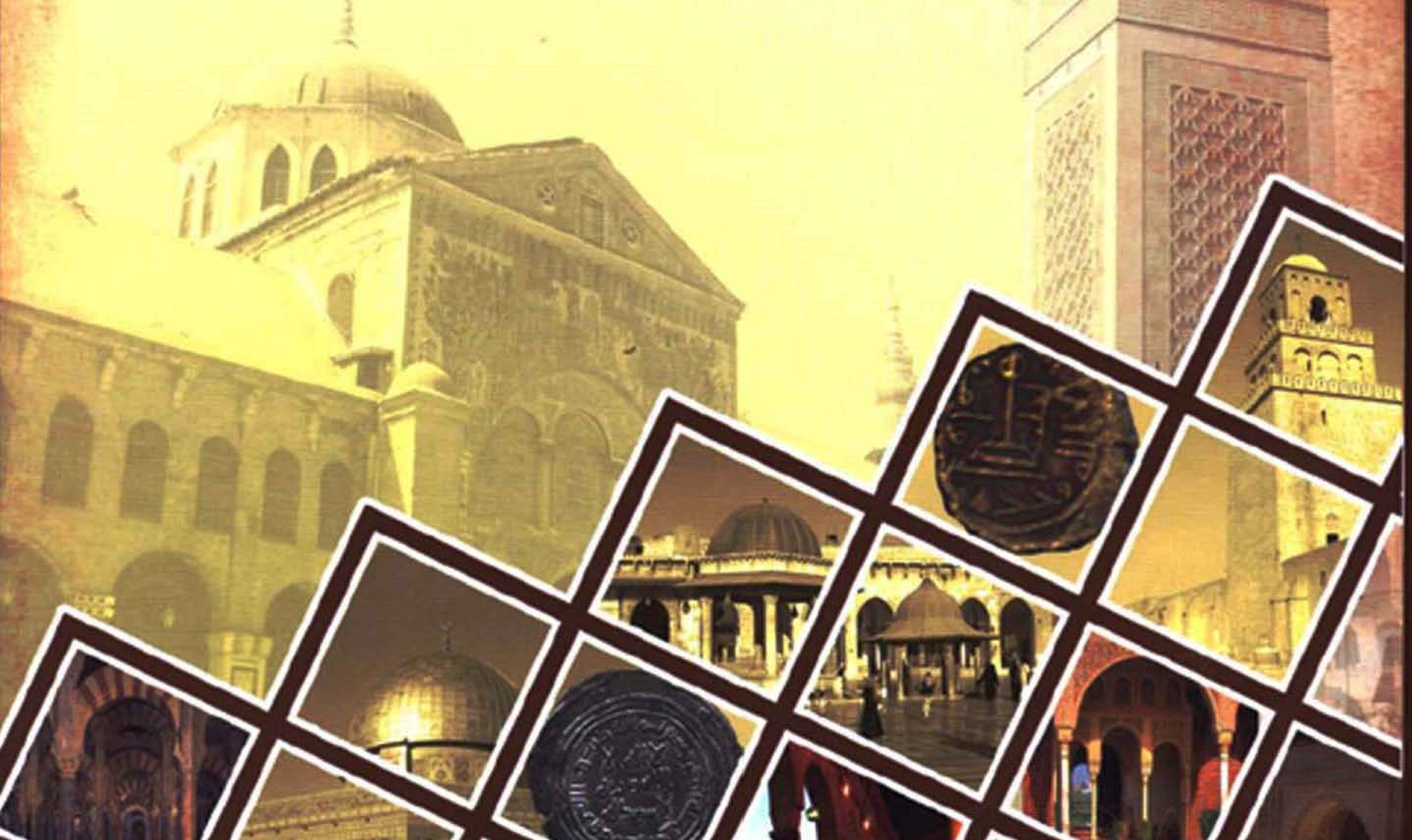

العبيكان
obeikan

أطلس

تاريخ الدولة الأموية

تأليف وتصميم

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

ح مكتبة العبيكان، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المغلوث، سامي عبدالله
أطلس تاريخ الدولة الأموية. / سامي عبدالله المغلوث. الرياض، ١٤٣٢هـ
٢١ × ٢٩سم
ردمك: ٩-١٥٠-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١- التاريخ الإسلامي - عصر صدر الإسلام
٢- الدولة الأموية - تاريخ
أ- العنوان
ديوي ٩٥٣,٠٣   ١٤٣٢/ ٣٧٩٢

رقم الإيداع: ١٤٣٢/ ٣٧٩٢
ردمك: ٩-١٥٠-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر
الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة
هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨
ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan
الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩
ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

سورة التوبة من أواخر السور القرآنية التي نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم، في السنة التاسعة من الهجرة، وهي السنة التي خرج فيها عليه السلام لغزوة تبوك، ومن أهداف هذه السورة العظيمة التي سماها بعض الصحابة: (الفاضحة والمقشقشة والمدمدمة ...) أنها تحدثت عن المتثاقلين، والمتخلفين، والمثبطين، وكشفت الغطاء عن **فتن المنافقين** (الطابور الخامس)، المندس بين صفوف المسلمين، وفضحت أساليب نفاقهم، وألوان فتنتهم وتخاذلهم للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * ﴾ ولم يكد النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي بعد عودته من تبوك حتى قال لأصحابه : (انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه)، فهدموه ، وكفى الله الإسلام والمسلمين شر المنافقين، وكيدهم في عهده عليه السلام.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم واجتماع أمر المسلمين على **خلافة أبي بكر الصديق** رضي الله عنه تحركت شرارة **المنافقين** المندسين بين الصفوف مرة ثانية؛ حيث أججوا نار الفتنة وغذوا لهيب التمرد على الدولة الإسلامية بمنع الزكاة، والرِّدَّة عن الإسلام، وتشجيع اقتفاء الأفاكين من مدعي النبوة في أواخر عهد النبي ومستهل خلافة الصديق. لكن أبا بكر الصديق بقوة إيمانه، وثبات أركانه، وشدة حزمه، استطاع دحر هؤلاء المرتدين وإجبارهم على الخضوع لسلطان الشريعة الإسلامية. قال ابن كثير: "ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصلبان، وإلى الفرس عبدة النيران، ففتح الله ببركة سفارته البلاد، وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد. وأنفق كنوزهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك رسول الله، وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده، وولي عهده **الفاروق** الأواب، شهيد المحراب، أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة والمنافقين واستولى على الممالك شرقاً وغرباً. وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعداً وقرباً. ففرقها على الوجه الشرعي. والسبيل المرضي. ثم لما مات شهيداً وقد عاش حميداً. أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين **عثمان بن عفان** رضي الله عنه شهيد الدار. فكسى الإسلام بجلالة رئاسته حلة سابغة. وامتدت إلى سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة. فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها. وعلت كلمة الله وظهر دينه. وبلغت الأمة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها. وكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم، ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار".

وبالرغم من هذا العدل، وحسن السياسة من قبل الخلفاء الثلاثة، تآمر المندسون بين الصفوف لخلق فتنة جديدة، جاءت هذه المرة بتلاقح فكري خبيث، جمع المنافقين باليهود حينما قام عبد الله بن سبأ بفتنته

الكبرى، التي آلت إلى استشهاد الخليفة **عثمان بن عفان** رضي الله عنه، حيث بدأت هذه الفتنة في أواخر خلافته رضي الله عنه بقدوم عبد الله بن سبأ، وكان يهودياً من أهل اليمن، أظهر الإسلام زمن عثمان، ثم تنقل بين بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، ثم أمر أتباعه في كل مصر من الأمصار بالطعن في ولاة عثمان والتظلم منهم وإظهار معائبهم، ثم الطعن في عثمان وتلمس المآخذ عليه، وأن ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان نتيجة ذلك أن كثر الغوغاء، وهانت هيبة الولاة عند رعيتهم، وصادفت دعاوى ابن سبأ وأصحابه هوى في نفوس **المنافقين** المتربصين والمندسين بين الصفوف من أصحاب المطامع الدنيوية، فرأوا أن هذه الفتنة تحقق شيئاً من مطامعهم من فرقة الصف، أو كسب المال، أو نيل الرئاسة أو التعصب للقبيلة، حتى زحف الثوار نحو المدينة مستغلين الغطاء من قبل المنافقين، الذين سهلوا لهم سبل الوصول إلى بيت الخليفة، فتسور إليه بعضهم، **فقتله** وهو يقرأ القرآن رضي الله عنه وأرضاه. ثم حمل بعد ذلك ودفن في البقيع. ثم تولى الخليفة الرابع **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان في أول فتنة كبرى تشهدها الدولة الإسلامية. استلم علي بن أبي طالب الخلافة بمبايعته من قبل جمع من الصحابة، ليستلم بذلك دولة في حالة اضطراب شديد، اضطر فيها لنقل مركز الخلافة من المدينة المنورة إلى الكوفة، ورفض والي الشام **معاوية بن أبي سفيان** مبايعة علي بن أبي طالب تذرعاً بضرورة القصاص أولاً من قتلة الخليفة عثمان، مما أدى إلى فتنة بين المسلمين ومعارك بين الجانبين، وجد **المنافقون المندسون** بين الصفوف، وأتباع ابن سبأ ضالتهم في ازدياد الهوة بين صفوف المسلمين؛ لتفريق كلمتهم، وتمزيق شملهم، من خلال إضرام نار الفتنة بين الطرفين، عن طريق دس الدسائس والإشاعات، التي أحدثت **معركتي الجمل وصفين**، وما وقع فيهما من خسائر بين صفوف المسلمين.

وبعد اغتيال الخليفة علي بن أبي طالب على يد عبد الرحمن بن ملجم تمت البيعة لابنه **الحسن بن علي**، الذي قضى ما يقارب السبعة أشهر في الحكم، قبل أن يتنازل عن الخلافة لمعاوية، وهو تأكيد لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" وقد وقع ما أخبر به المصطفى عليه السلام بتنازل الحسن عن المطالبة بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، فاطفأ الله به نار الحرب بين الصحابة، وسموا ذلك العام عام الجماعة" فقامت الدولة الإسلامية الأموية على يد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - في وقت كان المسلمون أحوج ما يكونون فيه إلى وحدة الصف، وجمع الكلمة، فجمعهم الله على معاوية بعد تنازل الحسن في "عام الجماعة" عام ٤١ هـ/ ٦٦١ م.

ومنذ ذلك الحين والدولة الأموية تحمل على عاتقها نشر لواء الإسلام في أصقاع المعمورة، واتخذ معاوية من دمشق عاصمة للخلافة الإسلامية. وبذلك انتقلت الخلافة إلى بني أمية،وأرسى معاوية كيانها

كخلافة قوية، جذب مخالفيه على طاعته، وعمل على توحيد كلمة المسلمين. وتميز حكمه بالحكمة والعدل. ووصل إشعاع الحضارة الإسلامية من دمشق إلى أصقاع بعيدة من العالم، لتكون الدولة الأموية أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ، ثم توالى الخلفاء من بني أمية الحكم من بعده. قال الحافظ ابن كثير: "فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية، ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتوجه المسلمون إلى قُطْرٍ من الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين، في كل جيش منهم شرذمة عظيمة، ينصر الله بهم دينه".

وباتساع الخلافة الأموية وضمها للعديد من البلاد في الشرق والغرب قدمت الخلافة الكثير من المعطيات للحضارة الإسلامية، حيث تم بناء مسجد قبة الصخرة والمصلى المرواني، والجامع الأموي بدمشق وحلب، وجامع القيروان بتونس وجوامع أخرى تم ذكرها في ثنايا هذا الأطلس، وتأسيس مجموعة كبيرة من المدن، واهتم الخلفاء بالحياة الاقتصادية لمختلف البلاد الإسلامية وبتعيين الولاة والحكام ومحاسبة المقصرين منهم، وفي أرجاء الخلافة المترامية الأطراف كما في العاصمة دمشق اهتموا بالصناعة والعلم والفقه والطب، وأنشئوا المشافي، وقدموا العلاج، وشجعوا العلماء، **ودوَّنوا السنة النبوية** في عهد عمر بن عبد العزيز، وسكوا أول عملة إسلامية (الدينار الأموي)، وعربوا دواوين الدولة، وعمل الخلفاء الأمويون على جمع المسلمين والمساواة، والحكم بالعدل، واتخذوا من الكتاب والسنة مرجعاً في إدارة شؤون الخلافة، وساهم الأمويون في نشر الدين الإسلامي بشكل كبير في وسط آسيا، حينما وصلت قواتهم إلى كاشغر من أرض الصين، وبلاد خوارزم، وطرقوا أرض السند، وأنشئوا الصوائف والشواتي على الثغور الإسلامية بين المسلمين والبيزنطيين، وحاصرت جيوشهم عاصمة الإمبراطورية البيزنطية (القسطنطينية) مرات عدة، واستكملوا فتوحات الشمال الإفريقي (الأوسط والأقصى)، أي ما يسمى اليوم بالجزائر والمغرب، وأخذوا ينشرون الإسلام في ربوع إفريقيا، وبلغت فتوحاتهم شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس)، ووصلوا إلى مشارف باريس، حيث موقعة بلاط الشهداء (بواتيه) سنة ١١٤ هـ، التي أوقفت زحف المسلمين نحو أوروبا.

أمام هذا الجهد العظيم الذي قامت به الدولة الأموية في سبيل نشر الإسلام لا يتم تسليط الضوء من قبل الأعداء والموتورين إلا على تلك الفترة الحالكة المظلمة التي وقع فيها بعض قادة بني أمية في أخطاء جسيمة هزت مشاعر المسلمين، مثل حادثة كربلاء سنة ٦١ هـ، وأحداث موقعة الحرّة و حريق الكعبة ...، مما انعكس سلباً على سمعة بعض الخلفاء الإيجابيين.

لقد أخذ **المنافقون والأفاكون الموتورون** فرصتهم في الطعن على بني أمية، وإلصاق التهم بهم، وتصوير مأساة الحسين بن علي رضي الله عنهما بصورة لا تليق بمسلم، فقد افتروا على بني أمية بأكثر من

ذلـك، حينمـا أوَّلوا تفسـير قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ الإسراء: ٦٠ بأنهم بنو أمَّة!!! وزادوا في الافتراء، فوضـعوا الأحاديث على النبي صـلى الله عليه وسلم في ذمّ بني أميَّة؟!! يقول الإمام ابن القيِّم (ت: ٧٥١هـ) في «المنار المنيف» ص ١١٧ (وكلُّ حديث في ذمّ بني أميّة فهـو كذبٌ، وكلُّ حديث في مَدْح المنصـور والسـفّاح فهـو كذبٌ). ومعلوم أنَّ من بنـي أميَّة خيارَ هذه الأمة وأبطالهـا: كعثمان بن عفان، وخالد بن سـعيد بن العاص أحد السـابقين الأولين وكان خامس خمسـة في الإسـلام، وأخواه أبان وعمرو واستشـهدوا ثلاثتهم يوم أجنادين رضـي الله عنهم. ومنهم معاوية بن أبي سـفيان خال المؤمنين، وأخوه يزيد بن أبي سـفيان، ووالدهما أبو سـفيان صخر بن حرب، وغيرهم رضي الله عنهم، ثم بعدهم ملوك الإسلام وأمراء المؤمنين...

أخـي القـارئ الكريم: إنها الحقيقة المرَّة التي يجب أن نؤمن بهـا؛ إن للمنافقين وأعداء الدين دوراً كبيراً في زعزعة الصـف وتفريق الكلمة، كما أسـلفنا في الحديث عنهم، ولهم حاضر يتضح من خلال مساجد الضرار التي أخذت تنتشر هذه الأيام وتقوم على السباب واللعان والشتائم للصحابة بشكل عام وبني أميَّة على وجه الخصوص، وهذا لم يكن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فعن أنس رضي الله عنه قال: « لم يكُنْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاحِشاً ولا لعَّاناً ولا سَبَّاباً، كان يقولُ عند المعتَبة: مالهُ تَرِبَ جبينُه» . رواه البخاري

لقدجاء هذا الأطلس في أربعة عشر فصلاً، جاء فصله الأول عن خلافة معاوية بن أبي سفيان، ثم بقية الخلفاء، لكن فصله الثالث تناول خلافة عبد الله بن الزبير، واختتم فصله (١٢) خلافة آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد، وجاء الفصـلان الأخيران (١٣ – ١٤) عن أبرز الجوانب الحضـارية في العصـر الأموي، وعن حركة التعريب والإصلاح النقدي، ثم ألحقنا هذه الفصول بملاحق لثبت المصادر والمراجع، وفهرس للعناوين والفصول الخاصة بهذا الأطلس.

وأخيراً وليس آخراً، أسأل الله – تعالى – أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٨٦

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

الأحساء / المبرز

في ٥ / ٣ / ١٤٣٢ هـ

samimag13@gmail.com

جوال ٠٥٠٤٩٣٤٦٩٣

البيت السفياني

معاوية بن أبي سفيان

الفصل الأول

٤١ ـ ٦٠ هـ / ٦٦١ ـ ٦٨٠م

هـو: **معاويـة بـن أبي سفيان** صخـر بن حـرب بن أمية بـن عبد شـمس بن عبد مناف بن قصـي أبو عبـد الرحمـن القرشي الأموي، أمير المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين، أسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح.

وقد رُوي عن معاوية أنه قال: أسلمت يوم عمرة القضاء ولكني كتمت إسلامي من أبي إلى يوم الفتح، وقد كان أبـوه من سادات قريش في الجاهلية، وآلت إليه رياسة قريش بعد يوم بـدر، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب، وكان رئيساً مطاعاً ذا مالٍ جزيل، ولما أسلم قال: يا رسول الله مرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمـين. قـال: «نعم»، قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك. قال: «نعـم». ثم سأل أن يزوج رسول الله بابنته، وهي عزة بنت أبي سفيان واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة، فلم يقع ذلك، وبيّن رسول الله أن ذلك لا يحل له. والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحي لرسول الله مع غيره من كتّاب الوحي رضي الله عنهم.

ولما فتحت الشام ولاه عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان، وأقره على ذلك عثمان بن عفان وزاده بلاداً أخرى، وهو الذي بنى القبة الخضراء بدمشق وسكنها أربعين سنة، قاله الحافظ ابن عساكر.

ولما ولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه ممن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولي عليها سهل بن حُنيف فعزله فلم ينتظم عزله والتف عليه جماعة من أهل الشام ومانع علياً عنها وقد قال: لا أبايعه حتى يسلمني قتلة عثمان فإنه قتل مظلوماً، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا ﴾ [الإسراء: ٣٣] . وروى الطبراني عن ابن عباس أنه قال: ما زلت موقناً أن معاوية يلي الملك من هذه الآية.

فلمـا امتنـع معاويـة من البيعة لعلي حتى يسلمه القتلـة، كان من صفين ما قدمنا ذكـره (في كتاب البداية والنهاية)، ثم آل الأمر إلى التحكيم، فكان من أمر عمرو بن العاص وأبي موسى ما أسلفناه من قوة جانب أهل الشام في الصعدة الظاهرة. واستفحل أمر معاوية، ولم يزل أمر علي في اختلاف مع أصحابه حتى قتله ابن ملجم كما تقدم، فعند ذلك بايع أهل العراق الحسن بن علي، وبايع أهل الشام لمعاوية بن أبي سفيان. ثم ركب الحسـن في جنود العراق عن غير إرادة منه، وركب معاوية في أهل الشام. **فلما تواجه الجيشان وتقابل الفريقـان سعـى الناس بينهما فـي الصلح فانتهى الحال إلى أن خلـع الحسن نفسه من الخلافة وسلـم الملـك إلى معاويـة بن أبـي سفيان**.وكان ذلك في ربيـع الأول من هذه السنـة – أعني سنة إحدى وأربعين – ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعد ما بايعه الناس – واستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً، وَسُمي هذا العام: عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفرقة.

ابن كثير، البداية والنهاية/ الجزء الثامن/فضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

الدولة الأموية

ينتسب **الأمويـون** إلى أميـة بن عبد شمس بن عبد مناف، وفي عبد منـاف يلتقي بنو أمية مع بني هاشـم، (انظـر المشجرات في الصفحات القادمة من هذا الأطلس إن شاء الله)، وكان بنو عبد مناف أصحاب مكانة عظيمة، ومنزلة مرموقة في مكة المكرمة شرفها الله تعالى.

وقـد قامت **الدولـة الأموية** بعد انتهاء الخلافـة الراشدة باستشهاد الخليفـة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ، " ويُعد بدء الدولة الأموية حين تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في ٢٥ ربيع الأول سنة ٤١ هـ، واستمرت الدولة الأمويـة حتـى معركة الزاب التي جرت بين جيوش العباسيين وبني أمية حيث هُزم مروان بن محمد آخر الخلفـاء الأمويين وذلك في ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٢ هـ. وبذا دامت هذه الدولة ما ينيِّف على إحدى و تسعين عاماً "[١].

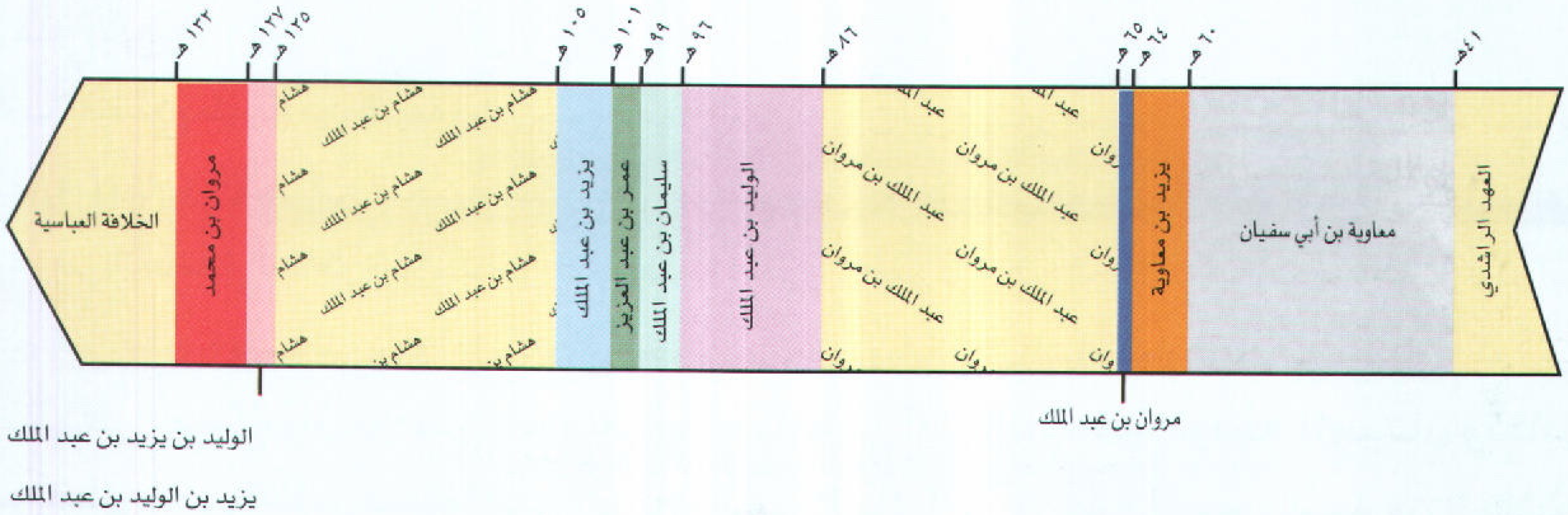

خـط زمني للدولـة الأموية

للأهمية؛ تم ذكر خلافة عبد الله بن الزبير في فصل مستقل من فصول الكتاب

---

١ – محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٧، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م، ج ٤، ص ٦١.

شجرة نسب الخلفاء الأمويين

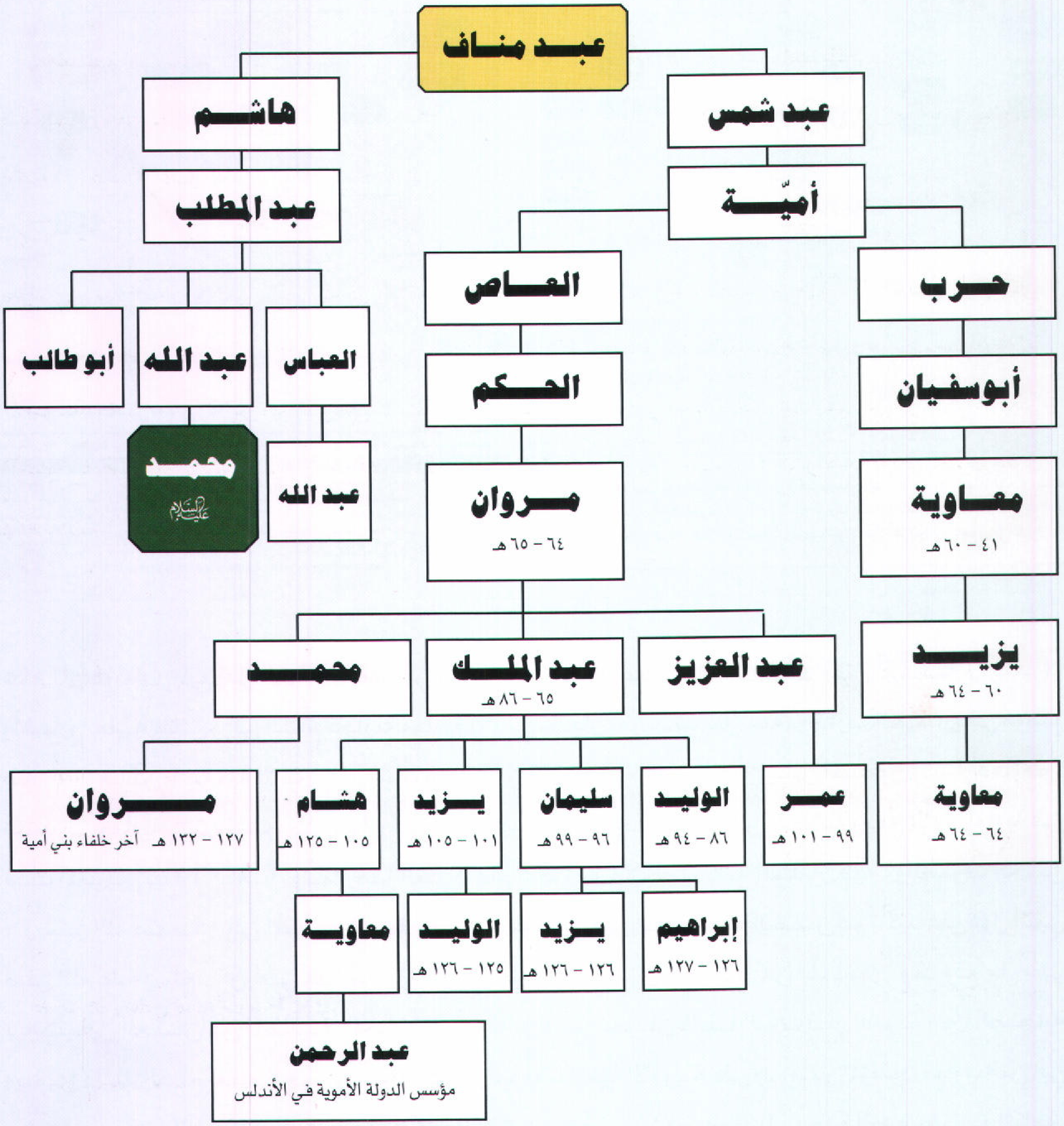

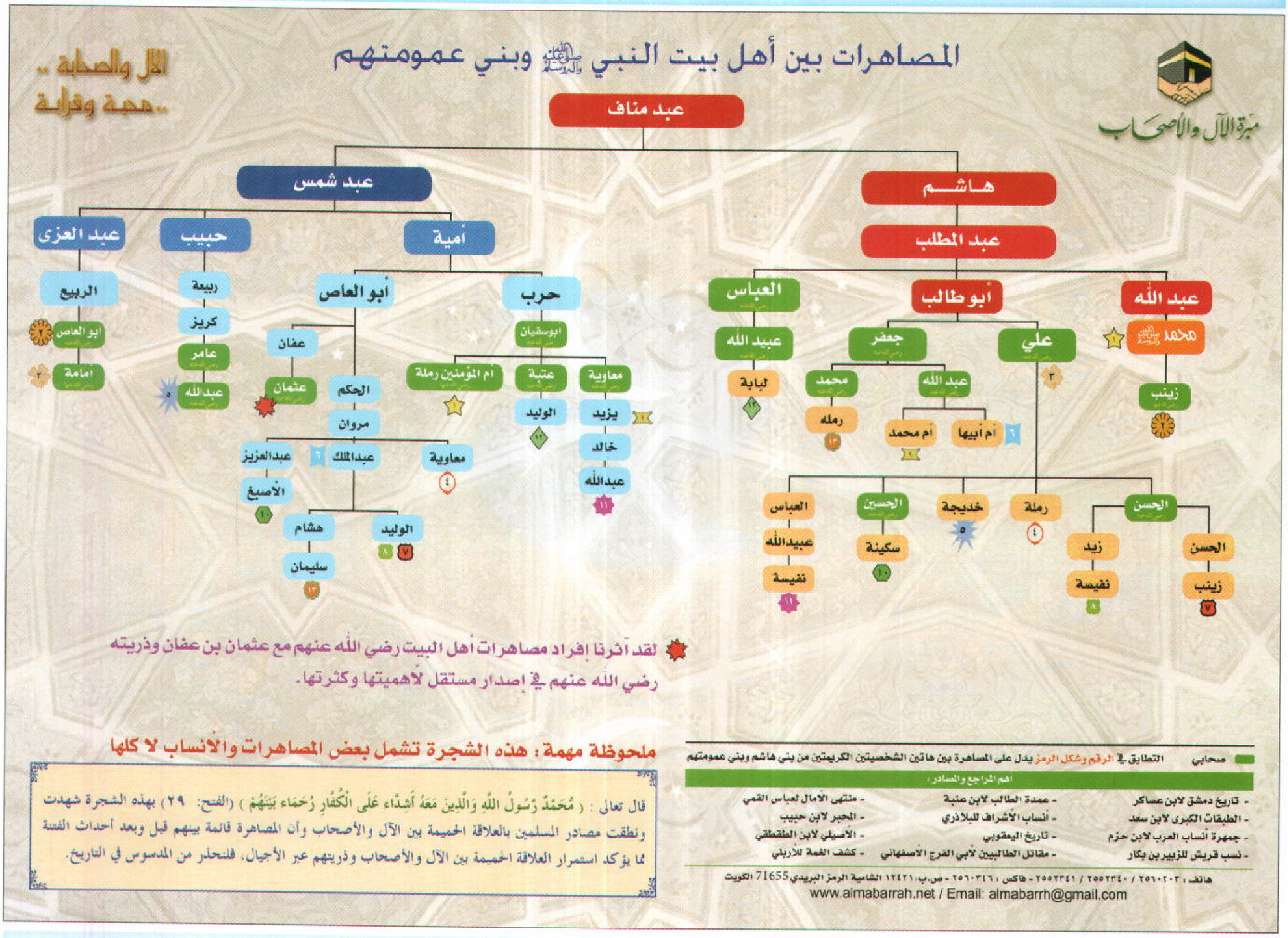

عام الجماعة : بايع أهل العراق الحسن بن علي - رضي الله عنهما - بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة (٤٠هـ)، وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان، فزحف بمن معه، وتقارب الجيشان في موضع يقال له (مسكن) بناحية الأنبار، ولم يستشعر الحسن الثقة بمن معه، وهاله أن يقُتل المسلمون وتسيل دماؤهم، فكتب إلى معاوية يشترط شروطاً للصلح، ورضي معاوية، فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس سنة (٤١هـ)، وسُمي هذا العام (عام الجماعة) لاجتماع كلمة المسلمين فيه ، وانصرف الحسن - رضي الله عنهما - إلى المدينة النبوية حيث أقام، وهذا الفعل الذي قام به الحسن هو تأكيد على قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" وقد وقع ما أخبر به بتنازل الحسن عن المطالبة بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان فاطفأ الله به نار الحرب بين الصحابة وسموا ذلك العام بعام الجماعة" فقامت الدولة الإسلامية الأموية على يد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- في وقت كان المسلمون أحوج ما يكونون فيه إلى وحدة الصف وجمع الكلمة، فجمعهم الله على معاوية بعد تنازل الحسن - كما أسلفنا - في "عام الجماعة" عام ٤١ هـ/ ٦٦١ م.

بعض النسب والمصاهرة بين آل النبي صلى الله عليه وسلم وآل عثمان بن عفان رضي الله عنه

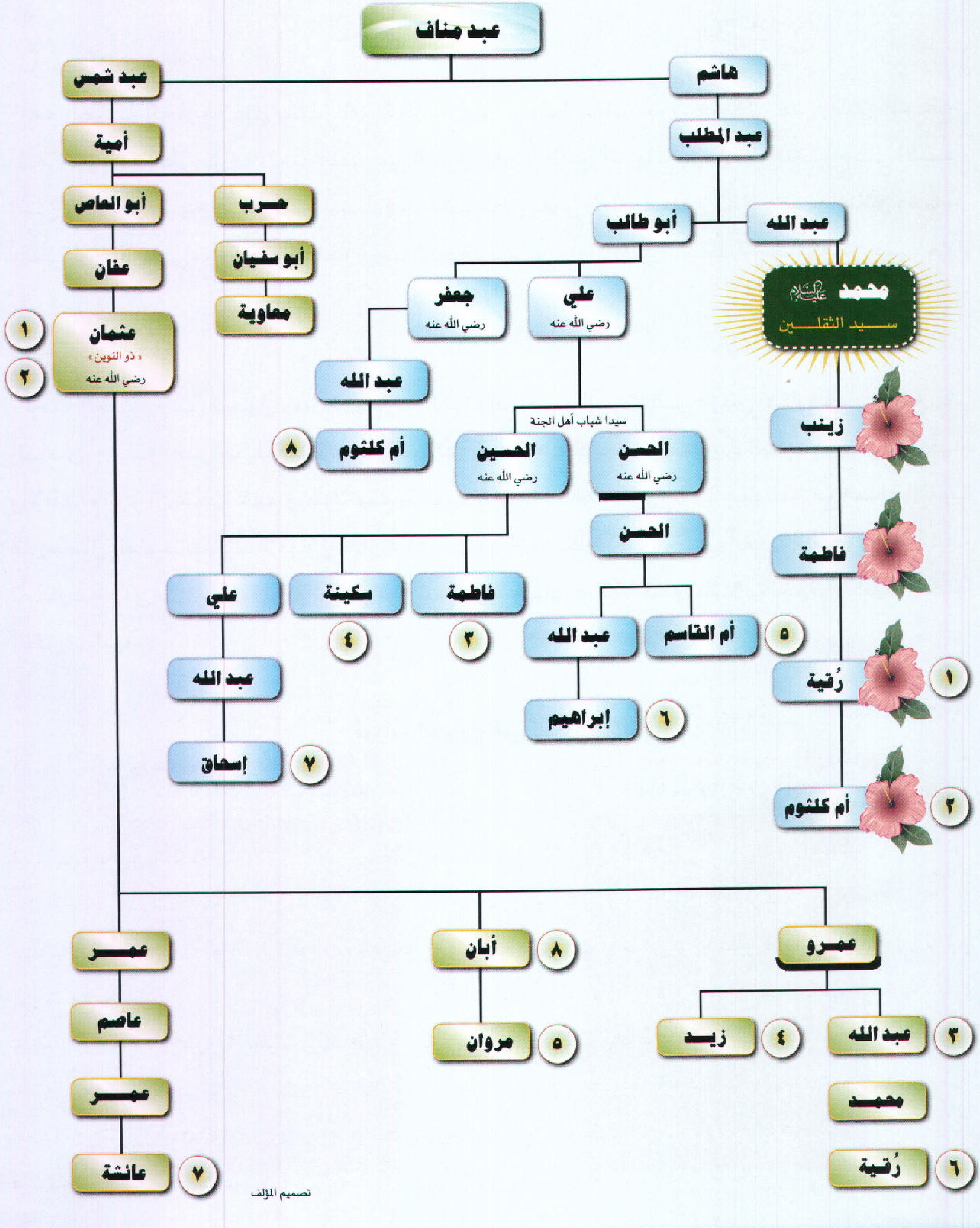

تصميم المؤلف

الخوارج في عهد معاوية

من هم الخوارج؟

هم الطائفة الخارجة على سلطة الدولة الإسلامية، وسموا بذلك لخروجهم على علي رضي الله عنه ثم خروجهم على كل من لم يوافقهم من الأئمة، عدولاً كانوا أم جائرين، وصفة الخروج على الأئمة من غير موافقيهم هي أخص أوصافهم، حتى نص بعض العلماء على أنه لا يصح إطلاق وصف الخوارج إلا على من كفّر المسلمين، وسلّ سيفه عليهم، وأراد تغيير السلطة الحاكمة من غير وجه شرعي.

لجأ الخوارج في مستهل معارضتهم إلى القوة واستخدام السيف في فرض أفكارهم، وآرائهم على الناس، وأبدوا فى صراعهم الدموي مع الدولة الأموية كثيراً من ضروب الشجاعة، والتضحية، والإقدام، ولو أن شجاعتهم وبطولاتهم اتجهت اتجاهاً صحيحاً، ووحدوا جهودهم مع الدولة الأموية فى مجال الفتوحات الإسلامية ومحاربة أعداء الإسلام، لكان ذلك أجدى وأنفع، و العجيب أن أغلبهم لم يكونوا من طلاب الدنيا، والتطلع إلى المال، والمناصب، و إنما كانوا طلاب آخرة، ولكنهم أخطئوا الطريق إليها.

ثورات الخوارج في عهد معاوية

ثورة الخوارج في الكوفة

١ - حركة فروة بن نوفل الأشجعي.

٢ - حركة المستورد بن عُلّفة التيمي « تيم الرباب ».

٣ - حركة حيان بن ظبيان السلمي.

ثورة الخوارج في البصرة

١ - حركة يزيد الباهلي وسهم الهجيمي .

٢ - حركة قريب الأزدي، وزحاف الطائي.

٣ - خبر عروة بن أُدية الخارجي.

٤ - حركة مرداس بن أُدية .

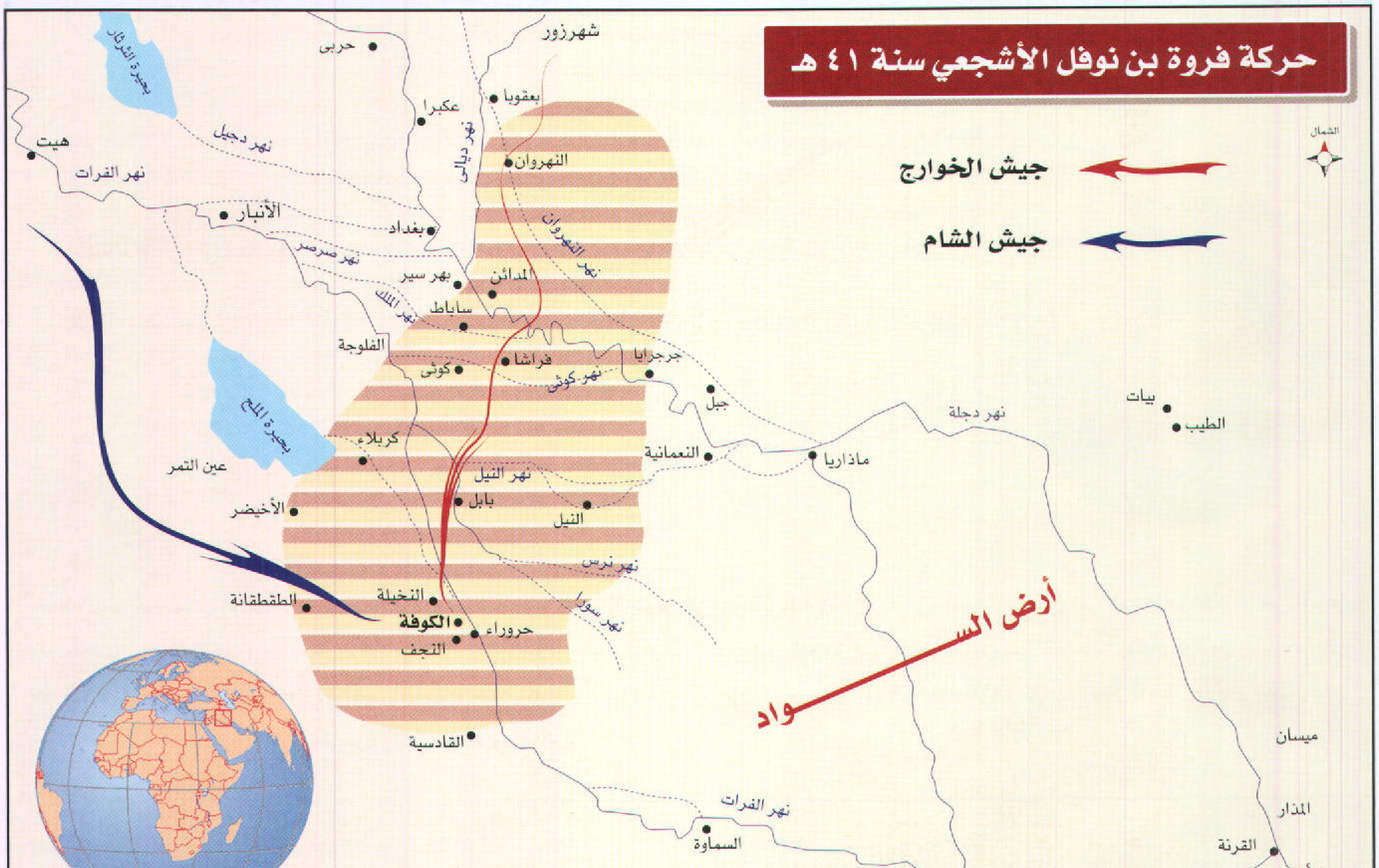

قال الطبري في أحداث عام ٤١هـ: وفيها خرجت **الخوارج** التي اعتزلت أيام علي عليه السلام بشهرزور على معاوية، وقال: حدثت عن زياد، عن عوانه، قال: قدم معاوية قبل أن يبرح الحسن من الكوفة حتى نزل النخيلة، فقالت الحرورية، الخمسمائة التي كانت اعتزلت بشهرزور مع فروة بن نوفل الأشجعي: قد جاء الآن ما لا شك فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه، فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة، فأرسل إليهم معاوية خيلاً من خيل أهل الشام، فكشفوا أهل الشام، فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بوائقكم، فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلوهم، فقالت لهم الخوارج: ويلكم ما تبغون منا، أليس معاوية عدونا وعدوكم، دعونا حتى نقاتله، وإن أصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم، وإن أصابنا كنتم كفيتمونا، قالوا: لا والله حتى نقاتلكم، فقالوا: رحم الله إخواننا من أهل النهر، هم كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة، وأخذت أشجع صاحبهم فروة بن نوفل - وكان سيد القوم - واستعملوا عليهم عبد الله بن أبي الحر - رجلاً من طيء - فقاتلوهم فقتلوا. تاريخ الطبري : (٦/٨١) .

٠ ٢٥ ٥٠ كم

هـذه الحركـة تمثـل الامتداد الطبيعي لفكر خوارج النهروان الذين قاتلهم علي - رضي الله عنه -، إذ إن معظم المنتسبين إلى هذه الحركة كانوا في خندق واحـد فـي معركة النهـروان، وهذا الأمر هو الذي دفع المغيرة بن شعبـة والي الكوفة إلى اللجوء إلى أنصار علي رضي الله عنـه، وخاصة الذين شاركوا في معركـة النهـروان من أمثال معقل بن قيس الرياحي الذي كان أحد قادة علي يوم النهـروان ، وتكليفه قيادة الحملة المتوجهة لقتال الخوارج، لأن أنصار علي رضي الله عنه هم أخبر الناس بالخوارج وأشدهم عليهم.

٠ ٢٥ ٥٠ كم

روى الإمـام **البخـاري** فـي صحيحـه عن أمير المؤمنين **علي بـن أبي طالب** رضي الله عنـه أنه قال: إذا حدثتكـم عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً، فوالله لأن أَخِرّ من السماء أحبّ إليّ من أنْ أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيمـا بينـي وبينكم فإن الحـرب خدعة، وإني سمعـت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول: سيخـرج قـومٌ فـي آخر الزمان، أحـداث الأسنـان، سفهاء الأحلام، يقولـون من خير قول البريـة، لا يجاوز إيمانهـم حناجرهـم، يمرقون من الدين كما يمـرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهـم فاقتلوهم، فإن في قَتْلِهِم أجراً لِمَنْ قَتَلَهم يوم القيامة.

موقع أحداث الخوارج بالنسبة لعاصمة الخلافة (دمشق)

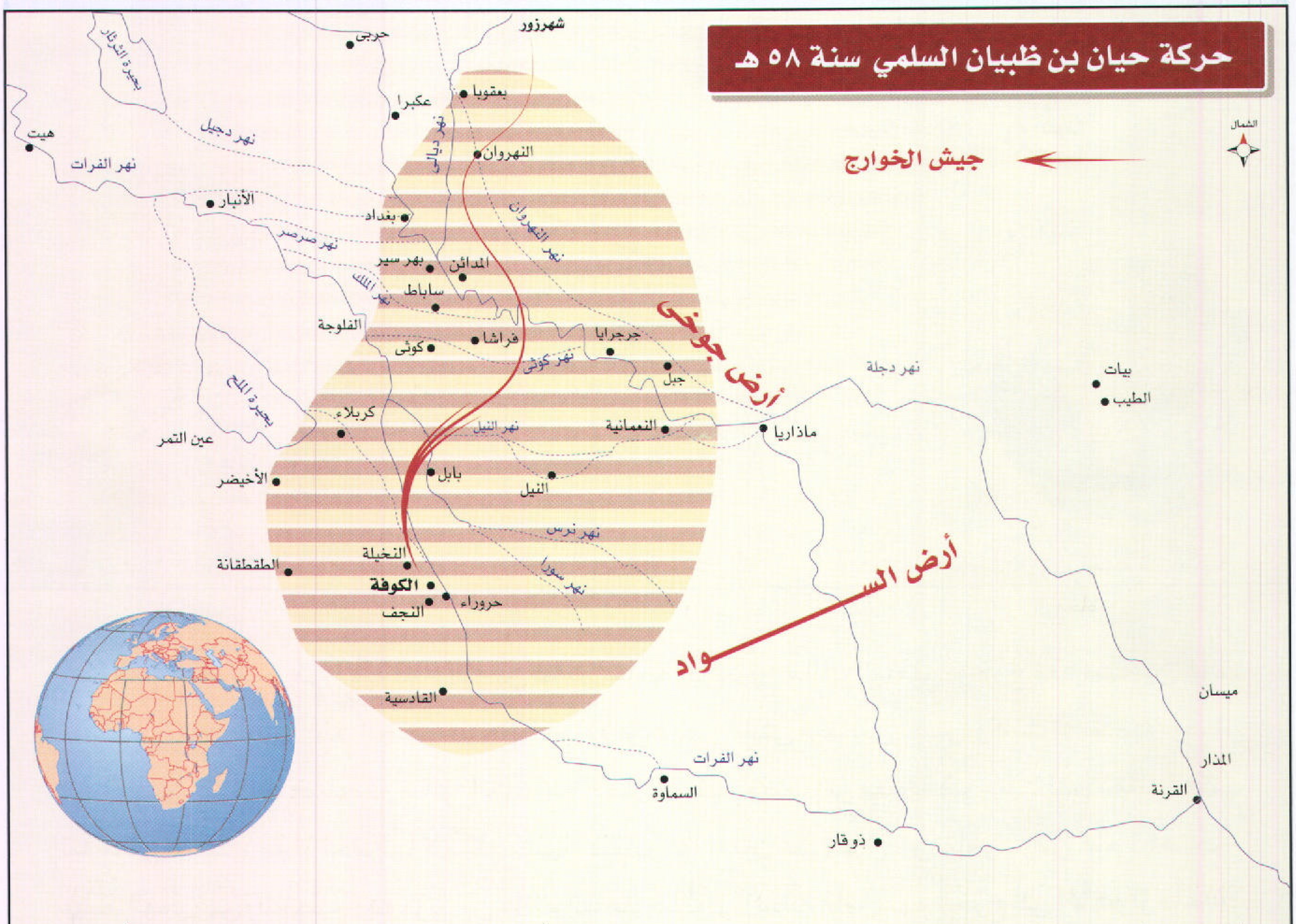

حركة حيان بن ظبيان السلمي سنة ٥٨ هـ

كانت هذه الحركة عام ٥٨هـ وكانت في ولاية عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفي، وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان، ففي أثناء ولايته خرجت الطائفة الذين كان المغيرة بن شعبة حبسهم في السجن من الخوارج الذين كانوا بايعوا المستورد بن علفة، فظفر بهم فاستودعهم السجن، فلما مات خرجوا من السجن ، وقام بحركة مضادة للخلافة وكان رئيسهم حيان بن ظبيان السُّلَمِي، فبعث إليهم والي الكوفة (المغيرة بن شعبة) جيشاً فقتلوا الخوارج جميعاً .

٠ ٢٥ ٥٠ كم

في عام ٤١هـ خرج في ولاية عبد الله بن عامر لمعاوية، يزيد بن مالك الباهلي، وخرج معه سهم بن غالب الهجيمي، فأصبحوا عند الجسر، فوجدوا عبادة بن قرص الليثي أحد بني بجر - وكانت له صحبة - يصلي عند الجسر، فأنكروه فقتلوه ثم سألوا ابن عامر الأمان فآمنهم وكتب إلى معاوية قد جعلت لهم ذمتك، فكتب إليه معاوية: تلك ذمة لو أخفرتها لا سُئلت عنها، فلم يزالوا آمنين حتى عزل ابن عامر. وفي عام ٤٦هـ خرج سهم الهجيمي والخطيم وهو يزيد بن مالك الباهلي لما تولى زيادٌ، فأما سهم فخرج إلى **الأهواز** فأحدث وحكّم ثم رجع فاختفى وطلب الأمان، فلم يؤمنه زياد حتى أخذه وقتله وصلبه على بابه، وأما الخطيم فإن زياداً سيره إلى **البحرين**، ثم أذن له فتقدم، فقال له: الزم مصرك، وقال لمسلم بن عمرو الباهلي: أضمنه، فأبى وقال: إن بات عن بيته أعلمتك، ثم أتاه مسلم، فقال: لم يبت الخطيم الليلة في بيته فأمر به فقتل، وألقي في باهلة. ابن الأثير، الكامل في التاريخ (٤٧٧/٢).

حركة قريب الأزدي وزحاف الطائي سنة ٥٠ هـ

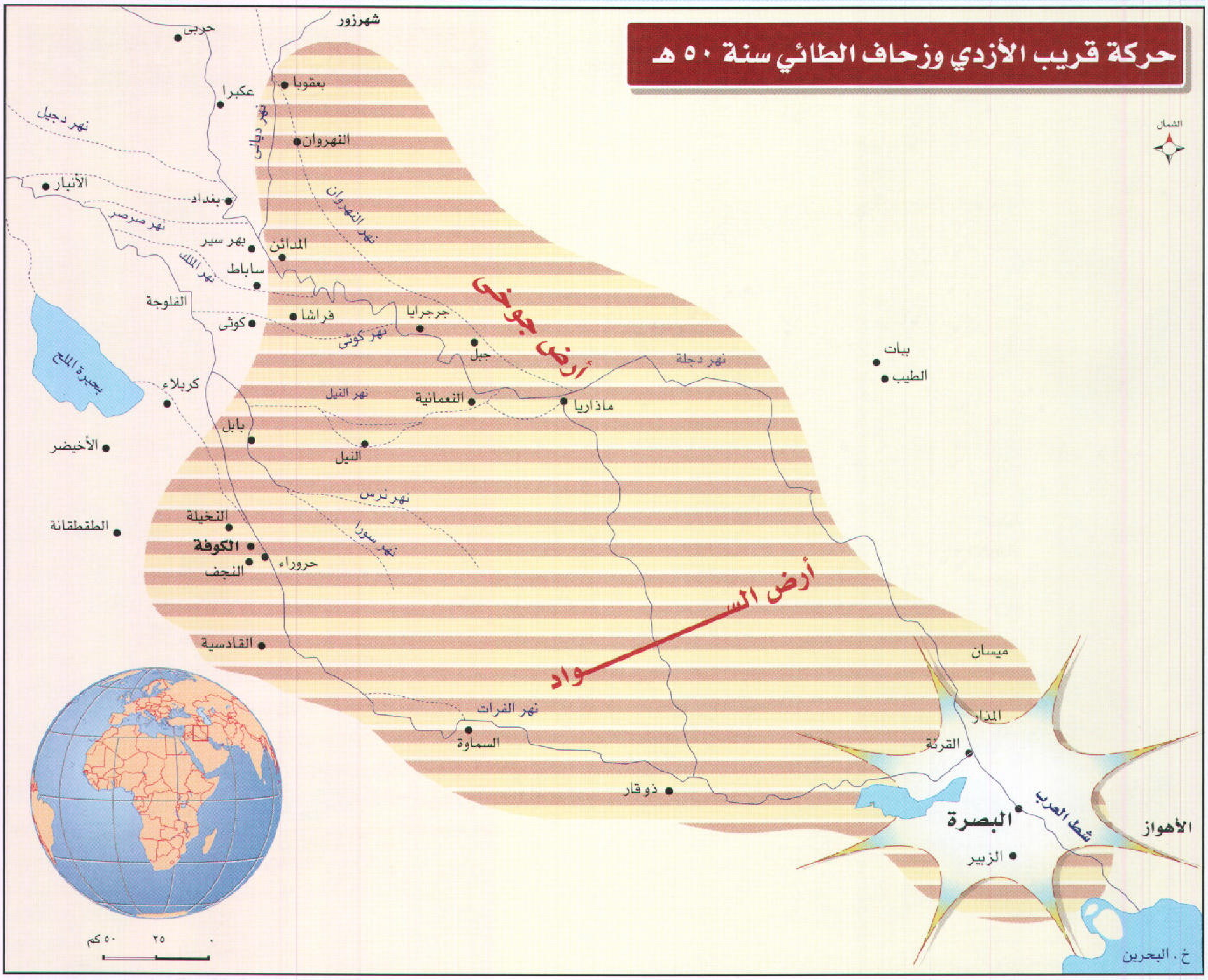

فـي عـام ٥٠هـ خرج قريب الأزدي وزحّاف الطائي **بالبصرة** وهما ابنا خالة، وزياد بالكوفة وسمرة على البصرة، فأتيا بني ضُبيعة، وهم سبعون رجلاً، وقتلوا منهم شيخاً، وخرج على قريب وزحّاف شباب من بني علـي وبنـي راسب فرموهم بالنّبل، وقتل عبد الله بن أوس الطاحيّ قريباً وجاء برأسه واشتد زياد على المنبر فقـال: يـا أهل البصرة والله لتكفُننّـي هؤلاء أو لأبدأنّ بكم، والله لئن أفلت منهـم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهماً، فثار الناس بهم فقتلوهم . ابن الأثير، الكامل في التاريخ (٢/٤٨٢) .

خبر عروة بن أُدية الخارجي سنة ٥٨ هـ

فـي سنـة ٥٨هـ اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج، فقتل منهم صبراً جماعة كثيرة، وفي الحرب جماعة أخرى، وممن قتـل منهـم صـبراً عروة بن أديَّة وأبو بـلال مرداس بن أدية ، وكان سبب قتله أن ابن زياد قد خـرج في رهان له، فلما جلس ينتظـر الخيـل اجتمـع إليه الناس وفيهم عروة، فأقبل على ابـن زياد يعظه، وكان مما قال له: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ (الشعراء ، الآيات : ١٢٨ ـ ١٣٠). فلمّا قال ذلك ظن ابن زياد أنه لم يقـل ذلك إلا ومعه جماعة، فقام وركب وتـرك رهانه. فقيل لعروة: ليقتلنّك، فاختفى، فطلبه ابن زياد فهرب وأتى الكوفة فأخذ وقدم به على ابن زياد فقطع يديه ورجليه .. ثم دعا به فقال: كيف ترى؟ قال أرى أنك أفسدتَ دنياي وأفسدتُ آخرتك، فقتله وأرسل إلى ابنته فقتلها ، بسبب اعتناقها مذهب والدها . **وذكر المبرد في كتابه الكامل في اللغة سببين هامين كان لهما أثـر كبـيرفي مقتل عروة بن أديـة، الأول: تكفيرهذا الخارجي لعثمـان وعلي رضي الله عنهما، والثاني: إقدامه على مساعدة أخيه مرداس بن أدية على الخروج** . الصلابي، الدولة الأموية، ص ٢٤٣ .

حركة مرداس بن أدية سنة ٥٨ هـ

خـرج مرداس بـن أُديَّة، بالأهواز وكان ابن زياد قبل ذلك حبسه فيمن حبس من الخوارج، فكان السجان يرى عبادته، واجتهاده، وكان يأذن لـه فـي الليل، فينصرف، فإذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن، وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد، فذكر ابن زياد **الخوارج** فعزم على قتلهم، إذا أصبح، فانطلق صديق مرداس إلى منزل مرداس فأخبرهم، وقال: أرسلوا إلى أبي بلال في السجن فليعهد فإنه مقتول، فسمع ذلك مرداس، وبلـغ الخبر صاحب السجـن، فبات بليلة سوء إشفاقاً من أن يعلم الخبر مرداس فلا يرجع، فلما كان الوقت الذي كان يرجع فيه إذا بـه قـد طلـع، فقال له السجان: هل بلغك ما عزم عليـه الأمير؟ قال: نعم، قال: ثم غدوت! قال: نعم، ولم يكن جـز اؤك مع إحسانك أن تعاقب بسببـي، وأصبـح عبيد الله فجعل يقتل الخوارج، ثم دعا مرداس، فلما حضر وثب السجان. وكان ظئراً لعبيد الله، فأخذ بقدمه، ثم قال: هب هذا، وقص عليه قصته، فوهبه له وأطلقه . وقد أشار البلاذري إلى أن عزم عبيد الله بن زياد على قتل من في السجن من الخوارج كان بسبب إقـدام بعضهـم على قتل أحد الحرّاس . ثم إن مرداس خاف ابن زيـاد فخرج في أربعين رجلاً إلى الأهواز، فكان إذا اجتاز به مال لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ثم يرد الباقي، فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث إليهم جيشاً عليهم أسلم بن زرعة الكلابي سنة ستين، وقيل أبـو حصـين التميمـي، وكان الجيش ألفيّ رجل، فلمّا وصلـوا إلى أبي بلال ناشدهـم الله أن يقاتلوه فلـم يفعلوا، ودعاهم أسلـم إلى معاودة الجماعة، فقالوا: أتردّوننا إلى ابن زياد الفاسق؟ فرمى أصحاب أسلم رجلاً من أصحاب أبي بلال فقتلوه، فقال أبو بلال: قد بدؤوكم بالقتال. فشـدّ الخـوارج على أسلم وأصحابه شدّة رجل واحـد فهزموهم فقدموا البصرة، فلام ابن زياد أسلم وقال: هزمك أربعون وأنت فـي ألفين، لا خيـرَ فيـك. فقال: لأن تلومني وأنا حي خير من تثني عليّ وأنا ميـت، فكان الصبيان إذا رأوا أسلم صاحوا به: أما أبو بلال وراءك! فشكا ذلك إلى ابن زياد، فنهاهم فانتهوا . الصلابي، الدولة الأموية، ص ٢٤٣ .

سياسة معاوية بن أبي سفيان الخارجية

وضـع معاويـة أسساً مدروسة، وقواعد ثابتة في سياسته الخارجية، ولكن عهده لم يشهد فتوحات على نطـاق واسـع، كما كان الحال في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم إنما هذا لم يكن تقصيراً منه بـل حسن تقدير للأمـور، وإذ أدرك جسامة المهمة الملقاة على عاتقه في حقـل السياسة الخارجية التي تتمثل في تثبيت الفتوحات الإسلامية في المشرق، والقضاء على الحركات التمردية، التي كانت تقوم بين الحـين والآخر في أنحاء متفرقـة من البلاد، نتيجة الشعور القومي لدى الفرس. ومن ناحية ثانية كان معاويـة يعمـل جاهداً على نشـر الدين الإسلامي بين الشعـب الفارسي. ومن أجل ذلـك أسكن عشرات الآلاف من الأسر العربية في المناطق الفارسية، وبصفة خاصة في خراسان، حتى يكون اختلاط العرب بالفرس سبيلاً إلى نشر التعاليم الإسلامية، واللغة، والثقافة العربية. ومع هذا لم يغفل حراسة الحدود، فكانت الغزوات تنطلق من ثغر السند، إلى حدود بلاد ما وراء النهر .

وهكـذا قـدَّر معاوية أن تثبيت الفتوحات ونشـر الإسلام في البلاد الشرقية أجدى من الفتح والتوسع. وقد نجحت هذه السياسة في هذا الجناح الشرقي من الدولة الإسلامية.

أمـا الجنـاح الغربي ، وأعنـي بلاد الشام ومصر، فكانت المواجهة مع الدولـة البيزنطية لا بدّ لها من سببين: الأول قرب الدولة البيزنطية من مركز القيادة في دمشق . الثاني أن خطر الدولة البيزنطية ظل قائمـاً، وتهديدها للدولة الإسلامية كان ولا يزال مستمراً. وقد وقف معاوية من خلال خبرته السياسية، أثنـاء توليه بلاد الشام، علـى أهداف البيزنطيين القاضية بطرد المسلمين مـن هذا البلد. فركّز معظم جهوده للتصدي لهم ، وإيقافهم عند حدهم ، خاصة في ميدان البحر، واتّبع في سبيل ذلك استراتيجية عسكرية خاصة [1] .

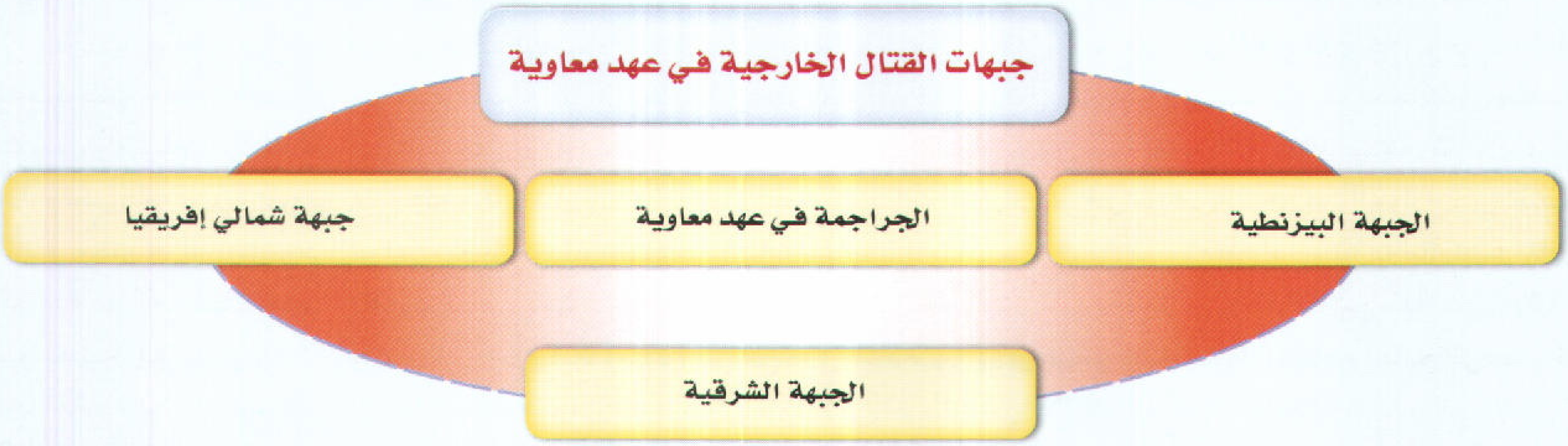

١ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٢٨ .

أقصى حدود دولة الخلافة الراشدة في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه

لقد سلك المسلمون المنهج الإيماني في فتوحاتهم ، وقد شهد لهم به المؤرخ الغربي ، والاجتماعي المنصف (غوستاف لوبون) بكلمة تشبه كلمات بلغائهم في إيجازها ، وسعة معانيها وهي قوله: (ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب) ويؤيد هذه الشهادة العقل كالنقل، فإنه لولا فضائلهم - ورأسها العدل والرحمة - لما أمكنهم أن يثلوا عرش كسرى وقيصر في الشرق في أقصر مدة، حيث كانت حكوماتهما أرقى حكومات الأرض قوة وحضارة، وثروة ونظاماً؛ وإنما ثل العرشين التليدين الراسخين أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه بحكمته القيادية، وسياسته المنهجية في الربع الأول من القرن الأول الهجري، وفي عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه توقفت الفتوحات الإسلامية، ما خلا توغل جرى في جبهة السند (انظر كتابنا أطلس الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ، وذلك بسبب الفتن التي ثارت في عهده وانتهت باستشهاده رضي الله عنه. ثم عاودت الفتوحات الإسلامية من جديد في مستهل العهد الأموي في الشرق والغرب، وهذا ما سوف نتعرف عليه من خلال هذا الأطلس إن شاء الله تعالى .

أولاً : الجبهة البيزنطية [١]

شهدت العلاقات الإسلامية البيزنطية، ابتداء من منتصف القرن الأول الهجري سلسلة من الأحداث الهامة أثرت في العالمين الإسلامي والبيزنطي وجعلت الصراع العسكري بينهما سجلاً متأرجحاً بين النصر والهزيمة، والسلم والحرب وفقاً لمقتضيات الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كل منهما.

ويرجع الفضل للخلافة الأموية عامة، ولمعاوية خاصة، في وضع سياسة عسكرية واضحة الأهداف والمعالم ضد الدولة البيزنطية، وتنظيم الحملات **لمهاجمة القسطنطينية**. والحقيقة أن معركة ذات الصواري - حدثت في العهد الراشدي، انظر كتابنا أطلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه - حولت العلاقات العسكرية بين المسلمين والبيزنطيين نحو اتجاه جديد في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، إذ إنها اعتبرت المدخل الذي أطل منه الأمويون على العالم الوسيط كقوة بحرية منافسة في المنطقة. كما أنها أضاعت آخر الفرص من البيزنطيين؛ لاستعادة مواقعهم في الشام ومصر، حيث كان اعتمادهم على التفوق البحري. لكن انحسار الدولة البيزنطية وانكفاءها إلى ماوراء حدودها في آسيا الصغرى، لم يدفعها إلى التخلي نهائياً عن هذه المنطقة ذات الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية، لوجودها واستمرارها كدولة كبرى.

لذلك لم يفت على معاوية هدف البيزنطيين، كما لم يتجاهل الفراغ العسكري الذي أحدثوه في المنطقة. فوضع نصب عينيه هدفين :

أولهما : إقامة نظام ثابت لحماية المناطق الحدودية والشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين وحلفائهم **المردة**.

ثانيهما : الاستيلاء على **القسطنطينية** عاصمة الإمبراطورية البيزنطية.

تمثلت أبرز خطوط هذا النظام الحربي في إقامة مراكز دفاعية في مناطق الحدود، وحاميات عسكرية دائمة في المعاقل الأمامية، والممرات الجبلية على تخوم الدولة البيزنطية، وهي التي تعرف باسم "**الثغور**". إنها مواقع عسكرية متقدمة ملاصقة لحدود العدو.

ورأى معاوية ضرورة الاهتمام بهذه المناطق الحدودية وتعميرها وتحصينها، فاهتم بمدينة أنطاكية التي كانت معرضة باستمرار للغارات البيزنطية المفاجئة، فأغرى الناس على الإقامة فيها بأن منحهم إقطاعات من الأرض كما نقل إليها في عام "٤٢هـ - ٦٦٢م" جماعة من الفرس وجماعات من أهل بعلبك وحمص والبصرة والكوفة،

---

١ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٢٨ .

الثغور الإسلامية بين المسلمين والبيزنطيين في العصر الأموي

ثـم أخـذ يوالي تدريجياً تعمـير المدن التي خرج منهـا البيزنطيون بعد الفتوحات الإسلاميـة كما نفذ إعادة استيطـان المدن التي خرج منهـا البيزنطيون بعد الفتوحات الإسلامية. فبالإضافـة إلى أنطاكية وحمص، نقل قومـاً مـن فرس بعلبـك، وحمص إلى صور، كما نقـل قوماً من زط البصـرة، والسيابجـة إلى السواحل وأنزل بعضهم أنطاكية.

وحتى يقوي معاقل الحدود فتح سميساط، وملطية، وجدد حصوناً أخرى مثل: مرعش، والحدث، وفتح حصن زبطـرة الاستراتيجي وأعاد تحصينه. وأبدى نشاطاً ملحوظاً في ترميم المدن الساحلية وتحصينها لتقوى على صـد غارات البيزنطيـين من البحر. فرمم عكّا، وصور، وحصن جبلة، وشحنهـا بالمرابطة، ومصّر نطرطوس فبناها وأقطع بها القطائع.

وارتبـط بهـذا النظـام الدفاعـي نظام آخـر ذو خصائـص هجوميـة دفاعية مشتركـة وهو ما عـرف **بالشواتي والصوائف**. إنها حملات دورية منتظمة كانت تتوجه إلى الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى ويشرف عليها قادة اختصاصيون هدفها السيطرة على الحصون، والمعاقل الجبلية المهمة والقيام بغارات داخل الأراضي البيزنطية والتصدي

للبيزنطيين إذا ما حاولوا التقدم داخل الأراضي الإسلامية.

ونظراً لأن المعارك والصراعات العسكرية التي كانت تحدث بينه وبين البيزنطيين بمجملها بحرية أدرك معاوية أهمية تعزيز الأسطول البحري في :

١. الدفاع عن السواحل.

٢. غزو الجزر البحرية المواجهة لساحل الشام مثل: أرواد وقبرص ورودس، ليتخذها مراكز أمامية لتوجيه الغزوات البحرية منها إلى بلاد البيزنطيين.

٣. الدفاع عن البلاد المفتوحة والأملاك المكتسبة .

٤. استمرار العلاقات التجارية الخارجية مع بلاد البحر الأبيض المتوسط؛ خاصة وأن هذا البحر كان ولا يزال في قبضة البيزنطيين. لذلك وضع مخططاً للتفوق على هؤلاء في البحر وإبعادهم عن السواحل.

وتنفيذاً لهذا المخطط بنى معاوية البحرية الإسلامية، وأنشأ أسطولاً بحرياً، عهد بإدارته إلى عدد من الملاحين العرب من بني الأزد الغساسنة. وبفضل هذا الأسطول، تمكن المسلمون من إحكام سيطرتهم على سواحل بلاد الشام، وتنفيذ خطة السيطرة على الجزر . وبذلك يكون معاوية أول من نظم أسطولاً بحرياً، وأول من أرسل حملة إسلامية للغزو في البحر المتوسط .

وغزا المسلمون بقيادة معاوية جزيرة قبرص في عام "٢٨هـ - ٦٤٩م" واستولوا عليها. وكان النصر الذي لازم هذه الحملة بداية مرحلة من النشاط البحري للمسلمين الذين قاموا، خلال السنوات التالية، بسلسلة من الغارات البحرية من قواعدهم في بلاد الشام ومصر وتمهيداً لحصار القسطنطينية، وقد رافقت هذه الحملات البحرية، حملات أخرى برية بهدف دراسة الطرق المؤدية إليها [١].

الطريق إلى القسطنطينية

بعد أن استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان سنة ٤١هـ خليفة للمسلمين باشر في تطوير الأسطول البحري ليكون قادراً على دك معاقل القسطنطينية عاصمة الروم ومبعث العدوان والخطر الدائم ضد المسلمين، فبعد أن قضى معاوية على حركات المردة أو الجراجمة الذين استخدمهم الروم وسيلة لرصد حركات الدولة الإسلامية ونقاط ضعفها وإبلاغ الروم عنها متخذين من مرتفعات طوروس وجبل اللكام مقراً لهم [٢].

---

١ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٢ .

٢ - العلاقات العربية البيزنطية في العصر الأموي ، ص ٥١ .

جزء من خارطة تاريخية عثمانية تشتمل على حوض البحر المتوسط والبحر الأسود تعود إلى بدايات مطلع العصر الحديث

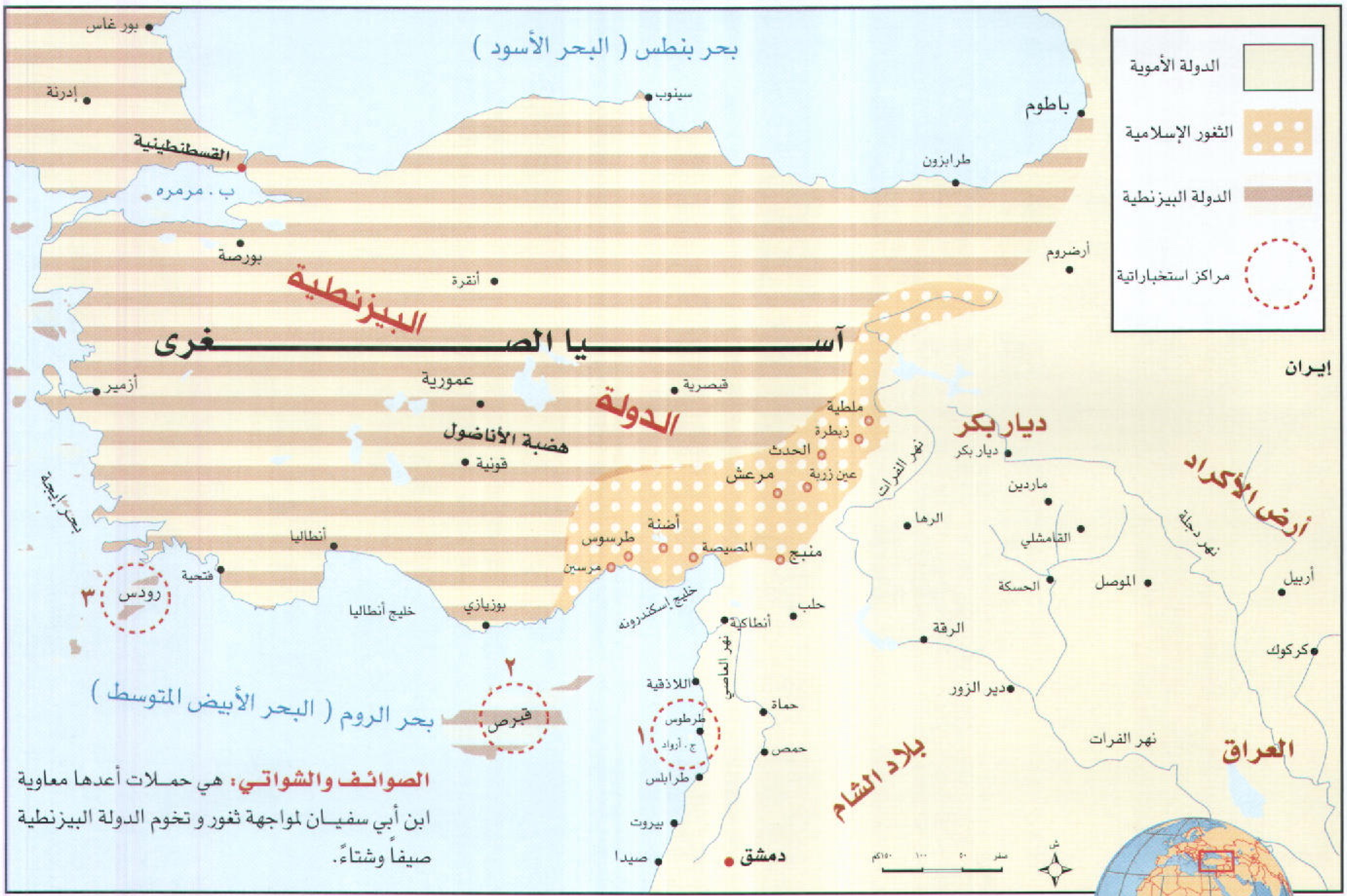

الصوائف والشواتي: هي حملات أعدها معاوية ابن أبي سفيان لمواجهة ثغور و تخوم الدولة البيزنطية صيفاً وشتاءً.

بداية النشاط البحري في عهد معاوية لجلب المعلومات الاستخباراتية

بدأ الخليفة معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - نشاطه البحري بإرسال حملات بحرية استطلاعية منها حملة **فضالة بن عبيد الأنصاري** ، للوقوف على تحركات الروم وجلب المعلومات الدقيقة عنهم لمنعهم من استخدام جزر **قبرص، وأرواد** ، **ورودس** ذوات الخدمة التعبوية والعسكرية في عملياتهم ضد الأسطول البحري الإسلامي وقد باشر أعماله الاستطلاعية بإحدى الشواتي وهي شاتية بسر بن أبي أرطأة في البحر عام ٤٣هـ، وأعقبها بشاتية مالك بن عبد الله بأرض الروم سنة ٤٦هـ، وصائفة عبد الله بن قيس الفزاري بحراً وحملة عقبة بن عامر الجهني بأهل مصر في البحر سنة ٤٨هـ، وصائفة عبد الله بن كرز البجلي، وحملة عبد الله بن يزيد بن شجر الرهاوي، و**شاتيته** بأهل الشام في سنة ٤٩هـ .

بقيت طرسوس قاعدة لانطلاق القوات الإسلامية إلى بلاد الروم، وقاعدة لانطلاق القوات البيزنطية إلى بلاد الإسلام، طيلة عهد بني أمية، فكانت تنطلق منها قوات الجهاد الإسلامي إلى **القسطنطينية**، وإلى بلاد الروم سنوياً على نظام الصوائف والشواتي التي استنها معاوية في حرب الروم. وعندما كان الروم يغتنمون غرّة من المسلمين أو ضعفاً كانوا ينطلقون من طرسوس كما فعلوا عندما هاجموا أنطاكيا عام ٧٩ هـ .

الحصار الأول للقسطنطينية [١]

بعث معاوية رضي الله عنه في سنتي ٤٧ ـ ٤٨هـ سرايا من قواته لتغير على الأراضي البيزنطية لتمهد الطريق في سبيل الوصول إلى **القسطنطينية** فتمكن مالك بن هبيرة السكوني من قضاء الشتاء في الأراضي البيزنطية، ولقد شهدت سنة ٤٩هـ/٦٦٩م أول حصار إسلامي لمدينة القسطنطينية ذلك أن نجاح قوات المسلمين في توغلهم في **الأراضي البيزنطية** بالإضافة إلى الصراعات الداخلية التي واجهها الإمبراطور قُسطانز الثاني نتيجة تمرد اثنين من قادته، هما: سيليوس وميزيريوس ، كل ذلك ساعد معاوية رضي الله عنه على أن يبعث قواته في **البر والبحر** بقيادة كل من فضالة بن عبيد الليثي وسفيان بن عوف العامري يساعدهم يزيد بن شجرة الرهاوي، تجاه القسطنطينية، ووصل الأسطول الإسلامي إلى خلقيدونية ـ ضاحية من ضواحي القسطنطينية على البر الآسيوي ـ وحاصرها توطئة لاقتحامها في محاولة لاختراق المدينة من تلك الناحية، ولكن انتشار مرض الجدري وفتكه بكثير من جند المسلمين علاوة على حلول الشتاء القارس جعل ظروف الجيش المحاصر صعبة للغاية، فما كان من فضالة بن عبيد الليثي، قائد الجيش البري إلا أن استنجد بمعاوية طالباً منه أن يمده بقوات إضافية، فأرسل معاوية رضي الله عنه مدداً من الجيش يضم بين أفراده مجموعة من الصحابة، أمثال: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو أيوب خالد بن يزيد الأنصاري، رضي الله عنهم، وكان القائد العام لهذه الفرقة هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وعندما وصل يزيد بقواته إلى خلقيدونية انضم إلى الجيش المرابط هناك، وزحفوا جميعهم نحو القسطنطينية وعسكروا خلف أسوارها ضاربين عليها الحصار حوالي ستة أشهر « من الربيع إلى الصيف » وكان يتخلل هذا الحصار اشتباكات بين قوات القوتين، وأبلى يزيد في هذا الحصار بلاءً حسناً وأظهر من دروب الشجاعة والنخوة والإقدام ما حمل المؤرخين على أن يلقبوه بـ« فتى العرب » . وكادت القوات الإسلامية أن تحرز انتصاراً لولا أنهم واجهوا صعوبات جمة منها: الشتاء الغزير المطر، والبرد القارس مما أدى إلى نقص الطعام والأغذية، وتفشي الأمراض بينهم، كما كان لمناعة أسوار القسطنطينية أثرها في تراجع المسلمين وإجبارهم مرة أخرى على العودة إلى بلاد الشام، كما كانت النار التي فتحها المتحصنون بها على جيش المسلمين من أهم الأسباب التي عوقت قدرتهم على فتحها، **ويعد غزو القسطنطينية من دلائل النبوة حيث أخبر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: ... أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم ، وقد اشترك في غزو القسطنطينية عدد من كبراء الصحابة رضوان الله عليهم، طلباً للمغفرة التي بشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .**

---

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

خريطة القسطنطينية (أسطنبول الحديثة)، صممت في عام ١٤٢٢م من قبل رسامي الخرائط Cristoforo Buondelmonti فلورنسا (وصف ديزيل دي l'archipel، Bibliothèque الوطنية، باريس) هي أقدم خريطة عن المدينة، والخريطة الوحيدة الناجية التي سبقت الفتح العثماني القسطنطينية في ١٤٥٣ م.

عمود قسطنطين

(جمبر لي تاش)، بدأ الإمبراطور قسطنطين ببناء مدينته من جديد ووضع في منتصف ميدان قسطنطين نصباً عمودياً يحمل اسمه، مصنوع من الرخام السماقي المصقول والأسطواني والأحجار الكريمة التي جلبها من روما وزخرفت نهاية العمود على شكل باقات الزهور، ارتفاع المبنى ٥٠ م وأبعاده ٣٥×٣٧م وفيها أربعة مدرجات وقاعدة واحدة . جلب هذا العامود من قبل الرومان من إفريقيا إلى معبد أبولو الموجود في روما وفوقه إله الشمس، وتمثال أبولو؛ لكن الإمبرطور قسطنطين أمر بوضع ذكرى آلهة الشمس هيلوس على هيكله وحول رأسه سبعة كلاليب رمزية.

يحمل الهيكل في يده اليسرى صليباً مربعاً مصنوعاً من الذهب ويحمل في يده اليمنى حربة. حدثت بالعمود أضرار في العهد العثماني حتى تم ترميم محيطه الحديدي بسبب الحرائق والزلازل التي حدثت؛ وقاعدة العمود كما هو واضح من الصورة مبنية من صخور ارتفاعها ١١ م .

عمود قسطنطين في إحدى ساحات أستانبول التركية، ويرى خلفه أحد المساجد العثمانية القديمة.

وفاة أبي أيوب الأنصاري في حصار القسطنطينية(١):

هو خالد بن زيد بن كليب، أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، شهد بدراً والعقبة والمشاهد كلها، وشهد مع علي رضي الله عنه قتال الخوارج، وفي داره كان نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قدم المدينة مهاجراً من مكة فأقام عنده شهراً حتى بنى المسجد ومساكنه حوله، ثم تحوّل إليها، وقدوفد أبو أيوب على عبد الله بن عباس لما كان والياً على البصرة في عهد علي، فبالغ في إكرامه، وقال لأجزينّك على إنزالك النبي صلى الله عليه وسلم عندك، فوصله بكل ما في المنزل فبلغ ذلك أربعين ألفاً، وجاء في رواية لما أراد الانصراف خرج له عن كل شيء بها، وزاده تحفاً وخدماً كثيراً وأعطاه أربعين ألفاً وأربعين عبداً، إكراماً له لما كان أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره، وقد كان من أكبر الشرف له. وهو القائل لزوجته أم أيوب حين قالت له: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ - أي في حديث الإفك - فقال لها: أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ فقالت: لا والله. فقال: والله لهي خير منك فأنزل الله ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ (النور، الآية: ١٢) . وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي أيوب ومصعب بن عمير رضي الله عنهما صاحب الفتح السلمي الكبير بالمدينة النبوية. وكانت وفاته ببلاد الروم قريباً من سور قسطنطينية، وكان في جيش يزيد بن معاوية وإليه أوصى وهو الذي صلى عليه. وقد جاء في رواية: أغزى أبو أيوب، فمرض، فقال: إذا متُّ فاحملوني، فإذا صافقتم العدوّ، فارموني تحت أقدامكم. أما إني سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ودفن أبو أيوب عند سور القسطنطينية، وقالت الروم لمن دفنه: يا معشر العرب قد كان لكم الليلة شأن. قالوا: مات رجل من أكابر أصحاب نبينا، والله لئن نُبش، لأضْرِبَ بناقوس في بلاد العرب ، وبعد مجيء الدولة العثمانية وفتح القسطنطينية أصبحت مكانة أبي أيوب الأنصاري عظيمة في الثقافة العثمانية، فقد درج السلاطين العثمانيون يوم يتربعون على الملك أن يقيموا حفلاً دينياً في مسجد أبي أيوب، حيث يتقلدون سيفاً للرمز إلى السلطة، التي أفضت إليهم وكان لأبي أيوب رضي الله عنه عند الترك خواصهم وعوامهم رتبة ولي الله الذي تهوي إليه القلوب المؤمنة وينظرون إليه كونه مضيف رسول الله، فقد أكرمه وأعانه وقت العسرة كما أنه له مكانة مرموقة بين المجاهدين واعتبروا ضيافته لرسول الله وجهاده في سبيل الله أعظم مناقبه وأظهر مآثره . وقد ترك أبو أيوب رضي الله عنه في وصيته بأن يدفن في أقصى نقطة من أرض العدو صورة رائعة تدل على تعلقه بالجهاد، فيكون بين صفوفهم حتى وهو في نعشه على أعناقهم وأراد أن يتوغل في أرض العدو حياً وميتاً، وكأنما لم يكفه ما حقق في حياته فتمنى مزيداً عليه بعد مماته، وهذا ما لا غاية بعده في مفهوم المجاهد الحق بالمعنى الأصح الأدق . ومن الغريب ما نراه في حياتنا من حرص بعض المسلمين إذا مات خارج بلده

---

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٣٤٦ - ٣٤٨ .

أن يوصي أهله بإرجاعه ودفنه في أرضه، والأرض أرض الله، والبلاد بلاد الله. وقد مدحه شعراء الأتراك في أشعارهم وهذا شيخ الإسلام، أسعد أفندي يشير إشارة لامحة إلى موقعه بقوله:

شهد المشاهد جاهداً ومجاهداً
ومكابداً بحروبه ما كابدا
حتى أتى بصلابة ومهابة
في آخر الغزوات هذا المشهدا
قد مات مبطوناً غريباً غازياً
فغدا شهيداً قبل أن يستشهدا

كان أبو أيوب رضي الله عنه عندما خرج في غزوة الفسطنطينية قد تقدمت به السن وأصبح شيخاً كبيراً وكان يقول: قال الله تعالى: ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ... ﴾ (التوبة، الآية: ٤١) لأجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً، وكان أبو أيوب رضي الله عنه يعلم الناس الفهم الصحيح لآيات الله ومفاهيم الإسلام فعن أبي عمران التجيبي قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. يعني الجماعة الذين غزوا من المدينة. والروم ملصقو ظهورهم بحائط القسطنطينية، فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه، مه لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة: فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام، قلنا: هلمّ نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (البقرة، الآية: ١٩٥) فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية (أستانبول اليوم).

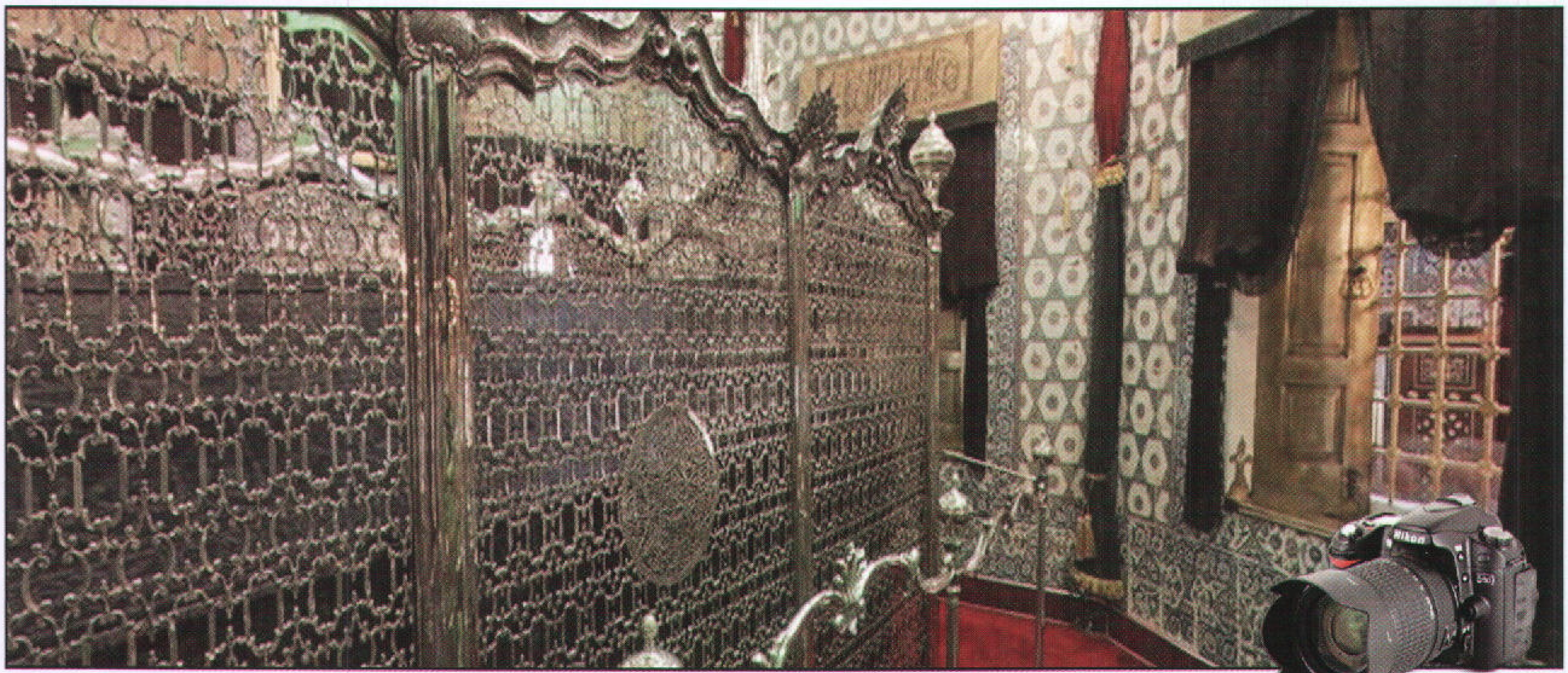

مكان قبر أبي أيوب الأنصاري في أستنبول

الحصار الثاني للقسطنطينية في عهد معاوية [١]

لم يثن عدم تحقيق المسلمين لفتح المدينة في الحصار الأول ، أن يقوم معاوية رضي الله عنه في المضي قدماً في محاولاته لإعادة فتح القسطنطينية مرة ثانية، حيث أدرك في الوقت نفسه، أهمية السيطرة **على الجزر القريبة منها كعامل مساعد**. فبعد جزيرتي **قبرص و كوس**، فتح المسلمون جزيرة **رودس** في عام "٥٢هـ - ٦٧٢م" كما فتح أسطول إسلامي جزيرة خيوس، وسيطر المسلمون على أزمير وليكيا وقيليقيا وبذلك كون معاوية قد أحكم الطوق البحري على العاصمة البيزنطية .

وفي عام "٥٤ هـ-٦٧٤م" **بدأ الحصار الثاني** للقسطنطينية واستدعى الأمر تعزيز القوة البحرية في مياهها، فانضم إليها أسطول إسلامي آخر بقيادة جنادة بن أبي أمية بعد أن فتح جزيرة أرواد القريبة منها حيث اتخذها المسلمون قاعدة انطلاق .

وتخلل الحصار مناوشات بين الأسطولين الإسلامي والبيزنطي ، في حين تراشقت القوات البرية الإسلامية المرابطة حول العاصمة، مع الجنود البيزنطيين المرابطين على أسوارها، بالقذائف والسهام، استمر هذا الوضع طيلة سبعة أعوام حتى عام "٦٠هـ - ٦٨٠م" اقتصرت العمليات العسكرية على فترتي الربيع والصيف لصعوبة القتال في الشتاء .

وصمدت المدينة أمام الحصار، فلم يحرز المسلمون انتصارات حاسمة بفعل أن جهودهم تركزت على محاصرة المدينة من جهة البحر. أما الحصار البري فكان مزعزعاً حيث ظلت الطرق البرية وطريق البحر الأسود مفتوحة أمام البيزنطيين مما جعل منها متنفساً وطريقاً للإمدادات والمؤن، وهذا خطأ إستراتيجي ترتبت عليه عدة نتائج بالغة الأهمية، إذ توقف زحف المسلمين إلى أوروبا من جهة الشرق بالإضافة إلى أنه عزز مركز الإمبراطورية البيزنطية.

والواقع أنه تضافرت عدة عوامل جعلت المسلمين يفكون الحصار عن القسطنطينية لعل أبرزها:

- مناعة أسوار المدينة.
- رداءة الطقس وقسوته.
- التيارات المائية الشديدة الانحدار التي كانت تبعد عن الأسوار.
- عدم إحكام الحصار البري.
- استعمال النار الإغريقية من قبل البيزنطيين.
- عوامل داخلية تتعلق بكل من الدولتين الإسلامية والبيزنطية. ففيما يتعلق بالدولة الإسلامية ، نرى أن معاوية وجد نفسه بحاجة إلى هدنة طويلة مع البيزنطيين، بعد أن أدرك أن مدة الحصار قد طالت دون أن يتحقق

---

١ - د. محمد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٣ - ٣٥ .

سيطرة المسلمين على بعض الجزر الهامة والمواقع القريبة من القسطنطينية

ميناء كوس

كوس: مدينة تقع على الساحل الشمالي الشرقي لجزيرة كوس الواقعة ضمن بحر إيجة، مقابل السواحل التركية إذ تبعد تقريباً مسافة ٨ كم عن ساحل شبه جزيرة هاليكارناسوس، الذي يقع حالياً في نطاق الجمهورية التركية.

استمرت فترة السيطرة العثمانية على الجزيرة لمدة ٤٠٠ سنة، أي حتى عام ١٩١٢م، عندما احتلت إيطاليا الجزيرة بالكامل مع عدد من جزر الدوذيكانيسيا الأخرى.

وخلال الحرب العالمية الثانية أصبحت تابعة لألمانيا النازية، ولم تصبح جزءاً من اليونان إلا عام ١٩٤٧ م.

الهـدف، ورأى بعـد أن أحس بدنو أجلـه، أن من مصلحة المسلمين أن يعود هذا الجيش الضخم المرابط حول العاصمة البيزنطية إلى دمشق تحسباً لأية مشكلات قد تواجه الدولة الأموية بعد وفاته.

أما فيما يتعلق بالبيزنطيين ، فقد كانت الدولة البيزنطية تواقة إلى إنهاء هذا الحصار عن عاصمتها بعد أن أرهقتها وأنهك قواها.

ونتيجة للمفاوضات التي جرت بين الطرفين تم الاتفاق على ما يلي :

-يدفـع معاويـة جزية سنويـة للبيزنطيين مقدارها ثلاثة آلاف قطعة ذهبيـة، بالإضافة إلى خمسين أسيراً، وخمسين حصاناً.

-تستمر الهدنة ثلاثين عاماً.

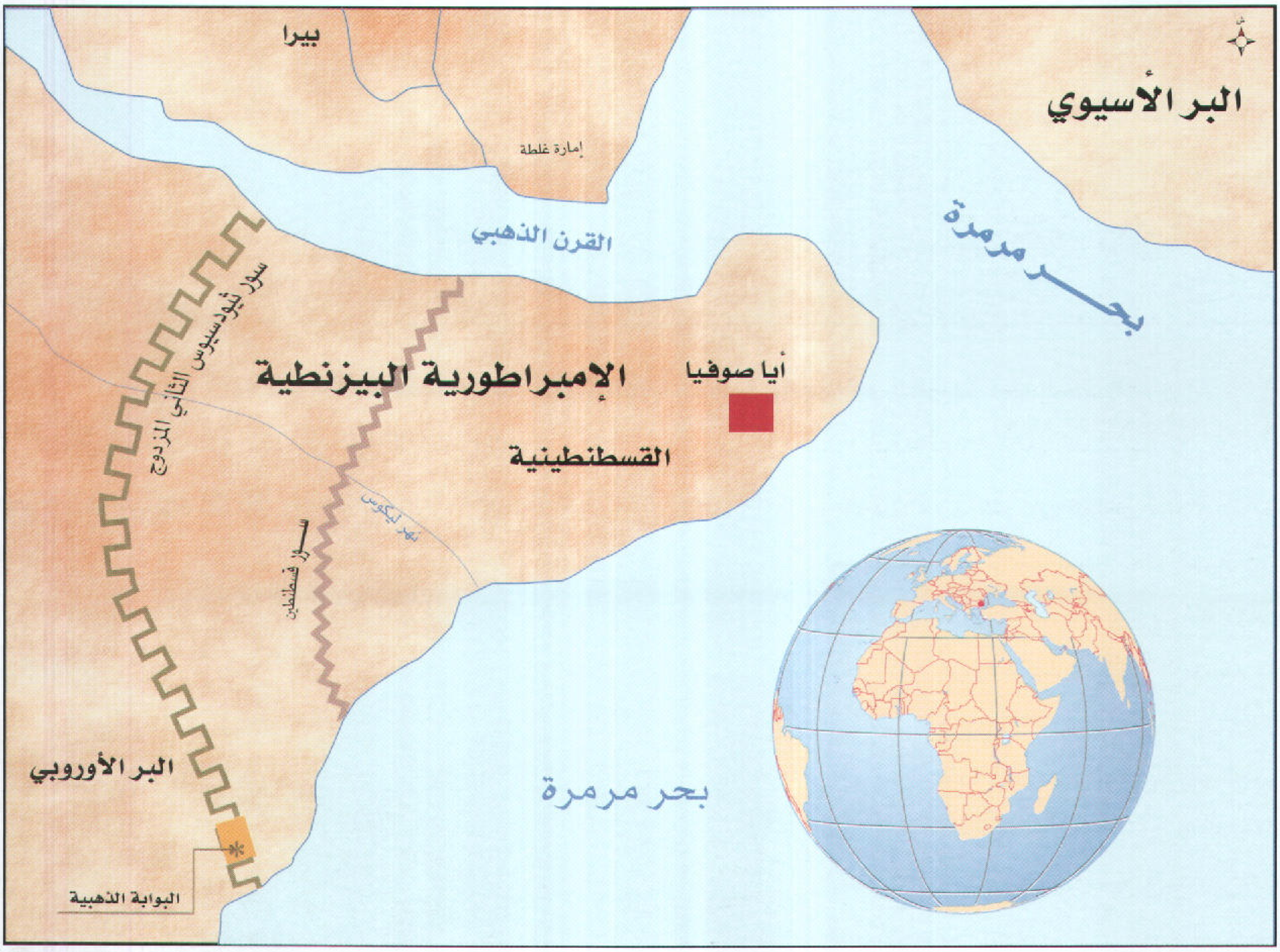

موقع القسطنطينية وأهم التحصينات الدفاعية فيها

١ - د. محمد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٣ - ٣٥ .

آيا صوفيا: كاتدرائية سابقة بنيت على أنقاض كنيسة قديمة، أقامها الإمبراطور قسطنطين الكبير، وانتهت في عام ٣٦٠م، في عهد الإمبراطور قسطنطينوس الثاني، ثم أصبحت مسجداً في العهد العثماني، وحالياً متحفاً يقع بمدينة أسطنبول بتركيا. و يعد البناء من أبرز الأمثلة على العمارة البيزنطية، والزخرفة العثمانية.

الإمبراطور أيوانس كومنينوس الثاني والإمبراطورة ايرينة والكسيوس وفي الوسط رسم تخيلي للعذراء وابنها داخل آيا صوفيا

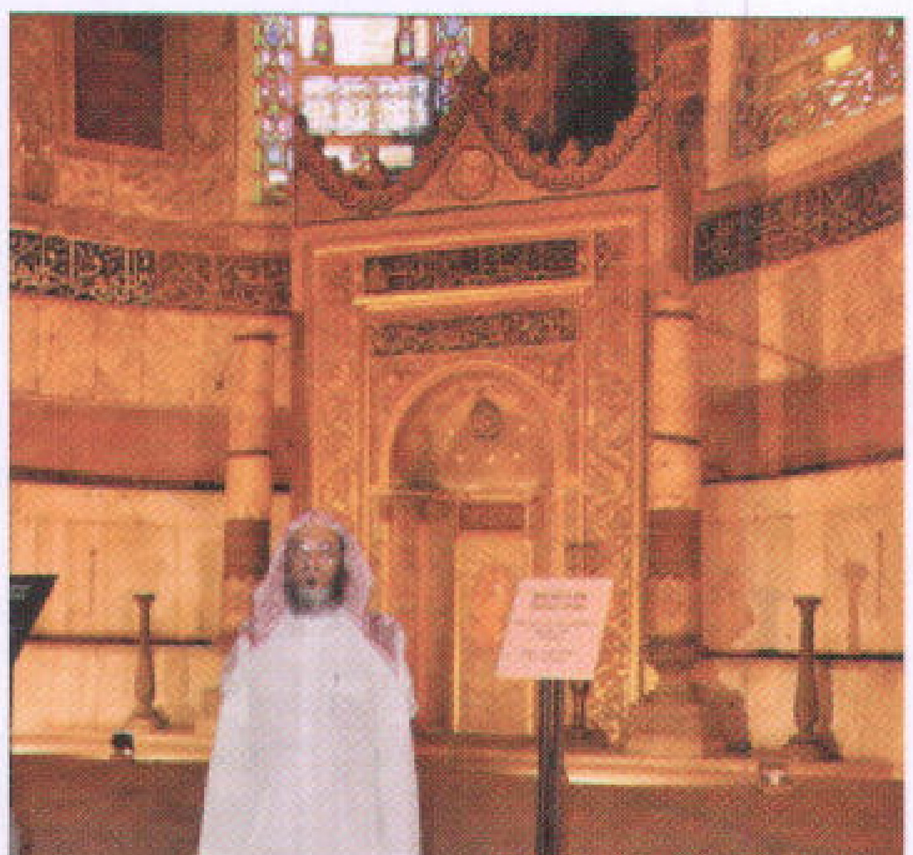
المؤلف أمام محراب الصلاة حينما كان مسجداً

ثانياً : الجراجمة في عهد معاوية

في أثناء الحروب والغارات بين المسلمين والبيزنطيين، في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كان هناك طرف ثالث يشارك في النزاع القائم بينهما، يطلقون على أنفسهم اسم « الجُرَاجِمة » نسبة إلى مدينة« الجُرَجُومة [١] » ، وأصولهم غير معروفة، ويشير البلاذري إلى أنهم كانوا يدينون بالنصرانية وأنهم كانوا لذلك يتبعون« بطريق أنطاكية وواليها » . وعندما فتح المسلمون بلاد الشام أرسل أبو عبيدة عامر بن الجراح حبيب بن مسلمة الفهري: فغزا الجرجومة فلم يقاتلو أهلها ولكنهم بادروا بطلب الأمان والصلح، فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام، وأن لا يُؤخَذوا بالجزية، وأن يُنَفّلوا أسلاب من يقتلون من عدوّ المسلمين إذا حضروا حرباً معهم في مغازيهم. ولكن الجراجمة لم يلبثوا أن نقضوا اتفاقهم هذا، وصنعوا حاجزاً بين المسلمين والبيزنطيين واستطاعوا عرقلة سير الفتوحات الإسلامية في آسيا الصغرى، فكانوا متذبذبين مرّة مع المسلمين وأخرى مع الروم وقد بقيت شوكة في ظهر الجيوش الإسلامية ليس في عهد معاوية لكن حتى عهد عبد الملك، ثم ما لبث أن تفرقت في بلاد الشام وآسيا الصغرى، فخفّ خطرها . ومهما يكن، فلابد من القول بأن الإنشاءات والمجهودات التي قام بها معاوية رضي الله عنه في سبيل الوصول إلى القسطنطينية وإن كانت لم تثمر خلال حياته إلا أنها لعبت دوراً أساسياً في حفز من جاؤوا بعده من الخلفاء لأن يكملوا المسيرة التي بدأها .

١ - الجراجمة قوم من النصارى كانوا يعيشون في الجرجومة، مدينة على جبل اللكام (الأمانوس) بالثغر الشامي فيما بين بيّاس وبوقة قرب أنطاكية، ويطلق المؤرخون البيزنطيون عليهم اسم المَرَدة (Maradaites) وكانوا تابعين لبطريرك أنطاكية وواليها قبل الفتح الإسلامي.

أصل الجراجمة

ظهر اسم الجراجمة بين القرن السّابع والعاشر الميلادي بشكلٍ ومضات قاوَموا الحكمَ الأموي فترة من الزمن استغلالاً للظروف الداخلية التي مرت بها الدولة الأموية في فترة حروبه مع الخوارج ومع ابن الزبير. انتسبوا لـ "جرجوما" المدينةَ في جبلِ أمانوس، الواقعة بين سوريا وتركيا. وقال المؤرّخ البيزنطي تيوفانوس (٨١٧ ٨٥٠ م) عنهم: "كانوا متمَركزين في لبنان سنة ٦٦٩ م، إثرَ المعارك، وفي مدّة وجيزة، غدوا آلافاً عدّة. واحتلّوا ما بين جبل أمانوس، والمدينة المقدسة، أورشليم. وكانوا يُشكّلون جداراً من النُحاس، ضدّ الغزو الإسلامي، ويُلقونَ الرّعبَ ما بين الأمانوس وأورشليم" . كما نسبهم الأصفهاني إلى قوم من الفرس نزحوا غرباً واستوطنوا منطقة جرجومة. اما انستاس الكرملي فوصفهم بتجمع عسكري وليس بقوم أو مرتبطين بدين. و هو رأي قوي؛ بأنهم تجمع عسكري وليسوا قوماً ولا مرتبطين بدين أو قوم لعدة أسباب أهمها :

أولاً- نسبتهم إلى جرجوما وهي مدينة، فلو كانوا قوماً لنسبوا إلى قومهم.

ثانياً - قول المؤرخ البيزنطي تيوفانوس : « وفي مدّة وجيزة، غدوا آلافاً عدّة. واحتلّوا ما بين جبلِ أمانوس، والمدينة المقدّسة، أورشليم »؟! إذ لوكانوا قوماً لتزايدوا تزايداً طبيعياً وكونهم تجمعاً عسكرياً تزايدوا حتى غدوا آلافاً في مدة وجيزة حسب قوله.

ثالثاً- قول البلاذري في الفتوح « واستَحوذوا على قمم لبنان وانضم إليهم كثيرون » إذاً كان انضمام الكثيرين لهذا التجمع الذي عرف بحركة الجراجمة.

قال بعض المؤرخين إنهم كانوا يَدينون بالمَجوسية ثمّ تنصّروا وعمّرت مواطنَهم بالأديار والمناسك والصوامع، حتى دُعيَت طور عابدين أي جبل العُبّاد والقدّيسين.

المواقع التقريبية للجراجمة « المَرَدَة » في العهد الأموي

مدينة مرعش أو كهرمانماراش كما أسماها الأتراك بعد ضمها، هي عاصمة محافظة كهرمانماراش في تركيا

ثالثاً : فتوحات الشمال الإفريقي في عهد معاوية

قبل أن نتحدث عن فتوح المسلمين لشمالي إفريقيا لابد لنا من تحديد المناطق الجغرافية التي حدثت فيها الأحداث. وتنقسم إلى أربعة أقسام [١] :

١- برقة وطرابلس.

٢- إقليم إفريقية: يقابل تقريباً تونس الحالية، ويعرف بالمغرب الأدنى .

٣- المغرب الأوسط: يقابل ما يعرف اليوم بالجزائر .

٤- المغرب الأقصى : يقابل ما يعرف اليوم بالمملكة المغربية .

مـرت فتـوح شمالي إفريقيا بسبـع مراحل، استكملت خلالهـا عملية الفتح وانتهت في أيـام عبد الملك بن مروان .

تعتبر **المرحلة الأولى** من فتوح المسلمين لشمالي إفريقيا، وهي فتح برقة، استكمالاً لفتح مصر. وقد تمت علـى يد القائد عمرو بـن العاص في عام (٢٢هـ/٦٤٣م) كما فتح عمرو طرابلـس الغرب وصبراتا وأتم فتح فزان الليبية (انظر كتابنا الموسوم « أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين » .

وجـاءت **الخطـوة التالية** على يد عبد الله بن سعـد بن أبي سرح في عام (٢٧هـ/٦٤٨م) ففتح سبيطلة وبث جنوده في البلاد فبلغ قفصة وفتح حصن الأجم (الجم)، وجنوبي القيروان .

وشُغِل المسلمون، بعد ذلك بمشكلاتهم الداخلية، فتوقفت حركة الفتوح مؤقتاً. وعندما استقر الأمر لمعاوية استأنف النشاط الجهادي، فأرسل في عامي (٤١ – ٤٥ هـ /٦٦٠ – ٦٦٥ م)، حملتين بقيادة معاوية بن حديج الكنـدي الخـولاني ، وأمر القيام بغـارات على المنطقة الواقعة غربي طرابلـس . وانتهى هذا القائد إلى سهل قمونية إلى الجنوب من قرطاجنة (انظر الخارطة الخاصة بذلك في الصفحة المقابلة).

فـي هـذه الأثناء، أقام القائد البيزنطي نقفور معسكره في مدينة سوسة الساحلية، مما جعل أمر الصدام بين الطرفين حتمياً. وفعلاً دارت بينهما مناوشات طفيفة انسحب على إثرها نقفور من المنطقة، في حين لم يستثمـر ابـن حديج انتصاره بتركيـز أقدام المسلمين فيها علـى الرغم من أنه فتح سوسـة وجلولاء [٢] ، لكن رويفـع ابن ثابت الأنصاري استطاع أن يرسخ موطئ قـدم للمسلمين بعد أن أصبح والياً على طرابلس الغرب ومن ثم قيامه بفتح بنزرت وجزيرة جربة.

---

١ – د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٥ .

٢ – هنالـك مدينتـان تحمـلان هذا الاسم، إحداهما بفارس، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وهي على طريـق خراسان، وبها كانت الوقعة المشهورة بين المسلمين والفرس سنة ١٦هـ ، وهذه التي بإفريقيا بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلاً . ياقوت الحموي معجم البلدان (١٥٦/٢) .

حملتا معاوية بن حديج السكوني على الشمال الإفريقي

1 - معاويـة بـن أبـي سفيان يرسل معاوية بن حُديج (١) على رأس حملة إلى إفريقية « تونس » في أول سنة من حكمه سنة ٤١هـ .

٢ - معاوية بن أبي سفيان يرسل مرة ثانية سنة ٤٥هـ معاوية بن حُديج على رأس حملة من عشرة الآف مقاتل، (٢) فمضى حتى دخل إفريقية « تونس » وكان معـه عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، وعبد الملك ابن مروان، ويحيى بن الحكم بن العاص، وغيرهم من أشراف قريش،

٣ - الإمبراطـور البيزنطـي (٣) يبعـث إلى إفريقية بطريقاً يقال له: نقفور في ثلاثين ألف مقاتل، فنزل الساحل.

٤ - معاويـة بـن حديج يبعث عبد الله بن الزبير في خيل كثيفة، فسار حتى نزل على شرف عال ينظر منه إلى البحر بينه وبين مدينة سوسة، اثنا عشر ميلاً، فلما بلغ ذلك نقفور أقلع من في البحر منهزماً من غير قتال .

٥ - أرسل ابن حديج عبد الملك بن مروان في ألف فارس إلى مدينة جلولاء فحاصرها وقتل من أهلها عدداً كثيراً حتى فتحها عنوة.

٦ - أغزى معاوية بن حديج جيشاً في البحر (٤) إلى **صقلية** في مائتي مركب، فسبوا وغنمـوا وأقاموا شهراً، ثم انصرفوا إلى إفريقيـة بغنائم كثيرة، وبعد هذه الفتوح عاد معاوية بن حديج إلى مصر دون أن يترك قائداً أو عاملاً .

معاوية بن حُدَيج الكندي له صحبة ورواية قليلة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كان فـي شـيء شفـاء فشربة عسل أو شرطة محجم، أو كية نار، وما أحب أن أكتـوي ، وكان رضي الله عنه ملكاً مطاعاً من أشراف كنـدة ، وكان مـن خيرة الأمراء، فعن عبد الرحمن بن شماسة قال: دخلت على عائشة، فقالت: ممن أنت؟ قلت من أهل مصر، قالت: كيـف وجـدتم ابن حُديج في غزاتكم هذه؟ قلت: خِير أمير، ما يقف لرجل منـا فرس ولا بعير إلا أبدل مكانه بعيراً، ولا غلاماً إلا أبدل مكانـه غلامـاً. قالـت: إنه لا يمنعني قتله أخي أن أحدثكم ما سمعت من رسول الله صلى الله عليـه وسلم: اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به، ومن شقّ عليهم فأشقق عليه ، وبعد أن استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كانت جبهة شمال إفريقيا، مـن أولى الجبهات التي وجه إليها اهتمامه، لأنها تتاخم حدود مصر الغربية من ناحية ومن ناحية أخرى فهي تخضع لنفوذ الدولة البيزنطية. د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٣٦ .

بعد فتوحات معاوية بن حديج عاد إلى مصر دون أن يترك قائداً أو عاملاً، ويفهم من هذا التصرف ومن سلوك معاوية بن حديج في أثناء هذه الغزوة أن البربر أهل البلاد كانوا قد أصبحوا حلفاء للمسلمين على الروم، وأن المسلمين كانوا يكتفون إلى ذلك الحين بإبعاد الخطر الرومي من هذه الناحية وعندما استعاد معاوية بن حديج **طرابلس الغرب** ترك فيها **رويفع بن ثابت الأنصاري** والياً عليها **سنة ٤٦هـ** فغزا منها إفريقية «تونس» ودخلها سنة ٤٧هـ، وفتح جزيرة **جربة** التي كان يسكنها البربر، وقد تحدثت المراجع عن كثرة السبايا في هذه الغزوة، وقام رويفع بن ثابت الأنصاري بتذكير المسلمين في هذه الغزوة بأحكام وطء السبايا، حيث قال: أما إني لا أقول لكم إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم حُنين: لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يُقسم. وقد بقي في ولاية طرابلس الغرب، ثم ولاه مسلمة بن مخلد ولاية مصر وبرقة، وبقي عليها أميراً ومات بها سنة ٥٦هـ وقبره معروف في الجبل الأخضر **ببرقة** في مدينة البيضاء وهو آخر من توفي من الصحابة هناك، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أحاديث، وكان فقيهاً من أصحاب الفتيا من الصحابة وكان خطيباً مفوهاً.

رويفع بن ثابت الأنصاري الخزرجي صحابي من بني مالك بن النجار، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم خيبر، كما شهد فتوح الشام.

تولى في عهد معاوية بن أبي سفيان أمر طرابلس الغرب سنة ٤٦ هـ ومنها غزا إفريقية سنة ٤٧ هـ، ففتح جربة و بنزرت ووصل إلى موقع القيروان حيث أسس مسجداً عرف بعد تأسيس القيروان باسم «مسجد الأنصار» أو «مسجد سيدي رويفع»، ثم انتقل إلى برقة في مدينة البيضاء شرقي ليبيا وبقي بها إلى أن مات سنة ٥٦هـ، ودفن في مدينة البيضاء وأقيم في مدينة البيضاء ضريح له ومسجد سمي (سيدي رويفع) وهو من أشهر المعالم الدينية في المدينة.

حملة رويفع بن ثابت الأنصاري على تونس (إفريقية)

ترك الإسلام لأصحاب الديانات الأخرى حرية ممارستهم الدينية في كل البلاد المفتوحة، ومن خلال هذه الصورة الماثلة أمامنا لكنيس الغريبة في جزيرة جربة التونسية خير شاهد على عدالة الفاتحين وسمو الإسلام، ونبل قيمه وتعامله مع الأديان الأخرى باحترام متبادل وفق ضوابط الكتاب والسنة .

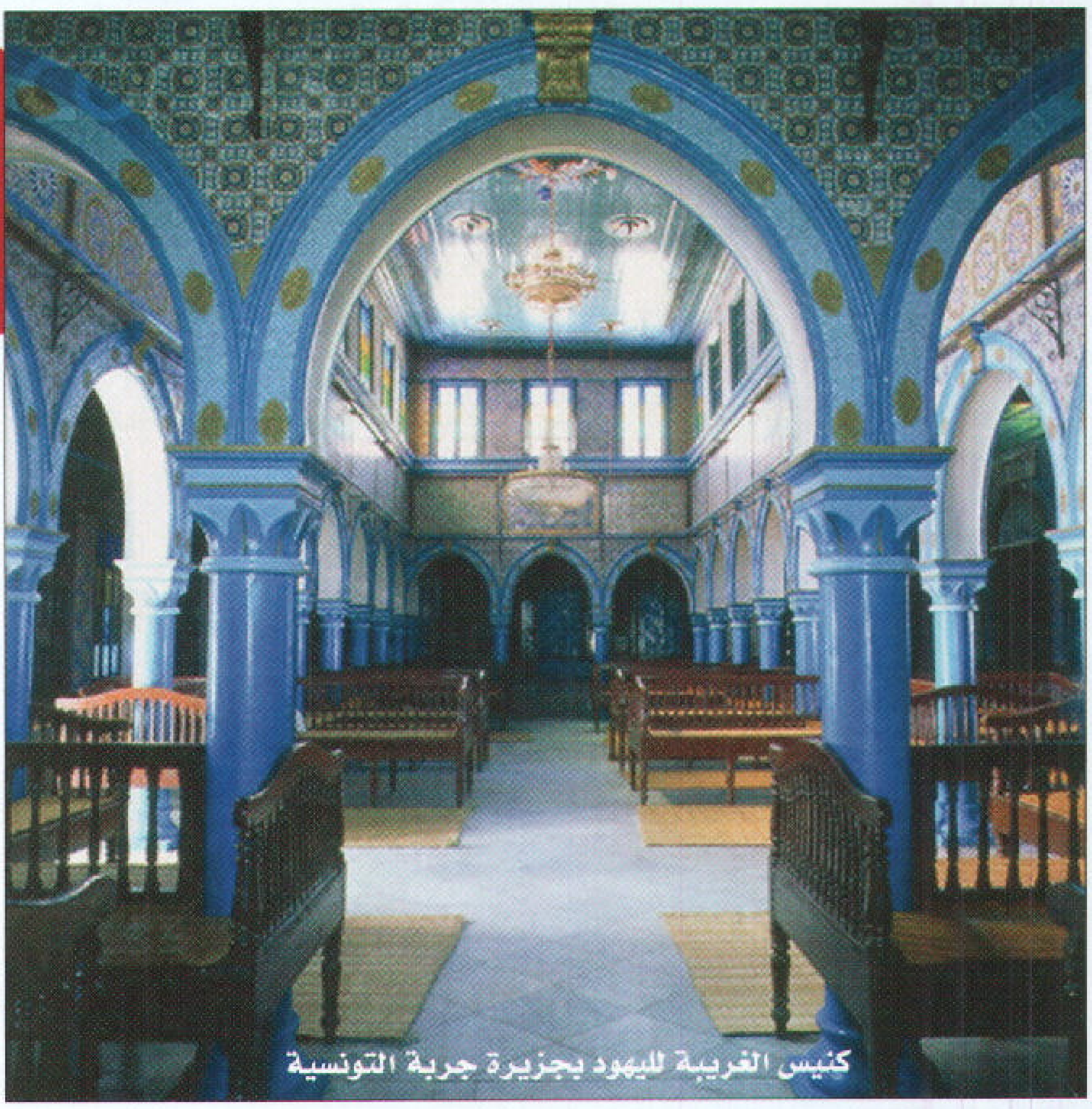

كنيس الغريبة لليهود بجزيرة جربة التونسية

أراد الخليفة معاوية رضي الله عنه إعطاء حركة الفتوح دافعاً تصعيدياً، وقد تمثل ذلك بفصل برقة وطرابلس الغرب عن مصر في عام (٤٩هـ/٦٦٩م) على الأرجح، وولّى عليها عقبة بن نافع الفهري الذي سطر التاريخ أعماله الباهرة.

وبتولية عقبة، تبدأ **المرحلة الثانية** من مراحل فتوح شمالي إفريقيا، وهي مرحلة مهمة لأن القائد سينفذ إستراتيجية جديدة سوف تؤمِّن الاستقرار للمسلمين في المنطقة، ليصبح المغرب جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامي[١].

بدأ عقبة نشاطه بفتح عدد من المواقع الإستراتيجية، في المغرب الأدنى منفذاً خطة محكمة تقضي بتشكيل حاميات عسكرية في المدن والمواقع، التي يتم فتحها بهدف الاحتفاظ بمكتسبات الفتح، مثل ودان وفزان وخاور وغدامس[٢].

لقد أدرك معاوية من خلال تجربته السابقة، أن أهل شمالي إفريقيا يدخلون في طاعة المسلمين طالما بقي هؤلاء في بلادهم، فإذا ما انصرفوا عنهم ارتدوا عن الإسلام وشقوا عصا الطاعة. وكانت **برقة وزويلة** قاعدتا الفتح الإسلامي لشمالي إفريقيا متطرفتين مما يساعد أهل المغرب الخروج على المسلمين في كل مرة ينتهون فيها من غزوهم لها، فرأى أن ينشئ قاعدة إسلامية في شمالي إفريقيا تكون مركزاً لحكم إقليمي ثابت الدعائم، منها تخرج الجيوش الإسلامية للفتح والاستقرار في المناطق المجاورة لها؛ فضلاً عن تأمين الخطوط الدفاعية الضرورية للمسلمين في هذه المنطقة، بالإضافة إلى هدف عقائدي في أن تكون منطلق الدعوة الإسلامية بين البربر سكان شمالي إفريقيا الأصليين.

فاختط مدينة **القيروان** في عام (٥٠هـ/٦٧٠م) في منطقة صحراوية تقع إلى الجنوب من قرطاجنة. ويتميز موقعها الجغرافي بأنه يقيها التعرض لغزوات البيزنطيين البحرية، ويتوافر فيها طيب المراعي. وجاء تأسيسها دليلاً على الإصرار على مواصلة الفتح الإسلامي العظيم.

وقامت هذه المدينة بدور كبير في فتح شمالي إفريقيا كلها، والانطلاق إلى فتح بلاد الأندلس، إضافة إلى نشر الدين الإسلامي في المغرب بالحكمة والموعظة الحسنة، وأضحت القيروان من أهم مراكز الحضارة الإسلامية.

ويبدو أن سياسة عقبة بن نافع التي انتهجها مع البربر قد اتسمت بالشدة، مما جعل الأمن متعذراً، وأدى بهؤلاء إلى التحالف مع البيزنطيين. وقد أدرك معاوية بحكمته وحنكته خطر هذه السياسة، فعزل عقبة في عام (٥٥هـ/٦٧٥م)، وولّى مكانه أبا المهاجر دينار الأنصاري - كما سيتضح لنا إن شاء الله في الصفحات القادمة -.

---

١ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٦.

٢ - ابن عبد الحكم: فتوح مصر وإفريقيا، ص ٢٦٤.

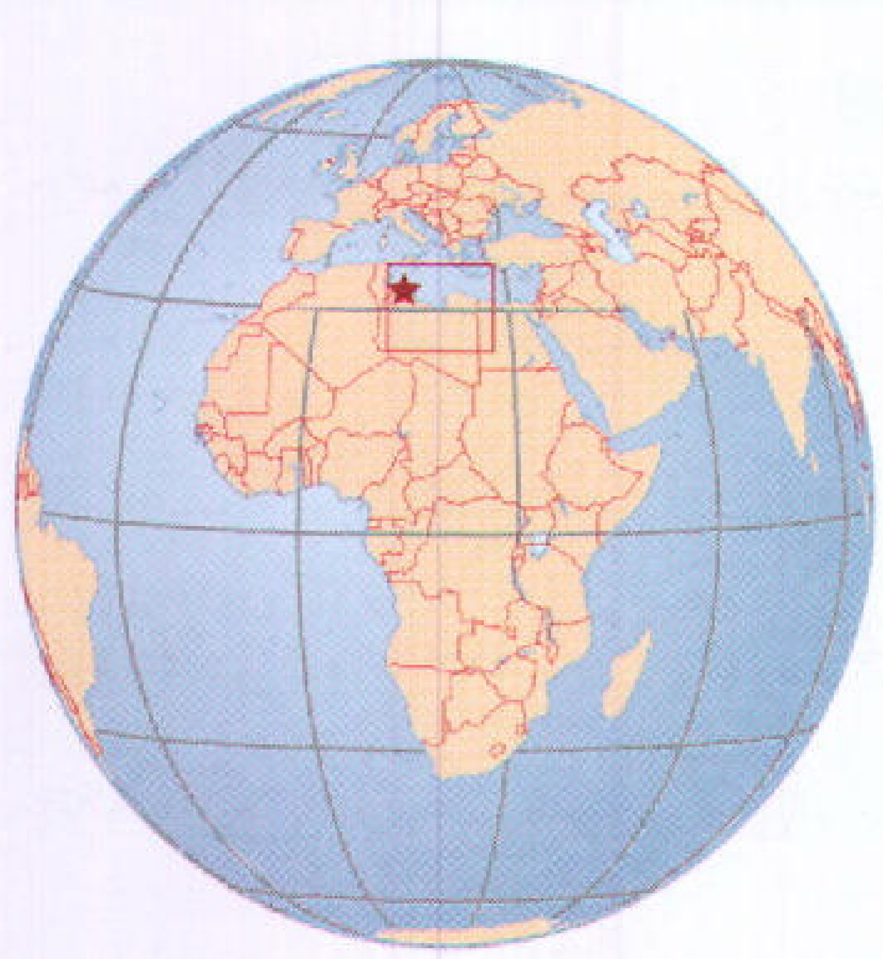

تحرك القوات الاسلامية بقيادة عقبة بن نافع

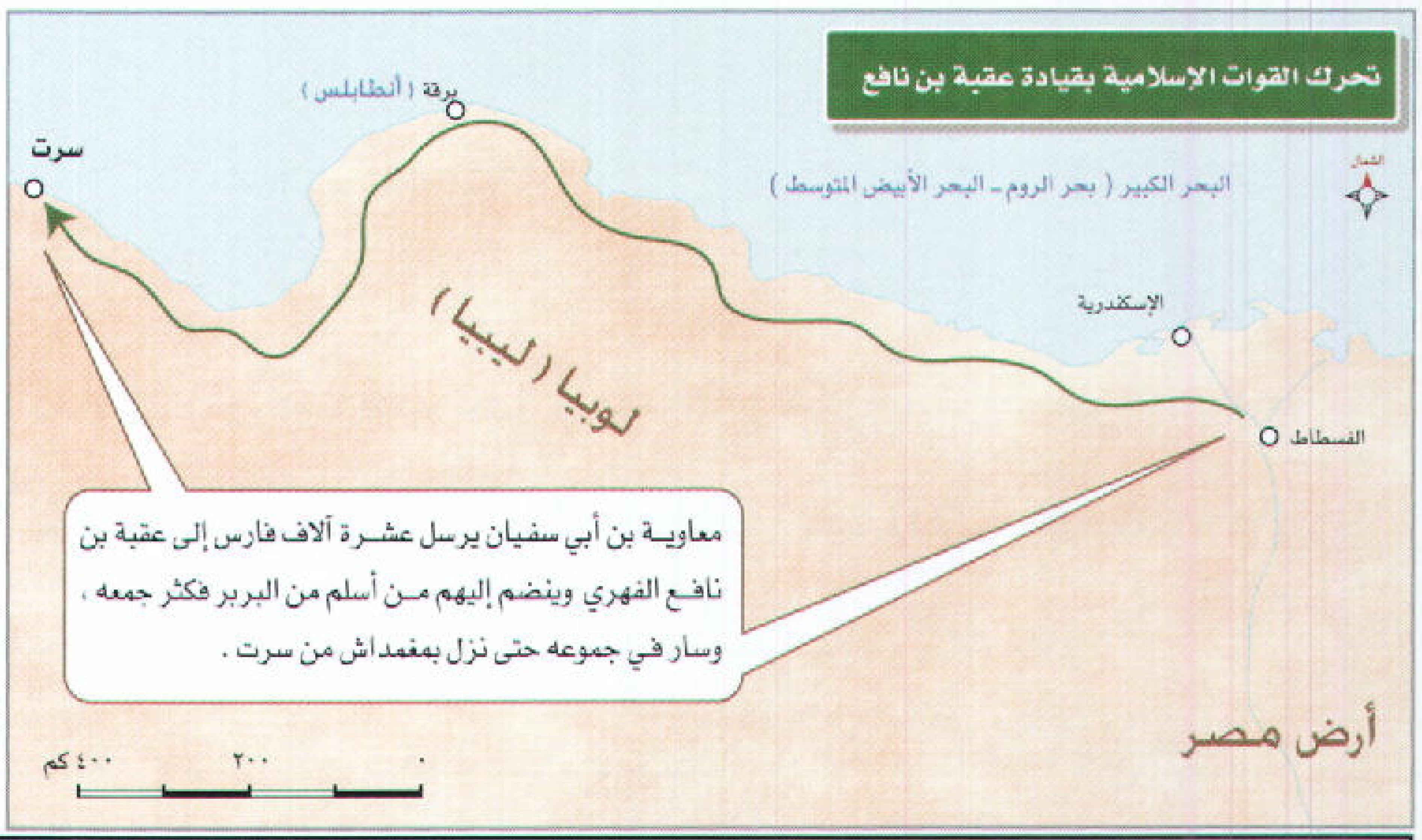

مسرح عمليات عقبة بن نافع قبل بناء القيروان

عقبة بن نافع الفهري وبناء مدينة القيروان

لم يكن عقبة بن نافع قائداً عسكرياً محضاً فقط، بل كان صاحب عقلية مبدعة وفكر إستراتيجي فذ، وهو يصح أن يطلق عليه خبير بشئون المغرب والشمال الإفريقي، ومن خلال حملاته الجهادية المستمرة على الشمال الإفريقي، أدرك أهمية بناء مدينة إسلامية في هذه البقاع وذلك لعدة أسباب من أهمها :-

١. تثبيت أقدام المسلمين والدعوة الإسلامية هناك وذلك أن عقبة قد لاحظ أمراً هاماً أن أهل الشمال الإفريقي إذا جاءهم المسلمون يظهرون الإسلام وإذا انصرفوا عنهم رجعوا مرة أخرى إلى الكفر، فكان بناء مدينة إسلامية خير علاج لهذه الظاهرة الناجمة عن غياب قاعدة إسلامية ثابتة للإسلام لنشر الهدى والنور وسط أفراد المجتمع.

٢. ضرورة تكوين قاعدة حربية ثابتة في مواجهة التهديدات البيزنطية المتوقعة بعد فتح الشمال الإفريقي .

٣. أن تكون هذه المدينة دار عزة ومنعة للمسلمين الفاتحين، ذلك لأنهم تفرقوا في البلاد كحاميات على المدن المفتوحة، وهذا التفرق قد يورث الضعف والوهن مع مرور الوقت خاصة لو داهم عدو كبير العدد هذه البلاد.

لهذه الأسباب وغيرها قرر عقبة بن نافع بناء مدينة القيروان في القرن الشمالي لإفريقية في مكان تتوافر فيه شروط الأمن الدعوي والحركي للمسلمين بحيث تكون دار عزة ومنعة وقاعدة حربية أمامية في القتال، ومنارة دعوية علمية لنشر الإسلام، وانطبقت كل الشروط المطلوب توافرها في منطقة أحراش مليئة بالوحوش والحيات، فقال له رجاله: "إنك أمرتنا بالبناء في شعاب وغياض لا ترام، ونحن نخاف من السباع والحيّات وغير ذلك من دواب الأرض"، وكان في عسكره خمسة عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم وقال: "إني داع فأمّنوا"، وبالفعل دعا الله عز وجل طويلاً والصحابة والناس يأمّنون، ثم قال عقبة مخاطباً سكان الوادي: "أيتها الحيّات والسباع، نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارتحلوا عنا فإنا نازلون، ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه".

وكان عقبة بن نافع مجاب الدعوة، وقد رأى قَبيل من البربر كيف أن الدواب تحمل أولادها وتنتقل، فأسلموا ثم شرع الناس في قطع الأشجار وأمر عقبة ببناء المدينة فبنيت وبني المسجد الجامع، وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وتم أمرها سنة ٥٥هـ وسكنها الناس، وكان في أثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا، فتغير على العدو ودخل كثير من البربر الإسلام، واتسعت خطة المسلمين وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها .

يعتبر **الأمازيغ** هم أول من سكن البلاد؛ لكن المحطة الأبرز في تاريخ تونس القديم تتمثل في وفود الفينيقيين من لبنان والذين قاموا بتأسيس قرطاج في القرن التاسع قبل الميلاد. لكن سرعان ماسيطر الرومان على شمال إفريقيا حتى القرن الخامس الميلادي والذي شهد سقوط إمبراطورية روما، بعدها قدم إلى تونس مجموعات عرقية أوروبية أهمها الوندال. وفي القرن الثامن الميلادي **فتح العرب المسلمون** البلاد ثم تلى ذلك مجيئ عدد كبير من العائلات والقبائل العربية لتأخذ تركيبة البلاد شكلها الحالي. شهدت البلاد أيضاً وفود آلاف الأندلسيين الذين التجئوا إليها بعد طردهم من قبل النصارى كما عرفت ابتدءاً من القرن السادس عشر الميلادي استيطان عدد كبير من العائلات التركية. ومعظم التونسيين اليوم (٩٩٪) مسلمين سنة على مذهب الإمام مالك رحمه الله، مع وجود ٢٠٠٠ يهودي في جزيرة جربة التونسية حسب مصادر تونسية و ١٥٠٠ حسب مصادر يهودية، ويهود تونس العاصمة قدموا من إسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد بعد اضطهادهم من قبل الإسبان. لكن يهود جربة قدموا من المشرق العربي بعد حرق معبدهم من قبل نبوخذنصر، سنة ٥٨٧ ق . م ، ويوجد حوالي ٥٠٠٠٠ نصراني معظمهم من فرنسيي تونس، أو توانسة من أصول إيطالية و مالطية ولاتوجد أي أرقام رسمية لتوانسة متنصرة.

أحد أسوار مدينة القيروان التاريخية والتي بناها عقبة بن نافع سنة ٥٠ هـ

استمر بناء مدينة القيروان في تونس الخضراء قرابة الخمس سنوات، حتى أصبحت القيروان درة المغرب، بعد ما شيّد فيها عقبة جامعاً كبيراً أصبح منارة للعلم والفكر والأدب، يقصده العلماء من كل مكان، وأضحى ملتقى للدعاة والعلماء والمجاهدين، وهو أول جامعة إسلامية على مستوى العالم آنذاك.

أحد مداخل المدينة القديمة

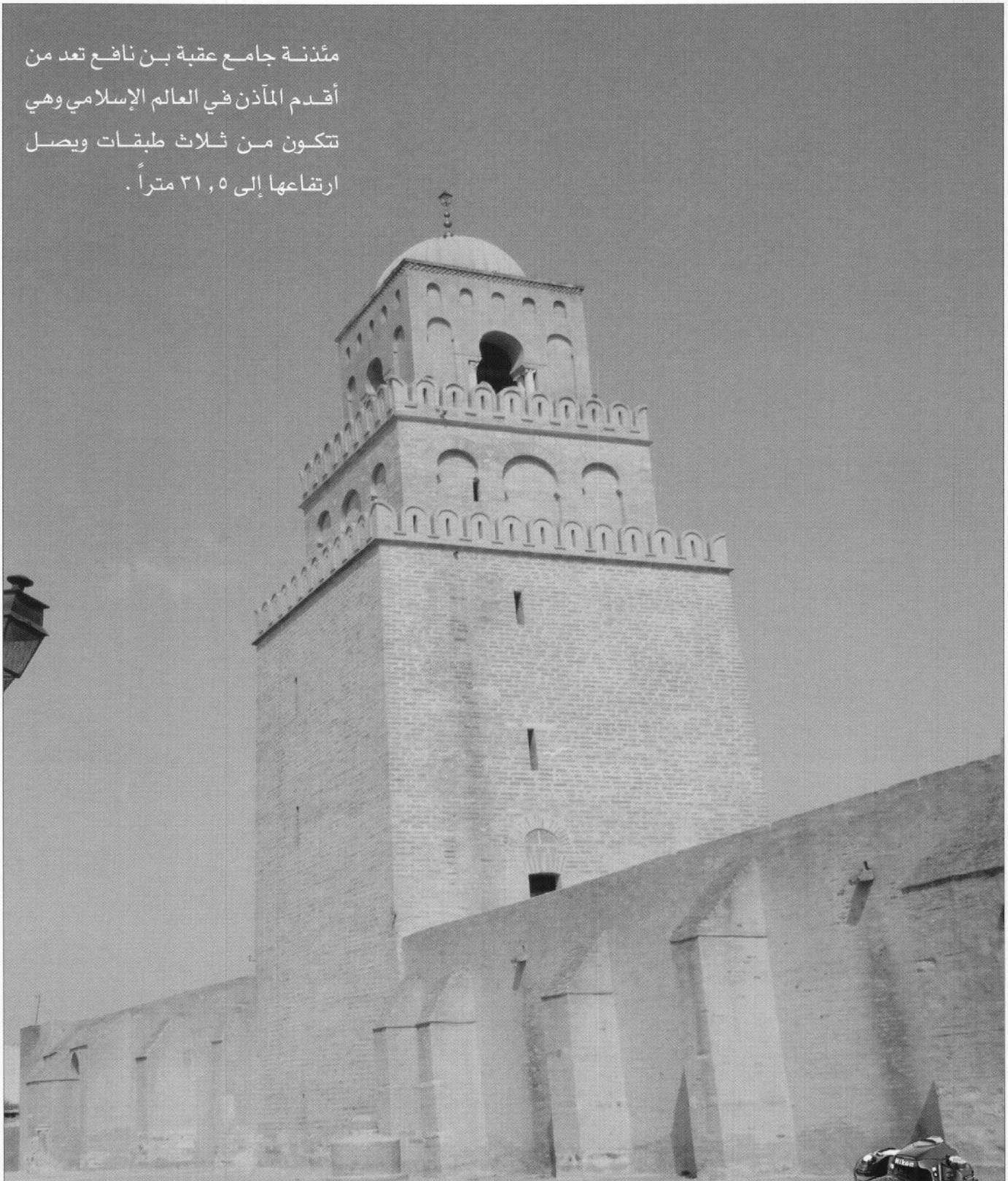

مئذنة جامع عقبة بن نافع تعد من أقدم المآذن في العالم الإسلامي وهي تتكون من ثلاث طبقات ويصل ارتفاعها إلى ٣١,٥ متراً .

أعمدة بيت الصلاة فرشت أرضيته بالحصير، وحينما صليت فيه شعرت بأنني في القرن الأول الهجري

يشغل جامع القيروان مساحة مستطيلة غير منتظمة الاستطالة، وتسند جدرانه الخارجية مساند مختلفة الحجم والشكل وتعلو سقفه من الخارج خمس قباب، وللمسجد ١١ باباً للدخول، يعلو الباب الشرقي قبة ويُعرف هذا الباب باسم (الله رجانا) وتُشاهد كذلك ثلاثة أبواب أخرى في نفس الجانب ويعلو الباب المسمى بـ (باب السلطان) قبة أخرى.

ويتقدّم الأبواب التي في الجهة الشمالية بهو، ويتكوّن رواق المسجد من ١٧ طارمة تفصلها بائكات (البائكة عمود في قمته تاج وقوس)، وللمسجد محراب على شكل تجويف داخل الجدار يشبه حدوة الفرس ويكتنفه عمودان تيجانهما على الطراز البيزنطي، في طاقية المحراب زخارف ملونة باللون الأخضر ومنبر المسجد خشبي نفيس، وقبة المسجد مضلعة الشكل يبلغ قطرها ٥/٨٠م والمنارة مكوّنة من ثلاث طبقات مربعة الشكل تعلوها قبة صغيرة.

القبة التي تعلو باب البهو المؤدي إلى بيت الصلاة

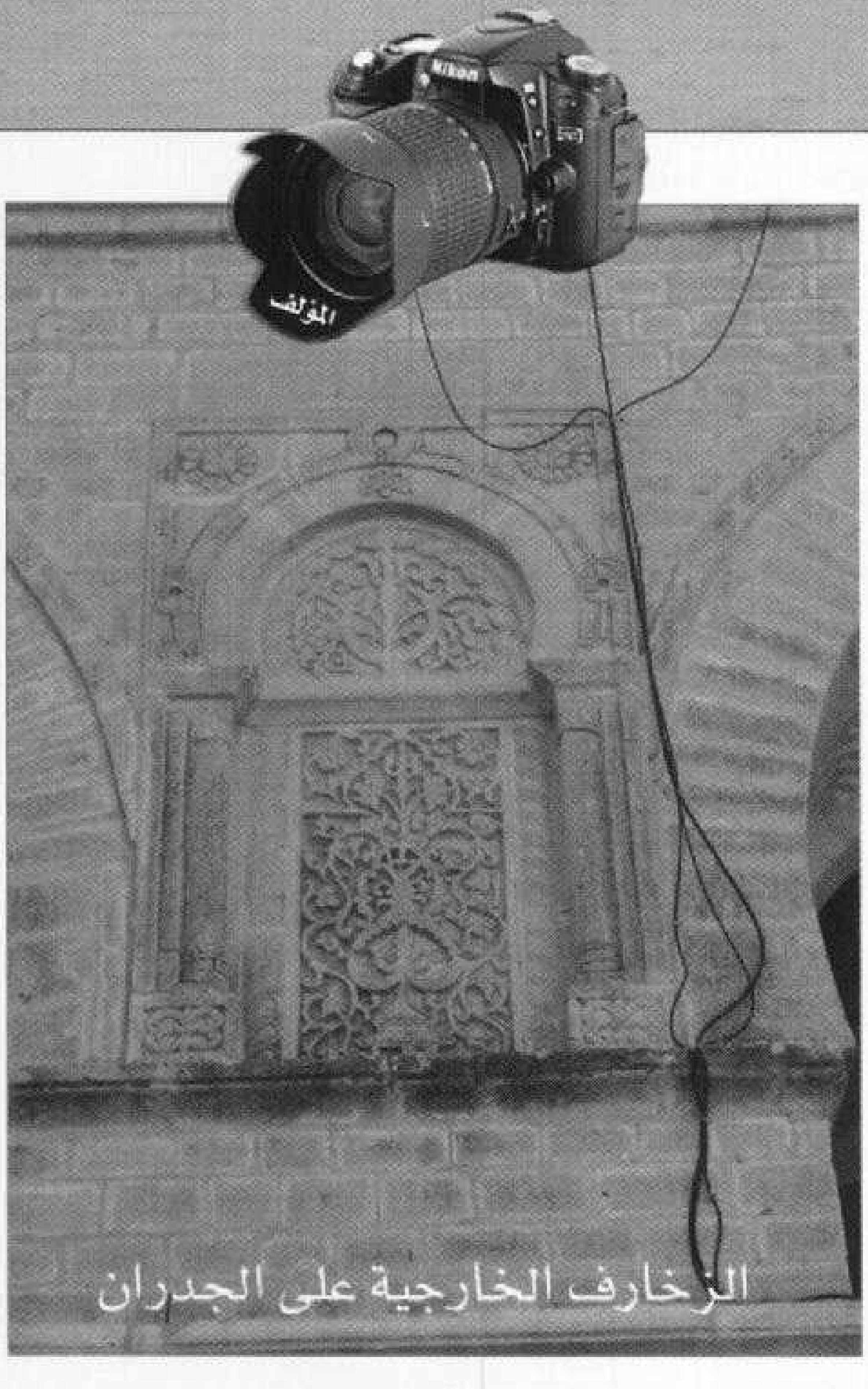

الزخارف الخارجية على الجدران

ورث جامع القيروان الكبير موضع المصلى الإسلامي الأول في بلاد المغرب، والذي شيده في عام ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م عقبة بن نافع.

وبعد إعادة تجديده التي قادها الحسن بن النعمان في عام ٨٤ هـ/٧٠٣ م، جرى توسيعه إبَّان حكم الوالي الأموي، بشر ابن صفوان (١٠٣ -١٠٩ هـ/ ٧٢٢ -٧٢٨م). وحصل تجديد آخر له خلال حكم يزيد بن هيثم في عام ١٥٥ هـ/٧٧٣ م. وقد أعيد بناء الجامع بشكل كلي برعاية الأمير الأغلبي، زيادة الله، في عام ٢٢١ هـ /٨٣٦ م، ليتخذ المسجد حينها أبعاده الحالية.

وبعزل عقبة بن نافع الفهري من قبل والي مصر الجديد **مسلمة بن مخلد**، وتعيين **أبي المهاجر دينار** تبدأ **المرحلة الثالثة** من مراحل فتوح شمالي إفريقيا، وقد اتسمت بمنهجية أكثر اعتدالاً في التعامل مع البربر مما مهد الطريق لتغلغل الدين الإسلامي بين السكان.

وأدرك أبو المهاجر الدور البيزنطي في تأليب البربر ضد المسلمين، فقرر أن يضع حداً لهذا الدور. وتتضح هذه السياسة عندما نلاحظ أن حملاته توجهت كلها ضد الوجود البيزنطي في منطقة الساحل، خاصة عاصمتهم **قرطاجنة**، فهاجمهم وأجبر أهلها على طلب الصلح، وفتح جزيرة شريك الإستراتيجية القريبة منها، واتخذها قاعدة عسكرية ليراقب تحركات البيزنطيين، وبذلك حقق أول نصر عسكري وسياسي عليهم.

ثم حدث أن تابع أبو المهاجر حملاته ضد الوجود البيزنطي، ففتح ميلة التي تتوسط المغربين الأدنى والأوسط، واستقر بها ومنها أخذ يبث الدعوة الدينية بين البربر في المغرب الأدنى الذين تقبلوها ودخلوا في الإسلام[1].

وبعد أن اطمأن أبو المهاجر على أوضاع **المغرب الأدنى**، استأنف حركة الجهاد لفتح **المغرب الأوسط**، وقد جمعت **البربر البيزنطيين** في هذا الإقليم **مصلحة مشتركة** تتمثل بوقف التقدم الإسلامي، ثم طرد المسلمين من المغرب الأدنى.

كانت قبيلة أوروبا البربرية تتزعم المغربين الأوسط والأقصى بقيادة زعيمها **كسيلة بن لمزم** الذي أدرك مدى ما يشكله المسلمون على وطنه ودينه النصراني من خطر، لذلك قام ليواجههم بشراسة. ولدرء هذا الخطر الداهم جمع كسيلة جيشاً كثيفاً، وعسكر في تلمسان بانتظار الصدام المرتقب مع أبي المهاجر. وفعلاً التقى الجمعان، ودارت بينهما رحى معركة عنيفة اعتبرها كل طرف معركة مصير انتهت بانتصار المسلمين، وتمزق جيش كسيلة، وتشتت في الصحراء وأُسِر كسيلة فحمل إلى أبي المهاجر الذي عاملة معاملة طيبة حيث طمع في إسلامه؛ لأنه لو أسلم فسيكون إسلامه سبباً في إسلام قومه بفضل مكانته الكبيرة بينهم. وفعلاً دخل كسيلة وقومه في الإسلام واستخدمهم أبو المهاجر في فتح **تلمسان**.

وعاد أبو المهاجر إلى **القيروان** بعد أن اطمأن على أوضاع المغرب الأوسط وإلى إسلام البربر، حيث راح يراقب تحركات **البيزنطيين** ونشاطهم، ويعمل على إزالة نفوذهم في الشمال الإفريقي. لكن لم يطل به المقام، فقد توفي مولاه **مسلمة بن مخلد**، والي مصر، في عام (٦٢هـ/٦٨٢م) وكان سنداً قوياً له بعد الله. فأعاد **يزيد بن معاوية عقبة بن نافع** إلى إفريقيا للمرة الثانية، وعزل أبا المهاجر. فابتدأت بذلك مرحلة أخرى من مراحل فتوح شمالي إفريقيا هي **المرحلة الرابعة**[2].

---

١ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٨.

٢ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٨.

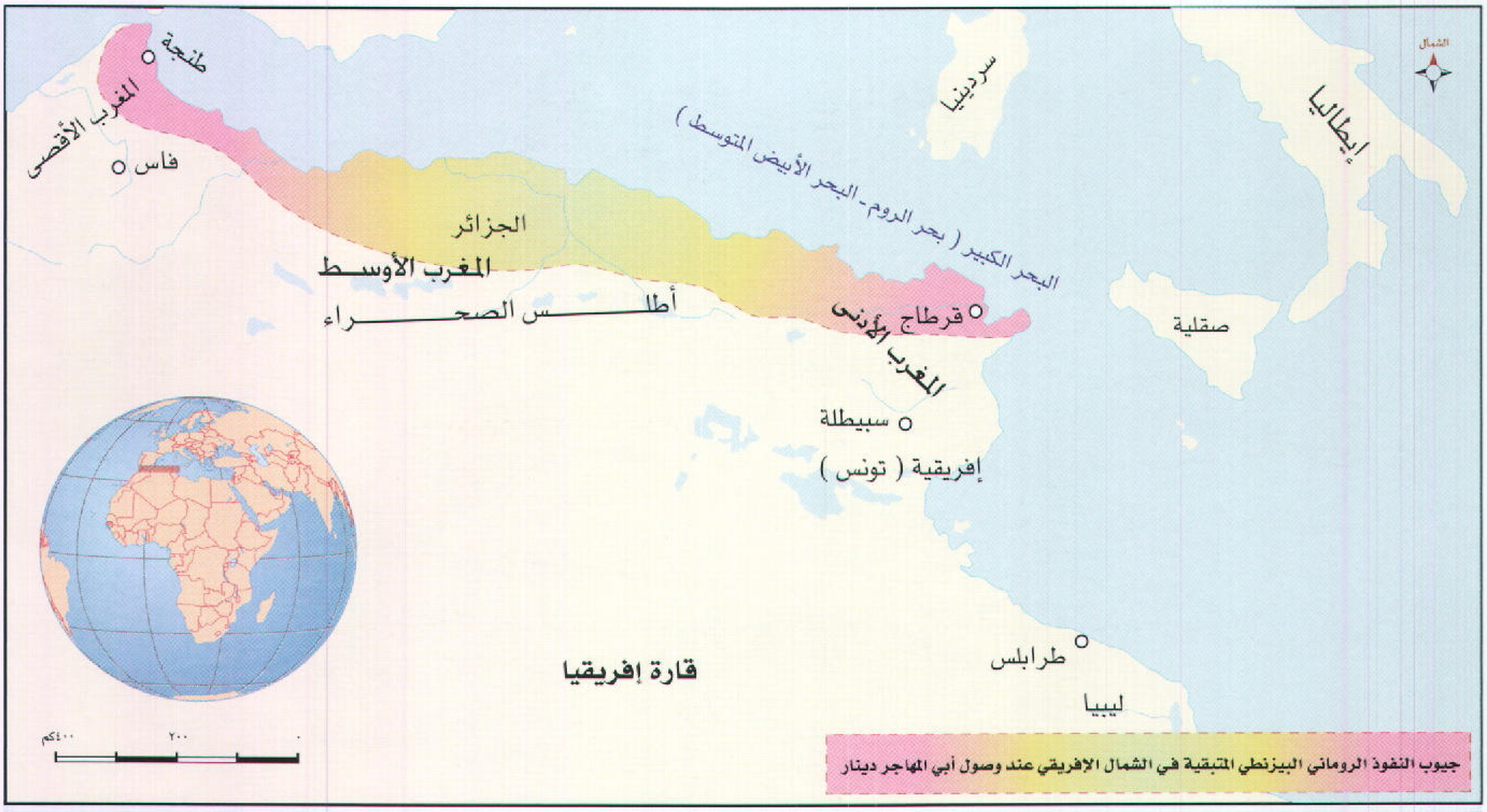

الحي القرطاجي في بيرسا - تونس

أطلال كنيسة سينتاس البيزنطية بالحي القرطاجي ببيرسا التونسية

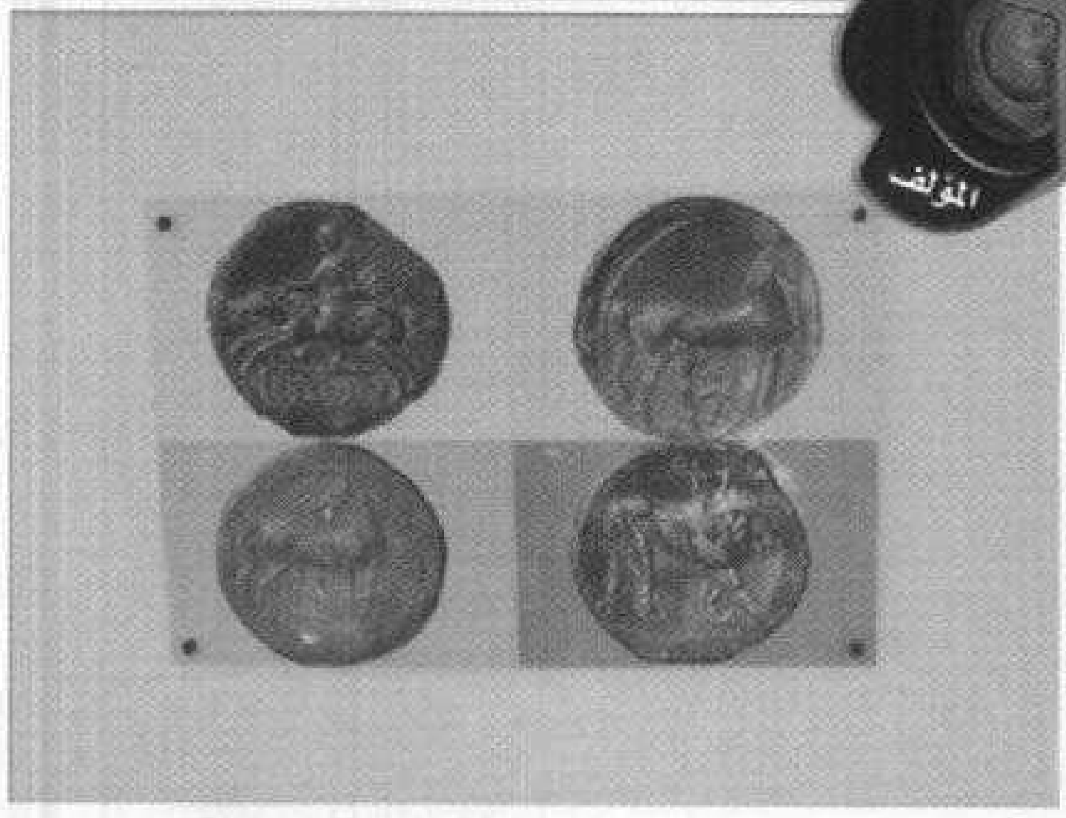

▲ عملات بونية قرطاجية سكت على النمط الإغريقي.

أواني فخارية عليها رسومات ملونة تعود إلى العهد القرطاجي ▼

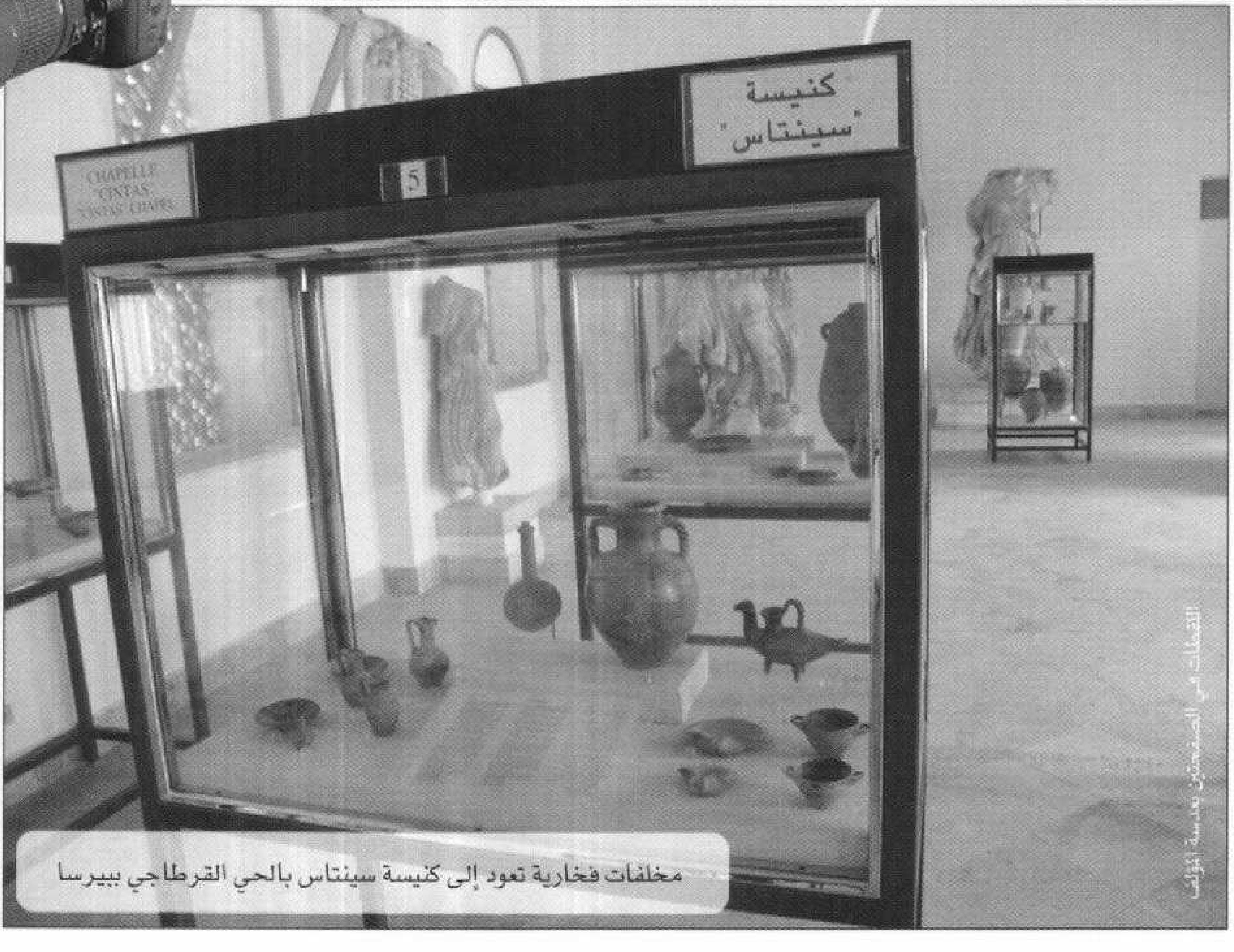

مخلفات فخارية تعود إلى كنيسة سينتاس بالحي القرطاجي ببيرسا

اللقطات في الصفحتين بعدسة المؤلف

كنيسة سبيطلة تم تحصين بعض جدرانها في أواخر الفترة البيزنطية (القرن السابع الميلادي) ويرى مؤلف ومصمم الأطلس في الصورة المصغرة

تعد سبيطلة أهم مدينة أثرية تونسية واشتهرت بمعابدها الوثنية الثلاثة فينوس، وجوبيتر، وجينون. وقوس نصرها البارز عند مدخل المدينة.

وتتميز وتنفرد بقنطرتها الرومانية والمسرح الدائري وروائع الفسيفساء ومتنزهات أثرية.

كانت سبيطلة عاصمة دولة أمازيغية كاثوليكية تابعة لروما ثم القسطنطينية.

معبد الثالوث المقدس عند الرومان فينوس، وجوبيتر، جينون.

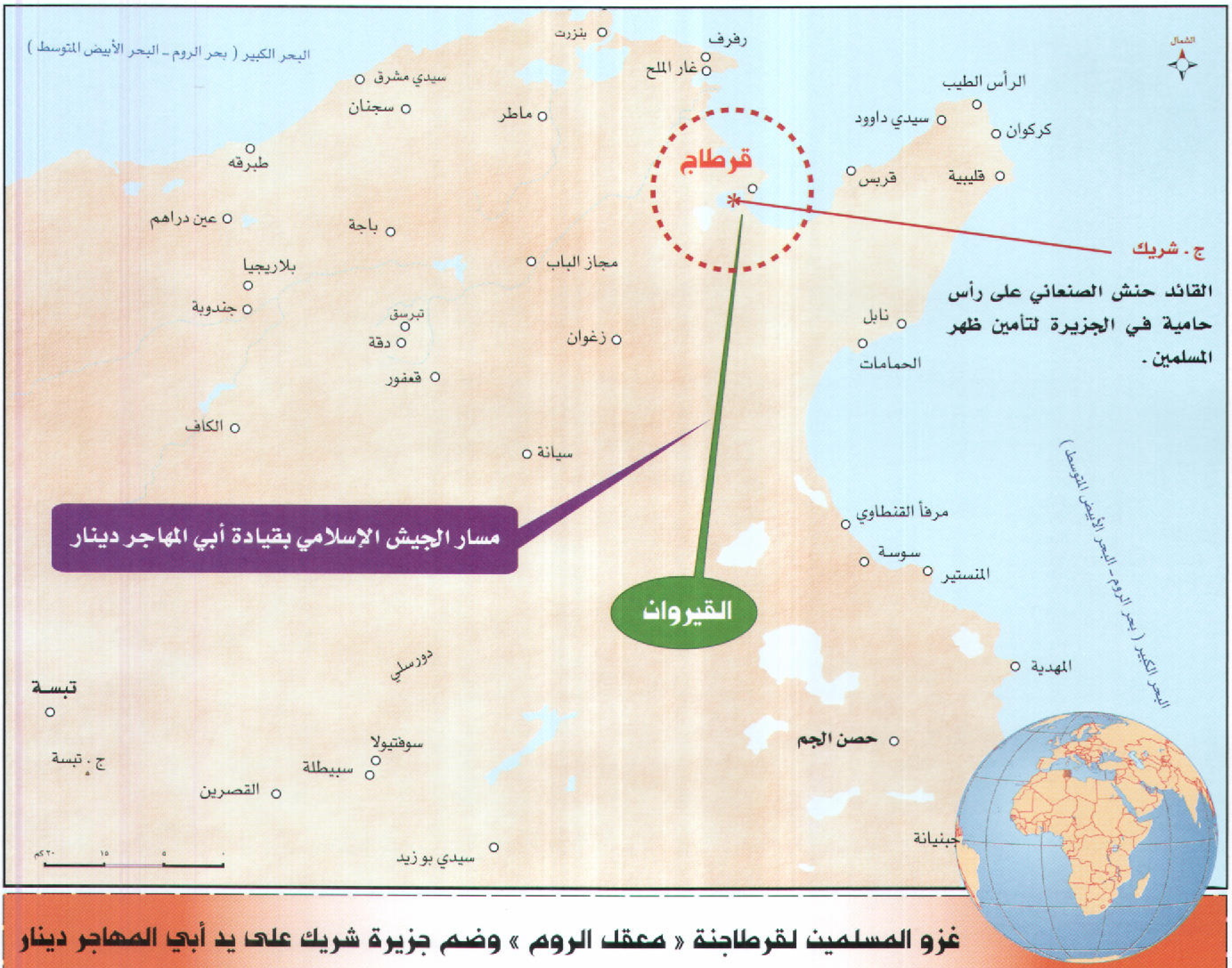

غزو المسلمين لقرطاجنة « معقل الروم » وضم جزيرة شريك على يد أبي المهاجر دينار

كان الروم البيزنطيون على الرغم من الهزائم التي حلت بهم في وسط إقليم إفريقية « تونس » وجنوبه، لازالوا قوة في الشمال، ولازالت عاصمتهم **قرطاجنة** عذراء لم يقصدها أحد من الفاتحين الأولين، ثم إنهم لازالوا قوة في ساحل المغرب من **بنزرت** إلى **طنجة**، فكان على أبي المهاجر أن يضرب الروم ضربة قوية ليضعضع نفوذهم في تلك النواحي، ويكسر الحلف الذي عقدوه مع البربر، فسار إلى قرطاجنة ونازلها، فاستغلقت وتحصنت بالأسوار العالية، فشدد أبو المهاجر الحصار عليها فعلم الروم أنه لا قبل لهم بالجيش الإسلامي، وأن أبا المهاجر لا بد أن ينتصر عليهم، فيدخل العاصمة باقتداره وقوته، فطلبوا الصلح فصالحهم بإخلاء جزيرة شريك، لتنزل فيها جنوده، وكان أبو المهاجر يهدف من احتلال جزيرة شريك، القريبة من قرطاجنة، أن يراقب الروم وتحركاتهم، وترك فيها حامية من الجيش جعل على رأسها قائده حنش الصنعاني ليصد الروم إذا حاولوا مهاجمة المسلمين أثناء غزوهم للبلاد. رفع أبو المهاجر الحصار عن قرطاجنة بعد أن انتزع من الروم جزيرة شريك، ذلك الموقع الاستراتيجي الهام، وترك فيها حامية تؤمن ظهر المسلمين، وتراقب تحركات الروم، ثم اتجه بعد ذلك مسايراً الساحل ناحية الغرب . د . علي الصلابي، الدولة الأموية ، ص ٦٦ .

فتوحات أبي المهاجر دينار سنة ٥٥ - ٦٦ هـ

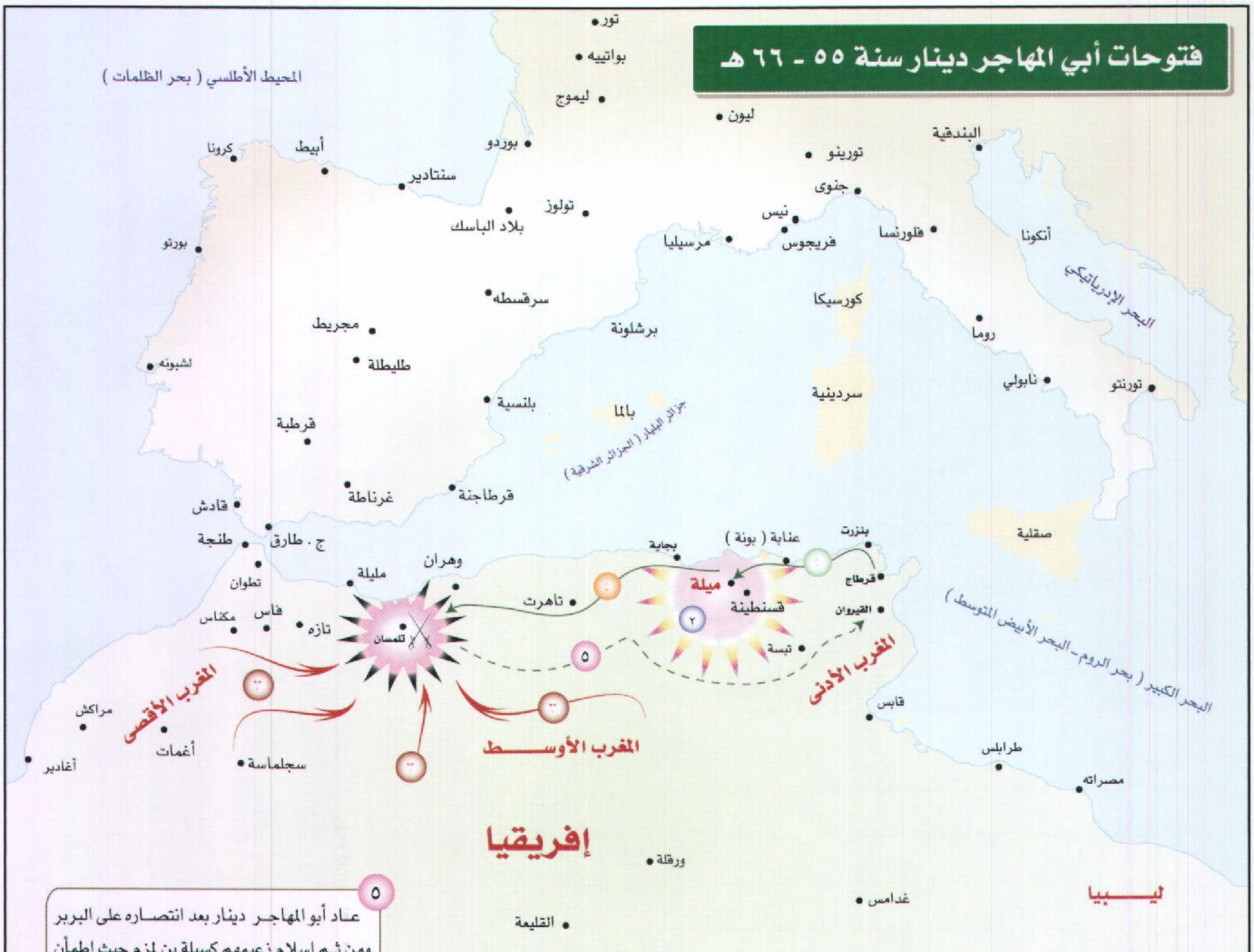

٥ عاد أبو المهاجر دينار بعد انتصاره على البربر ومن ثم إسلام زعيمهم كسيلة بن لمزم حيث اطمأن إلى أمور المغرب الأوسط وإلى إسلام البربر وأصبح مقره قريباً من القيروان، وأقام بقرية تسمى دكرور يراقب الأمور، ويرصد تحركات الروم ودسائسهم، ويعمل على إزالة نفوذهم من الشمال الإفريقي، لكن إرادة الله لم تطل به المقام، حيث توفي مولاه مسلمة ابن مخلد الأنصاري والي مصر سنة ٦٢هـ وكان مسلمة سنداً قوياً بعد الله لأبي المهاجر فلما زال هذا السند، أعاد يزيد بن معاوية ٦٠ ، ٦٤هـ عقبة بن نافع إلى إفريقية ثانية وعزل أبا المهاجر.

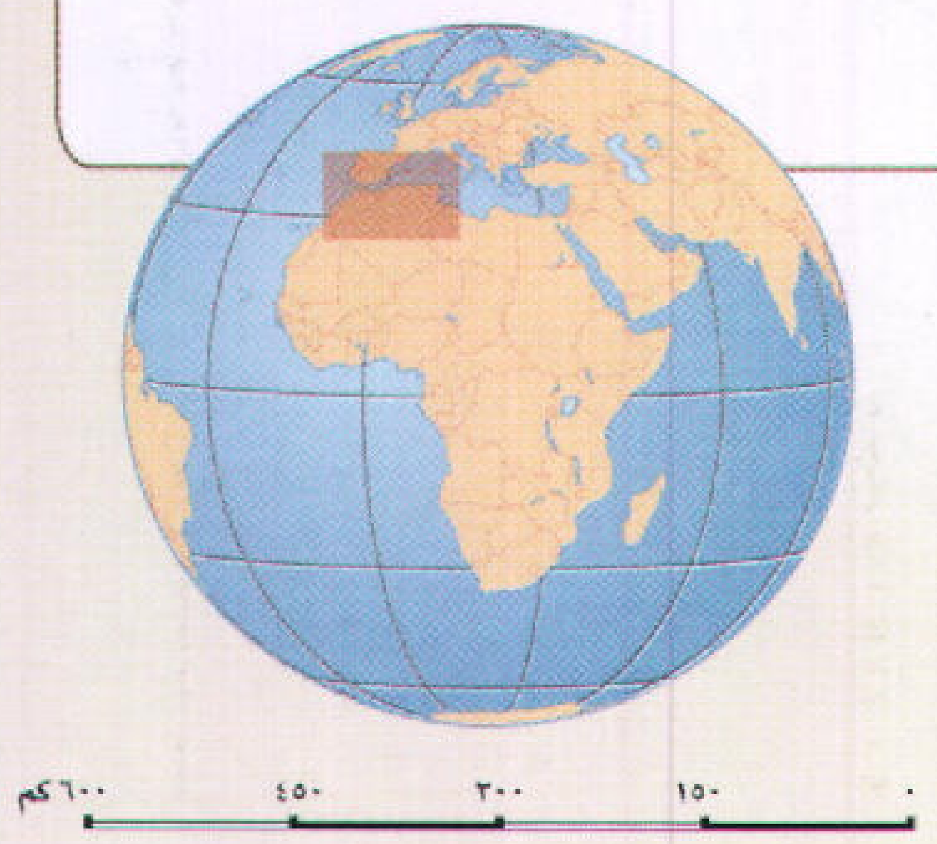

١ أبو المهاجر يتوجه لملاقاة فلول الروم وجيوش البربر في مدينة ميلة .

٢ استطاع أبو المهاجر من الانتصار على الجيش الرومي والبربري، ثم مكث في المدينة سنتين يدعو فيها للإسلام مما أسهم في دخول جماعات كبيرة في الدين الحنيف .

نتيجة للاستقرار الأمني في هذه المنطقة من **قسنطينة** إلى **بجاية** لم تقع فيها حروب .

٣ الروم البيزنطيون يحثون البربر (البرانس) بقيادة كسيلة بن لمزم، في المغربين الأوسط و الأقصى للتصدي للقوات الإسلامية.

٤ الجيش الإسلامي بقيادة أبي المهاجر دينار يتوجه لملاقاة كسيلة بن لمزم وقواته.

بعد أن استكمل كسيلة عدته عسكر في تلمسان، وانتظر اللقاء المرتقب مع أبي المهاجر ولم يطل انتظاره، فقد وصل أبو المهاجر، وعسكر بجيشه حول تلمسان، فألتقى الجيشان ودارت معركة قاسية، أبلى فيها كل من الفريقين بلاءً كبيراً، وأدركوا خطورتها وأن لها ما بعدها، وكثر القتلى من الجيشين، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فهزموا جيش كسيلة فولّى هارباً من أرض المعركة.

بناء أثري من مدينة ميلة

مِيلَةُ: بالكسر ثم السكون، ولام: مدينة صغيرة بأقصى إفريقية، بينها وبين بجاية ثلاثة أيام، ليس لها غير المُزْدَرَع وهي قليلة الماء، بينها وبين قسطنطينية يوم واحد، قال البكري: وفي سنة ٣٧٨ في شوال خرج المنصور بن المهدي من القيروان غازياً لكتامة فلما قرب من ميلة زحف إليها ناوياً على اصطلام أهلها واستباحتها، فخرج إليه النساء والعجائز والأطفال فلما رآهم بكى وأمر ألا يُقتل منهم واحد، وأمر بهدم سورهم وتسيير من فيها إلى مدينة باغاية، فخرجوا بجماعتهم يريدونها وقد حملوا ما خفّ من أمتعتهم، فلقيهم ماكس بن زيري بعسكر فأخذ جميع ما كان معهم وبقيت ميلة خراباً ثم عُمّرت بعد ذلك وسوّرت وجعل فيها سوق وحمامات، وهي من أصل مُدُن الزاب، في وسطها عين تعرف بعين أبي السباع مجلوبة تحت الأرض من جبل بني ساروت. الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٤ .

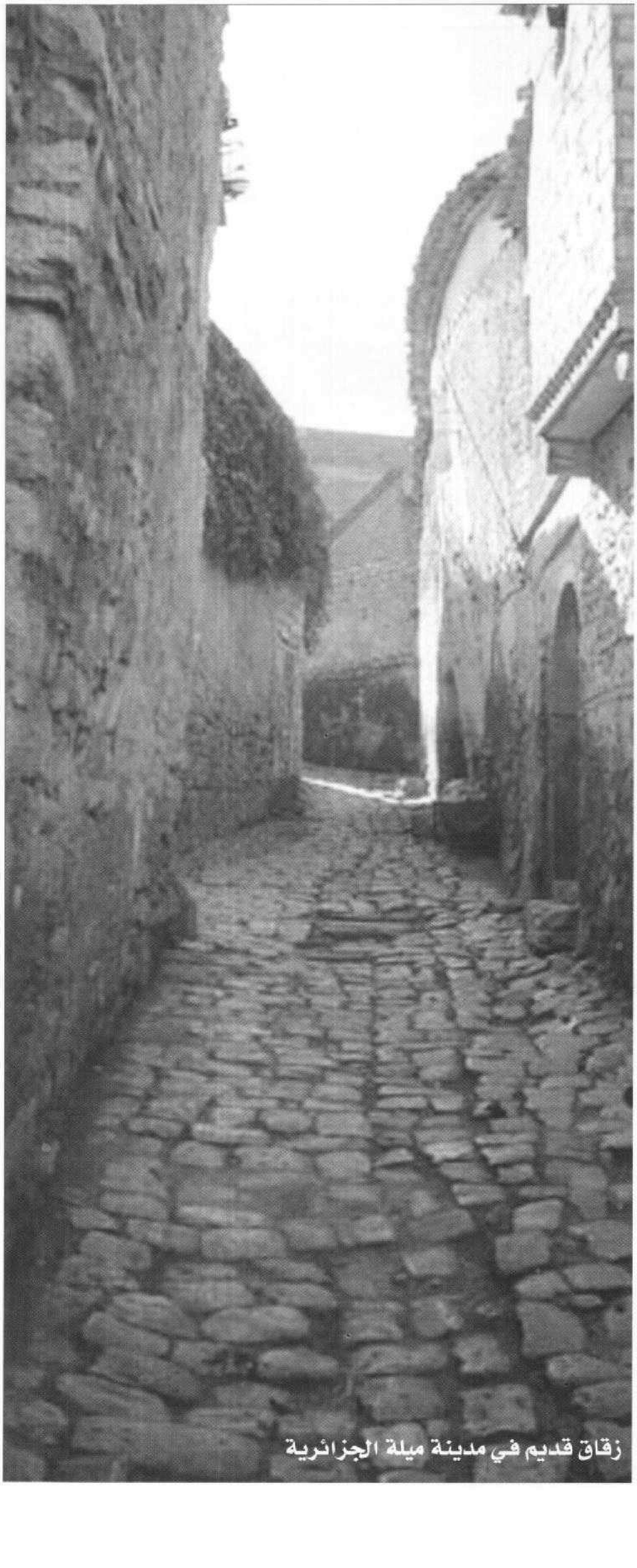

زقاق قديم في مدينة ميلة الجزائرية

تقع ولاية **تلمسان** شمال غربي الجزائر يحدها شمالاً البحر المتوسط وجنوباً ولاية النعامة وشرقاً ولايتي عين تموشنت، وسيدي بلعباس وغرباً المغرب الأقصى. وهي منطقة تاريخية وسياحية، كانت تعرف ببوماريا في العهد الروماني واتخذها الزيانيون عاصمة لهم.

تنقسم ولاية تلمسان إلى ٢٢ دائرة و ٥٣ بلدية. كما تعتبر مدينة تلمسان مدينة سياحية لما فيها من آثار ومعالم سياحية مثل مغارات عين فزة، المنصورة وندرومة، ميناء هنين، ومساجد بني سنوس التي تعود للعهد المرابطي.

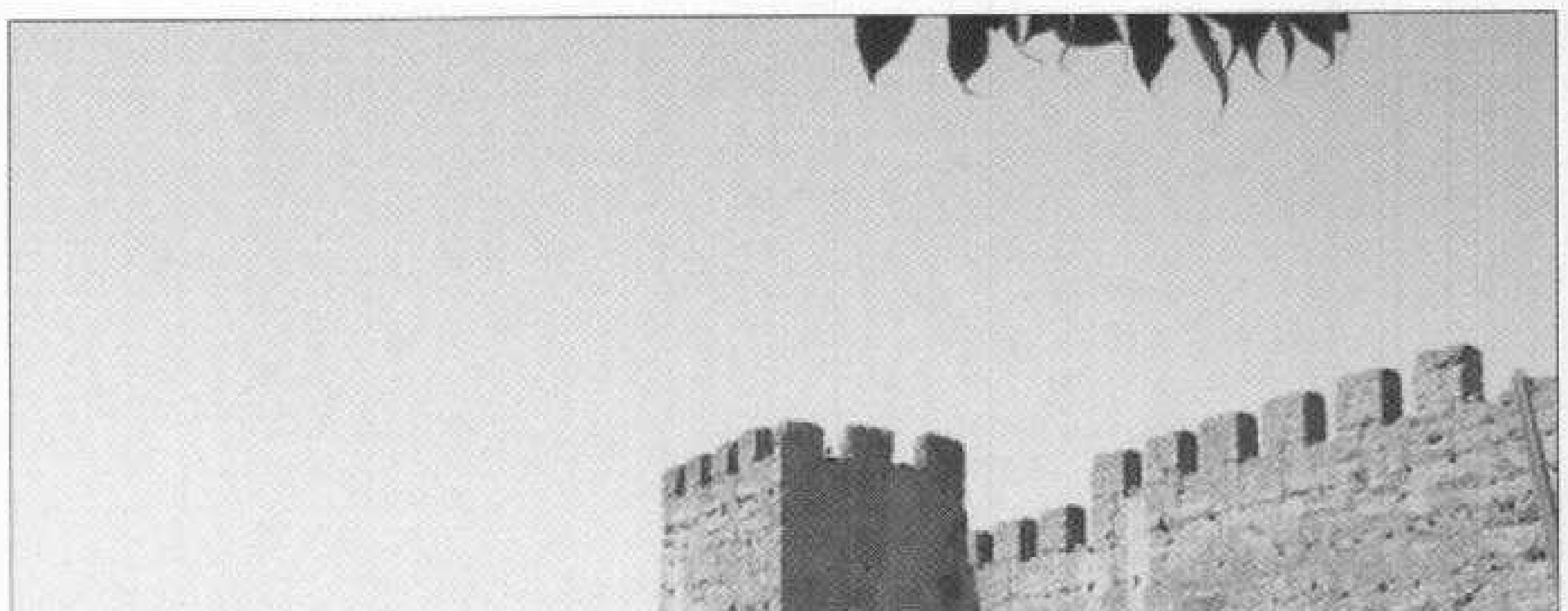
قلعة المنصورة بتلمسان - الجزائر

رابعاً : فتوحات الجبهة الشرقية

كان المسلمـون حتـى خلافة عثمـان بن عفان رضي الله عنه قد أتموا فتح البلاد التي تقع بين العراق ونهر جيحـون، وتضـم جرجـان وطبرستان وخراسـان وفارس وكرمـان وسجستان، (انظـر الخارطة في هذه الصفحة من كتابنا الموسوم « أطلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه »)وحينما قتل عثمان تعثرت حركة الفتح، وخرج أكثر أهل هذه البلاد عن الطاعة، حتى إذا جاء عهد معاوية رضي الله عنه أخذت دولته تبذل جهوداً بالغة لإعادة البلاد المفتوحة إلى الطاعة ومد حركة الفتح[١] .

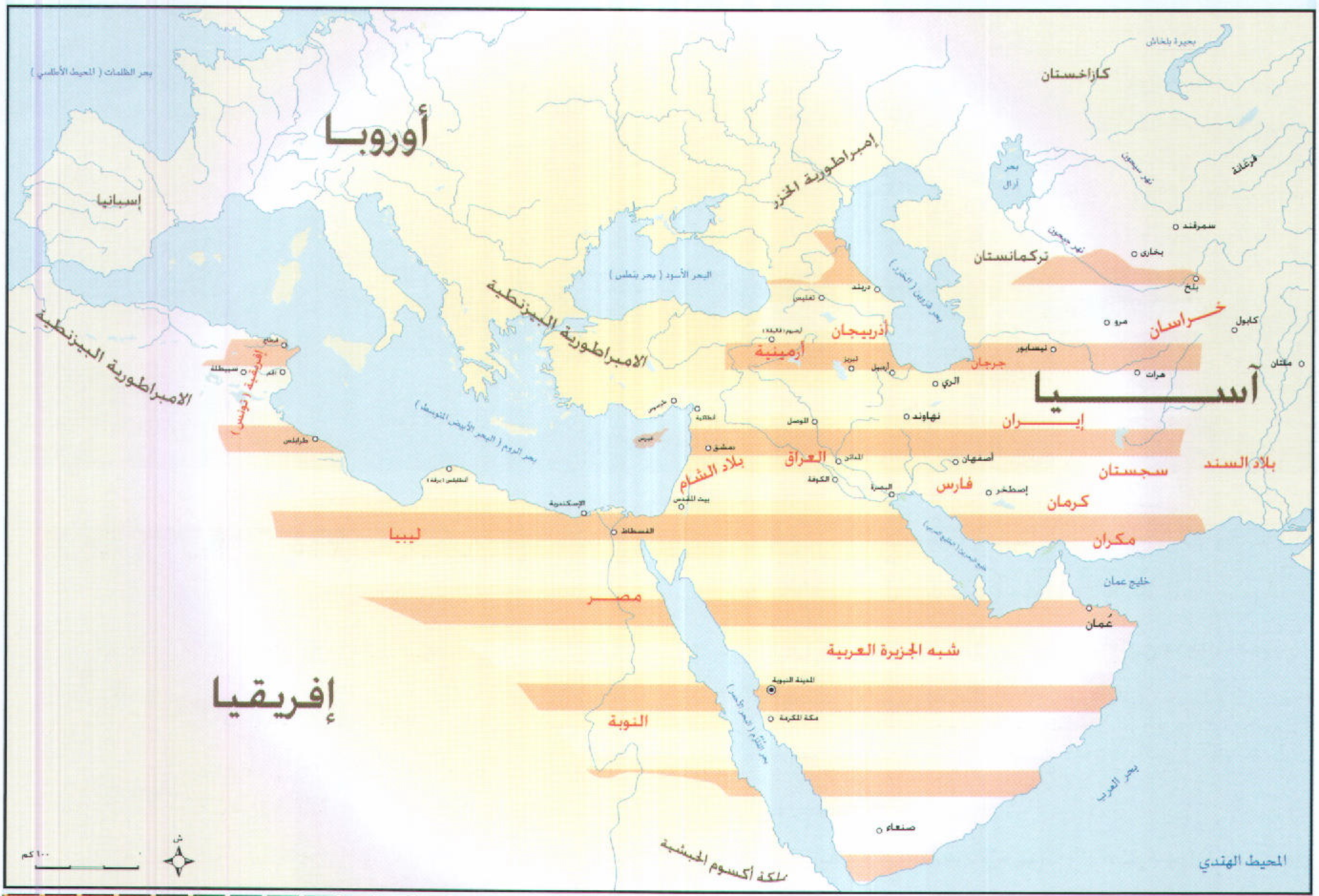

أقصى حدود دولة الخلافة الراشدة في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه

---

١ - دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين صـ ٢١٩ .

معاودة استتباب الأمن في خراسان وسجستان في عهد معاوية

١ معاوية بن أبي سفيان يولّي عبد الله بن عامر والياً على البصرة، ويكلفه بفرض الأمن على إقليمي سجستان وخراسان.

٢ ابن عامر، يُعين عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس والياً على سجستان حيث قدم إليها وعلى شرطته عبّاد بن الحصين الحبطي ومعه من الأشراف عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وعبد الله بن خازم السُّلمي، وقطري بن الفجاءة، والمهلب بن أبي صفرة الأزدي ففتحوا في هذه الحملة مدينة **زرنج** صلحاً، ووافق مرزبانها على دفع ألفي ألف (مليوني) درهم، وألفي وصيف. ثم تقدموا نحو مدن خواش، وبست، وخُشّك، وغيرها من البلدان وتمكنوا من فتحها، كما تمكنوا من فتح مدينة كابل بعد أن ضربوا عليها حصاراً استمر لعدة أشهر.

٣ انظر الخارطة في الأعلى.

٤ حينما قدم زياد بن أبي سفيان البصرة معيناً عليها بدل عبد الله بن عامر، والذي عزله معاوية سنة ٤٥هـ عادت ولاية خراسان وسجستان مرة أخرى تحت إشراف والي البصرة مباشرة.

فتوحات الحكم بن عمرو الغفاري في أقاليم خراسان

١ الحكم بن عمرو الغفاري يغزو طخارستان حينما ارتدوا عن الإسلام فأخذهم بالسيف عنوة وغنم منهم غنائم كثيرة، ثم واصل فتوحاته في بلاد الترك، وكان بصحبته المهلب بن أبي صفرة .

٢ قطع الحكم نهر جيحون وعبر إلى ما وراء النهر في ولايته ولم يفتح وكان أول من شرب من مائه من المسلمين هو أحد موالي الحكم، فقد اغترف بترسه بماء النهر، فشرب وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين، وكان الحكم أول من فعل ذلك وقد مات الحكم سنة ٥٠هـ.

استكمال فتوحات أقاليم خراسان على يدي الليثي والحارثي

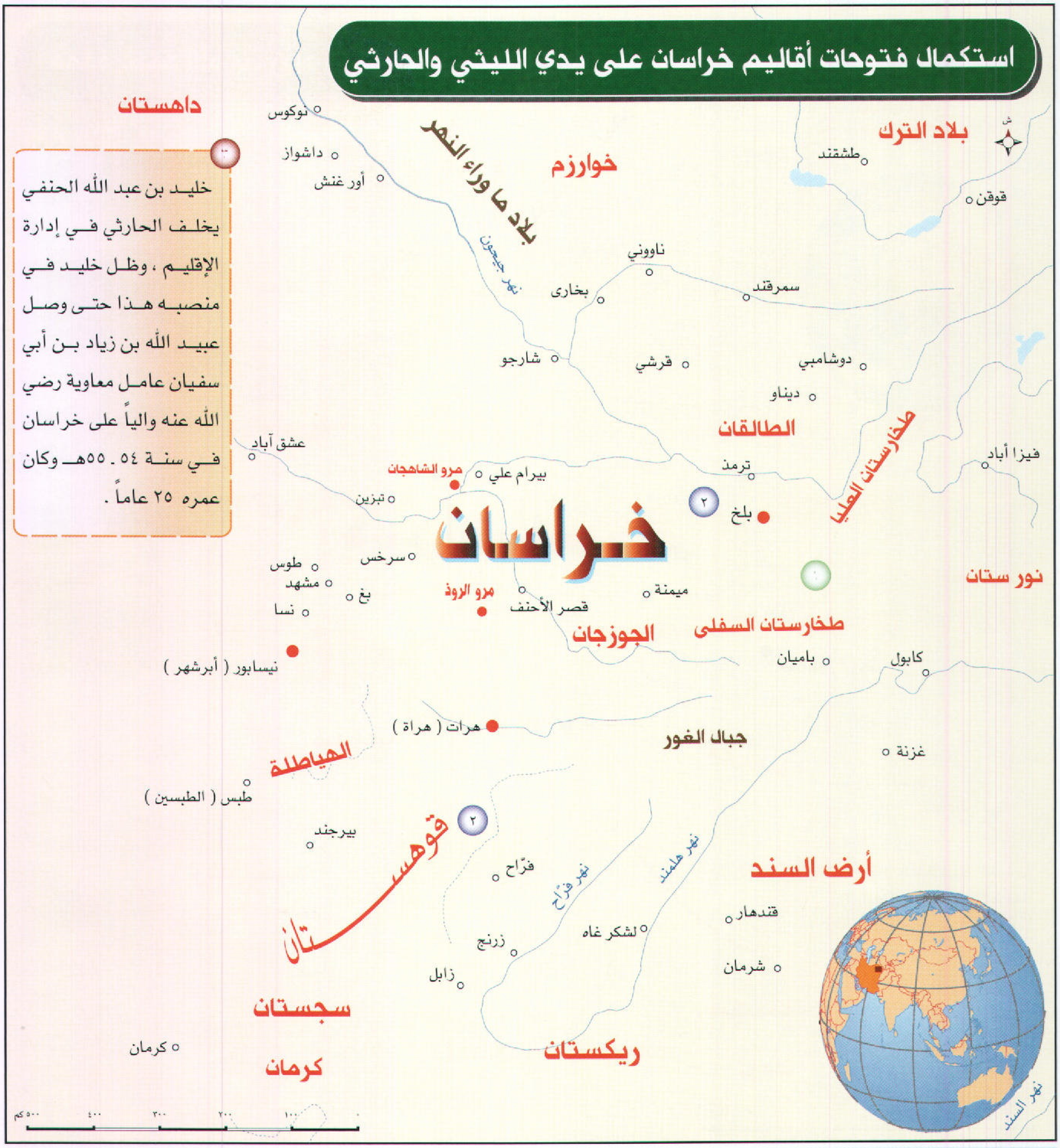

٣ خليد بن عبد الله الحنفي يخلف الحارثي في إدارة الإقليم، وظل خليد في منصبه هذا حتى وصل عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان عامل معاوية رضي الله عنه والياً على خراسان في سنة ٥٤ - ٥٥هـ وكان عمره ٢٥ عاماً .

١ الصحابي الجليل **غالب بن فضالة الليثي** الذي واصل سياسة سلفه في إرسال حملات منظمة في فتح طخارستان لكنه برغم كل الجهود التي بذلها لم يحرز أي تقدم يذكر في ولايات طخارستان من إقليم خراسان لذلك عزله زياد بن أبي سفيان .

٢ زياد بن أبي سفيان يولي **الربيع بن زياد الحارثي** « ٥٠ - ٥٣هـ »، القيادة على الإقليم حيث استطاع الربيع بن زياد إبان فترة ولايته على خراسان أن يغزو بلخ ويصالحه أهلها، ثم يغزو قوهستان فيفتحها عنوة، ثم إن ابنه عبد الله خلفه لبضعة أشهر من عام ٥٣هـ .

حملة عبيد الله بن زياد وعبور نهر جيحون

قال البلاذري: الطبسين؛ وهما حصنان يقال لأحدهما: طبس، وللآخر كرين وهما جرم فيهما نخل وهما بابا خراسان ، فتوح البلدان ج:١ ص: ٣٩٤ .

وصل عبيد الله إلى **مرو** حتى قاد حملة مكونة من ٢٤ ألف رجل وقطعوا نهر جيحون على الإبل وفتحوا راميثين ونسف وبيكندة.

قال اليعقوبي: وصار **عبيد الله بن زياد** إلى خراسان، فبدأ **ببخارى**، وعليها ملكة يقال لها خاتون فقاتلهم حتى فتحها، ثم **قطع نهر بلخ**، وكان أول عربي قطع نهر بلخ، وحاربه القوم محاربة شديدة، وكان الظفر له، ثم انصرف من خراسان إلى معاوية فولاه البصرة سنة ست وخمسين، وقيل أول سنة سبع وخمسين. تاريخ اليعقوبي (٢/٢١١) .

استكمال فتوحات أقاليم خراسان على يدي الليثي والحارثي

٣ خليد بن عبد الله الحنفي يخلف الحارثي في إدارة الإقليم ، وظل خليد في منصبه هذا حتى وصل عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان عامل معاوية رضي الله عنه والياً على خراسان في سنة ٥٤ ـ ٥٥هـ وكان عمره ٢٥ عاماً .

١ الصحابي الجليل **غالب بن فضالة الليثي** الذي واصل سياسة سلفه في إرسال حملات منظمة في فتح طخارستان لكنه برغم كل الجهود التي بذلها لم يحرز أي تقدم يذكر في ولايات طخارستان من إقليم خراسان لذلك عزله زياد بن أبي سفيان .

٢ زياد بن أبي سفيان يولي **الربيع بن زياد الحارثي** « ٥٠ ـ ٥٣هـ »، القيادة على الإقليم حيث استطاع الربيع بن زياد إبان فترة ولايته على خراسان أن يغزو **بلخ** ويصالحه أهلها، ثم يغزو **قوهستان** فيفتحها عنوة، ثم إن ابنه عبد الله خلفه لبضعة أشهر من عام ٥٣هـ .

حملة سعيد بن عثمان بن عفان سنة ٥٦ هـ

٣ - سعيد بن عثمان إلى (ترْمِذ) ففتحها صلحاً.

٢ - غزا سعيد **سمرقند**، فأعانته خاتون بأهل بخارى، فنزل على باب سمرقند، وحلف ألاّ يبرح أو يفتحها وقاتل المسلمون أهل سمرقند ثلاثة أيام، وكان أشدّ قتالهم في اليوم الثالث حيث فُقئت عين سعيد، ولزم أهل سمرقند أن يفتح سعيد ذلك القصر عنوة ويقتل من فيه، فطلبوا الصلح، فصالحهم على سبعمائة ألف درهم، وعلى أن يعطوه رهناً من أبناء عظمائهم، وعلى أن يدخل المدينة ومن شاء ويخرج من الباب الآخر، فأعطوه خمسة وعشرين من أبناء ملوكهم، ويقال: إنهم أعطوه أربعين من أبناء ملوكهم، ويقال: ثمانين وكان معه من الأمراء المهلب ابن أبي صُفرة الأزدي وغيره واستشهد معه يومئذ **قثم بن العباس بن عبد المطلب**، وكان يُشبّه **بالنبي صلى الله عليه وسلم**، وكان أخوه عبد الله بن عباس دفن بالطائف وأخوه معبد استشهد بإفريقية وعبيد الله بالمدينة وكلهم من أب واحد وأم واحدة .

١ - قدم سعيد بن عثمان خراسان **فقطع النهر إلى (سمرقند)** وبلغ خاتون ملكة بخارى عبوره النهر، فحملت إليه الصلح الذي صالحت عليه عبيد الله بن زياد وأقبل أهل الصُّغد وكِش ونسف إلى سعيد في مائة ألف وعشرين ألفاً، فالتقوا ببخارى، وقد ندمت خاتون على أدائها الجزية، فنكثت العهد ولكن قسماً من الحشود المجتمعة لقتال سعيد انصرفوا قبل مباشرة القتال، فأثّر انصرافهم في معنويات الآخرين واهتزّت معنوياتهم، فلما رأت خاتون ذلك، أعادت الصلح، فدخل سعيد مدينة بخارى فاتحاً، د . الصلابي، الدولة الأموية، ص ٣٨٠ .

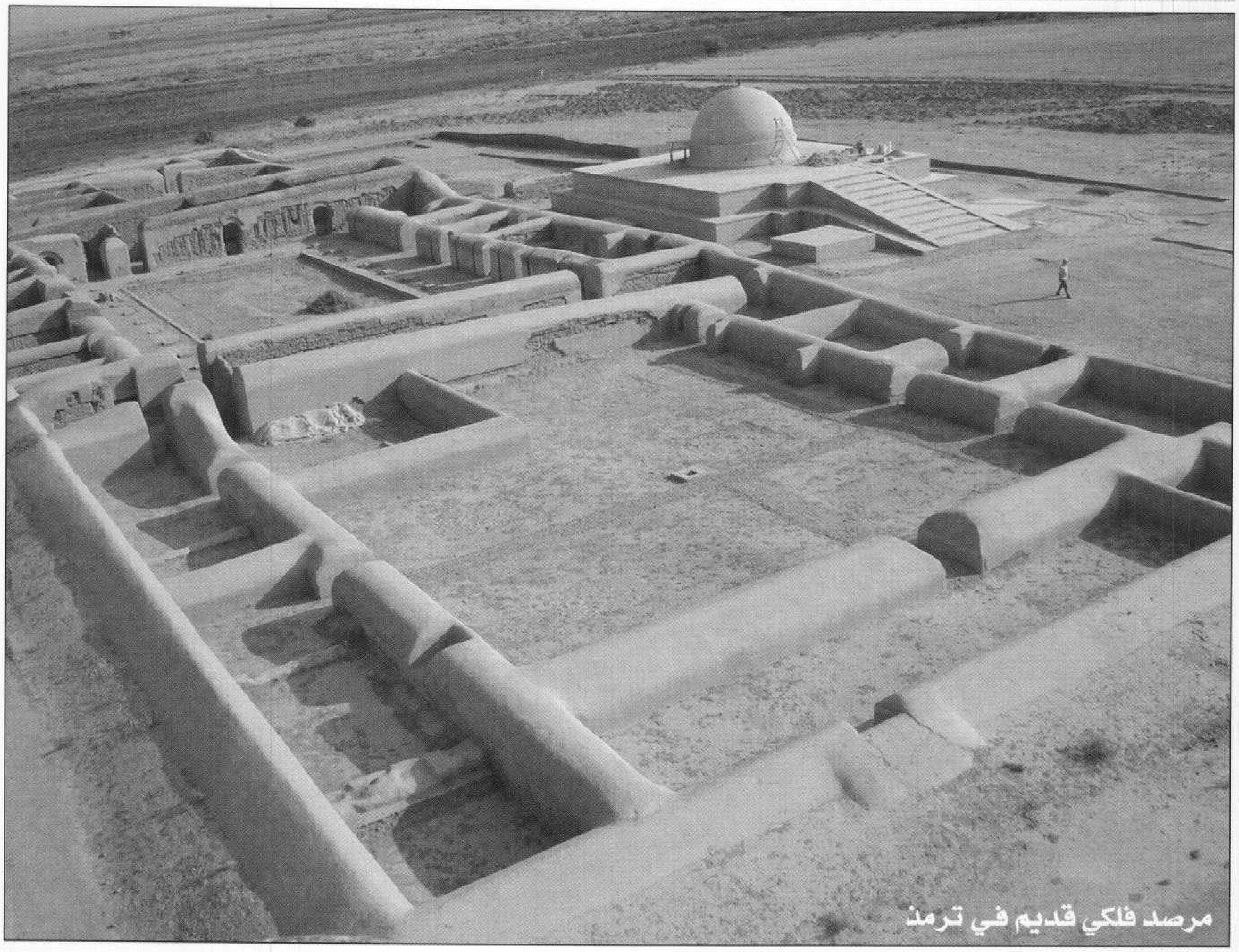

مرصد فلكي قديم في ترمذ

تَرْمِذُ: قال أبو سعد: الناس مختلفون في كيفية هذه النسبة، بعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم يقول بضمها وبعضهم بكسرها، والمتداول على لسان أهل تلك المدينة بفتح التاء وكسر الميم، والذي كنا نعرفه فيه قديماً بكسر التاء والميم جميعاً، والذي يقوله المتأنقون وأهل المعرفة بضم التاء والميم، وكلٌّ واحد يقول معنىً لما يدعيه. وترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جَيحون من جانبه الشرقي، متصلة العمل بالصغانيان، ولها قُهدز وربض، يحيط بها سورٌ، وأسواقها مفروشة بالآجر، ولهم شرب يجري من الصغانيان لأن جيحون يستقلّ عن شرب قراهم. الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ٢٦.

قلت: وترِمذ هي بلدة تاريخية في آسيا الوسطى فتحها المسلمون على مراحل في العهد الأموي. واشتهرت في تاريخ الحضارة الاسلامية الأسيوية بمراصدها الفلكية (انظر الصورة في الأعلى) .

والترمذي (نسبة الى ترمذ) وهو لقب عدد من الفقهاء والمحدثين أشهرهم الترمذي المحدث أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي. الذي ولد حوالي عام ٢٠٩ هـ (٨٢٤ م) .. وقيل إنه كان أكمه .. كما أصيب بالعمى .. وهو أحد أصحاب السنن (أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه) . وأدرك في حياته الإمام البخاري : واشتهر الترمذي بمؤلفه الكبير. في الحديث المعروف بـ " الجامع الصحيح " توفي عام ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) .

١ - قال ابن الأثير: سار **سلم** إلى خراسان كتب معه يزيد إلى أخي عبيد الله بن زياد ينتخب له ستة آلاف فارس وقيل: ألفي فارس وكان سلم ينتخب الوجوه فخرج معه عمران بن الفضيل البرجمي والمهلب بن أبي صفرة وعبد الله بن خازم السلمي وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وحنظلة بن عرادة ويحيى بن يعمر العدواني وصلة ابن أشيم العدوي وغيرهم وسار **سلم** إلى خراسان وعبر النهر غازياً وكان عمال خراسان قبله يغزون فإذا دخل الشتاء رجعوا إلى **مرو الشاهجان** فإذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خراسان بمدينة مما يلي **خوارزم** فيتعاقدون أن لا يغزو بعضهم بعضاً ويتشاورون في أمورهم فكان المسلمون يطلبون إلى أمرائهم غزو تلك المدينة فيأبون عليهم، فلما قدم سلم غزا فشتا في بعض مغازيه فألح عليه **المهلب ابن أبي صفرة** وسأله التوجه إلى تلك المدينة فوجهه في ستة آلاف، وقيل: أربعة آلاف فحاصرهم فطلبوا أن يصالحهم على أن يفدوا أنفسهم فأجابهم إلى ذلك وصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف، وكان في صلحهم أن يأخذ منهم عروضاً فكان يأخذ الرأس والدابة والمتاع بنصف ثمنه فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف فحظي بها المهلب عند سلم وأخذ سلم من ذلك ما أعجبه وبعث به إلى يزيد. الكامل في التاريخ ٢/ ٥٨٤.

فتوحات **سلم بن زياد** أخو عبيد الله بن زياد في بلاد ماوراء النهر سنة ٥٧هـ

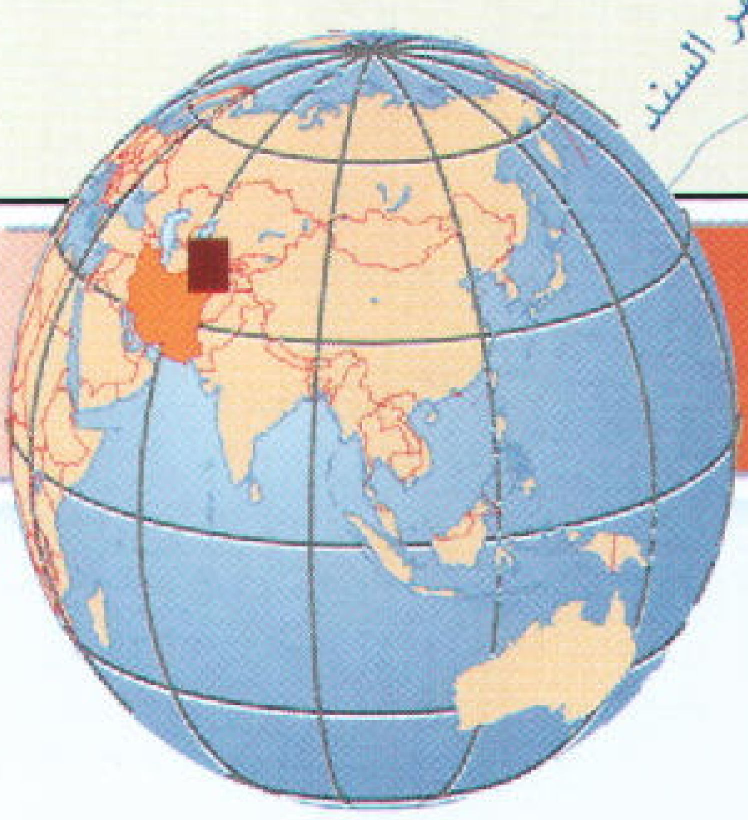

٢ - قال ابن الأثير: وغزا **سلم سمرقند** وعبرت معه النهر امرأته أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفية وهي أول امرأة من العرب قطع بها النهر فولدت له ابناً سماه صغدى واستعارت امرأته من امرأة صاحب الصغد حليها فلم تعده إليها وذهبت به. ووجه جيشاً إلى خجندة فيهم أعشى همدان فهزموا فقال أعشى:

ليت خيلي يوم الخجندة لم تهزم ... وغودرت في المكر سليبا
تحضر الطير مصرعي وتروحت ... إلى الله بالدماء خضيبا

الكامل في التاريخ ٢/ ٥٨٤.

فتوحات السند في عهد معاوية

٤ - تولّى عباد بن زياد بن أبي سفيان أمر سجستان فقاد حملة توغل فيها في منطقة حوض نهر السند فنزل كِش، ثم سار إلى قُنْدُهار: فقاتل أهلها فهزمهم، وفتحها بعد أن أصيب رجال من المسلمين، وكان آخر الولاة الذين تولوا أمر الفتوحات في هذا الجزء هو المنذر بن الجارود العبدي «أبو الأشعث» والذي وصل ثغر السند معيناً عليه من قبل عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان والي البصرة سنة ٦٢هـ، فقاد المنذر حملة ضد مدينة قُصدار، وتمكن من فتحها.

١ - قال ياقوت: غزا **المهلّب بن أبي صُفْرة** في سنة ٤٤ أيام معاوية ثغر السند فأتى بَنّة ولاهور، وهما بين المُلتان وكابُل، فلقيه العدوُّ فقتله المهلّب ومن معه، فقال بعض الأزديين:

ألم ترَ أنّ الأزدَ، ليلةَ بُيّتُوا ... بِبَنّة، كانوا خيرَ جيش المهلّب؟

٢ - في سنة ٤٥ هـ والي البصرة عبد الله بن عامر؛ يبعث **عبد الله بن سوّار العبيدي** إلى ثغر السند على رأس حملة قوامها أربعة آلاف رجل، ولما وصل ابن سوّار إلى مدينة مكران، بقي هناك أربعة أشهر يعدّ نفسه وجنده للحملة المرتقبة، ثم تقدم وجماعته نحو بلاد القيقان، وفتحها.

٣ - في سنة ٤٨هـ اختار زياد بن أبي سفيان **سنان بن سلمة بن المُحبّق الهذلي** ليكون والياً على الأقاليم المفتوحة من ثغر السند وما أن وصل سنان إلى هناك حتى تمكن من فتح مدينة مكران «عنوّة» ومصّرها وأقام بها وضبط البلاد.

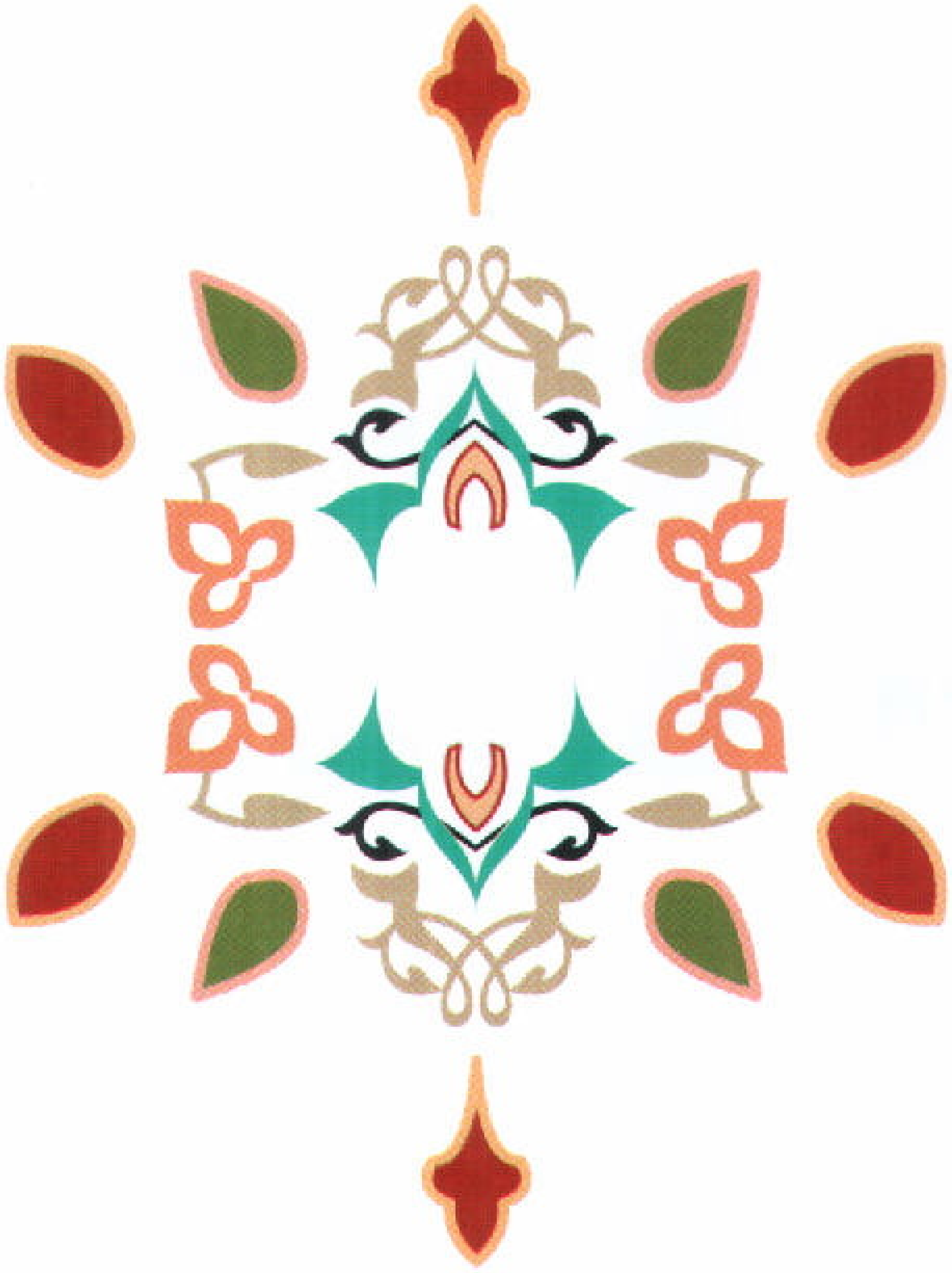

البيت السفياني

يزيد الأول بن معاوية

الفصل الثاني

٦٠ ـ ٦٤ هـ / ٦٨٠ ـ ٦٨٣م

هو **يزيد بن معاوية** بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي، يكنى « أبا خالد » ، وجدته من جهة أبيه: هند بنت عتبة بن ربيعة، أسلمت يوم الفتح، وكانت من أعقل النساء، حازمة شاعرة ذات نفس وأنفة، وأمه ميسون بنت بجدل الكلبية شاعرة من شاعرات العرب، وكانت امرأة لبيبة وأبوها من أشراف قبيلة كلب .

كانت ولادة يزيد بن معاوية في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه في سنة ٢٦ هـ ، وقيل: إن ولادته وولادة عبد الملك بن مروان في سنة واحدة سنة ٢٦ هـ ، وقد أرسله والده لأسباب؛ منها ما يتعلق بعدم رغبة زوجته ميسون في العيش في المدينة وعشقها لحياة البادية، ومنها ما يتعلق برغبة الخليفة معاوية في إكساب ابنه الفصاحة وليتعلم من أخلاق البادية والفروسية. وبعد عودة يزيد من عند أخواله؛ اعتنى والده بتربيته عناية فائقة، فخصص له معلماً ومؤدباً يدعى دغفل السدوسي الشيباني، إضافة إلى إشراف والده على تربيته فأثَّرت في طباعه تلك النشأة فتراه يتميز بالفصاحة والخطابة والكرم، والشجاعة، واستمر متعلقاً بالبادية، حتى إنها أثرت في لباسه وعدم التكلف في حياته.

ناقش د. عمر العقيلي الروايات المتعلقة بفكرة مبايعة يزيد، وخَلُص إلى أن فكرة ولاية العهد نابعة من الخليفة معاوية بن أبي سفيان نفسه، الذي كان حريصاً على إعداد ابنه من البداية لتحمُّل هذه المسؤولية.

أما موقف أهل الحل والعقد من مبايعة يزيد بولاية العهد؛ فكانت متباينة وتتركز في الغالب على الاعتراض على الطريقة؛ والمتمثلة في توريث الحكم وليس على يزيد وأهليّته لشغل منصب الخلافة. وقد حاول عدد من المؤرخين بقصد أو بغير قصد الخلطَ بين الحالتين، حتى تولدت قناعة لدى الكثيرين أن اعتراض كبار أبناء الصحابة كان على يزيد بن معاوية لعدم أهليّته. وهذا خلط غير صحيح، ويخالف رؤية المعارضين الذين نصحوا معاوية بترك الأمر شورى بين المسلمين والابتعاد عن فكرة توريث الحكم.

مسألة في يزيد

سُئل شيخ الإسلام « ابن تيمية » عن **يزيد** بن معاوية، فقال : افترق الناس في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان **ثلاث فرق** طرفان ووسط . **فأحد الطرفين قالوا** : إنه كان كافراً منافقاً، و إنه سعى في قتل سبط رسول الله تشفياً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، و انتقاماً منه، وأخذاً بثأر جده عتبة، و أخي جده شيبة، و خاله الوليد بن عتبة و غيرهم ممن قتلهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي بن أبي طالب و غيره يوم بدر و غيرها، و قالوا: تلك أحقاد بدرية و آثار جاهلية. و هذا القول سهل على الرافضة الذين يكفرون أبا بكر و عمر وعثمان ، فتكفير يزيد أسهل بكثير. **والطرف الثاني:** يظنون أنه كان رجلاً صاحاً و إماماً عادلاً، و إنه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم و حمله بيده و برّك عليه و ربما فضله بعضهم على أبي بكر و عمر، و ربما جعله بعضهم نبياً .. و هذا قول غالية العدوية و الأكراد – قلت: يعني « اليزيدية وأحياناً تسمى الأزيدية » – و نحوهم من الضُلاّل . **و القول الثالث :** إنه كان ملكاً من ملوك المسلمين له حسنات و سيئات و لم يولد إلا في خلافة عثمان و لم يكن كافراً و لكن جرى بسببه ما جرى من مصرع الحسين و فعل ما فعل بأهل الحرة، و لم يكن صحابياً ولا من أولياء الله الصالحين، و هذا قول عامة أهل العقل و العلم و السنة و الجماعة. ثم افترقوا ثلاث فرق، فرقة لعنته، و فرقة أحبته، و فرقة لا تسبه ولا تحبه و هذا هو المنصوص عن الإمام أحمد و عليه المقتصدون من أصحابه و غيرهم من جميع المسلمين . سؤال في يزيد (ص٢٦)

الأحداث السياسية الكبرى في عهد يزيد بن معاوية

١ واقعة كربلاء واستشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما سنة ٦١ هـ

٢ وقعة الحرَّة بالمدينة النبوية سنة ٦٣ هـ

٣ حركة عبد الله بن الزبير سنة ٦٤ هـ، وقيام الحجاج بن يوسف بضرب الحصار عليه في المسجد الحرام ووفاة يزيد بحوران أثناء الحصار.

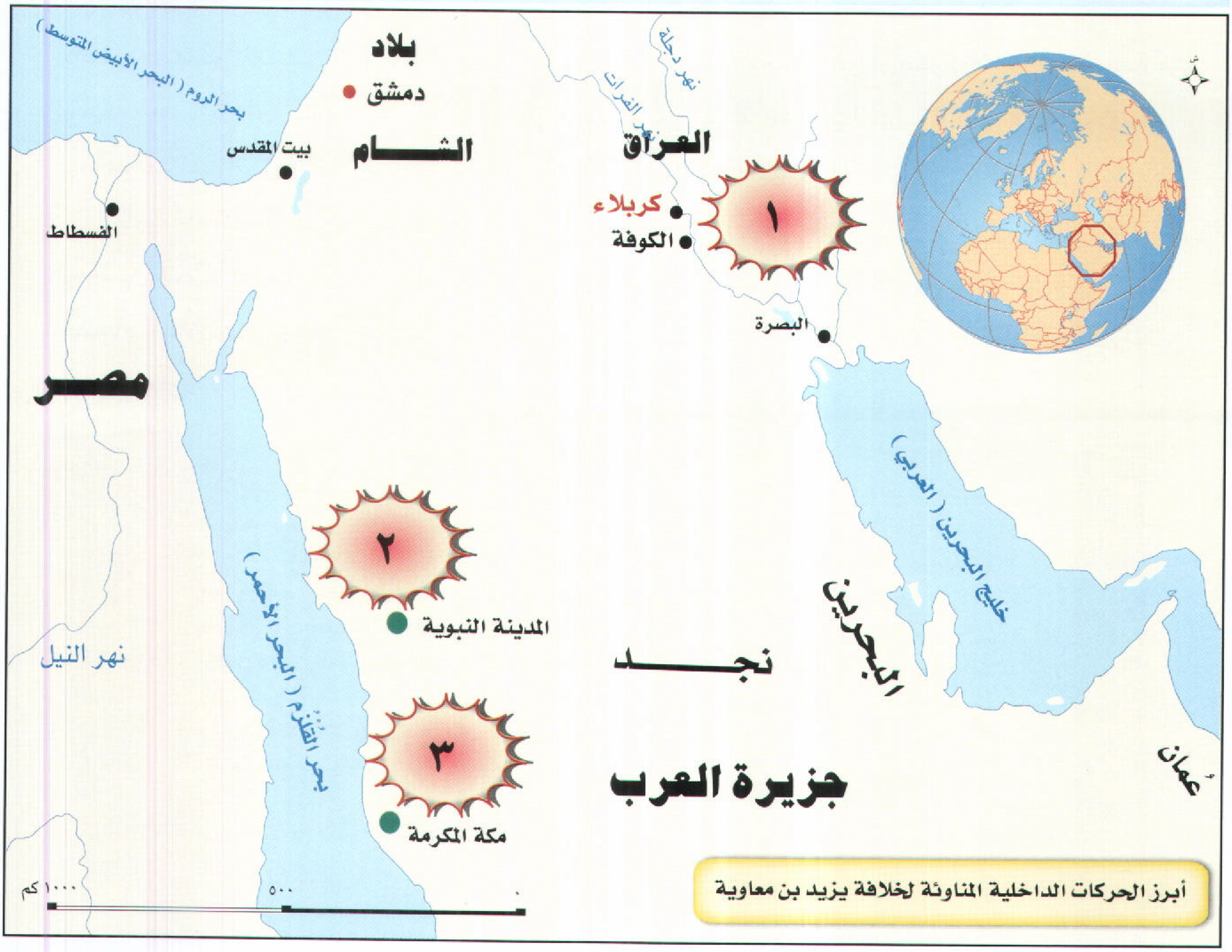

أبرز الحركات الداخلية المناوئة لخلافة يزيد بن معاوية

أولاً : وقعة كربلاء واستشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما سنة ٦١ هـ

موجز معركة كربلاء :

هي معركة وقعت في (العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ) بمدينة كربلاء بالعراق بين الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه و جيش يزيد بن معاوية، **وسببها :** أن يزيد لما ولي الخلافة رفض الحسين مبايعته وكان بالمدينة النبوية، فتركها ورحل إلى مكة، لكن شيعة الكوفة أرسلوا له كتباً يدعونه إلى الذهاب إليهم، فلما وصلت تلك الرسائل إلى الحسين بعث ابن عمه مسلم بن عقيل ليتبين حقيقة الأمر، فسار إلى الكوفة، والتف حوله كثير من الشيعة وبايعوه، فاغتر بما شاهده، وأرسل إلى الحسين يستحثه على القدوم. وفي تلك الأثناء تولى عبيد الله بن زياد إمارة الكوفة إلى جانب البصرة، فأخذ الشيعة بالشدة، فتفرقوا عن مسلم بن عقيل وانتهى الأمر بقتله. ولما استبطأ الحسين أخبار مسلم خرج إلى الكوفة على رأس ثمانين رجلاً، فلما دنا منها وعلم بقتل مسلم بن عقيل وخذلان أهلها له، همّ بالرجوع، لكن إخوة مسلم صمموا على الأخذ بثأر أخيهم أويُقتلون دونه، فنزل الحسين على رأيهم وسار حتى نزل **كربلاء**، وهناك التقى جيش عبيد الله بن زياد بالحسين بن علي رضي الله عنه، ونشب قتال بينهما انتهى باستشهاد الحسين وكثيرٍ من أهل بيته.

قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع:
كَرْبَلاَء : بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده باء معجمة بواحدة، ممدود: موضع بالعِرَاق من ناحية الكُوفة، مذكور في رسم العُذَيْب. وفي هذا الموضعِ قُتِلَ الحُسَيْن بن عليّ رضي الله عنهما، قال كُثَيِّر:

فسِبْطٌ سِبْطُ إيمَانٍ وَبِرٍّ　　وسِبْطٌ غَيّبَتْهُ كَرْبَلاَءُ

وهُنَاك **الطّفُ** أيضاً؛ قال ابن رُمّحٍ الخُزَاعيّ في مَقْتَل الحسين رضي الله عنه.

وإنّ قَتيلَ الطّفِّ من آلِ هاشِمٍ　　أَذَلّ رِقَابَ المسلمين فذَلّت

كربــــــلاء

كَرْبَلاءُ : بالمدّ: وهو الموضع الذي قُتل فيه **الحسين بن عليّ**، رضي الله عنه، في طرف البرّية عند الكوفة، فأما اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدميْن، يقال: جاء يمشي مُكَرْبِلاً، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رَخْوة فسميّت بذلك؛ ويقال: كَرْبَلْتُ الحنطة إذا هَذّبْتها ونقيتها؛ وينشد في صفة الحنطة:

يحمل حمراء رسوباً للثقلْ　　قد غُرْبِلَت وكُرْبِلَت من القَصَلْ.

فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض مُنْقاة من الحصى والدّغَل فسميّت بذلك، والكَرْبَل: اسم نبت الحُمّاض؛ وقال أبو وَجْرَة يصف عُهُونَ الهَوْدَج:

وثامرُ كربل وعميم دِفْلَى　　عليها والندى سبط يمور

فيجوز أن يكون هذا الصنف من النبت يكثر نبتُه هناك فسُمِّي به، وقد روي أن **الحسين**، رضي الله عنه، لما انتهى إلى هذه الأرض قال لبعض أصحابه: ما تسمّى هذه القرية؟ وأشار إلى العَقْر، فقال له: اسمها العقر، فقال الحسين: نَعُوذ بالله من العَقْر! ثم قال: فما اسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا: كَرْبَلاء، فقال: أرضُ كَرْب وبلاء! وأراد الخروج منها فمنع كما هو مذكور في مقتله حتى كان منه ما كان؛ ورَثَتْه زوجتُه عاتكة بنت زيد ابن عمرو بن نفيل فقالت:

واحُسينا! فلا نسيتُ حُسيناً　　أقْصَدَتْهُ أسِنّةُ الأعداءِ

غادروه بكربلاءَ صَريعاً،　　لا سَقَى الغيثُ بعده كربلاءِ

ونزل خالد عند فتحه الحيرة كربلاء فشكا إليه عبد الله ابن وثيمة البصري الذُّبّانَ فقال رجل من أشجع في ذلك:

لقد حُبِسَتْ في كربلاء مطيّتي　　وفي العَين حتى عاد غَثّاً سمينُها

إذا رحلَتْ من منزل رجعَتْ له،　　لعَمْري وأيْها إنني لأهِينُها

ويمنَعها من ماء كلّ شريعة　　رَفاقٌ من الذُّبّانِ زُرْقٌ عيونُها

الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٥ .

اعتصام الحسين بمكة المكرمة

كان إصرار يزيد على طلب البيعة من الحسين وابن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ هو الشرارة الأولى في الفتنة التي اندلعت بين المسلمين فقد شعر كل منهما بأنه مطلوب، وأنه إذا لم يبايع فسيكون ضحية لسياسة يزيد، وأن سيوف أعوان الخليفة الجديد أصبحت مسلولة عليهم، فعادا إلى البيت الحرام، ولجأ إلى مكة المكرمة يطلبان فيها الأمان، ويحتميان بحمى الله فيها، حيث كان إصرار يزيد موحياً بعدم تأمين الحياة لهما، وبأن بقاءهما في عهد يزيد محفوف بالمخاطر، وذلك أدى بهما إلى أن يبحثا عن الأمان، ولم يجداه إلا في تجييش أنصارهما، وحشدهم في مكان يصعب على يزيد وأعوانه أن يقتحموه وكان ذلك في **مكة المكرمة**، بجوار بيت الله الحرام الذي قال فيه: ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾ (آل عمران، الآية: ٩٧). ولم يكن لهذا التجمع وذلك الحشد نتيجة سوى المواجهة التي أودت بحياة المئات من المسلمين، وكان على رأس هؤلاء جميعاً الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ حيث قُتِل في كربلاء ـ شهيداً ـ على يد فئة ظالمة من جيش عبيد الله بن زياد.

اعتصام الحسين بن علي رضي الله عنهما بمكة المكرمة

طريق الحسين بن علي إلى كربلاء

يبدأ هذا الطريق من مكة الكرمة وينتهي بمدينة كربلاء حيث يبلغ طول هذا الطريق قرابة ١٥٠٠كم تقريباً، والطريق المذكور في هذه الخارطة هو الطريق التجاري بين الجزيرة وبلاد الرافدين قديماً حينما كانت عاصمتها الحيرة « الكوفة »، حيث يمر عادة هذا الطريق على بعض البرك والحواجز المائية، ولاسيما أن صحراء النفود في شمالي الجزيرة تشكل عقبة كأداء في مسالك التجار والحجاج، لذلك عرف هذا الطريق منذ القدم؛ الأمر الذي رأت معه زبيدة بنت جعفر زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد أن تنشئ عليه البرك والآبار والسدود، كما هو موضح في الصور المرفقة .

كتب عبد الله بن جعفر إلى الحسين مع ابنه عون ومحمد، أما بعد: فإني أسائلك بالله لما انصرفت حتى تنظر في كتابي هذا فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك إن هلكت اليوم، طفيء نور الإسلام فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فإني في إثر كتابي والسلام . ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية ج٨/ص١٦٧

كاتب أهل الكوفة الحسين بن علي رضي الله عنهما ليحضر إليهم ليبايعوه بالخلافة، وبالفعل أرسل إليهم **مسلم ابن عقيل** بن أبي طالب الذي توجه إليهم فبايعه أكثر من اثني عشر ألفاً وقيل ثمانية عشر ألفاً، وشاع الخبر، وعُزل النعمان بن بشير عن الكوفة وأسند أمرها إلى والي البصرة عبيد الله بن زياد، **وكتب عقيل إلى الحسين يدعوه إلى المجيء إلى الكوفة** على الرغم من تحذير الكثير من الصحابة له من غدر أهل الكوفة، وكان خروج مسلم في الكوفة يوم ٦ ذي الحجة وقد انفرط الجمع الذي كان حول مسلم، حيث تمكن ابن زياد من قتله، وبعد أن **خرج الحسين** قام ابن زياد الذي وصل إلى الكوفة ثم سيطر عليها، ثم ما لبث أن وجّه قوة بقيادة عمر بن سعد لمنع اقتراب **الحسين** من الكوفة. كما سيرد تفصيل ذلك في الصفحات القادمة من هذا **الأطلس** إن شاء الله تعالى.

خـرج **مسلم بن عقيل** على **عبيد الله بن زياد** وحاصر قصره بأربعـة آلاف من مؤيديه، وذلك في الظهيرة. فقام فيهم عبيد الله ابـن زيـاد وخوفهـم بجيش الشـام، ورغبهـم ورهبهـم فصـاروا ينصرفـون عنـه حتى لم يبق معه إلا ثلاثون رجـلاً فقط. وما غابت الشمـس إلا ومسلم بـن عقيل وحده ليس معه أحـد. **فقبض عليه وأمـر عبيـد الله بـن زيـاد بقتله** فطلـب منه مسلـم أن يرسل رسالـة إلى الحسين فـأذن له عبيد الله، وهذا نص رسالته : ارجع بأهلـك ولا يغرنّك أهل الكوفة فإن أهـل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأي.

وصول ابن زياد إلى الكوفة قادماً من البصرة

لمـا وصل مسلـم إلى الكوفة تيقن أن النـاس يريدون الحسين، فبايعـه الناس على بيعة الحسين وذلك فـي دار هانئ بن عروة، ولـما بلغ الأمر **يزيد بن معاوية** في الشـام أرسل إلى عبيد الله ابن زياد والي البصرة ليعالج هذه القضية، ويمنع أهل الكوفة من الخـروج عليه مـع الحسين ولم يأمره بقتـل الحسين، فدخل عبيد الله بـن زياد إلى الكوفة، وأخـذ يتحرى الأمر ويسأل حتى علم أن دار هانئ بن عروة هي مقر مسلم بن عقيل وفيها تتم المبايعة.

وصول مسلم بن عقيل إلى الكوفة وغدر أهل الكوفة به

الكوفة : مدينة عراقية عريقة على مقربة من مدينة الحيرة المعروفة، بنيت بعد البصرة بعد الفتح الإسلامي للعراق عام ١٦ هـ/ ٦٣٧ م، ويرجع الفضل في بنائها للصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

وكان بداية بنائها عام ١٧ هـ/ ٦٣٨ م، بعد معركة القادسية زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالقرب من مدينة الحيرة « حاضرة المناذرة ». وسكنها أربعون ألفاً من العرب في بيوت شيدت من الطوب اللبن، وبُني فيها **مسجد جامع** كان موقعه في وسط المدينة. وفي منتصف القرن الهجري الأول تمتعت الكوفة بالازدهار التجاري لموقعها الممتاز بين الهند والشام وإفريقيا وآسيا الصغرى والحجاز. وكانت المدينة هي المدينة التي اختارها علي بن أبي طالب رضي الله عنه لتكون مقراً لخلافته التي بدأت عام ٣٥ هـ/ ٦٥٦ م، وانتهت بعد خمسة أعوام بمقتله فيها. وقد ازدهرت الكوفة في أيام الحكم الأموي. وقد دمجت المدينتان عام ٦٩١م على أيام عبد الملك ابن مروان. وكانت تسمى قديماً بـ (كوفان) .

ووقعت فيها حادثة مقتل مسلم بن عقيل و حادثة كربلاء بالقرب منها والجيش الذي خرج لقتال الحسين كان يتألف بشكل أساسي من أهاليها، كما وقعت فيها أيضاً ثورات العلويين في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة كثورة ابن طباطبا العلوي، وخروج أبي السرايا في زمن المأمون، وثورة القرامطة.

صحن جامع الكوفة القديم بعد ترميمه

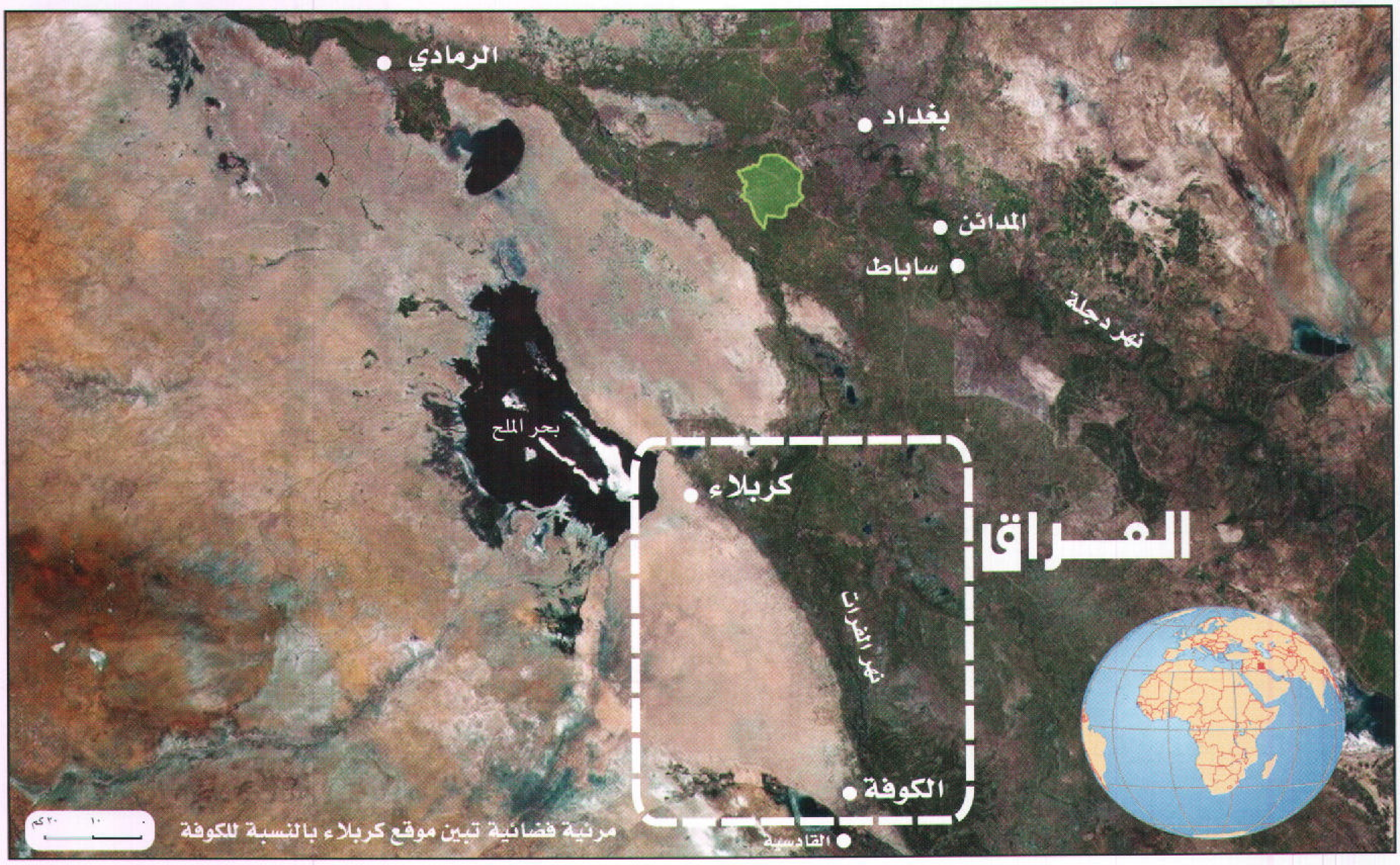

مرئية فضائية تبين موقع كربلاء بالنسبة للكوفة

مواصلة الحسين طريقه إلى كربلاء

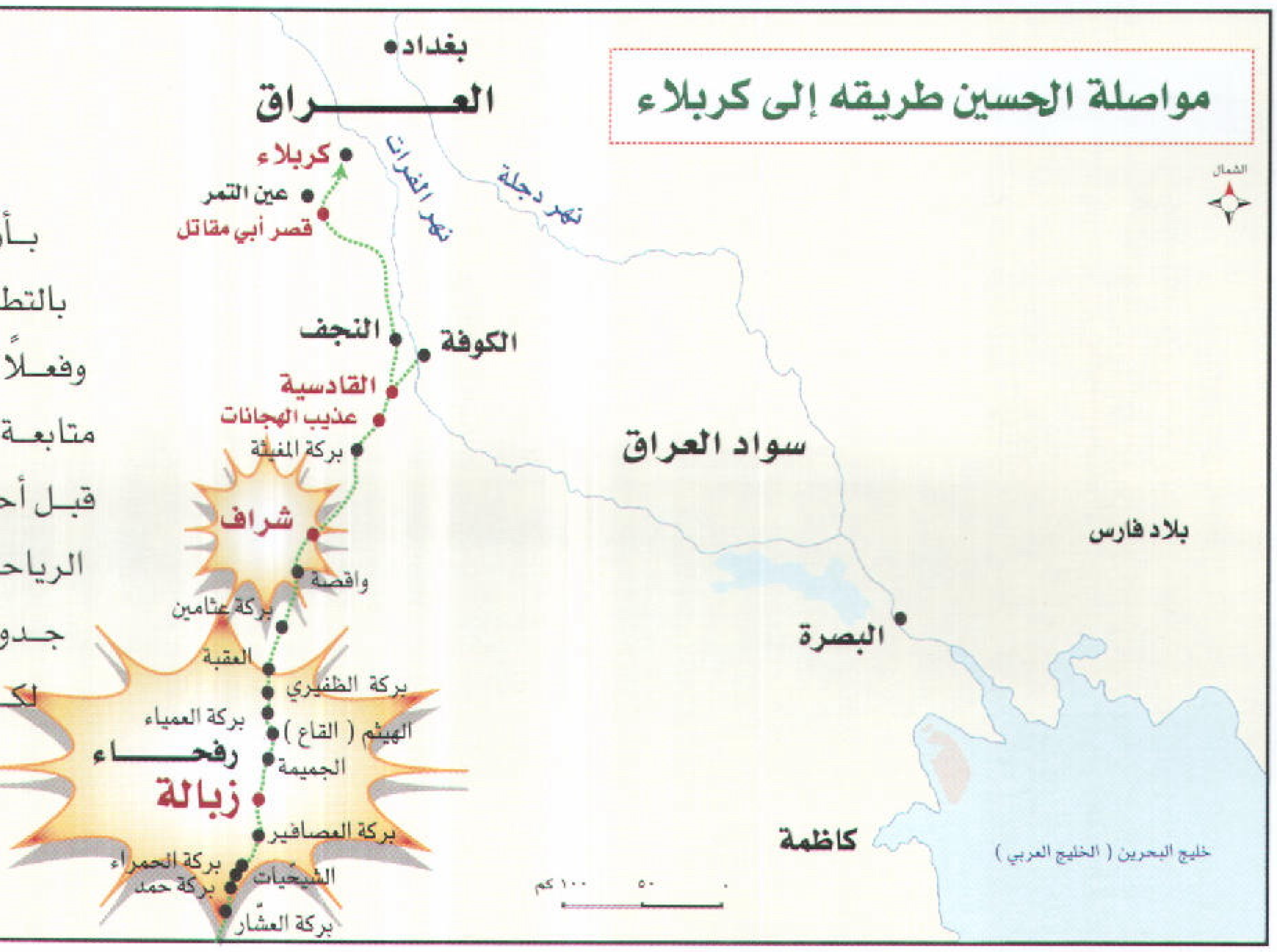

على الرغم من أن مسلم بن عقيل استطاع أن يقنع محمد بن الأشعث بأن يرسل رسولاً يخبر الحسين بن علي بالتطورات السلبية وينصحه بالعودة إلى مكة. وفعلاً تلقى الحسين الرسالة في **زبالة** إلا أنه آثر متابعة طريقه، كما تلقى نصيحة أخرى في **شراف** من قبل أحد قادة عبيد الله بن زياد وهو الحر بن يزيد الرياحي. لذلك أخذ الحسين رضي الله عنه بعدم جدوى متابعة طريقه إلى الكوفة، فهمّ أن يرجع، لكن إخوة مسلم بن عقيل أبوا عليه ذلك حتى يصيبوا ثأرهم، فنزل على رأيهم، وتوجه لملاقاة جيش عبيد الله ابن زياد .

على اليمين صورة بقايا قصر زبالة الأثري وفي الصورة الثانية بركة زبالة الأثرية. م، ص ، صقر - مكشات

الحسين بن علي رضي الله عنهما يعطي الأذن لأصحابه بالانصراف:

لما بلغ **الحسين بن علي** رضي الله عنهما مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وتخاذل الناس عنه، أعلم الحسين من معه بذلك، وقال: من أحب أن ينصرف فلينصرف فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً ، وقال له بعض من ثبتوا معه: ننشدك الله إلا ما رجعت من مكانك، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف أن يكونوا عليك. فوثب بنو عقيل إخوة مسلم. وقالوا: والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم .

وصول الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى كربلاء

جاء الحسين رضي الله عنه خبر استشهاد مسلم ابن عقيل عن طريق الذي أرسله مسلم، فانطلق الحسين يسير نحو طريق الشام نحو يزيد، فلقيته الخيول **بكربلاء** بقيادة عمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وحصين بن تميم، فنزل يناشدهم الله والإسلام أن يختاروا **إحدى ثلاث :**

١ - أن يسيّروه إلى أمير المؤمنين (يزيد) فيضع يده في يده (لأنه يعلم أنه لا يحب قتله).

٢ - أو أن ينصرف من حيث جاء (إلى المدينة).

٣ - أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله.

(رواه ابن جرير من طريق حسن) . فقالوا: لا، إلا على حكم عبيد الله بن زياد. فلما سمع الحر بن يزيد ذلك (وهو أحد قادة ابن زياد) قال : ألا تقبلوا من هؤلاء ما يعرضون عليكم ؟ والله لو سألكم هذا الترك والديلم ما حلَّ لكم أن تردوه. فأبوا إلا على حكم ابن زياد. فصرف الحر وجه فرسه، وانطلق إلى الحسين وأصحابه، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم، فلما دنا منهم قلب ترسه وسلّم عليهم، ثم كرّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم، فقتل منهم رجلين ثم قُتل رحمة الله عليه (ابن جرير بسند حسن).

استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما وفاجعة الأمة

في صباح يوم الجمعة عام ٦١هـ نظم **الحسين** رضي الله عنه أصحابه وعزم على القتال وكان معه اثنان وثلاثـون فارسـاً، وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنته وحبيـب بن مظاهر في الميسرة، وأعطى رايتـه العباسـن بن علي، وجعل البيوت وراء ظهورهم، وأمر الحسين بحطـب وقصب فجعله من وراء البيوت، وأشعل فيه النار مخافة أن يأتوهم من خلفهم. وأما **عمر بن سعد** فقد نظم جيشه، وجعل على الميمنة عمرو ابـن الحجـاج الزبيـدي. بدلاً من الحر بن يزيد الـذي انضم إلى الحسين. وجعل علـى الميسرة شمر بن ذي الجوشن. وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجال شبث بن ربعي الرياحي، وأعطى الراية ذويداً مولاه.

وبـدأت المعركـة سريعة وكانت مبارزة في بداية الأمر، وجوبه جيش عمر بن سعد بمقاومة شديدة من قبل أصحاب الحسين، حيث إن مقاتلتهم اتسمت بالفدائية فلم يعد لهم أمل في الحياة، وكان الحسين رضي الله عنـه في البداية لم يشترك في القتـال، وكان أصحابه يدافعون عنه ولما قتل أصحابه لم يجرؤ أحد على قتلـه، وكان جيشـن عمر بن سعد يتدافعـون ويخشى كل فرد أن يبوء بقتله وتمنـوا أن يستسلم، ولكن الحسين رضـي الله عنـه لم يبد شيئاً من الليونة، بل كان رضي الله عنه يقاتلهم بشجاعة نادرة، وبسالة قوية، عندئذ خشـى شمربـن ذي الجوشن من انفلات زمام الأمـور فصاح بالجند وأمرهم بقتلـه، فحملوا عليه، وضربه زرعـة بن شريك التميمي ثم طعنه سنان بن أنـس النخعي واحتز رأسه، ويقال: إن الذي قتله عمرو بن بطار التغلبي، وزيد ابن رقادة الحيني، ويقال: إن المتولي للإجهاز عليه شمر بن ذي الجوشن الضبي، وحمل رأسه إلى ابـن زيـاد خولي ابن يزيـد الأصبحي، وكان قتله رضي الله عنه في محرم فـي العاشر منه سنة ٦١ هـ. وقتـل مـع الحسين رضي الله عنه اثنان وسبعون رجلاً، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمان وثمانون رجلاً، وبعد انتهاء المعركة أمر عمر بن سعد بأن لا يدخل أحد على نساء الحسين وصبيانه، وأن لا يتعرض لهم أحد بسوء، وأرسل عمر بن سعد برأس الحسين ونساءه ومن كان معه من الصبيان إلى ابن زياد[١].

وكان الذين قتلوا مع الحسين رضي الله عنه من آل أبي طالب، فمن أولاد علي بن أبي طالب الحسين نفسه، وجعفـر والعبـاس وأبو بكر ومحمد وعثمان، ومن أولاد الحسين: علـي الأكبر غير عليّ زين العابدين لأنه كان عنده علي الأصغر وعلي الأكبر وعبد الله. ومن أبناء أبناء الحسن قتل عبد الله والقاسم وأبو بكر. ومن أولاد عقيل قتل جعفر وعبد الله، وعبد الرحمن، ومسلم بن عقيل قتل بالكوفة، وعبد الله بن مسلم. ومن أولاد

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٤٧١ - ٤٧٢.

عبد الله بن جعفر: قتل عون ومحمد ، ثمانية عشر رجلاً كلهم من بيت رسول الله قد قتلوا في هذه المعركة غير المتكافئة، والعجيب في هذه أن ممن قتل بين يدي الحسين بن علي رضي الله عنهما أبو بكر بن علي وعثمان بن علي وأبو بكر بن الحسن ولا تجد لهم ذكراً عندما تسمع أشرطة الشيعة وتقرأ كتبهم التي ألفت في مقتل الحسين، حتى لا يقال إن علي بن أبي طالب سمّى أولاده بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان، أو أن الحسن سمى على اسم أبي بكر وهذا أمر عجيب جداً منهم[١].

وعن أنس قال: ولما أُتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكث بالقضيب ثناياه يقول: لقد كان. أحسبه جميلاً. فقلت: والله لأسوءنّك إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثم حيث يقع قضيبك. قال: فانقبض. وفي رواية البخاري عن أنس قال: أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعله في طست، فجعل ينكث عليه وقال في حسنه شيئاً فقال أنس: إنه كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مخضوباً بالوسمة. ولما وصل نساء الحسين وصبيانه صنع بهم ابن زياد أن أمر لهم بمنزل في مكان معتزل فأجرى عليهم الرزق، وأمر لهن بالكسوة والنفقة. وتذكر بعض الروايات التي لها ميول شيعية أن ابن زياد أمر بقتل كل من أنبت، ولعل مما يظهر كذب هذه الروايات حينما تذكر أن علي بن الحسين كشفوا عنه فوجوده قد أنبت، فأمر ابن زياد بقتله ولكن شفاعة أخته زينب وتعلقها به حالت دون قتله، وليس هذا صحيحاً، كذلك أن ابن زياد قد أساء معاملة نساء الحسين بعد قتله، أو في ترحيله لهن إلى الشام، فالروايات التاريخية تخبرنا أن أحسن شيء صنعه ابن زياد أنه أمر لهن بمنزل في مكان معتزل، وأجرى عليهن رزقاً، وأمر لهن بنفقة وكسوة[٢].

يقول ابن تيمية في رده على بعض مزوري التاريخ من أهل الأهواء والباطل: وأما ما ذكره من سبي نسائه والدوران بهن على البلدان وحملهن على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب، وباطل، وماسبى المسلمون ـ ولله الحمد ـ هاشمية قط، ولا استحلت أمة محمد صلى الله عليه وسلم هاشمية قط، ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيراً[٣].

١ – د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٤٧٢ .

٢ – د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٤٧٢ – ٤٧٣ .

٣ – منهاج السنة (٢٤٩/٢).

موقف يزيد من مقتل الحسين وذريته

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " إن يزيد بن معاوية لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل ، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق، ولما بلغ يزيد قتل الحسين أظهر التوجع على ذلك، وظهر البكاء في داره ولم يسب لهم حريماً بل أكرم بيته وأجازهم حتى ردهم إلى بلادهم، وأما الروايات التي تقول إنه أهين نساء آل بيت رسول الله، وأنهن أخذن إلى الشام مسبيات وأُهِنّ هناك فهذا كلام باطل ... ولم تسب هاشمية قط." وقال ابن كثير في تاريخه: (والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يُقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه، وكما صرح هو به مخبراً عن نفسه بذلك).

!!!!!!!!!

يذكر المؤرخ الشيعي اليعقوبي في تاريخه أنه: « لما دخل علي بن الحسين الكوفة رأى نساءها يبكين ويصرخن فقال: " هؤلاء يبكين علينا فمن قتلنا ؟ " أي من قتلنا غيرهم » . تاريخ اليعقوبي ١:٢٣٥ .

تذكر رواية عوانة بن الحكم أن محفز بن ثعلبة هو الذي قدم بأبناء الحسين على يزيد، ولما دخل أبناء الحسين على يزيد قالت: فاطمة بنت الحسين: يا يزيد: أبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا قال: بل حرائر كرام: أدخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلت. قالت فاطمة: فدخلت إليهن فما وجدت فيهن سفيانية إلا ملتزمة تبكي. تاريخ الطبري (٦/٣٩٤)

أمر يزيد بأن يرافق ذرية الحسين وفد من موالي بني سفيان ، وكان عددهم ثلاثين فارساً، وأمر المصاحبين لهم أن ينزلوا حيث شاءوا ومتى شاءوا وبعث معهم أيضاً محرز بن حريث الكلبي ورجلاً من بهراء، وكانا من أفاضل أهل الشام وخرج آل الحسين من دمشق محفوفين بأسباب الاحترام والتقدير حتى وصلوا إلى المدينة . قال ابن كثير في يزيد: وأكرم آل بيت الحسين ورد عليهم جميع ما فقد لهم وأضعفه، وردهم إلى المدينة في محامل وأبهة عظيمة، وقد ناح أهله على الحسين .

عودة بيت الحسين بن علي رضي الله عنهم إلى المدينة

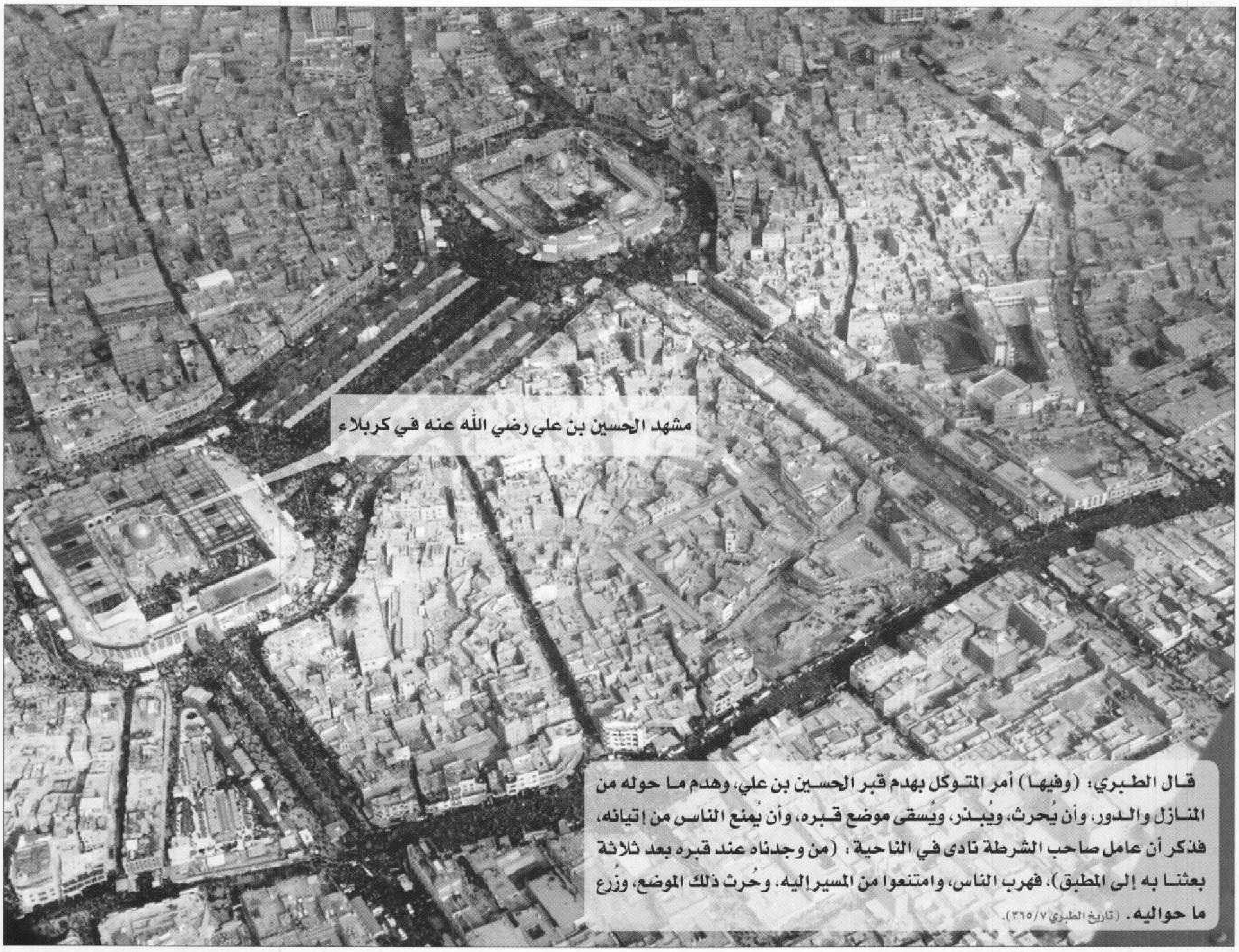

قال الطبري: (وفيها) أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يُحرث، ويُبذر، ويُسقى موضع قبره، وأن يُمنع الناس من إتيانه، فذكر أن عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية: (من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق). فهرب الناس، وامتنعوا من المسير إليه، وحُرث ذلك الموضع، وزُرع ما حواليه. (تاريخ الطبري ٧/٣٦٥).

اختلف الناس في قبر الحسين رضي الله عنه ، فقيل : إنه دفن في الشام ، وقيل : في العراق ، والله أعلم بالواقع . أما رأسه فاختلف فيه ؛ فقيل : في الشام ، وقيل في العراق ، وقيل : في مصر ، والصواب أن الذي في مصر ليس قبراً له ، بل هو غلط وليس به رأس الحسين ، وقد ألف في ذلك بعض أهل العلم ، وبينوا أنه لا أصل لوجود رأسه في مصر ولا وجه لذلك ، وإنما الأغلب أنه في الشام ؛ لأنه نقل إلى يزيد بن معاوية وهو في الشام، فلا وجه للقول بأنه نقل إلى مصر ، فهو إما حفظ في الشام في مخازن الشام، وإما أعيد إلى جسده في العراق .

وبكل حال فليس للناس حاجة في أن يعرفوا أين دفن؟ وأين كان؟ ، **وإنما المشروع الدعاء له بالمغفرة والرحمة** ، غفر الله له ورضي عنه ، فقد **قتل مظلوماً** فيدعى له بالمغفرة والرحمة ، ويرجى له خير كثير ، **وهو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة** ، كما قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، رضي الله عنهما وأرضاهما ، ومن عرف قبره وسلم عليه ودعا له فلا بأس، كما تزار القبور الأخرى ، من غير غلو فيه ولا عبادة له ، ولا يجوز أن تطلب منه الشفاعة ولا غيرها كسائر الأموات ؛ لأن الميت لا يطلب منه شيء وإنما يدعى له ويترحم عليه إذا كان مسلماً، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة) ، فمن زار قبر الحسين أو الحسن أو غيرهما من المسلمين للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم كما يفعل مع بقية قبور المسلمين - فهذا سنة ، أما زيارة القبور لدعاء أهلها أو الاستعانة بهم أو طلبهم الشفاعة - فهذا من المنكرات ، بل من الشرك الأكبر ، **ولا يجوز أن يبنى عليها مسجد ولا قبة ولا غيرذلك**؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) متفق على صحته ، ولما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أنه نهى عن تجصيص القبور وعن القعود عليها وعن البناء عليها) ، فلا يجوز أن يجصص القبر أو يطيب أو توضع عليه الستور أو يبنى عليه، فكل هذا ممنوع ومن وسائل الشرك ، ولا يصلى عنده لقول النبي عليه الصلاة والسلام : (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك) أخرجه مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

وهذا الحديث يدل على أنه لا تجوز الصلاة عند القبور ولا اتخاذها مساجد؛ ولأن ذلك وسيلة للشرك وأن يعبدوا من دون الله بدعائهم والاستغاثة بهم والنذر لهم والتمسح بقبورهم طلباً لبركتهم ، فلهذا حذر النبي عليه الصلاة والسلام من ذلك ، وإنما تزار القبور زيارة شرعية فقط ، للسلام عليهم والدعاء لهم والترحم عليهم **من دون شد رحل لذلك** . والله هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ **عبد العزيز بن باز** - رحمه الله - ٣٦٦/٦ .

ثانياً : وقعة الحرَّة سنة ٦٣ هـ

حدثـت سنة (٦٣ هـ = ٦٨٢ م)، بـين جيش يزيد بن معاوية وأهل المدينـة. **وسببها** أن أهـل المدينة النبوية لما خلعوا يزيد بن معاوية وولـوا على قريش عبد الله بن مطيع، وعلـى الأنصار عبد الله بن حنظلـة بن أبي عامـر وسجنوا من بالمدينة من بنـي أمية وطردوا عامـل يزيـد - بعث إليهـم يزيد ليعـودوا إلى الطاعـة دون قتال، فامتنعـوا؛ فأرسـل إليهـم جيشاً عدتـه (١٢) ألف مقاتـل بقيادة مسلـم بن عقبة المُرّي، وقال له يزيد: ادعهم إلى البيعة ثلاثة أيام دون حرب، ولاتقاتلهم إلا بعد انتهاء المدة. ففعل مسلم، ولكن أهل المدينة امتنعوا عن البيعة؛ فحاصر مسلم المدينة من ناحية الحرَّة ولما فتحها دعا الناجين إلى بيعة يزيد، فبايع الناس ومن أبى قتل.

وصية يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة المُرّي :

قـال يزيـد: « ادع القوم ثلاثاً، فإن رجعـوا إلى الطاعة، فاقبل وكف عنهم، وإلا فاستعن بـالله وقاتلهـم، ... ثـم أكفف عن الناس، وانظـر إلى **علي ابن الحسين** فاكفف عنه، واستوصـي بـه خيراً، وأدن مجلسه فإنه لم يدخل فـي شيء مما دخلوا فيه » وأمر مسلماً إذا فـرغ مـن المدينة أن يذهب لحصار ابن الزبير، وقال له إن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن نمير السكوني .

حرة واقم (الحرَّة الشرقية) بالمدينة النبوية.

حَرَّةُ واقِمٍ

حَـرَّةُ واقم: إحـدى حرَّتَي المدينة، وهـي الشرقية، سميت برجـل مـن العماليق اسمه واقـم، وكان قد نزلها في الدهر الأول، وقيـل: واقـم اسم أُطُـم من آطام المدينـة إليه تضاف الحرة، وهو من قولهم: وَقَمْتُ الرجل عن حاجته إذا رددته، فأنا واقِمٌ؛ وقال المَرّار:

بحرَّة وا قم، والعيسُ صُعْر ... ترى لِلُحَى جماجمها تبيعا

وفي هذه الحرَّة كانت وقعة الحرَّة المشهورة في أيام يزيد بن معاويـة فـي سنة ٦٣ وأمـير الجيش من قبل يزيـد مسلم بن عقبة المُرّي، وسموه لقبيـح صنيعه مسرفاً، قدم المدينة فنزل حرَّة واقـم وخرج إليه أهل المدينـة يحاربونه، فكسرهم وقتل مـن المـوالي ثلاثة آلاف وخمسمائـة رجل ومن الأنصـار ألفاً وأربعمائـة، وقيل ألفاً وسبعمائـة، ومن قريش ألفاً وثلاثمائة، ودخـل جنده المدينـة فنهبوا الأمـوال ... ثم أحضَـرَ الأعيان لمبايعـة يزيد بـن معاوية فلم يرض إلا أن يبايعـوه على أنهم عبيـد يزيد بن معاويـة، فمن تلكأ أمر بضـرب عنقه، وجاؤوا بعليّ بن عبـد الله بن العباس، فقال الحصين بـن نمير: يا معاشـر اليمن عليكم ابن أختكم، فقام معه أربعة آلاف رجل، فقال لهم مسـرف: أخلعتم أيديكم من الطاعـة؟ فقالوا: أما فيـه فنعم، فبايعه عليٌّ على أنه ابن عـمّ يزيد بن معاوية، ثم انصرف نحو مكـة وهو مريض مُدنف فمات بعد أيام وأوصى إلى الحصـين بن نمـير، وفي قصة الحرة طـول، وكانت بعد قتـل الحسين، رضـي الله عنه، ورمـي الكعبـة بالمنجنيق من أشنـع شـيء جـرى فـي أيـام يزيد؛ وقـال محمد بـن بحرة الساعدي:

فإن تقتلونا يوم حرَّة واقم، ... فنحن على الإسلام أول من قَتَلْ

ونحن تركناكم ببدر أذلّةً، ... وأُبنا بأسياف لنا منكم نَفَلْ

فإن ينج منكم عائذ البيت سالماً، ... فما نالنا منكم، وإن شفّنا، جَلَلْ ... .

الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٩ .

معركة الحرَّة سنة ٦٣ هـ

١ - والي (عامل) المدينة الجديد عثمان بن محمد بن أبي سفيان؛ يرسل وفداً من أهل المدينة إلى دمشق لإثبات ولاءهم ليزيد برئاسة عبد الله بن حنظلة الغسيل، وقد استقبلهم يزيد استقبالاً لائقاً .

٢ - رجوع الوفد إلى المدينة وهو غير راض عن يزيد وسياسته، مما حدا بأهل المدينة إخراج عامل يزيد عثمان ومن ثم تطلعهم إلى مبايعة عبد الله بن الزبير.

٣ - على الرغم من أخطاء يزيد الجسيمة إلا أن علماء المدينة اعترضوا على الخروج عليه **لأمرين:**

أ - أن ذلك نقضاً للبيعة فعن ثابتٍ عن أنسٍ. عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لكل غادرٍ لواءٌ يومَ القيامة، قال أحدُهما يُنصَبُ وقال الآخر: يُرَى. يومَ القيامةِ يُعرَفُ به». صحيح البخاري، أما خروج الحسين رضي الله عنه على يزيد؛ لأن الحسين لم يبايع يزيد بن معاوية في الأصل .

ب - تعظيم حرمة دماء المسلمين وحرمة الاقتتال بينهم، ويزداد ذلك حينما يكون الاقتتال في المدينتين المقدستين (مكة والمدينة) .

٤ - علم يزيد بمحاصرة أهل المدينة لبني أمية في دار مروان بن الحكم، بل وقيام مجموعة كبيرة من أهل المدينة بخلع البيعة عنه ومبايعة عبد الله بن حنظلة الغسيل، فقام بإرسال النعمان بن بشير الأنصاري إلى المدينة ليدعو الناس إلى العودة إلى حظيرة الدولة، ولزوم الجماعة، إلا أنه فشل في ذلك .

٥ - قرر يزيد إرسال جيشاً بقيادة **مسلم بن عقبة المري الغطفاني** لتأديب الخارجين على بيعته من أهل المدينة، حيث جعل مسلم على أهل **دمشق** عبد الله بن مسعدة الفزاري، وعلى أهل **حمص** حصين بن نمير السكوني، وعلى أهل **الأردن** حبيس بن دلجة القيني، وعلى أهل **فلسطين** روح بن زنباع الجذامي، وشريك الكناني، وعلى أهل **قنسرين** طريف بن الحسحاس الهلالي، وسار مسلم إلى المدينة فوجد بني أمية وقد أخرجوا منها، وساروا في اتجاه الشام، فاستوقفهم وسألهم عن الوضع في المدينة، فلم ينطقوا بجواب، وكان أهل المدينة، قد أطلقوا حصارهم بعد أن أخذوا عليهم العهود والمواثيق ألاّ يدلوا على عورة ولا يعاونوا عدواً، وطلب مسلم منهم أن يدلوه على ما ورائهم فلم يستجيبوا، فغضب مسلم منهم غضباً شديداً، فلم يبرد غضبه إلا عبد الملك بن مروان الذي دلّه على الخطة التي يجب اتباعها في حرب المدينة، فأشار إليه بأن يأتيها من جهتها الشرقية، ويلحق في الجنوب منها، يواجه أهل المدينة، في مكان يسمى الحرَّة، وتأتي الشمس أمام جيش الشام فتلمع خوذهم وسلاحهم فيرهبون عدوهم، ويكون لهم السيطرة من الوجهة الحربية .

ثالثاً: حركة عبد الله بن الزبير سنة ٦٤ هـ، وإعلان الخلافة

تعتبر حركة ابن الزبير امتداداً لخروج أهل المدينة. حيث رأى ابن الزبير حادثة كربلاء، وخروج أهل المدينة، والفراغ السياسي والقيادي الذي حصل بعد وفاة معاوية، والنقمة الشديدة على يزيد في العالم الإسلامي، ليقود حركة مسلحة ضد بني أمية منطلقاً من مكة ليعيد الخلافة إلى منبتها الأول في الحجاز.

ودعا أعيان أهل تهامة والحجاز إلى بيعته، فبايعوه جميعاً باستثناء عبد الله بن عباس، ومحمد ابن الحنفية، ثم طرد عمال يزيد من مكة والمدينة.

حاول يزيد في غمرة هذه الأحداث، التفاهم مع ابن الزبير، فعرض عليه " ولاية الحجاز وماشاء وما أحب لأهل بيته من الولاية، على أن يبايعه بالخلافة. لكن ابن الزبير رفض العرض ".

عندئذ أصدر يزيد أمراً إلى مسلم بن عقبة بالتوجه إلى مكة للقضاء على حركته. وفعلاً توجه هذا القائد إلى مكة، وماكاد يصل إلى **المشلل** حتى مرض وتوفي بعد أن عهد إلى الحصين بن نمير بقيادة الجيش. استأنف الحصين الزحف نحو مكة فوصلها في السادس والعشرين من شهر محرم سنة ٦٤ هـ وضرب عليها حصاراً مركزاً بعد أن سيطر على جميع التلال والجبال المحيطة بها، ثم أخذ يضربها بالمنجنيق، وتولى الدفاع عن البيت الحرام جماعة من الخوارج النجدية.

كانت المقاومة عنيفة بفعل خضوع المكيين لقائد واحد هو عبد الله بن الزبير، وانضمام خصوم الدولة الأموية إليه، كالخوارج؛ فضلاً عن الزعيم الشيعي المختار بن أبي عبيد الثقفي. وبينما رحى الحرب دائرة **أتى نعي يزيد** فتوقف القتال. وأدرك الحصين، وهو أحد كبار القادة العسكريين في الدولة الأموية، أن ورقة ابن الزبير ستكون الرابحة بعد غموض الموقف في دمشق. فرأى أن يأخذ البيعة له شرط أن ينتقل معه إلى دمشق، فقابله وعرض عليه البيعة على شرطه. رفض ابن الزبير هذا العرض، مفوتاً فرصة ذهبية. وذهل الحصين من موقفه هذا وأشار بشيء من السخرية متهماً إياه بقصر النظر السياسي[١].

ويبدو أن ابن الزبير أدرك أن أهل الشام مخلصون لبني أمية، كما أن الحصين ليس بالقادر على التكلم بلسانهم جميعاً، ولذا لم يكن بوسعه الاطمئنان إلى وعوده. يضاف إلى ذلك أنه كان يرى في أهل الحجاز أنصاره وأعوانه، لذلك كان رفضه عن اقتناع منه حتى لا يصيبه ما أصاب الحسين من قبل. ثم حدث بعد ذلك أن رفع الحصين الحصار عن مكة وعاد إلى دمشق. ثم أعلنت خلافة معاوية الثاني بن يزيد في غضون ذلك في دمشق بينما أعلن ابن الزبير نفسه خليفة في المدينة[٢].

---

١ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٥٦ - ٥٨.

٢ - د. محمد طقوش، المرجع نفسه، ص ٥٨.

حصار ابن الزبير وضرب الكعبة بالمنجنيق

هلك مسلم بن عقبة المري في طريقه لابن الزبير وتولى القيادة من بعده الحصين بن نمير السكوني ووصل إلى مكة قبل انقضاء شهر محرم بأربع ليالي. وعسكر الحصين بن نمير بالحجون إلى بئر ميمون ، وبذلك فقد عمل الحصين بن نمير على نشر جيشه على مسافة واسعة والذي دفعه إلى ذلك طبيعة الحرب التي ستدور في مكة، وقام ابن الزبير يحث الناس على قتال جيش أهل الشام وانضم المنهزمون من معركة الحرّة إلى ابن الزبير، وقدم على ابن الزبير أيضاً نجدة بن عامر الحنفي في ناس من الخوارج، وذلك لمنع البيت من أهل الشام ، وكان عدد المقاتلين الذين اشتركوا مع ابن الزبير أقل بكثير من المقاتلين الذين اشتركوا في معركة الحرّة، ولم تكن القوات متكافئة وتحول الوضع لصالح الحصين بن نمير، بعد أن مني ابن الزبير بفقد خيرة أصحابه، مثل أخويه المنذر وأبي بكر ابني الزبير، ومصعب بن عبد الرحمن، وحذافة بن عبد الرحمن بن العوام، وعمرو بن عروة بن الزبير ، وبعد ثلاثة أيام من ربيع الأول سنة ٦٤هـ قام الحصين بن نمير **بنصب المنجنيق على جبل أبي قبيس** ، وجبل قعيقعان وفقد ابن الزبير أهم مستشاريه ومناصريه، وهو المسور بن مخرمة بعد أن أصابه بعض أحجار المنجنيق، وانكشفت مواقع ابن الزبير أمام الحصين بن نمير، ولم يبق مأمن لابن الزبير من أحجار المنجنيق سوى الحجر، وحوصر ابن الزبير حصاراً شديداً ولم يعد يملك إلا المسجد الحرام فقط بعد أن فقد مواقعه المتقدمة في الأبطح، وفي أثناء احتدام المعارك بين ابن الزبير والحصين بن نمير احترقت الكعبة وهذه مصيبة أضيفت إلى مصائب المسلمين التي نتجت عن استحلال القتال في البلد الحرام الذي حرم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم القتال فيه، وكان يزيد بن معاوية قد مات في منتصف شهر ربيع الأول، ولم يعلم أحد بموته نظراً لبعد المسافة بين مكة ودمشق، وقد جاء الخبر بموت يزيد إلى مكة لهلال شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين. ولم تكن الكعبة مقصودة في ذاتها بالإحراق والدليل على ذلك ما أحدثه حريق الكعبة من ذهول وخوف من الله في كلا الطائفتين جيش الحصين بن نمير، وجيش ابن الزبير وقال ابن حجر: ثم سارت الجيوش إلى مكة لقتال ابن الزبير، فحاصروه بمكة وأحرقت الكعبة. ولا شك أن أحداً من أهل الشام لم يقصد إهانة الكعبة، بل كل المسلمين معظمين لها، وإنما كان مقصودهم حصار ابن الزبير، والضرب بالمنجنيق كان لابن الزبير لا للكعبة، ويزيد لم يهدم الكعبة، ولم يقصد إحراقها لا هو، ولا نوابه باتفاق المسلمين . وهكذا كانت إحدى نتائج تلك الحرب التي دارت بين ابن الزبير والحصين بن نمير إحراق البيت الحرام. ولما وصل الحصين خبر موت الخليفة بعث إلى ابن الزبير فقال: موعد ما بيننا الليلة الأبطح.... د. الصلابي، الدولة الأموية ص ٥٤٠ - ٥٤١ .

تفنيد الطبري لحريق الكعبة:

الرواية الأولى :

عن الواقدي وفيها (كانوا - أصحاب ابن الزبير- يوقدون حول الكعبة فأقبلت شرارة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت) .

الرواية الثانية :

عن عروة بن أذينة ويقول فيها : " قدمت مكة مع أمي يوم احترقت الكعبة وقد خلصت إليها النار ورأيتها مجردة من الحرير ورأيت الركن وقد اسودّ وانصدع في ثلاثة أمكنة. فقلت : ما أصاب الكعبة ؟ فأشار إلى رجل من أصحاب ابن الزبير قالوا : هذا احترقت بسببه، أخذ قبساً في رأس رمح له فطيرت الريح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن والحجر.

الرواية الثالثة :

عن عوانة بن الحكم قال : حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول يوم السبت سنة ٦٦ هـ قذفوا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار .

ونخلص من هذه الروايات بأن اتهام الجيش الأموي بإحراق الكعبة اتهام لا يستند إلى براهين قاطعة لا تقبل الشك مثله مثل اتهامهم بإباحة المدينة ثلاثة أيام يقتلون الرجال وينهبون المال وينتهكون الأعراض وهذه مغالطات عظيمة .

آلة ضرب المنجنيق

سياسة يزيد الخارجية [١]

كان يزيد بن معاوية على علاقة طيبة **بعقبة بن نافع**، فعينه والياً على إفريقيا وعزل **أبا المهاجر دينار** عنها، وقد تم ذلك في عام ٦٢ هـ / ٦٨٣ م، وبتعيين عقبة بدأت **المرحلة الرابعة** من مراحل فتوح شمالي إفريقيا .

كان عقبة تواقاً إلى استئناف حركة الجهاد، لكن الظروف السياسية المحلية كانت قد تغيرت في أثناء فترة عزله. فالبيزنطيون توصلوا إلى نوع من التفاهم مع بعض القبائل البربرية الذين وجدوا في عقبة الشخصية الأكثر خطورة وتناقضاً مع نظامهم التقليدي؛ بالإضافة إلى تهديد مصالحهم الاقتصادية والسياسية .

وقرّر عقبة التوسع غرباً فانطلق من القيروان غازياً على رأس جيش كبير، ومعه جموع من بربر أوروبة بزعامة **كسيلة**، ويرافقه أبو المهاجر ... ، حتى نزل مدينة **بجاية** واشتبك مع البيزنطيين الذين تراجعوا إلى داخل المدينة واحتموا بها. لكنه لم ير تضييع الوقت في الاستيلاء عليها، ويبدو أنه لم يكن يطمع في السيطرة على القلاع بقدر ما كان يهدف إلى امتلاك زمام الأمور في الداخل مما يعطيه فرصاً أفضل لطرد البيزنطيين من شمالي إفريقيا. فترك الحصار واتجه غرباً إلى إقليم الزاب الخصيب في المغرب الأوسط فاجتاحه وسيطر على عاصمته **المسيلة**.

نتيجة لهذا التوسع، أضحت هذه الناحية مركزاً ثابتاً للمسلمين، بعد سهل إفريقيا الشمالي الذي تقوم فيه القيروان. وتعد سيطرة المسلمين على هذا الإقليم نقطة تحول حاسمة في حركة الفتوح في شمالي إفريقيا، لأنهم دخلوا إقليماً بربرياً من أقاليم الداخل، وهيمنوا على منازل قبائل بربرية أشهرها لواته وهوارة.

استأنف عقبة زحفه باتجاه **تاهرت**، وتصدى لتحالف « بيزنطي – بربري » فيها، وانتصر عليه وامتلك المدينة، ثم انطلق إلى المغرب الأقصى، فأخضع قبائله وامتلك **طنجة** عاصمة المغرب الأقصى. وعند هذا الحد من التقدم، عاد عقبة أدراجه باتجاه **القيروان** تاركاً نفوذاً للبيزنطيين ما يزال قائماً، وموقفاً غير واضح للقبائل البربرية. وكان الحلفاء في غضون ذلك، يتعقبونه لاقتناص فرصة سانحة للانقضاض عليه، وجاءت هذه الفرصة من قبله، دون أن **يشعر، نتيجة حادثين:**

الأول : أنه أساء معاملة حلفائه من البربر، كسيلة وجماعته، مما دفعهم إلى الفرار من معسكره وانضمامهم إلى أعدائه.

الثاني: أنه حدث في أثناء عودته إلى القيروان أن سمح لأكثر فرق جيشه، بالانفصال عن جسم الجيش والعودة سريعاً إلى القيروان، واستبقى معه خمسة آلاف مقاتل سار بهم إلى مدينة **تهودة** ليفتحها، متخلياً عما تحلى به من الحذر .

وما كاد عقبة يقترب من تهودة حتى ألفى نفسه مطوقاً من حشود بربرية وبيزنطية هائلة بزعامة كسيلة فخاض معركة « تهودة » غير متكافئة انتهت باستشهاده مع عدد كبير من قواته في أواخر سنة ٦٤ هـ وأوائل عام ٦٥ هـ / ٦٨٣ – ٦٨٤ م .

والواقع أن معركة تهودة كانت كارثة على المسلمين فبالإضافة إلى استشهاد القادة، انتاب الجنود المسلمين في القيروان حالة نفسية، تركوا على إثرها المدينة ودخلها كسيلة . وباستشهاد عقبة . **تنتهي المرحلة الرابعة** من مراحل فتوح شمالي إفريقيا .

---

١ - د . محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٥٦ – ٥٨ .

فتوحات عقبة بن نافع الكبرى ٦٢ - ٦٤ هـ

تذكر بعض الروايات أن **قيس بن زهير البلوي** كان على القيروان حينما تنامى على مسامعه ماحدث في تهودة للمسلمين: فأراد أن ينازل كسيلة وجيشه : لكن قواته لم تطعه فاضطر إلى مبارحة القيروان والمسير إلى برقة والمقام فيها . الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية، ص ٣٢٥ .

قام عقبة في جيشه خطيباً بارعاً بعبارات فائقة تلخص رسالة المجاهد في سبيل الله فقال: **"أيها الناس إن أشرفكم وخياركم الذين رضي الله تعالى عنهم وأنزل فيهم كتابه، بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان على قتال من كفر بالله إلى يوم القيامة، وهم أشرفكم والسابقون منكم إلى البيعة، باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة، وأنتم اليوم في دار غربة وإنما بايعتم رب العالمين، وقد نظر إليكم في مكانكم هذا، ولم تبلغوا هذه البلاد إلا طلباً لرضاه وإعزازاً لدينه، فأبشروا فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل إن شاء الله تعالى، وربكم لا يسلمكم فالقوهم بقلوب صادقة، فإن الله عز وجل قد جعل بأسه على القوم المجرمين".**

وبهذه الكلمات الموجزة استثار عقبة حمية رجاله، وأعطى درساً بليغاً للأجيال من بعده عن حقيقة دعوة المجاهد .

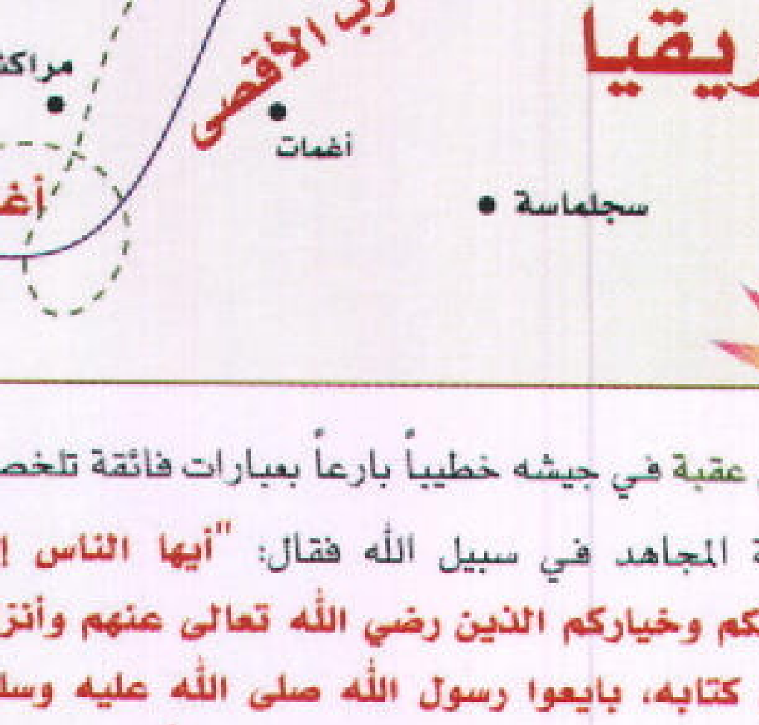

٠ ١٥٠ ٣٠٠ ٤٥٠ ٦٠٠ كم

١ خروج عقبة بن نافع في ولايته الثانية على المغرب بجيشه من القيروان إلى **بجاية** .

٢ ٣ استطاع عقبة الانتصار على جيشي الروم والبربر، وتقدمت قواته صوب **المسيلة** ثم **تاهرت** في منطقة المغرب الأوسط .

٤ وصول قوات عقبة إلى طنجة في المغرب الأقصى.

٥ توجه عقبة بن نافع كالإعصار القوي، واختراقه البلاد كلها هازماً القبائل الوثنية التي وقفت في طريق دعوته إلى الله تعالى، حتى وصل بخيله إلى **المحيط الأطلسي** فاخترق عقبة بفرسه ماء المحيط ثم قال بقلب المؤمن الصادق الغيور الذي بذل واستفرغ كل جهده وحياته لخدمة الإسلام: **"يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك، اللهم اشهد أني قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد دونك"** .

٦ حقق عقبة غايته من حركة الفتح الإسلامي بالشمال الإفريقي، فلقد أخضع قبائل البربر وأوقع بها بأساً شديداً، حتى وصل إلى أقصى بلاد المغرب واقتحم المحيط بفرسه، وبعدها **قرر عقبة العودة إلى القيروان**، فلما وصل إلى **طنجة** أذن لمن معه من الصحابة أن يتفرقوا ويقدموا القيروان أفواجاً ثقة منه بما نال من عدوه، ومال عقبة مع ثلاثمائة من أصحابه إلى مدينة **تهودة** ، فلما رآه كسيلة استغل قلة جند عقبة واتفق مع الروم على الغدر بجيش المسلمين وكان أبو المهاجر في ركب عقبة، واستشهد عقبة وأبي المهاجر والكثير من معه في أرض الزاب بتهودة وذلك سنة ٦٤ هجرية .

تشتهر بِجاية بمزارع النخيل أسوة بمعظم بلاد المغرب العربي

بجاية : قاعدة الغرب الأوسط، مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب سورها، وهي على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى امسيول، وهو جبل سام صعب المرتقى، وفي أكنافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل البرباريس والقنطوريون والراوند والاسفيوس وغير ذلك من الحشائش، وفي هذا الجبل عقارب صفر الألوان قليلة الضرر، وهي عين بلاد بني حماد والسفن إليها متكررة، والسفر إليها براً وبحراً والسلع إليها مجلوبة وأهلها تجار مياسير، ولها بواد ومزارع، والحنطة والشعير بها والتين كثير وسائر الفواكه، وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير، ويجلب إليها من أقاليمها الزيت الطيب والقطران، وبها معادن الحديد الطيب وبها من الصناعات كل غريبة، وعلى نحو ميل منها نهر يأتي إليها من جهة المغرب وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالسفن، وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلاً ويجوزه من شاء في كل موضع. وهي قطب لكثير من البلاد ... . الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٨٠ - ٨١ .

ميناء بجاية

جامعة بوضياف بولاية المسيلة الجزائرية

من آثار بني حماد في ولاية المسيلة الجزائرية

المَسِيلَةُ: بالفتح ثم الكسر، والياء ساكنة، ولام: مدينة بالمغرب تسمى المحمّدية اختطّها أبو القاسم محمد بن المهدي في سنة ٣١٥ وهو يومئذٍ وليّ عهد أبيه، وأبو القاسم هذا هو الذي يلقب بالقائم بعد المهدي من المنتسبين إلى العلويين الذين كانوا بمصر؛ ينسب إليها أبو العباس أحمد بن محمد ابن حرب المقري بمصر، قرأ القرآن ورحل إلى بَطليوس فلقي بها أبا بكر محمد بن مزاحم الخزرجي وقرأ عليه أبو حميد عبد العزيز بن علي بن محمد بن سلمة السيحاني المقري. الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٣٠.

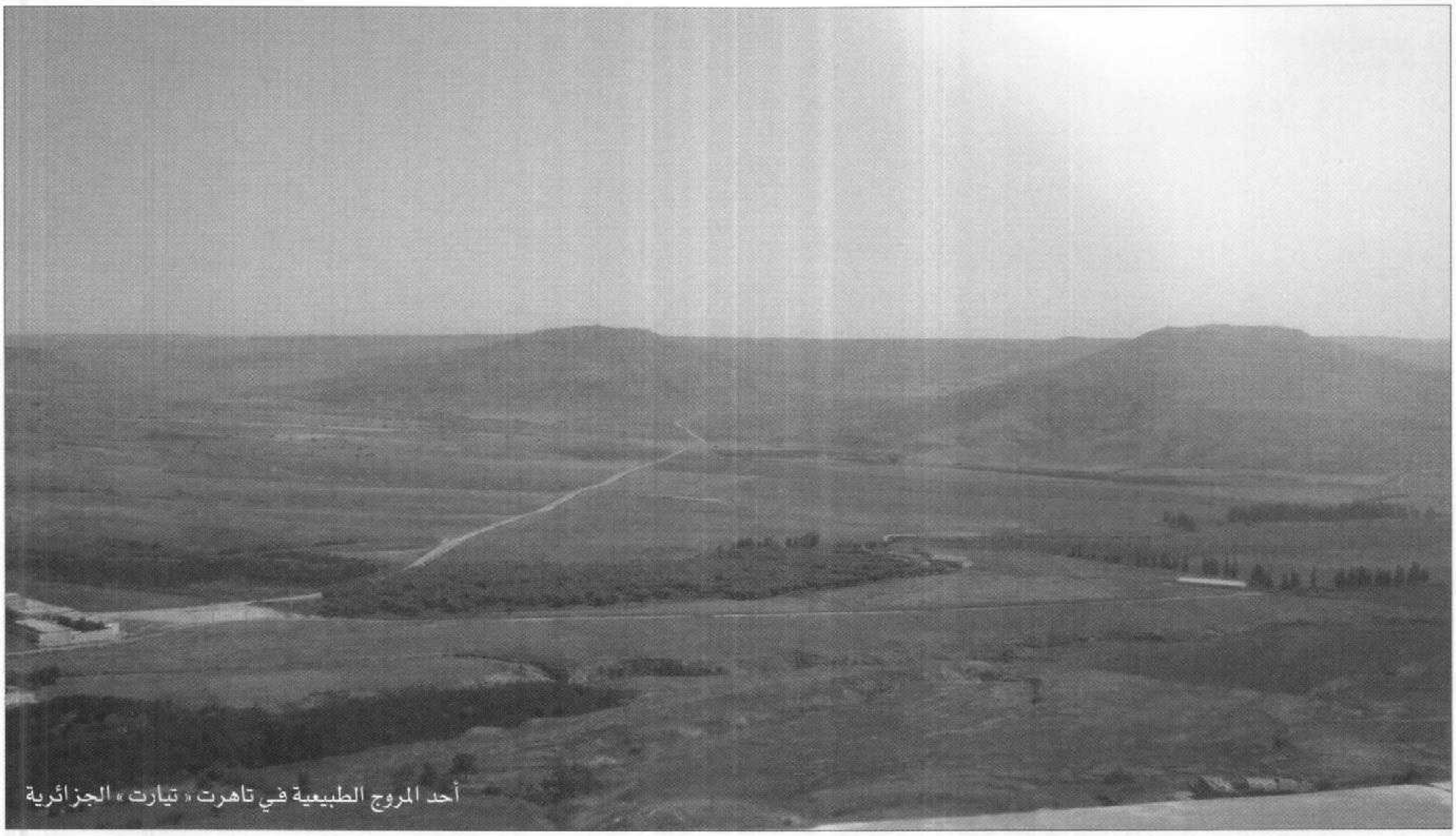

أحد المروج الطبيعية في تاهرت « تيارت » الجزائرية

تاهرت أو تيهرت Tiaret: مدينة جزائرية تقع في شمالي الجزائر، وهي عاصمة ولاية تاهرت. تمثّل نهاية جبال الأوراس فـي منطقـة أطلس التل، مناخها معتدل، وهي مركز زراعي مهم في المنطقة، تشتهر بزراعة الحبوب وتربية المواشي و الخيول العربيـة الأصيلـة. وتاهرت اسـم كان يطلق على مدينتين في المغرب الأوسط (الجزائر)، تاهـرت القديمة، المدينة الرومانية التـي يصفهـا ابن حوقل بأنها مدينة قديمة أزلية، وتعرف اليوم بتيارت بعمالة وهران، وتاهرت الحديثة (تاقدمت اليوم) التي بناها عبد الرحمن بن رستم، مؤسس الدولة الرستمية، وهي على بعد عشرة كيلومترات غرب تاهرت القديمة، ومن تتبع أخبار تاهَـرت يُلاحـظ أن اليعقوبـي، وهو من جغرافيي القرن الثالـث الهجري، لا يتحدث إلا عن تاهـرت المحدثة، بينما يصف ابن حوقـل، وهـو من جغرافيـي القرن الرابع الهجـري، تاهرت القديمـة والمحدثة معاً مما يـدل على أن الحياة عـادت ثانية إلى القديمـة، فهـو يذكر أن فـي القديمة كثيراً من الناس، وفيها جامـع كما أن للمحدثة جامعاً، ولكل منهمـا إمام وخطيب إلا أن التجار والتجارة بالمحدثة أكثر، ويشير إلى أن لأهل المدينتين مياهاً كثيرة تدخل على أكثر دورهم، وأشجاراً وبساتين وحمامات وخانـات وأن العسل والسمن وضـروب الغلات كثيرة، وكذلك الماشية والغنم والبغال والحمير، أما الشريف الإدريسي، وهو من علمـاء القـرن السادس، فإنه يذكـر أن مدينة تاهرت كانت فيما سلف من الزمان مدينتـين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة، ولكنه لا يصف إلاّ تاهرت القديمة، فيذكر أنها ذات سور وعلى قنّة جبل قليل الارتفاع، وبها ناس وجماعات من البربر ولهـم تجـارات وبضائع وأسواق عامرة، وبأرضها مزارع وضياع جمة، مما يدل على أن المحدثة لم يعد لها شأن، وهذا ما يؤكده ابـن خلـدون الذي يذكر أن كثرة الغارات التي كانت تشن عليها فـي عهد الموحدين دفعت أهلها إلى هجرها «فخلا جوها وعفا رسمهـا» فـي سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، بينما نهضت تاهرت القديمة من بين الأطـلال واستمر نهوضها إلى العصر الحديث. نجدة خماش، الموسوعة العربية، مادة تاهرت

مدينـة طنجة (بالأمازيغية: Tinji، وبالإنجليزية: Tangier) في شمالي المملكة المغربيـة، تعتـبر خامس أكبر مدينة فيهـا ،ويبلغ عدد سكانها حـوالي ٧٠٠,٠٠٠ نسمة . وتتميز المدينة بكونها نقطة التقاء بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي من جهة، وبين القارة الأوروبية والقارة الإفريقية من جهة أخرى.

موقع مدينة طنجة من الفضاء الخارجي

مغارة هرقل بطنجة المغربية

طَنْجَـةُ : مثـل الـذي قبله وزيادة هاء، مدينة في الإقليم الرابع، طولها من جهة المغرب ثمانون درجة، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف من جهة الجنوب: بلد على ساحـل بحـر المغرب مقابل الجزيرة الخضـراء وهو من البر الأعظم وبلاد البربر؛ قال ابن حَوْقل: طنجة مدينة ازلية آثارها ظاهرة بناؤها بالحجارة قائمة على البحر، والمدينة العامرة الآن على ميل من البحر وليس لها سور وهي على ظهر جبل، وماؤها في قناة يجري إليهم من موضع لا يعرفون مَنبعه على الحقيقة، وهي خصبة، وبين طنجة وسَبْتَة مسيرة يوم واحد، وقيل: إن عمل طنجة مسيرة شهر في مثله، وهي آخر حدود إفريقية؛ عن السكري عن أبي عبيدة، وبينها وبين القيروان ألفا ميل؛ وينسب إليهـا أبـو عبد الملـك مروان بن عبد الملك بن سَنجُون اللّوَاتي الطنجي، روى عن أبي محمد عبد الله بن الوليد الحجـازي وطبقته ورحل إلى المشرق فأقام به سبع عشرة سنة يقرأ الحديث ويتردد فيه، ومن جملة مشايخه طاهر بن بابشاذ النحوي، وكان له شعر وإنما قرأ المسائل والوافي بعد رجوعه إلى المغرب، وكان يقول: لم أدخل إلى الشرق حتى حفظت أربعة وثلاثين ألف بيت من أشعار الجاهلية، وله خطبٌ وهو من الفصحاء الكبار بطنجة؛ وينسب إليها أيضاً أبو محمد عبدون بن علي بن أبي عزيزة الطنجي الصنهاجي، روى عن الأصبغ بن سهل ومروان بن سنجون وغيرهما، وُلّيَ القضاء ببلده. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٣ .

فتوح المشرق في عهد يزيد بن معاوية

يزيد بن معاوية يعهد إلى سالم بن زياد ولاية **خراسان وسجستان** سنة ٦١هـ ٦٨١م وأوكل إليه مهام القيام بالفتوح فيما وراء النهر .

سالم بن زياد يسير بجيش من **البصرة** إلى إقليم **خراسان** على رأس قوة كبيرة ، ضمت المهلب بن أبي صفرة، وعبد الله بن خازم السلمي، وطلحة بن عبد الله الخزاعي، وعمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وتمكن سالم بن زياد من طرق أبواب **بخارى وسمرقند** بعد مقاومة عنيفة ، والذي سيتضح بشكل جلي في عهد الوليد بن عبد الملك .

انتدب سالم بن زياد أخاه يزيد بن زياد على الإقليم، وجرد جيشاً لحرب **زونبيل** صاحب **زابلستان**، غير أن الحملة فشلت، وقتل قائدها وقتل أخوه أبو عبيدة بن زياد. كما جرد حملة أخرى على خراسان بقيادة طلحة بن عبد الله الخزاعي الذي افتدى أسرى العرب بألف ألف درهم، وأعاد الاستقرار إلى سجستان سالكاً في ذلك سبيل السياسة والتفاهم مع العدو قبل أن يباغتهم بالهجوم . وبعد وفاة يزيد بن معاوية **حدثت الفتنة بين عبد الله بن الزبير والأمويين**، فتوقفت الفتوح على الجبهة الشرقية، وانشغل عرب إيران بالفتنة حتى دارت بينهم حروب طاحنة .

بعد استشهاد الحسين ثار أبـو طالوت نجدة ابن عامر الحنفي، وكان قـد سـار إلى **البصـرة** مع نافـع بن الأزرق، ثـم خالفه، ورجـع إلى نجـد فاستـولى عليهـا، واستقل بهـا. **وأصبح وسط جزيرة العرب وشرقيها مسرح نشـاط الخـوارج .** مستغلّـين فى ذلـك حالة الفوضى التـي سادت العراق .

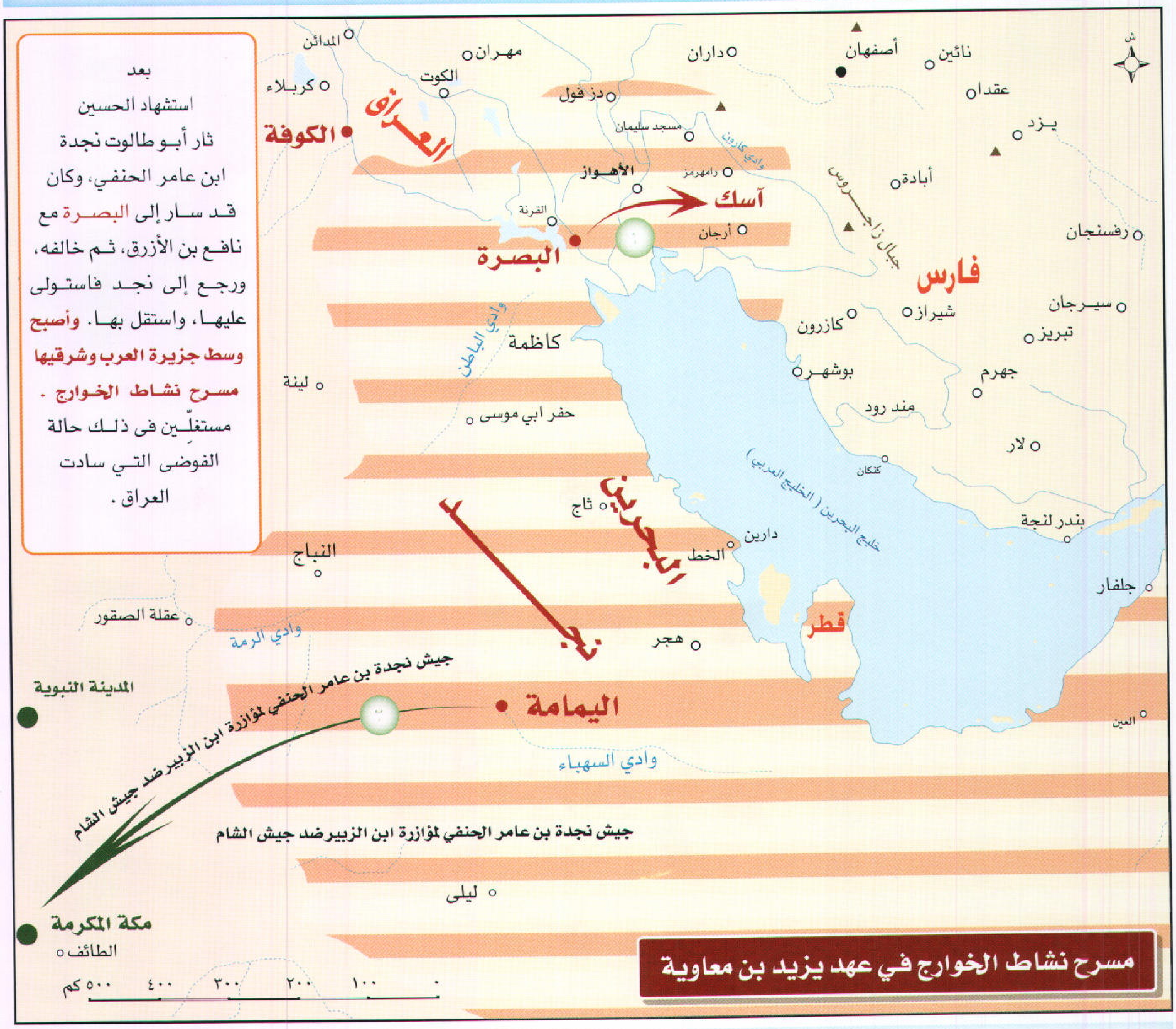

مسرح نشاط الخوارج في عهد يزيد بن معاوية

كان **أبـو بـلال مِرْداس بـن أُدَيَّـة**، وهو أحد أئمة **الخـوارج**، قد قـال لأصحابه: قد كرهتُ المقام بـين ظهراني أهل البصـرة، والاحتمـال لجَوْر عبيد الله بن زياد، وعزمت على مفارقة البصرة، والمقـام بحَيْث لا يجري عليَّ حُكْمُه من غير أن أشهَرَ سيفاً أو أُقاتل أحداً. فخرج في أربعين من الخوارج، حتى نزل **آسَكَ** موضعاً بين **رامهرمز وأرّجان**، فمرَّ به مالٌ يُحمَلُ إلى ابن زياد من فارس، فغَصَبَ حامليه، حتى أخذ منهم بقدر أعطيات جماعته، وأفرَجَ عن الباقي. فقال له أصحابه: علامَ تُفْرِج لهم عن الباقي؟ فقال: إنهم يُصَلّون، ومن صلّى إلى القبلة، لا أُشاقُه. **وبلغ ذلك ابن زياد**، فأنفَذَ إليهم **مَعْبَدَ بن أسلم الكلابـي**، فلمـا تواقفا للقتال، قال له مرداس: علامَ تُقاتلنا ولم نُفسد في الأرض ولا شَهَرْنا سيفاً؟ قال: أُريد أن أحملكم إلى ابـن زيـاد. قال: إذاً يقتُلنا. قال: وإنَّ قَتْلَكم واجبٌ. قـال: تُشارك في دمائنا؟ قال: هو على الحقّ، وأنتم على الباطل. فحملَوا عليـه حملَـة رجل واحد، فانهزم، وكان في ألفيّ فارس، فما رَدّه شيءٌ حتى ورد **البصرة**، فكان بعد ذلك يقولون له: يا معبد جاءَك مرداس خُذْه. فشَكاهم إلى ابن زياد فنَهاهم عنه . الحموي، معجم البلدان، مادة آسك .

خلافة عبد اللّٰه بن الزبير

الفصل الثالث

٦٤ ـ ٧٣ هـ / ٦٨٤ ـ ٦٩٢م

هـو **عبـد الله بـن الزبير** بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العـزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة عامر بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان. والزبير « والده » هو حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه أسماء « ذات النطاقين » بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أخت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر. وكنيته أبو بكر وأبو خبيب.

ولـد ابـن الزبـير في قُباء في السنة الثانية مـن الهجرة وهو أول مولود من المهاجريـن في المدينة. يعد من صغـار الصحابـة، وله ذكر في كتب الحديث الشريف، حيث روى في مسنده ثلاثة وثلاثين حديثاً. وكان ممن روى عنهـم والـده وجده لأمه وخالته السيدة عائشة أم المؤمنـين رضي الله عنها، ووالدته وغيرهم، وروى عنه أبنـاؤه وأحفـاده وجماعة من التابعين. فرح المسلمون بمولده لأنه أبطـل مزاعم اليهود القاطنين بالمدينة، فقد زعموا أنهم سحروا للمسلمين حتى لا يولد لهم أي مولود ذكراً أبداً.

كانـت نشأته وإقامته في المدينة النبوية كواحـد من أعيان المسلمين وعبادهم ومجاهديهم، وظل هكذا حتى وفـاة معاويـة بن أبي سفيـان وتولي ابنه يزيد بن معاوية سـدة الحكم في الدولة الإسلاميـة. فلما بلغه مقتل الإمام الحسين رضي الله عنهما، خطب بالناس وجهر بمعارضته لخلافة يزيد. فقال له أصحابه: أظهر بيعتك فإنه لم يبق أحد بعد الحسين ينازعك هذا الأمر، وقد كان يبايع سراً ويُظهِر أنه عائذ بالبيت. فأرسل يزيد إليه يطلبـه بالبيعـة، فرفض ابن الزبير، ثم أرسل إليه عشرة من وجهاء الشـام لإقناعه بالبيعة ليزيد، إلا أنه عاد ورفض، فأيقـن أن الحرب واقعة لامحالة بينه وبـين يزيد، فطلب وجوه تهامة والحجـاز، ودعاهم إلى بيعته، فبايعوه جميعاً وامتنع عليه عبد الله بن عباس ومحمد ابن الحنفية.

فأمـر يزيـد واليه على المدينة عمـرو بن سعيد الأشدق بتجهيـز جيشاً لمحاربة عبد الله بـن الزبير، فأرسل الأشدق جيشاً تصدى له ابن الزبير وأنصاره وهزمـوه، ودان الحجاز لابن الزبير فبويع بالخلافة سنة ٦٤ هـ في الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان وأكثر الشام، وبعث عماله إلى هذه البلاد، وبقي مركز الخلافة فـي دمشق وبعض بلاد الشام تحـت سيطرة الأمويين، ولما آلت الخلافة الأموية إلى عبد الملك بن مروان جهز لـه جيشاً بقيادة الحجاج بـن يوسف الثقفي فحاصره وضيـق عليه الخناق واستمال عـدداً كبيراً من رجاله، فاعتصـم ابـن الزبـير بالمسجد الحـرام ولكـن الحجاج بن يوسف الثقفي ضربه بالمنجنيـق، وأصاب الكعبة وهدم بعض أطرافهـا، ثم اقتحـم المسجد وقتل أمـير المؤمنين ابن الزبير وكان ذلـك في شهر جمـادى الأولى سنة ٧٣هـ وعمره بضع وسبعون سنة. ودانت بموته البلاد الإسلامية لحكم الأمويين.

- ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ٤/ ٩٩
- من التاريـخ الإسلامي ١ - ١٣٢ هـ، د. نزيه شحادة. دار النهضة العربية، ط: الأولى ١٩٩٨. ص:٢٧٥

خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ٦٤ - ٧٣ هـ

بعد موت يزيد بن معاوية لم يكن هناك من خليفة، وإذا كان **يزيد** قد أوصى لابنه **معاوية** فإن هذا لا يكفي للبيعة، إذ لا بيعة دون شورى، إضافة إلى أن الذين قد بايعوا معاوية بن يزيد لا يزيدون على **دمشق وما حولها وأعيان بني كلب**. وهذا مع أن معاوية بن يزيد لم يعش طويلاً، وترك الأمر شورى، ولم يستخلف أحداً، ولم يوص إلى أحد، وكان **عبد الله بن الزبير**، رضي الله عنهما، قد بويع له في **الحجاز، وفي العراق وما يتبعه إلى أقصى مشارق ديار الإسلام، وفي مصر وما يتبعها إلى أقصى بلاد المغرب**، وبايعت الشام أيضاً إلا بعض جهات منها، ففي **دمشق** بايع الضحاك بن قيس الفهري لابن الزبير، وفي **حمص** بايع النعمان بن بشير، وفي **قنَّسرين** زفر بن الحارث الكلابي، وفي **فلسطين** بايع ناتل بن قيس، وأخرج منها روح بن زنباع الجذامي، **ولم يكن رافضاً بيعة ابن الزبير في الشام إلا منطقة البلقاء وفيها حسان بن مالك بن بحدل الكلبي**، وهكذا تّمت البيعة لعبد الله بن الزبير في ديار الإسلام، وأصبح الخليفة الشرعي، وعين نوّابه على الأقاليم [١].

وتكاد تجمع المصادر على أن جميع الأمصار قد أطبقت على بيعة ابن الزبير خليفة للمسلمين، ولذلك صرّح العديد من العلماء والمؤرخين بأن بيعة ابن الزبير **بيعة شرعية**، وأنه أولى بها من مروان بن الحكم، فيروي ابن عبد البر عن مالك أنه قال: إن ابن الزبير كان أفضل من مروان وكان أولى بالأمر منه، ومن ابنه عبد الملك. ويقول ابن كثير: ثم هو - أي ابن الزبير - الإمام بعد موت معاوية بن يزيد لا محالة، وهو أرشد من مروان بن الحكم، حيث نازعه بعد أن اجتمعت الكلمة عليه وقامت البيعة له في الآفاق وانتظم له الأمر، ويؤكد كل من ابن حزم والسيوطي **شرعية ابن الزبير**، ويعتبران مروان بن الحكم وابنه عبد الملك باغيين عليه خارجين على خلافته، كما يؤكد الذهبي شرعية ابن الزبير ويعتبره أمير المؤمنين [٢].

وبذلك انعقدت البيعة لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ببيعة أكثر الأمصار الإسلامية آنذاك؛ إضافة إلى دور أهل الحل والعقد فيها، والصحابة وأبنائهم وكبار التابعين، وهذا الاجماع يجعل معاوية الثاني، ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان في مدته الأولى خارجين عن الإمام، وليسوا بخلفاء [٣].

---

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٦٢.

٢ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٦٣.

٣ - محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (الخلفاء الراشدون والدولة الأموية « ٣ - ٤») ص ١٦٠.

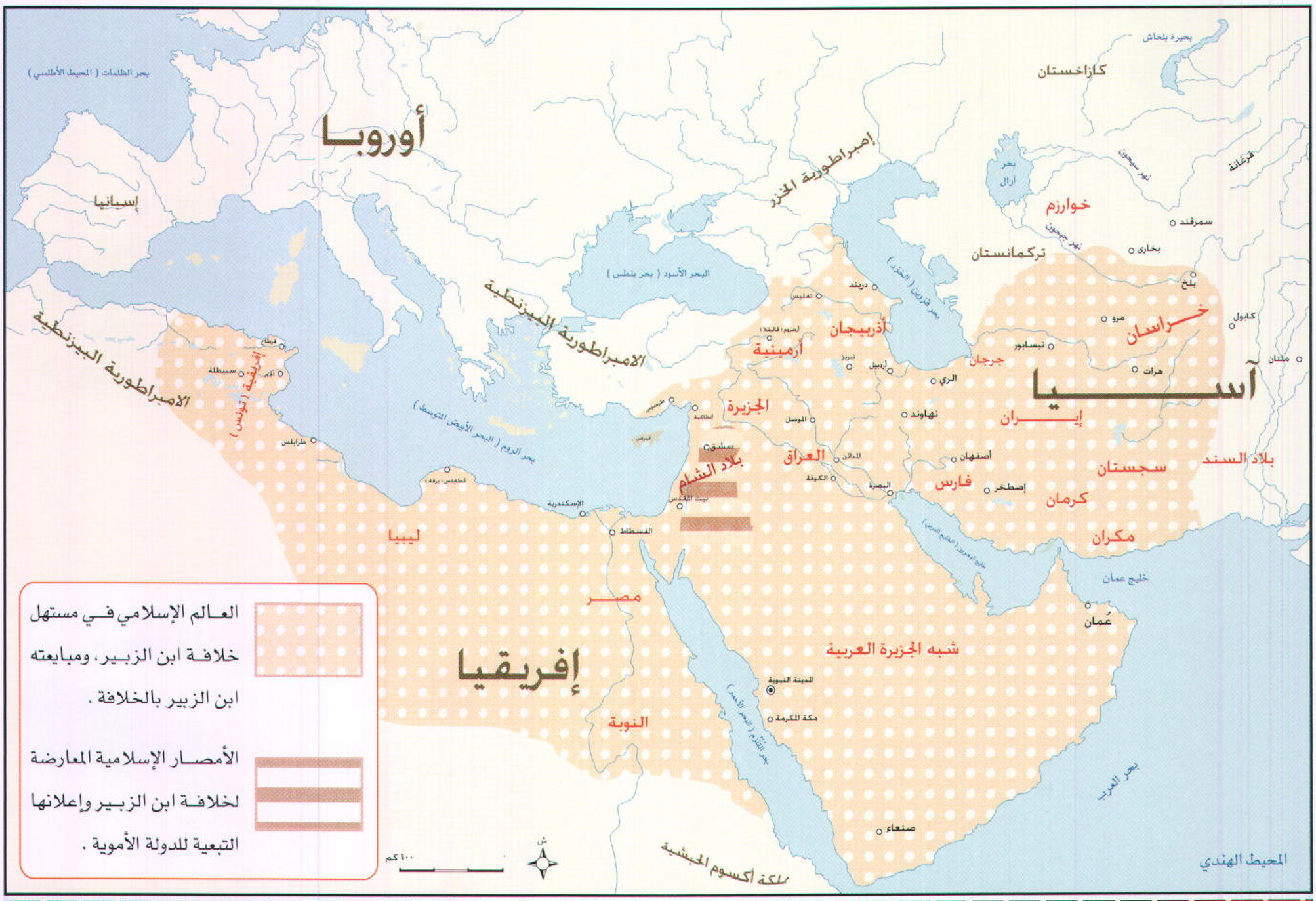

الوضع السياسي العام بعد مبايعة عبد الله بن الزبير بالخلافة سنة ٦٤ هـ

استعجل عبد الله بن الزبير حين أخرج معظم رجال بني أمية من المدينة، وكان فيهم: "مروان بن الحكم" وابنه عبد الملك، وهو ما أعطاهم الفرصة من التوجه إلى الشام، وجمع شمل الأنصار والأعوان الذين حضروا من كل مكان، وعقدوا مؤتمراً في الجابية، وبايعوا مروان بن الحكم بالخلافة، ولو أن ابن الزبير أبقى بني أمية في المدينة تحت نظره ومراقبته، وكان في مقدوره أن يفعل ذلك، لما تحققت هذه الخطوة الأولى التي كان لها شأن في انطلاق بني أمية لإعادة الخلافة لهم والقضاء على ابن الزبير. لكن نذهب إلى ما ذهب إليه كبار الفقهاء من أن بيعة ابن الزبير كانت عن رضا وإجماع من المسلمين، وترتب على ذلك أن أرسل ابن الزبير ولاته على الأمصار الإسلامية، وأبدى المسلمون رضاهم عن هؤلاء الولاة، في حين لم يبايع مروان سوى نفر قليل من أهل الشام، فضلاً عن أن بيعة ابن الزبير كانت أسبق زمناً من بيعة مروان التي جاءت متأخرة عنها، غير أن الرجلين تمسكا بالخلافة، وإن كانت الشرعية في جانب ابن الزبير، لكنها لم تكن لتحسم الأمر وحدها، بل كان للسياسة دور لا ينكر في حسم الصراع وهذا ما حدث بالفعل .

البيت المرواني

مروان بن الحكم

الفصل الرابع

٦٤ _ ٦٥ هـ / ٦٨٤ _ ٦٨٥م

هـو **مـروان بن الحكم** بن أبي العاص بن أمية القرشي، أبو عبد الملك ويقال أبو القاسم ويقال أبو الحكم، المـدني. البعضـ يجعله من صغار الصحابة والبعض يجعله من كبار التابعـين. ولد عام ٢ هـ، وقيل: ٤ هـ بمكة المكرمة، وتوفي سنة ٦٥ هـ بدمشق. أمه أم عثمان آمنة بنت علقمة بن صفوان الكنانية.

روى عنـه: ابنـه عبـد الملك، وسهل بن سعد الساعدي. وهو أكبر منه.، وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين، وعـروة بـن الزبـير، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحـارث، وعبيد الله بن عبد الله بـن عتبة، ومجاهد، وأبو سفيان مولى ابن أبي أحمد.

ذكـر ابـن حجر في تهذيـب التهذيب قول البخاري: إن مـروان لم ير النبـي ﷺ. وقـال ابن عبد البر في الاستيعاب: ولد يوم الخندق. وعن مالك أنه ولد يوم أحد وقد قال مروان في كلام دار بينه وبين روح بن زنباع عندمـا طلب الخلافة: ليس ابـن عمر بأخير مني ولكنه أسن مني، وكانت له صحبـة. وعاب الإسماعيلي على البخاري تخريج حديثه وعدّ من موبقاته أنه رمى طلحة أحد العشرة يوم الجمل وهما جميعاً مع عائشة، فقتل، ثم وثب على الخلافة بالسيف، واعتذرت عنه في مقدمة شرح البخاري، وقول عروة بن الزبير: كان مروان لا يتهم في الحديث، هو في رواية ذكرها البخاري في قصة نقلها عن مروان عن عثمان في فضل الزبير.

كان مروان كاتباً لعثمان بن عفان رضي الله عنه في أثناء خلافته، وتولى إمرة المدينة وموسم الحج في عهد معاوية بن أبي سفيان، واستمر كذلك في أوائل عهد يزيد بن معاوية حتى أخرج من المدينة إلى دمشق بعد أن رفض أهل المدينة مبايعة يزيد بن معاوية.

بويع له بالخلافة من قبل بني أمية بعد موت معاوية بن يزيد. كان نفوذ الأمويين قد ضعف حيث بايعت أغلب الأقاليـم الخليفة عبد الله بن الزبير. حتى الشام، معقـل نفوذ الأمويين كانت قد انقسمت بين مبايعين لمروان ابن الحكم ومبايعين لعبد الله بن الزبير، وعلى رأسهم الضحاك بن قيس الذي سيطر على دمشق.

هاجـم مـروان جيش الضحاك فواقعه بمرج راهط وهزمـه. بعد السيطرة على الشام، خرج مروان بجيشه إلى مصـر التـي كانت قد بايعت عبد الله بـن الزبير ودخلها وولّى ابنه عبد العزيز بـن مروان عليها. بسقوط مصر التي كانت تمد عبد الله بن الزبير بالغلال في مكة أصبح وضعه ضعيفاً.

بعـث مـروان بجيشين أحدهمـا إلى الحجاز لمحاربة عبد الله بن الزبير، والثـاني لمحاربة مصعب بن الزبير شقيـق عبد الله وواليه على العراق. هُزم الجيش الأول بينما لم يحقق الجيش الثاني أهدافه. مات مروان وقد نجح في اخضاع الشام ومصر للأمويين بينما فشل في السيطرة على الحجاز والعراق.

تـولى ابنـه عبد الملك بن مروان سُدة الخلافة في الدولـة الإسلامية من بعده، ونجح في القضاء على عبد الله بن الزبير « الخليفة الشرعي » وبسط سيطرته على كافة الدولة الإسلامية .

خروج مروان بن الحكم على خلافة عبد الله بن الزبير

قال الحموي: بعد موت يزيد بن معاوية وليَ ابنه معاوية مائة يوم ثمّ ترك الأمر واعتزل وبايَعَ النَّاسُ عبدالله بن الزبير، وكان **مروان بن الحكم** بن أبي العاص بالشام فهَمّ بالمسير إلى المدينة ومبايعة عبدالله ابن الزبير، فقدم عليه عبيدالله بن زياد فقال له: استحييتُ لك من هذا الفعل إذ أصبحتَ شيخ قُرَيش المشار إليه وتُبايع عبدالله بن الزبير وأنت أولى بهذا الأمر منه؟ فقال له: لم يفت شيء، فبايعه وبايعه أهل الشام وخالف عليه الضحاك بن قيس الفهري وصار أهل الشام حزبين(١).

حيث بدأ مروان بن الحكم -بعد أن تزعم المعارضة الأموية- بتوحيد صفوفه والدخول في صراع ضد ابن الزبير، ولم يبدأ مروان بمواجهة ابن الزبير في الحجاز، وإنما لجأ إلى انتزاع الأقاليم البعيدة وذلك ليحسر نفوذه أولاً ومن ثم يتيسر له القضاء عليه(٢).

وجاء مروان بن الحكم إلى الحكم بعد عقد مؤتمر **الجابية** لأهل الشام، ومنذ تلك اللحظة تَطَلّع مروان إلى الخلافة، ولكن الأمر لم يكن سهلاً ميسوراً فقد واجهته عدة صعوبات، فقد كان القيسيون بالشام قد بايعوا لابن الزبير، كما أن اليمنيين -أنصار بني أمية- كانوا منقسمين إلى فريقين: فريق يميل إلى بيعة خالد بن يزيد بن معاوية، ويتزعمه حسان بن مالك بن مجدل الكلبي، ومالك بن هبيرة السكوني، والفريق الآخر يميل إلى بيعة مروان، ويتزعمه روح بن زنباع الجذامي والحصين بن نمير السكوني، ومعهم عبيد الله ابن زياد.

لقد كان توحيد موقف أنصار الأمويين هو نصف الطريق إلى النجاح، وبعد مناقشات ومداولات تغلب الفريق الثاني، الذي يؤيد مروان، وكان حُجَّتُهُم في ذلك أن خالد بن يزيد لا يزال صغيراً، وليس نداً لابن الزبير، فقد قالوا لمعارضيهم: **"لا والله لا تأتينا العرب بشيخ -يقصدون ابن الزبير- ونأتيهم بصبي"** فاتفقوا على حل يرضي الجميع وهو أن تكون البيعة بالخلافة لمروان، ثم من بعده لخالد بن يزيد، ومن بعده لعمرو بن سعيد الأشدق، واتفقوا على عقد مؤتمر في **الجابية** لإنهاء المشكلة(٣).

أما الضحاك بن قيس زعيم الفريق الذي مال إلى ابن الزبير بل بايعه فقد مال إلى بني أمية من جديد -حيث كان من أقرب رجال معاوية وابنه يزيد وكان الحاكم الفعلي لدمشق منذ وفاة يزيد وحتى بيعة مروان- فأرسل إليهم يعتذر عن خروجه عن طاعتهم وأعلن أنه سيحضر مؤتمر الجابية، ولكنه لم يستطع المضي في خطته، فقد مُورِسَتْ عليه ضغوط للبقاء على بيعته لابن الزبير من رجاله وبصفة خاصة ثور بن معن السلمي فلم يذهب إلى الجابية بل ذهب إلى مرج راهط حيث دارت المعركة الحاسمة بينه وبين مروان.

---

١ - الحموي، معجم البلدان، ج٢ ، ص ٣٠٦ .

٢ - د. الخراسي، عبد الله بن الزبير، ص ١٥٢ .

٣ - الموقع الإلكتروني لقصة الإسلام، إشراف الدكتور راغب السرجاني.

موقع مؤتمر الجابية

من أهم
قرارات مؤتمر الجابية :

كانت أهم قرارات مؤتمر الجابيـة، عدم مبايعة ابن الزبـير، واستبعـاد خالـد بن يزيـد من الخلافـة لأنه غلام، والعـرب لا تحب مبايعة الأطفال من ناحيـة، ومن الناحية الأخرى هم الآن في أزمة، وهم أحوج إلى الرجل المجرب الخبير علّه يقودهم إلى النصـر وينقذهـم مـن وضعهم المتدهـور، ومبايعة مـروان بن الحكـم وهو الشيـخ المحنك، وأن يتولى الخلافـة بعد مروان على هذا الشـرط شفوياً، والاستعداد لمجابهـة وقتال المخالفين أتباع ابن الزبير في الشام بادئ الأمر. (عبد الله ابن الزبير، للناطور ص١٣٢).

الجابيـة : موقع تاريخي في سوريا ويعرف اليوم بتل الجابية ويقع إلى الغرب من مدينـة نوى الواقعة بسهل حوران، له شهرة في التاريخ الإسلامي ترجع إلى حدثين هامين في القرن الأول للهجرة :

١ - عندمـا حاصـر أبو عبيـدة بن الجراح مدينة القدس عام ١٥ هـ (٦٣٦ م) طلـب أهلهـا أن يتـم تسليمهـا إلى أمـير المؤمنـين نفسـه فاستجـاب **عمر بن الخطاب** لهـذه الرغبة، ونزل عند قدومه الشام بالجابيـة واجتمـع بقواده في فتـح الشام أبـي عبيدة وخالـد وعمرو وشرحبيل ويزيد . ودخل القدس صلحاً ، كما صالح أهل " إيلة " ، على الجزية، وبعث الأمان إلى أهل الرملة.

٢ - عندمـا توفي معاويـة الثاني عام ٦٤ هـ (٦٨٣ م) ، اختلف النـاس فـي البيعة لخلفه بين خالد بن يزيد (ابن معارية) ، وبين **مروان بن الحكم** وكاد الخلاف يهدد بانهيار البيت الأمـوي . وفي نفس السنة انعقـد في الجابية مؤتمر بويـع فيه مروان بالخلافة على أن تكون من بعده لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص . ومن الآثار الهامة للمؤتمـر ، انتقـال الخلافة في هـذا التاريخ من الفـرع السفياني إلى الفرع المرواني من بني أمية.

معركة مرج راهط ٦٤ هـ / تموز ٦٨٤ م

تمثل هذه المعركة مظهراً من **الصراع الداخلي في الدولة الأموية** بين القيسيين المؤيدين لعبد الله بن الزبير، والكلبيين المؤيدين للأمويين. وكان **الضحاك بن قيس** الذي يلي أمور دمشق باسم الأمويين متأرجحاً في موقفه، ولكنه **أعلن تأييده لابن الزبير** أسوة ببقية الولاة. إلا أن الأمويين الذين طردوا من المدينة وعبيد الله بن زياد الذي هرب من البصرة اجتمعوا في **دمشق** لنصرة الأمويين. واضطر الضحاك للعدول عن موقفه أكثر من مرة، ونزل مع أتباعه **بمرج راهط** قرب دمشق، وأعلن موقفه أخيراً بولائه لابن الزبير. واجتمع حوله معظم أهل دمشق ممن يؤيدون رأيه، وبلغ عددهم نحو ثلاثين ألفاً. بينما اجتمع الأمويون من سفيانيين ومروانيين في **الجابية** واتفقوا على التمسك بحقهم في الخلافة. واتجهوا إلى مرج راهط بسبعة آلاف مقاتل تحت لواء مروان بن الحكم الذي قبل بتزعم الأمويين واستلام الحكم بعد أن أيد ابن الزبير سابقاً. ودامت المعركة بين الطرفين عشرين يوماً أسفرت عن مقتل الضحاك وبعض أنصاره. وهرب القيسيون وثبت الحكم للأمويين، ولكنه تحول من الأسرة **السفيانية** إلى الأسرة **المروانية**.

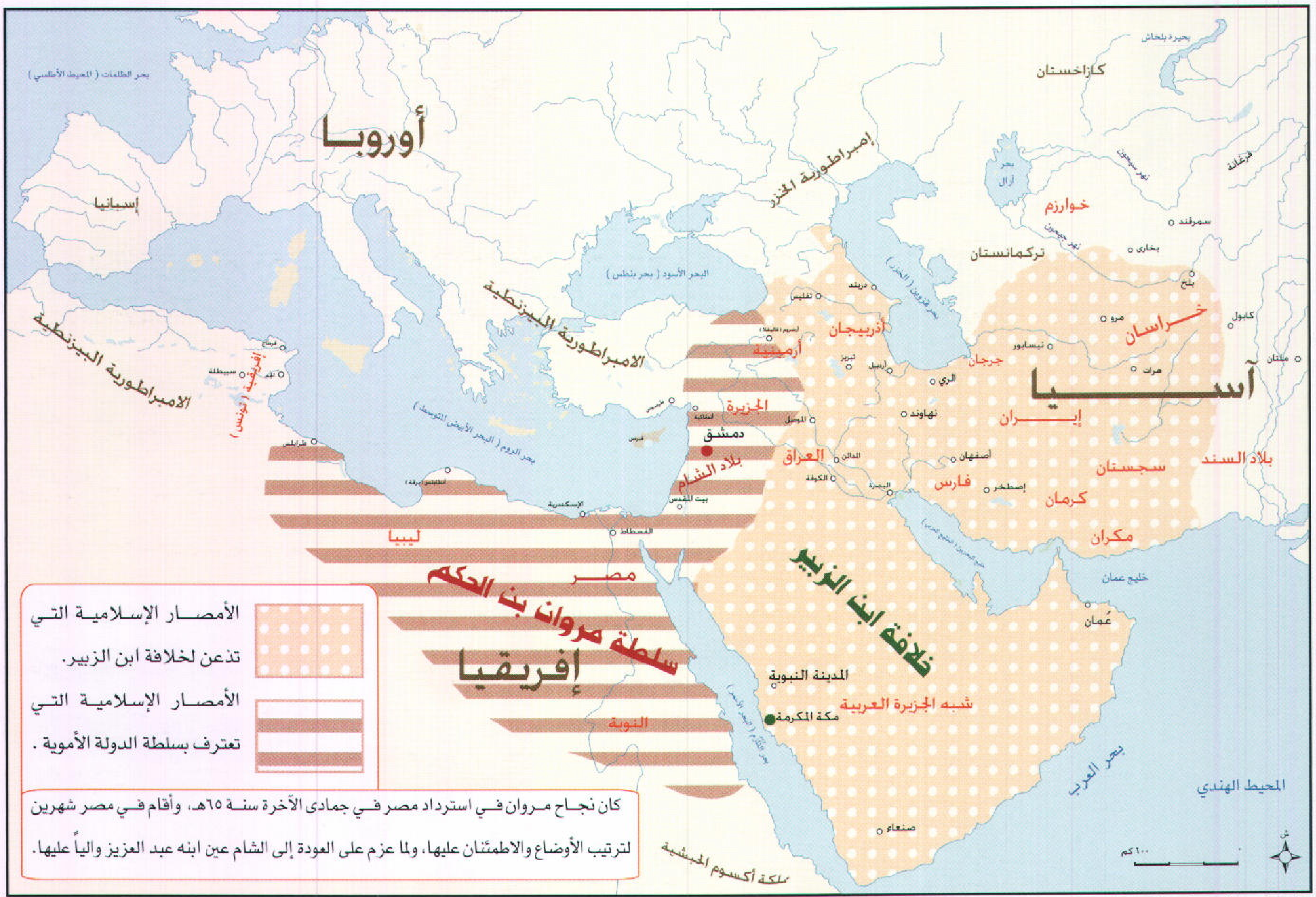

الوضع السياسي العام بعد معركة مرج راهط

من أبرز نتائج معركة مرج راهط: - أعادت هذه المعركة المُلك لبني أمية بعد أن كان مهدداً بالزوال، وحولت السلطة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني. - تخلص الأمويون من الضحاك بن قيس الذي كان يعد معارضاً قوياً للأمويين، وتابعاً مخلصاً لابن الزبير. - سقطت قنسرين في يد الأمويين وهرب واليها زفر بن الحارث فتوجه إلى قرقيسيا، وكان عليها عياض الحرثي -حسب قول ابن الأثير-. - سقطت فلسطين وهرب ناتل بن قيس الجذامي إلى ابن الزبير. - سقطت حمص وقتل واليها النعمان بن بشير. - اندلع الصراع بين اليمنية والقيسية ودخلت العصبية القبلية مسرح السياسة العليا للدولة، وإذا كان يوم مرج راهط قد انتصر فيه الكلبيون فقد كان نصراً مؤقتاً، وكان الصراع بين العصبتين القيسية واليمنية من أسباب انهيار الدولة الأموية.

الخلاصة: استطاع الأمويون من ضم مصر إليها ومحاولة إعادة العراق والحجاز مكّن انتصار مروان في معركة مرج راهط لدولته في الشام فبسط نفوذه عليها، وكانت خطوته التالية هي المسير إلى مصر لاستردادها من عامل ابن الزبير، وكانت هذه خطوة تدل على ذكاء مروان، فلمصر أهميتها الكبيرة، واستيلاؤه عليها يدعم موقفه في مواجهة ابن الزبير، ولم يكن استيلاؤه عليها صعباً، فمعظم المصريين هواهم مع بني أمية، وبيعتهم لابن الزبير لم تكن خالصة وإنما كانت بيعة ضرورة، ودعا مروان مناصري بني أمية بمصر سراً وهذا ما يفسر سهولة استيلاء مروان على مصر، فقد سار إليها بجيشه، ومعه عمرو بن سعيد، وخالد بن يزيد بن معاوية، وحسان بن مالك، ومالك بن هبيرة وابنه عبد العزيز، ودارت بين مروان وابن جحدم عدة معارك انتصر فيها مروان وهرب ابن جحدم، ثم جاء إلى مروان طالباً العفو على أن يخرج إلى مكة. الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٧٤ - ٥٧٥ .

البيت المرواني

عبد الملك بن مروان

الفصل الخامس

٦٥ـ ٨٦هـ / ٦٨٥ـ ٧٠٥م

هو أبو الوليد[١] **عبد الملك بن مروان** بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي، الخليفة الأموي الفقيه، والمؤسس الثاني للدولة الأموية، والمؤسس الحقيقي للنظام الإداري والسياسي للإدارات الإسلامية في عهد الدولة الأموية.

ولد في المدينة وتفقه في الدين واستلم الحكم بعد أبيه مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م، واستقام على الملك واحداً وعشرين عاماً، وعجت بأخبار خلافته وأعماله كتب التاريخ العربي الإسلامي، ما كتب منها في العصور السالفة وما دوّن حديثاً. وعلى الرغم من اختلاف بعضها في تقويم تصرفاته فإنها كلها أفاضت بعلم عبد الملك وثقافته وفقهه وأدبه وشعره، حتى إنه كان يعد رابع أربعة فقهاء مشهورين في المدينة هم: سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وقال عنه الشعبي: «ماجالست أحداً إلاّ وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك فإني ما ذاكرته حديثاً ولا شعراً إلاّ زادني فيه». كما أن كتب التاريخ أجمعت على حزمه وصرامته في تطبيق ما يؤمن به ومعرفته لطبائع البشر، فقد روى عنه المسعودي، أن بعض جلسائه طلب الخلوة إليه يوماً، فأجابه إلى طلبه بشرط ثلاث خصال: لاتُطر نفسي عندك، أي لا تمدحها؛ فأنا أعلم بها منك، ولا تغتب عندي أحداً فلست أسمع منك، ولا تكذبني فلا رأي لمكذب، فاستأذن الجليس منه وانصرف.

ومما لاشك فيه أن ثقافته الواسعة وتفهمه لأحكام الدين وأعماق قيمه قد ساعدته على توسيع ساحة رؤياه، وإيضاح معالم الطريق الذي عليه أن يسلكه في استكمال بناء الدولة الإسلامية، كما أنه استطاع بثاقب فكره وبعد نظره أن يرسم لنفسه أبعاداً رئيسة ترتكز عليها الدولة الإسلامية ولاتكون متماسكة إلا بها، أولها: بُعد سياسي حربي دعامته الجيش الذي كان عليه أن يتحرك بالكم العددي والاستعدادات الملائمة بحسب ما تمليه سياسة الدولة للحفاظ على كيان الأمة ووحدتها، فقد وصل عبد الملك بن مروان إلى الخلافة، وقد عادت العصبية القبلية تمزق وحدة الأمة العربية، والمطامع الشخصية التي استغلت الخلافات المذهبية والعواطف الشعبية، تُكتل المسلمين فئات وأحزاباً متنافرة، تطالب كلها بالحكم والخلافة لأنها ترى أنها أحق من الأمويين بها، فهناك شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في العراق (التوابون، المختار بن أبي عبيد الثقفي وما نجم عنها من الكيسانية) وهناك الموالون لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه الذي ثار بالحجاز وبويع بالخلافة ومدّ سلطانه إلى العراق والمشرق، وهناك الخوارج؛ إضافة إلى تمردات فردية ومحلية.

إلى جانب هذا الانقسام الداخلي الخطير، كان الروم البيزنطيون في شمالي بلاد الشام وفي شمالي إفريقيا يتسللون بدسائسهم إلى صفوف سكان البلاد ويثيرون النفوس الطامحة منهم، ويحرضونها على الثورة لتعود السيطرة لهم بعد أن تحررت من عبوديتهم وسلطانهم مستغلين الأوضاع الداخلية.

---

١ - نجدة خماش، عبد الملك بن مروان، موسوعة دار الفكر، ج ١، النسخة الرقمية

عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م

تسلّـم عبد الملك بن مـروان بن الحكم حكم الدولة الأموية بعهد من أبيه وذلـك في عام ٦٥هـ، بيد أنه تسلمها والدولة تعصف بها رياح الفتن والاضطرابات والانقسامات؛ فعبد الله بن الزبير رضي الله عنـه يُسيطر على الحجـاز والعراق وأجزاء مـن بلاد المشرق ومصـر وغربهـا، وعبد الملـك لا يملك مـن أمره إلا بـلاد الشام؛ ولذلـك بـدأ في توحيد الدولـة تحت إمرته، فكانـت أولى المناطق التي أراد أن يستعيد سيطرته عليها: العراق ثم الحجاز.

الأحداث السياسية الداخلية في عهد عبد الملك بن مروان

أولاً: **المعارضة الشيعية**

- أ - حركة التوابين - معركة عين الوردة سنة ٦٥ هـ / ٦٨٥ م
- ب - حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي

ثانياً: **حركة ابن الزبير**

- القضاء على قوة ابن الزبير في العراق تمهيداً لإسقاط حكمه في الحجاز

ثالثاً: **الخوارج**

- أ - الخوارج الأزارقة
- ب - الخوارج الصفرية
- ج - خوارج اليمامة

رابعاً: **حركة ابن الأشعث**

حركة التوابين

كانت الكوفة بعد موقعة كربلاء تتحسّس أكثر من غيرها ثقل الذنب ومرارة الندم، باعتبارها طرفاً مباشراً ومسؤولاً في قضية الشهيد الحسين بن علي (رضي الله عنهما) .فهي التي ألحّت عليه بالخروج إلى أرض العراق، ثمّ تقاعست في أحرج الظروف عن الالتزام بما وعدت به والوفاء بالعهد الذي قطعته على نفسها. وإذا كانت الأحداث التي تلاحقت بصورة مفاجئة بُعَيد تحرّكه (رضي الله عنه) من الحجاز قد حالت دون القيام بواجبها وتنفيذ مخطّطها المرسوم، فإنّ ذلك لم يكن ليُخفّف عنها عمق المأساة؛ لأنّها افتقدت بمصرعه (رضي الله عنه). الشخصية الأكثر جدارة التي وضعت فيها الشيعة كلّ آمالها وطموحها للوصول إلى الحكم [١].

وحينما تولى عبد الملك بن مروان الحكم بعث إلى عبيد الله بن زياد يقرُّه على ما ولّاه عليه أبوه مروان في العراق، وتقدم ابن زياد نحو العراق وهدفه إجلاء ولاة ابن الزبير، ولكنه اضطر إلى أن يغير خطته، فقد ظهر في الميدان أعداء جدد لم يكونوا في حسبان ابن زياد وهم **(التوابون)**. حيث أخذ الشيعة يعقدون الاجتماعات برئاسة سليمان بن صرد الخزاعي لدراسة الموقف، وأسلوب العمل الذي سيتبعونه، وغلب على هذه الاجتماعات موضوع التوبة والغفران، ثم شرعوا في تجييش الناس، وخرج التوابون من معسكرهم في **النخيلة** في شهر ربيع الأول ٦٥هـ، وهو الموعد الذي حددوه لخروجهم، وكانت المحطة الأولى في مسيرتهم الانتقامية في **كربلاء** حيث بلغوا **قبر الحسين** فاسترحموا عليه وبكوا وتابوا عن خذلانهم له، وبعد يوم وليلة من البكاء كان الحماس قد أخذ منهم حق العمق، فقرروا السير إلى الشام لقتال عبيد الله بن زياد باعتباره الرجل الذي أصدر الأمر بقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما .

١ - محمد أمين نجف

معركة عين الوردة سنة ٦٥ هـ

(١) بعد موت يزيد وفرار عبيد الله بن زياد، أخذ الشيعة في الكوفة استغلال ضم البصرة لابن الزبير وتبعية المدائن أيضاً، وراحوا يعقدون الاجتماعات برئاسة **سليمان ابن صرد الخزاعي** والذي شكّلت مجموعته منظمة سرّية نواتها نحو مائة معارض، ولم تلبث حتّى تحوّلت إلى معارضة شيعية كبرى تحمل اسم (التوّابين).

(٢) عَلِمَ التوّابون بقدوم ابن زياد إلى العراق، فرأوا الخروج لقتاله وقتل ابن زياد أخذاً بثأر الحسين بن علي رضي الله عنهما، وكان عددهم في بادئ الأمر ستة عشر ألفاً، فلما جاء وقت العمل الجاد نكصوا وتقاعسوا حتى وصل عددهم إلى أربعة آلاف، وحتى الآلاف الأربعة الذين تجمعوا حول زعيم التوابين سليمان بن صرد تخلّى عنه منهم ألف وبقي معه ثلاثة آلاف فقط. أما جيش الشام فكان عدده ستين ألفاً عليهم عبيد الله بن زياد، أرسلته القيادة ليعيد العراق إلى سلطان الأمويين بعد أن بسط حكمه على الشام، فالتقى بالتوابين في **عين الوردة** من أرض الجزيرة، ودارت معركة غير متكافئة قُتِلَ فيها معظم التوابين وزعيمهم سليمان بن صرد الخزاعي، وكان ذلك في ربيع الآخر سنة ٦٥هـ. وفَرَّ الباقون عائدين إلى **الكوفة** لينضموا إلى المختار الثقفي الذي انفرد بزعامة الشيعة فيها.

حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي

هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذَّاب، كان والده الأمير أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف ابن عقدة الثقفي، أسلم في حياة النبي عليه السلام، ولم نعلم له صحبة، استعمله عمر بن الخطاب على جيش، فغزا العراق، وإليه تنسب وقعة جسر أبي عبيد، ونشأ المختار، فكان من كبراء ثقيف، وذوي الرأي، والفصاحة، والشجاعة والدهاء وقلة الدين، وقد قال النبي عليه السلام: «يكون في ثقيف كذَّاب ومبير»، مسلم رقم ٢٥٤٥. فكان الكذاب هذا، ادعى أن الوحي يأتيه، وأنه يعلم الغيب، وكان المبير الحجاج، قبحهما الله،سير أعلام النبلاء (٣/٥٣٩)، ظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي على مسرح الأحداث بعد موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ، وهو من الشخصيات التي حفل بها العصر الأموي، والتي كانت تسعى لها عن دور، وتسعى إلى السلطان بأي ثمن، فتقلب من العداء الشديد لآل البيت على ادعاء حبهم والمطالبة بثأر الحسين. وبالمناسبة هو الذي أشار على عمه سعد بن مسعود الثقفي بالقبض على **الحسن بن علي** وتسليمه إلى معاوية، لينال بذلك الحظوة عنده، ثم حاول الاتصال بعبد الله بن الزبير والانضمام إليه، وشرط عليه شروطاً، منها: أن يكون أول داخل عليه، وألا يقضي الأمور دونه، وإذا ظهر استعان به على أفضل أعماله، وباختصار أراد أن تكون له كلمة في دولته، ولكنه لم يجد تجاوباً من ابن الزبير، فانصرف عنه إلى **الكوفة**، حيث كان الأمر فيها مضطرباً، فأراد أن يصطاد في المياه العكرة، ولم يجد فيها ورقة رابحة سوى الادعاء بالمطالبة بدم الحسين وآل البيت، **وادعى أن لديه تفويضاً بذلك من محمد بن علي بن أبي طالب، الملقب بابن الحنفية**، ولكنه لم يكن صادقاً في ذلك، بل قرر أن يركب تيار الشيعة ليصل إلى هدفه وهو الحكم والسلطان [١].

وقد عبر هو نفسه عن ذلك في حواره مع رجال من رجاله الذين أخلصوا له، وكانوا يظنونه صادقاً في دعوته للثأر لآل البيت، وهو السائب بن مالك الأشعري. فقد قال له المختار عندما ضيق عليه وصعب الخناق واقتربت نهايته: ماذا ترى؟ فقال له السائب: الرأي لك؟ قال: أنا أرى أم الله يرى؟ قال: الله يرى، قال: ويحك أحمق أنت! إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ورأيت نجدة انتزى على اليمامة، ومروان على الشام، فلم أكن دون أحد من رجال العرب، فأخذت هذه البلاد، فكنت كأحدهم إلا أني قد طلبت وبالغت في ذلك إلى يومي هذا، فقاتل على حسبك إن لم تكن لك نية، فقال السائب: إنا لله وإنا إليه راجعون. قال السائب ذلك لما تبين له أن المختار صنع كل ما صنع من أجل السلطان وحده، ولذلك يصف الذهبي المختار بالكذب وقلة الدين [٢].

---

١ - ٢ د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٨٣ - ٥٨٤.

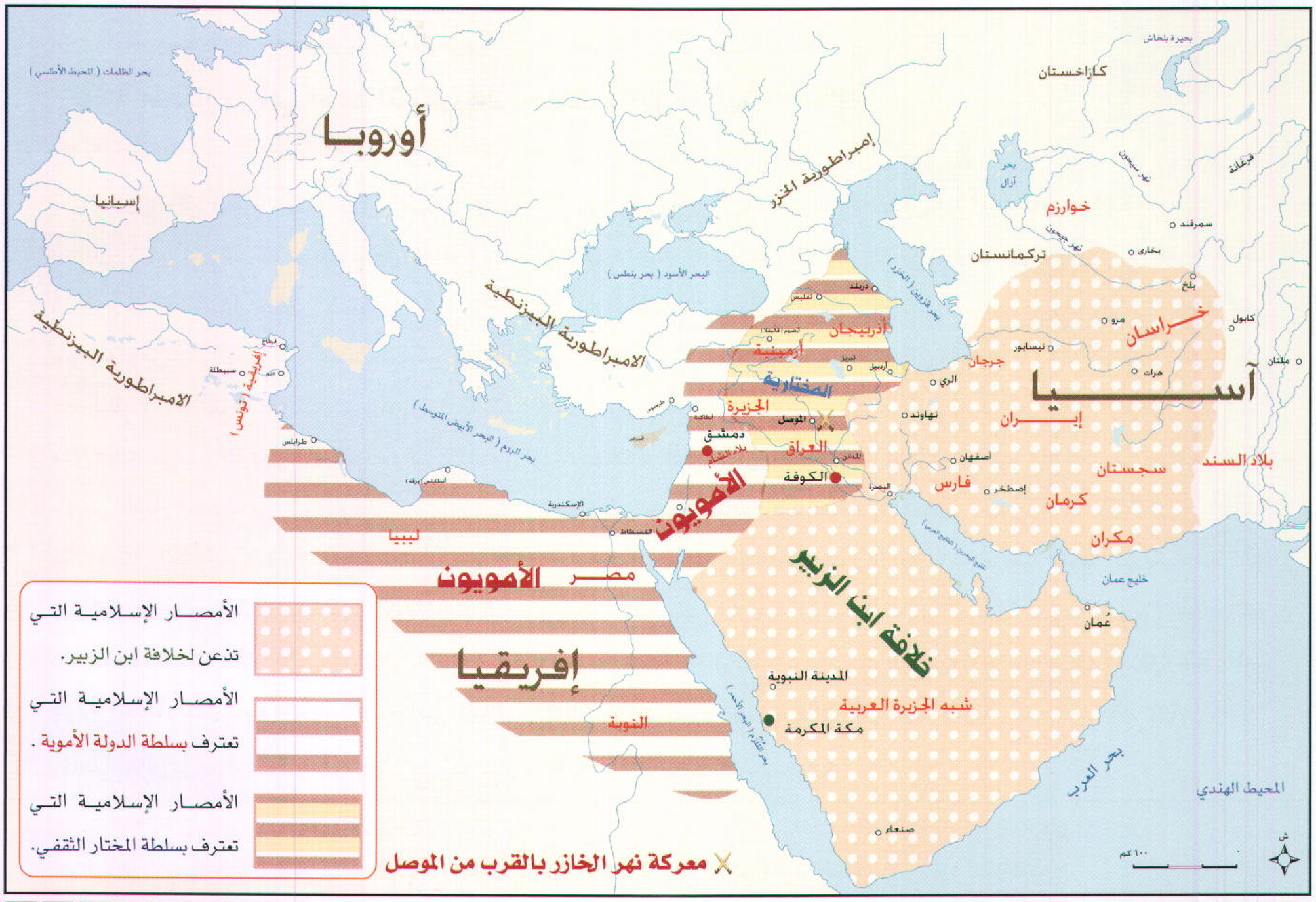

الوضع السياسي العام بعد ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي

ظهر المختار في **الكوفة** في الوقت الذي كان فيه سليمان بن صرد الخزاعي -زعيم التوابين- يستعد للذهاب إلى الشام، لقتال عبيد الله بن زياد، فحاول تثبيط الناس عنه، وقد نجحت دعايته وتجمع حوله نحو ألفين من الشيعة، وبقيت غالبيتهم مع سليمان بن صرد، وكانت نتيجة معركة **عين الوردة** من مصلحة المختار، فقد جاءته مصدقة لتوقعاته، كما أنه انفرد بزعامة الشيعة، ولجأ إليه الفارون من المعركة، فقويت حركته وكثر أتباعه، ثم ازداد مركزه قوة بانضمام **إبراهيم بن الأشتر النخعي** إليه، وهو من زعماء الكوفة، فثار على **عبد الله بن مطيع العدوي، أمير الكوفة، من قبل عبد الله بن الزبير**، فأخرجه منها وأحكم سيطرته عليها. ولكي يثبت دعواه في صحة دعوته في المطالبة بدم الحسين، فقد تتبع قتلته فقتل معظمهم في الكوفة، ثم أعد جيشاً جعل على قيادته إبراهيم بن الأشتر، وأرسله إلى قتال عبيد الله، فالتقى به عند **نهر الخازر بالقرب من الموصل**، وحلت الهزيمة بجيش ابن زياد، الذي خر صريعاً في ميدان المعركة سنة ٦٧هـ. وقد شرع المختار في تتبع قتلة الحسين ومن شهد الوقعة بكربلاء من ناحية ابن زياد، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وظفر برءوس كبار منهم، كعمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش الذي قتل الحسين، وشمر بن ذي الجوشن أمير الألف الذي وَلُوا قتل الحسين، وسنان بن أبي أنس، وخوليّ بن يزيد الأصبحي، وخلقٍ غير هؤلاء. وكان **مقتل عبيد الله بن زياد** في يوم عاشوراء سنة سبع وستين، ثم بعث إبراهيم بن الأشتر برأس ابن زياد إلى المختار، وتعاظم نفوذ المختار بعد انتصار جيشه على جيش ابن زياد، **وسيطر على شمالي العراق والجزيرة**، وجعل يولي العمال من قبله على الولايات، ويجبى إليه الخراج، وانضم إليه عدد كبير من الموالي لبغضهم لبني أمية من ناحية، ولأنه أغدق عليهم الأموال من ناحية ثانية. وبدا كما لو أنه أقام دولة خاصة به في العراق بين دولتي ابن الزبير في الحجاز، وعبد الملك بن مروان في الشام. د. الصلابي، المرجع السابق.

نهاية المختار بن أبي عبيد الثقفي على يد مصعب بن الزبير

كان من المتوقع أن تكون نهاية المختار على يد عبد الملك الذي وتره بقتل ابن زياد أبرز أعوانه، ولكن عبد الملك كان من الدهاء بحيث أدرك أن ابن الزبير، وإن كان قد أسعده ظهور المختار في البداية وقهره لجيش عبد الملك، إلا أنه لن يسمح لنفوذه أن يتسع ويهدد دولته، وأنه لابد أن يتحرك للقضاء عليه، فآثر الانتظار وترك ابن الزبير يواجه المختار، لأن نتيجة المواجهة ستكون في صالحه، فسوف يقضي أحدهما على صاحبه، ومن يبقى، تكون قوته قد ضعفت فيسهل له القضاء عليه، وقد حدث ما توقعه عبد الملك، **فإن المختار** لم يكتف بانتصاره على جيش عبد الملك وبسط نفوذه على شمالي العراق والجزيرة (وأجزاء من أرمينية وأذربيجان) ، بل أخذ يعد نفسه للسير إلى **البصرة** لانتزاعها من **مصعب بن الزبير** الذي أصبح والياً عليها من قبل أخيه **عبد الله** بعد أن بايعه أهلها، وهنا أصبح الصدام محتوماً بين المختار وآل الزبير. **فسار مصعب بن الزبير بنفسه إلى قتال المختار في جيش هائل، فحاصره بالكوفة** وضيق عليه وما زال حتى أمكن الله منه، فقتله واحتزّ رأسه، وأمر بصلب كفّه على باب المسجد، وبعث مصعب برأس المختار مع رجل من الشُّرط على البريد إلى أخيه عبد الله ابن الزبير، فوصل مكة بعد العشاء، فوجد عبد الله يتنفّل، فما زال يصلي حتى أسحر ولم يلتفت إلى البريد الذي جاء بالرأس، فقال: ألقه على باب المسجد، فألقاه ثم جاء فقال: جائزتي يا أمير المؤمنين. فقال: جائزتك الرأس الذي جئت به تأخذه معك إلى العراق، **ثم زالت دولة المختار كأن لم تكن، وكذلك سائر الدول، وفرح المسلمون بزوالها**؛ وذلك لأن الرجل لم يكن في نفسه صادقاً، بل كان كاذباً، وكاهناً، وكان يزعم أن الوحي ينزل عليه على يد جبريل عليه السلام ... د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٨٦ .

الوضع السياسي العام بعد القضاء على ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة

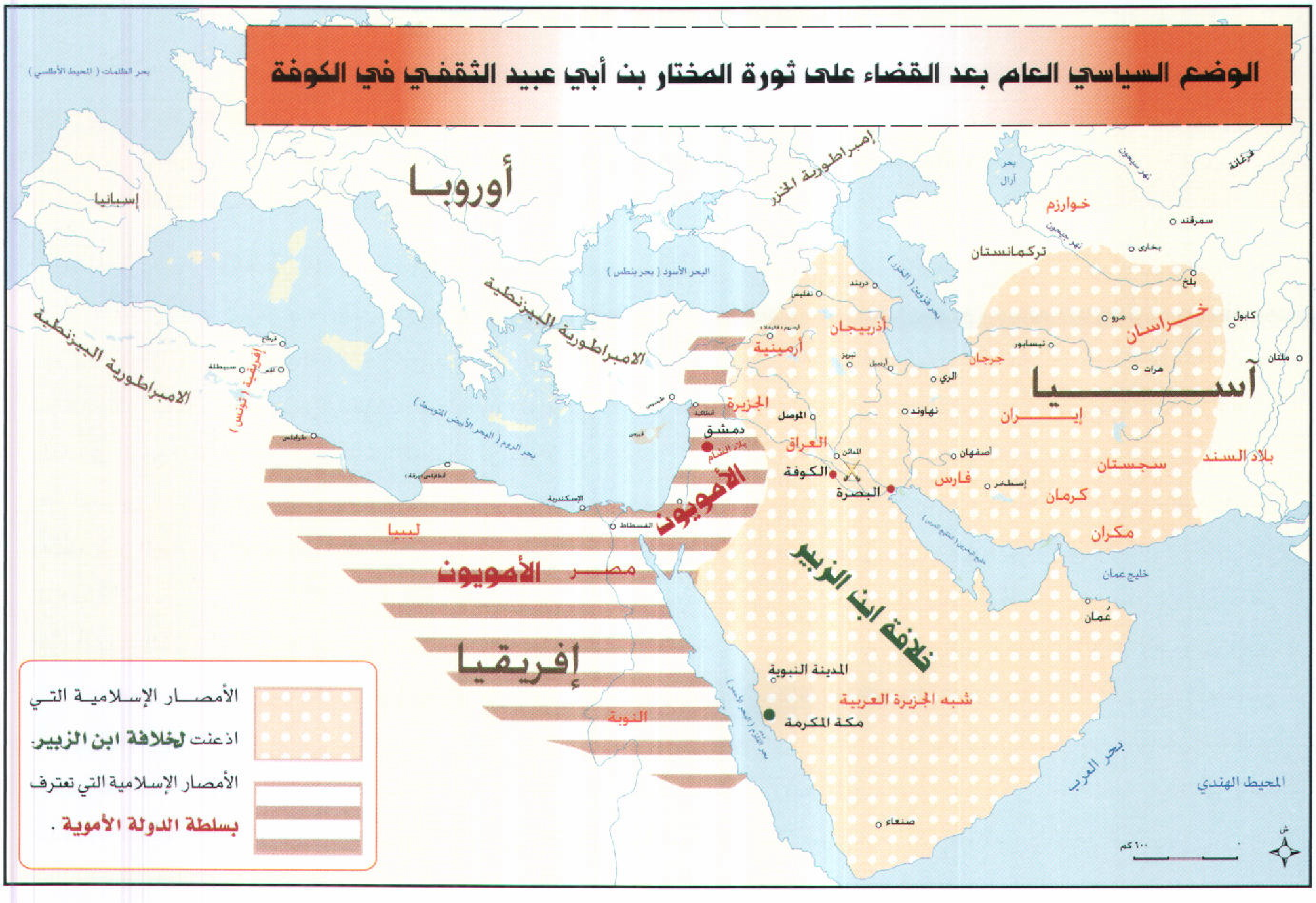

مبرة الآل والأصحاب

الآل والصحابة .. .. محبة وقرابة

المصاهرات بين آل علي بن أبي طالب وآل الزبير بن العوام رضي الله عنهما

١٤ مصاهرة بين آل علي وآل الزبير رضي الله عنهما خلال ١٠٠ عام

قصي بن كلاب

- خويلد بن أسد بن عبد العزى ← الزبير بن العوّام رضي الله عنه
- عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ← علي بن أبي طالب رضي الله عنه

#	من آل الزبير	علاقة زواج	من آل علي
١	عبيدة ← المنذر	○	فاطمة
٢	مصعب ← جعفر	○	مليكة ← الحسن ← الحسن رضي الله عنه
٣	المنذر ← عمرو	○	رقية ← الحسن رضي الله عنه
٤	المنذر ← محمد ← فليح ← فاختة	○	محمد ← عبدالله ← الحسن ← الحسن رضي الله عنه
٥	المنذر ← حمزة ← أمينة	○	الحسين ← الحسن رضي الله عنه
٦	عبد الله رضي الله عنه	○	نفيسة (أم الحسن) ← الحسن رضي الله عنه
٧	مصعب	○	سكينة ← الحسين رضي الله عنه
٨	مصعب ← حمزة ← خالدة	○	الحسين ← علي ← الحسين رضي الله عنه
٩	عروة ← هشام ← الزبير ← عبيدة	○	موسى ← عمر ← علي ← الحسين رضي الله عنه
١٠	عروة ← عثمان ← فاطمة	○	جعفر ← عمر ← علي ← الحسين رضي الله عنه
١١	المنذر ← محمد ← عبيد الله ← بريكة	○	إبراهيم ← حسين ← علي ← الحسين رضي الله عنه
١٢	مصعب ← مصعب ← أمينة	○	محمد ← عبدالله ← الحسن ← الحسن رضي الله عنه
١٣	مصعب ← محمد ← صفية	○	محمد ← عون ← علي ← محمد
١٤	عمرو ← الزبير ← عمرو ← أم عمرو	○	عبدالله ← الحسين ← علي ← الحسين رضي الله عنه

رضي الله عنه: صحابي — ←: علاقة أبوة وبنوة — ○: علاقة زواج

ملحوظة مهمة: هذه الشجرة تشمل بعض المصاهرات والأنساب لا كلها

أهم المراجع والمصادر:

- المعارف لابن قتيبة ٢٢٤
- شجرة طوبى لمحمد مهدي الحائري ١٢٠
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٢، ٥٣، ٥٥
- سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري ٨، ٦٩، ٧٨، ٧٩
- معجم رجال الحديث للخوئي ١٢/ ٧٦
- نسب قريش للزبيري ١٩، ٢٦
- المحبر لابن حبيب ٥٧
- مستدركات علم الرجال للنمازي ترجمة ٨٢٢٦
- المجدي في أنساب الطالبين - علي بن محمد العلوي ١٩٥
- الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ /٣٢٧

قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩)
بهذه الشجرة شهدت ونطقت مصادر المسلمين مما يؤكد استمرار العلاقة الحميمة بين الآل والأصحاب وقربهم عبر الأجيال، فلنحذر من المدسوس في التاريخ.

ضاحية عبد الله السالم - قطعة ١ - شارع أحمد الهندي - منزل ٢١ - هاتف: ٢٥٦٠٢٠٣ / ٢٥٥٢٣٤٠ - فاكس: ٢٥٦٠٣٤٦
ص.ب: ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي 71655 الكويت - www.almabarrah.net / Email: almabarrh@gmail.com

ثانياً: حركة عبد الله بن الزبير

أدى زوال المختار من الميدان السياسي إلى انحصار المنافسة على زعامة العالم الإسلامي بين عبد الملك وعبد الله بن الزبير. ويبدو أن الأول لم يكن قادراً على التصدي للزبيريين في العراق والأقاليم الشرقية نظراً لتعرضه لبعض المشكلات الداخلية والخارجية التي تطلّب حلها جهوداً خاصة.

كان **الوضع الداخلي** الهاجس الرئيس للخليفة الأموي، حيث كان البيت الأموي لا يزال منطوياً على بعض خلافاته، وتُحاك فيه المؤامرات. ويبدو أن عبد الملك عندما اتخذ قراره بالتصدي لابن الزبير، وجد نفسه مضطراً لمعالجة بروز عمرو بن سعيد بن العاص كمنافس له على الزعامة الأموية، وقد نجح في القضاء عليه وأعاد اللحمة إلى البيت الأموي. كما أنهى مشكلاته بالحكمة مع حاكم **قرقيسياء** زفر بن الحارث، ونجح في التخلص من ناتل الجذامي حاكم **فلسطين** المؤيد لابن الزبير.

أما **الوضع الخارجي** فقد انتهجت الإمبراطورية البيزنطية في عام (٧٠ هـ / ٦٨٩ م) سياسة أشد نشاطاً وفاعلية على حدود الثغور الإسلامية منتهزة فرصة حدوث الاضطرابات داخل الصف الإسلامي، فاضطر عبد الملك أن يعقد معاهدة مع الإمبراطور جسينيان الثاني لضمان هدوء هذه الجبهة، مقابل دفع ضريبة مالية. وبذلك يكون عبد الملك، قد حسم مختلف المشكلات لصالحه وأضحى نظامه من القوة ما يكفي للمراهنة على صعوبة إسقاطه من جهة، والقضاء على حركة ابن الزبير من جهة أخرى.

وأدرك الخليفة الأموي **أن قوة ابن الزبير تكمن في العراق** وأن القضاء عليه في هذا الإقليم سيؤدي حتماً إلى إسقاط النظام الزبيري بكامله لأن عوامل الصمود في الحجاز تكون قد فقدت الكثير من دعائمها، لذلك خرج على رأس جيش كبير إلى العراق، في حين تحرك مصعب من الكوفة باتجاه الشمال للتصدي له.

وانتهج عبد الملك، في غضون ذلك، خطة ذكية لإضعاف قوة خصمه، فكاتب زعماء العراق في جيشه يستميلهم للانضمام إليه، كما كاتبه هؤلاء يدعوه إليهم. وقد علم مصعب بهذه المراسلات، إلا أنه لم يتخذ بحقهم أي إجراء. ويبدو أنه لم يشأ إحداث شرخ في صفوفه، وهو على أهبة الاستعداد لدخول معركة. إلا أنه أظهر نفسه قائداً قصير النظر بفعل أن الخيانة أثّرت على قوته حين تخلّى هؤلاء الزعماء عنه وانضموا إلى خصمه مما كان سبباً من أسباب خسارته.

ومهما يكن من أمر، فقد التحم الجيشان على **نهر الدجيل عند دير الجاثليق بمسكن** في (شهر جمادى الآخر عام ٧٢ هـ / شهر تشرين الأول عام ٦٩١ م)، وأسفر اللقاء بينهما عن انتصار واضح للجيش الأموي وقُتل مصعب في المعركة، ودخل عبد الملك الكوفة على إثر هذا الانتصار.

لم يضع عبد الملك فرصة قطف ثمار انتصاره، فقد **أسرع بإرسال جيش إلى الحجاز بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي ليوجه إلى عبد الله بن الزبير الضربة القاضية**. حاصر الحجاج **مكة**، وشدد على ابن الزبير الذي أضحى في موقف حرج بفعل انفضاض أتباعه من حوله نتيجة منح الحجاج الأمان لهم.

وبالرغم من ذلك، لم تخن عبد الله شجاعته، حتى في هذه اللحظة الأخيرة من حياته، واضعاً النهاية لأخطر حركة واجهت الدولة الأموية. وكان ذلك في (السابع عشر من شهر جمادى الأولى عام ٧٣ هـ / شهر أيلول عام ٦٩٢ م). **وبهذا انتهت خلافة عبد الله بن الزبير التي استمرت تسع سنوات تقريباً**. وبوفاته، وخضوع الحجاز لعبد الملك بن مروان، توحّد العالم الإسلامي من جديد تحت زعامة هذا الأخير الذي أضحى الخليفة الشرعي الوحيد للمسلمين. د. طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٧٩ – ٨٠.

القضاء على الدولة الزبيرية

١- لم يشأ **عبد الملك** أن يسير **للعراق** إلا بعد أن يوطد دعائم حكمه في الشام، فقضى هذه السنين في تحقيق هذا الهدف، فقد حل مشكلاته مع **زفر بن الحارث الكلابي** الذي كان معتصماً في **قرقيسيا**، مهدداً بذلك إقليم الجزيرة كله، وقد عالج عبد الملك مشكلة زفر بالحكمة والسياسة، واصطلح معه، وأنهى بذلك مسألة قرقيسيا التي استمرت حوالي سبع سنين كالشوكة في جنب دولته.

٢- سارع **عبد الملك بن مروان** إلى **العراق بجيشه**، وجعل على **مقدمته** أخاه محمد بن مروان، **ونزل بمسكن**، وكان **مصعب بن الزبير** قد علم بمسيره، ونزل هو بمسكن أيضاً. **مقدمته** إبراهيم بن الأشتر، وأخذ عبد الملك يكاتب زعماء أهل العراق من جيش مصعب يعدهم ويمنيهم.

٣- **مسكن:** وهو موضع قريب من أوانا على نهر دُجيل عند دير الجاثليق به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب ابن الزبير في سنة ٧٢ فقتل مصعب وقبره هناك معروف. الحموي، معجم البلدان.

قالت سكينة بنت الحسين في رثاء زوجها مصعب:

فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الذي
يرى الموت إلا بالسيوف حراماً

وقبلك ما خاض الحسين منية
إلى القوم حتى أوردوه حـمامـاً

٤- كان انتصار **عبد الملك بن مروان** على مصعب بن الزبير في معركة **دير الجاثليق** إيذاناً بانتهاء دولة عبد الله بن الزبير؛ فقد استقرت له الأمور في جميع الأمصار الإسلامية، **وانحصرت دولة ابن الزبير في الحجاز**، ولم يكن في استطاعته الصمود، لافتقاره إلى المال والرجال، كما أن مقتل أخيه مصعب قد فت في عضده وأصابه الإحباط، ولكنه لم يلق رايته، وظل يقاوم حتى النهاية.. لم يضيع عبد الملك بن مروان وقتاً بعد انتصاره على مصعب، وقرر أن يقضي نهائياً على دولة ابن الزبير ووقع الخيار لقيادة الجيش للقضاء على ابن الزبير على **الحجاج بن يوسف الثقفي**، وتوجه بجيشه إلى الحجاز، **واستقر بالطائف**، وبدأ يرسل بعض الفرق العسكرية إلى مكة، وكان ابن الزبير يرسل إليه بمثلها فيقتتلون وتعود كل فرقة إلى معسكرها.

٥- في محاولة لإنهاك ابن الزبير قام الحجاج بفرض حصار اقتصادي على مكة، ويروي ابن حزم أن عبد الملك بن مروان كان يسهم في فرض هذا الحصار؛ فقد أوكل إلى خالد بن ربيعة مهمة قطع الميرة عن ابن الزبير وأهل مكة، وقد أثر هذا الحصار على ابن الزبير وأصابت الناس مجاعة شديدة حتى إن ابن الزبير اضطر إلى ذبح فرسه ليطعم أصحابه، وفي الوقت نفسه كانت العير تحمل إلى أهل الشام من عند عبد الملك، السويق، والكعك والدقيق، وقد ترتب على تردي الأحوال داخل مكة، أن بدأ التخاذل يدب بين أنصار ابن الزبير، وبدأوا ينسحبون واحداً تلو الآخر، ومما شجع على تخاذل هؤلاء إعطاء الحجاج الأمان لكل من كف عن القتال وانسحب من جيش ابن الزبير. د. علي الصلابي، الدولة الأموية.

٦- أراد **الحجاج** بن يوسف الثقفي أن ينهي أمر ابن الزبير فكتب إلى عبد الملك ابن مروان يطلب منه الإذن بقتاله ومناجزته، فأجابه عبد الملك بقوله: افعل ما ترى.

وهذه الإجابة تحمل في مضمونها الموافقة على طلب الحجاج المتحفز لقتال ابن الزبير، **وتوجه الحجاج بن يوسف بجميع جيشه إلى مكة ونصب المنجنيق على جبالها، وبدأ يضرب ابن الزبير داخل الحرم ضرباً متواصلاً**، وفي الوقت نفسه كانت بقية جيشه يقاتلون البقية الباقية مع ابن الزبير.

٧- **وبعد قتال شديد، وبسالة قوية قُتل عبد الله بن الزبير يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون سنة، وتولى قتله رجل من مراد.**

ثالثاً: القضاء على حركات الخوارج

كان أول موقف سياسي منظم اتخذه الخوارج في العهد الأموي، هو التحالف مع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في مكة المكرمة.

بيد أن الخوارج اكتشفوا أن ابن الزبير مخالفٌ لهم في الفكر؛ فغادروا مكة، وانقسموا على إثر ذلك إلى عدة فرق نتيجةً لوقوعهم في صراعات، واضطرابات داخلية تعود في جوهرها إلى نواح سياسية، وعقدية وقبلية في آن واحد، فجاءت فرقها خلال هذه الفترة على النحو التالي:

أ - الخوارج الأزارقة

١ – بعد مقتل مصعب بن الزبير وسيادة عبد الملك بن مروان على العراق، احتل الأزارقة الأهواز وأخذوا يهددون **البصرة**، والمناطق المجاورة لها.

٢ – عبد الملك يُعين المهلب بن أبي صفرة لقتال الأزارقة.

٣ – بعد ثلاث سنوات من الصراع المرير، انتصر المهلب بن أبي صفرة على الأزارقة بمساندة والٍ صلب وهو الحجاج بن يوسف.

ب - الخوارج الصفرية

١ – إذا كان الأزارقة هددوا البصرة؛ فإن الخوارج الصفرية هددوا **الكوفة**؛ منطلقين من الموصل في عام ٧٦ هـ حيث احتلوا **الكوفة والمدائن وخانقين** بعد أن تغلبوا على الجيوش الأموية.

٢ – رأى الحجاج التصدي لقوة الخوارج الصفرية، فخاض **معركة الدجيل** سنة ٧٧ هـ.

٣ – بعد انكسار الخوارج بقيادة شبيب بن يزيد بن نعيم، انسحبوا عبر جسر من القوارب أقاموه على النهر، وكان هو أول الغارقين فيه، فخلفه البطين الذي تم إلقاء القبض عليه وقتله الحجاج الثقفي. فطلب الصفرية عندئذ الأمان فمنحوا إياه.

ج - خوارج اليمامة

١ – هاجم خوارج اليمامة بقيادة نجدة بن عامر الحنفي **البحرين** سنة ٦٥ هـ ومناطق أخرى على الشريط الساحلي لإقليم البحرين؛ مستغلين حالة الفوضى والاضطراب السائدة آنذاك، وهددوا سلطة ابن الزبير نفسه في الحجاز .

٢ – عندما دخل العراق تحت حوزة عبد الملك وجه لهم قوة اصطدمت معهم في موضع المشقَّر في البحرين، فدارت الدائرة عليهم، وقُتل أبو فديك واضطر أتباعه إلى التسليم، وبهذا الشكل سقطت الخوارج النجدية، في اليمامة والبحرين بحيث لم تقم لهم قائمة بعد ذلك .

ثورات الخوارج الرئيسة في عهد عبد الملك

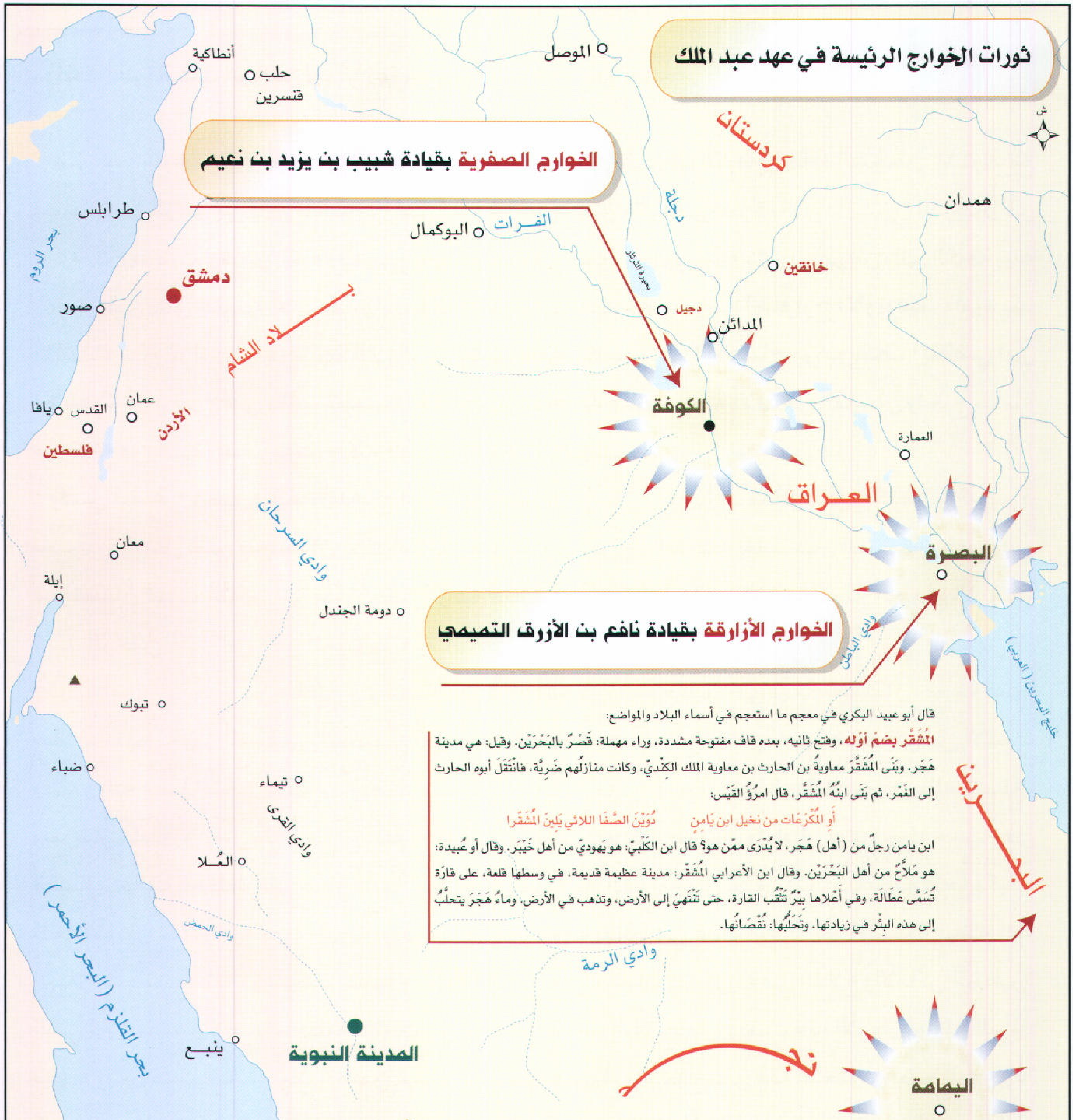

قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع:

المُشَقَّر بضم أوّله، وفتح ثانيه، بعده قاف مفتوحة مشددة، وراء مهملة: قَصْرٌ بالبَحْرَيْن. وقيل: هي مدينة هَجَر. وبَنَى المُشَقَّرَ معاويةُ بن الحارث بن معاوية الملك الكِنْديّ، وكانت منازلُهم ضَرِيَّة، فانْتَقَلَ أبوه الحارث إلى الغَمْر، ثم بَنَى ابنُهُ المُشَقَّر، قال امرُؤُ القَيْس:

أَوِ المُكْرَعَات من نخيل ابن يَامِنٍ ... دُوَيْنَ الصَّفَا اللائي يَلِينَ المُشَقَّرا

ابن يامن رجلٌ من (أهل) هَجَر، لا يُدْرَى ممّن هو؟ قال ابن الكَلْبيّ: هو يَهوديّ من أهل خَيْبَر. وقال أو عُبيدة: هو مَلاَّحٌ من أهل البَحْرَيْن. وقال ابن الأعرابي المُشَقَّر: مدينة عظيمة قديمة، في وسطها قلعة، على قارَة تُسَمَّى عَطَالَة، وفي أعلاها بِئْرٌ تَثْقُب القارة، حتى تَنْتَهيَ إلى الأرض، وتذهب في الأرض. وماءُ هَجَرَ يتحلَّبُ إلى هذه البِئْر في زيادتها. وتَحَلُّبُها: نُقْصَانُها.

رابعاً: حركة عبد الرحمن بن الأشعث

هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي من أشراف الكوفة والقادة الشجعان. اشترك مع مصعب بن الزبير في قتال المختار بن أبي عبيد الثقفي، وقُتل والده في المعركة التي دارت بين الفريقين في حروراء (موضع بظاهر الكوفة تنسب إليه الحرورية من الخوارج). وأرسله بشر بن مروان والي الكوفة سنة ٧٢هـ على رأس خمسة آلاف مقاتل مدداً للمهلب بن أبي صفرة في حرب **الخوارج الأزارقة**، وأمره بعد الانتهاء من غزاته أن ينصرف إلى الريّ. **وفي سنة ٧٦هـ، أمر الحجاج بن يوسف الثقفي ابن الأشعث أن يخرج في طلب شبيب الخارجي وأصحابه** فانتخب ستة آلاف من الفرسان وأخرج ستمئة من قومه من كندة وحضرموت، ولكنه عجز عن القضاء على شبيب.

وفي سنة ٨٠هـ، وجه الحجاج ابن الأشعث على رأس أربعين ألف مقاتل من **الكوفة والبصرة** لحرب **رُتبيل في سجستان** بعد امتناعه عن دفع الخراج، وإيقاعه بالمسلمين الذين كانوا مع والي **سجستان** عبيد الله بن أبي بَكْرَة. ويقال إن عم عبد الرحمن إسماعيل بن الأشعث نصح الحجاج ألا يرسل عبد الرحمن على رأس ذلك الجيش لأنه يخاف خلافه، فقال الحجاج: «... هو لي أهيَب، وَفي أرغب من أن يخالف أمري أو يخرج عن طاعتي». وأمضاه على ذلك الجيش، فخرج بهم حتى قدم **سجستان**، فجمع أهلها وطلب منهم تجهيز أنفسهم، والانضمام إلى جيشه لملاقاة عدوهم، وبلغ ذلك **رتبيل**، فكتب إلى ابن الأشعث يعتذر إليه مما أصاب المسلمين، ويخبره أنه كان لذلك كارهاً، وأنهم ألجؤوه إلى قتالهم، ويسأله الصلح، ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج، فلم يجبه ابن الأشعث ولم يقبل عرضه، وأراد أن يبتدع خطة جديدة في القتال تخالف الخطط التي سار عليها أسلافه في غزواتهم السريعة وأن يكون فتحه للمنطقة فتحاً مكيناً، ثابت الأركان تستقر فيه هيبة الدولة، وتدخل البلاد المفتوحة نهائياً في عداد البلاد الطائعة، فكان يضم إليه البلاد منطقة منطقة، ويسيطر عليها سيطرة أكيدة ويضع حاميات عسكرية في القلاع والأماكن الخطيرة التي كان يهددها الأعداء، وكلما سقطت في يده منطقة بعث إليها بعامل، وبعث معه الأعوان، ونظم البريد بينها وبين مركز قيادته، حتى يضمن استتباب الأمر له فيها، واستطاع على هذا النحو أن يضم إليه جزءاً كبيراً من البلاد. ثم توقف مدة حتى يعتاد جنده الحياة في تلك البلاد الغريبة الوعرة ويعرفوا مسالكها، **وكتب إلى الحجاج يعلمه بما فعل. فاتهمه الحجاج بالضعف والعجز وأجابه** «إن كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح إلى الموادعة، قد صانَعَ عدواً قليلاً ذليلاً، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم، والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم، وإلا فأخوك إسحاق بن محمد أمير الناس».

استشار ابن الأشعث من معه، فلم يروا رأي الحجاج، واتفقوا على نبذ طاعته، وبايعوا عبد الرحمن على مخالفة الحجاج فصالح ابن الأشعث رُتبيل، وأقام عمالاً له في أهم مدن سجستان وعاد بجيشه سنة ٨١هـ إلى العراق، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره الخبر ويسأله أن يمدّه بالمقاتلة. **وتوجه الحجاج إلى البصرة حيث التقاه ابن الأشعث على نهر الدجيل**[١] **في الأهواز**، وهزم الحجاج أول الأمر وتراجع حتى نزل الزاوية، وخلّى البصرة لأهل العراق، ثم لم يلبث أن انتصر على ابن الأشعث في **معركة «الزاوية»** وتمكن من دخول البصرة ثانية، في حين توجه ابن الأشعث إلى الكوفة واستطاع أن يدخلها ويستولي على بيت المال فيها. فلما بلغ الخبر الحجاج توجه بجنده يريد الكوفة وعسكر بدير قُرّة، وانضم إلى ابن الأشعث أهل الكوفة والبصرة والقرّاء وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم فكانوا مئة ألف ممن يأخذون العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم. **وبلغ ذلك عبد الملك، فأرسل إلى الحجاج مدداً من أشراف أهل الشام والجزيرة في سبعين ألفاً، ودامت الحرب بين الطرفين مئة وثلاثة أيام، وانتهت بهزيمة ابن الأشعث في معركة «دير الجماجم» سنة ٨٣هـ**، ثم هزيمته الفاصلة في «مسكن» في العام نفسه، وتراجع ابن الأشعث إلى السوس، ثم كرمان، حتى وصل إلى كابل مع رجاله فأكرمهم رُتبيل واستبقاهم عنده. إلا أن جماعة من أهل العراق لحقوا بابن الأشعث وأقنعوه بالخروج معهم والعودة إلى القتال، فوافقهم واستولى على بعض المواقع في **خراسان**. ولما بلغ هراة أحسَّ أنه لن يستطيع الاعتماد عليهم وأنهم سيخذلونه، فقرر الالتجاء ثانية إلى رتبيل إلا أن الحجاج هدد رُتبيل، بغزو بلاده إن لم يسلّمه ابن الأشعث، ووافق رتبيل شريطة ألاّ تغزى بلاده عشر سنين، وأن يؤدي بعد هذه السنين العشر مئة ألف درهم في كل سنة.

أدرك ابن الأشعث أنه سيُسلّم إلى عمارة بن تميم اللخمي قائد جيش الحجاج، فتحيّن غفلة من الحرس وألقى بنفسه من فوق القصر فمات واحتز جند رتبيل رأسه وأرسلوه إلى الحجاج سنة ٨٥هـ، وانتهت بموته ثورة كانت من أقسى الأزمات التي واجهتها الدولة الأموية، وتعرض فيها مركز الحجاج لامتحان عسير خرج منه منتصراً[٢].

---

١ - **دُجَيْل:** اسم نهر في موضعين أحدهما مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت ....، و دجيل الآخر: نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس؛ وقال حمزة: كان اسمه في أيام الفرس ديلداكودك ومعناه دجلة الصغيرة فعرِّب على دُجيَل، ومخرجه من أرض أصبهان ومصبه في بحر فارس قرب عَبّادان، وكانت عند دجيل هذا وقائع للخوارج، وفيه غرق شبيب الخارجي. الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٣ .

٢ - نجدة خماش، الموسوعة العربية الرقمية .

الموقف العام بين المسلمين وحاكم كابل « رتبيل » .

عبد الملك بن مروان يكلف الحجاج بن يوسف بإعداد جيشاً كبيراً في عام ٨٠ هـ، لمواجهة ملك كابل، فانتدب الحجاج لهذه المهمة القائد عبد الرحمن بن الأشعث ، وتشير الأسهم الخضراء على الخارطة بمسير الجيش الإسلامي إلى كابل.

حاكم كابل ينسحب من ملاقاة الجيش الإسلامي، ويلجأ إلى المناطق الجبلية الوعرة ، مما أربك حسابات ابن الأشعث الذي رأى عدم التوغل في المناطق الوعرة، واكتفى بانتصاراته الجزئية المحدودة ، وانتهى قرار ابن الأشعث بتجميد العمليات العسكرية لمدة سنة كاملة، والتراجع إلى بست « **بستك** » .

جبال هندوكوش في أفغانستان وقفت سداً منيعاً أمام تقدم قوات عبد الرحمن بن الأشعث

لم يستجيب الحجاج لقرار ابن الأشعث بالتوقف عن المضي قدماً في ملاقاة جيش " رتبيل " بل اتهم ابن الأشعث بالعجز والضعف والخور؛ لذلك هدده الحجاج بعزله إذا خالف أمره.

شعر ابن الأشعث بالإهانة في مخاطبة الحجاج له بهذا الأسلوب المقيت؛ مما أثار أتباعه الذين رأوا في هذه السياسة الخرقاء مؤامرة كبرى ضدهم دون عودتهم إلى أرض العراق، فكان الموقف في " بستك " أقرب إلى التشنج، فقام ابن الأشعث بالضرب على الوتر الديني لإثارة الحماس في أتباعه ضد الحجاج، فقام ابن الأشعث بعقد هدنة مع " رتبيل " ليكون أكثر حرية في التصرف، وليؤمن خط الرجعة له .

★ ★ ★

معركة دير الجماجم سنة ٨٣ هـ

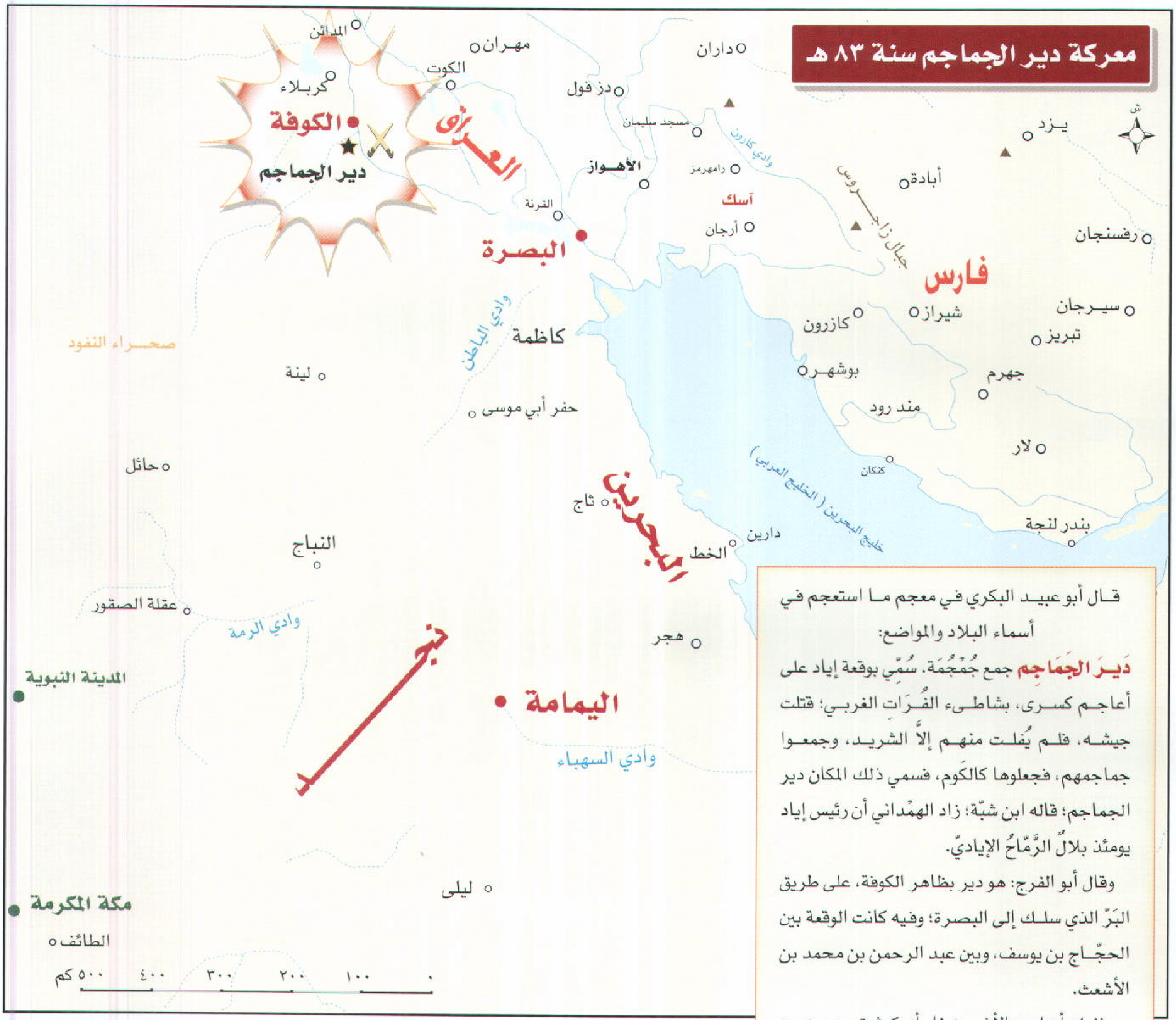

قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع:

دَيـرَ الجَمَاجِم جمع جُمْجُمَة. سُمِّي بوقعة إياد على أعاجم كسرى، بشاطئ الفُرات الغربي؛ قتلت جيشه، فلم يُفلت منهم إلاَّ الشريد، وجمعوا جماجمهم، فجعلوها كالكَوم، فسمي ذلك المكان دير الجماجم؛ قاله ابن شبّة؛ زاد الهمْداني أن رئيس إياد يومئذ بلالُ الرَّمَّاحُ الإياديّ.

وقال أبو الفرج: هو دير بظاهر الكوفة، على طريق البَرّ الذي سلك إلى البصرة؛ وفيه كانت الوقعة بين الحجّاج بن يوسف، وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث.

وذلك أن ابن الأشعث لما رأى كثرة من معه من الجيش بالبصرة، وقد نازله الحجّاج بها، خرج يريد الكوفة، ورأى أن أهلها أطوع له من أهل البصرة، لبغضهم الحجّاج، ولأنه يجد بها من عشائره ومواليه أنصاراً كثيرة. فسار إليها، وسايره الحجاج، فنزل ابن الأشعث دير الجماجم، ونزل الحجاج بإزائه بدير قُرّة، ووقعت الحرب بينهما، ثم انهزم ابن الأشعث، فعاد إلى البصرة.

وقد ذكرت الشعراء دير الجماجم كثيراً؛ قال جرير يهجو الفرزدق:

ولم تَشْهَد الجَوْنَين والشِّعْب ذا الصفا
وشَدَّاتِ قيسٍ يومَ دير الجماجِم

بعد أن حقق ابن الأشعث عدداً من الانتصارات غرّهُ ذلك، وأعلن العصيان، وخلع طاعة الخليفة، وكان في نفسه عجب وخيلاء واعتداد كريه، وبدلاً من أن يكمل المهمة المنوط بها عاد ثائراً على الدولة الأموية مدفوعاً بطموحه الشخصي وتطلعه إلى الرئاسة والسلطان.

ووجد في أهل العراق ميلاً إلى الثورة والتمرد على الحجاج، فتلاقت الرغبتان في شخصه، وآزره عدد من كبار التابعين اغتروا بدعوته، مستحلّين قتال الحجاج بسبب ما نُسب إليه من أعمال وأفعال، وحالف النصر ابن الأشعث في جولاته الأولى مع الحجاج، واضطرب أمر العراق وسقطت البصرة في أيدي الثوار، غير أن الحجاج نجح في أن يسترد أنفاسه، وجاء المدد من دمشق وواصل قتاله ضد ابن الأشعث، ودارت معارك طاحنة حسمها الحجاج لصالحه، وتمكن من سحق عدوه في معركة **دير الجماجم** سنة (٨٣ هـ = ٧٠٢م)، والقضاء على فتنته . أحمد تمام.

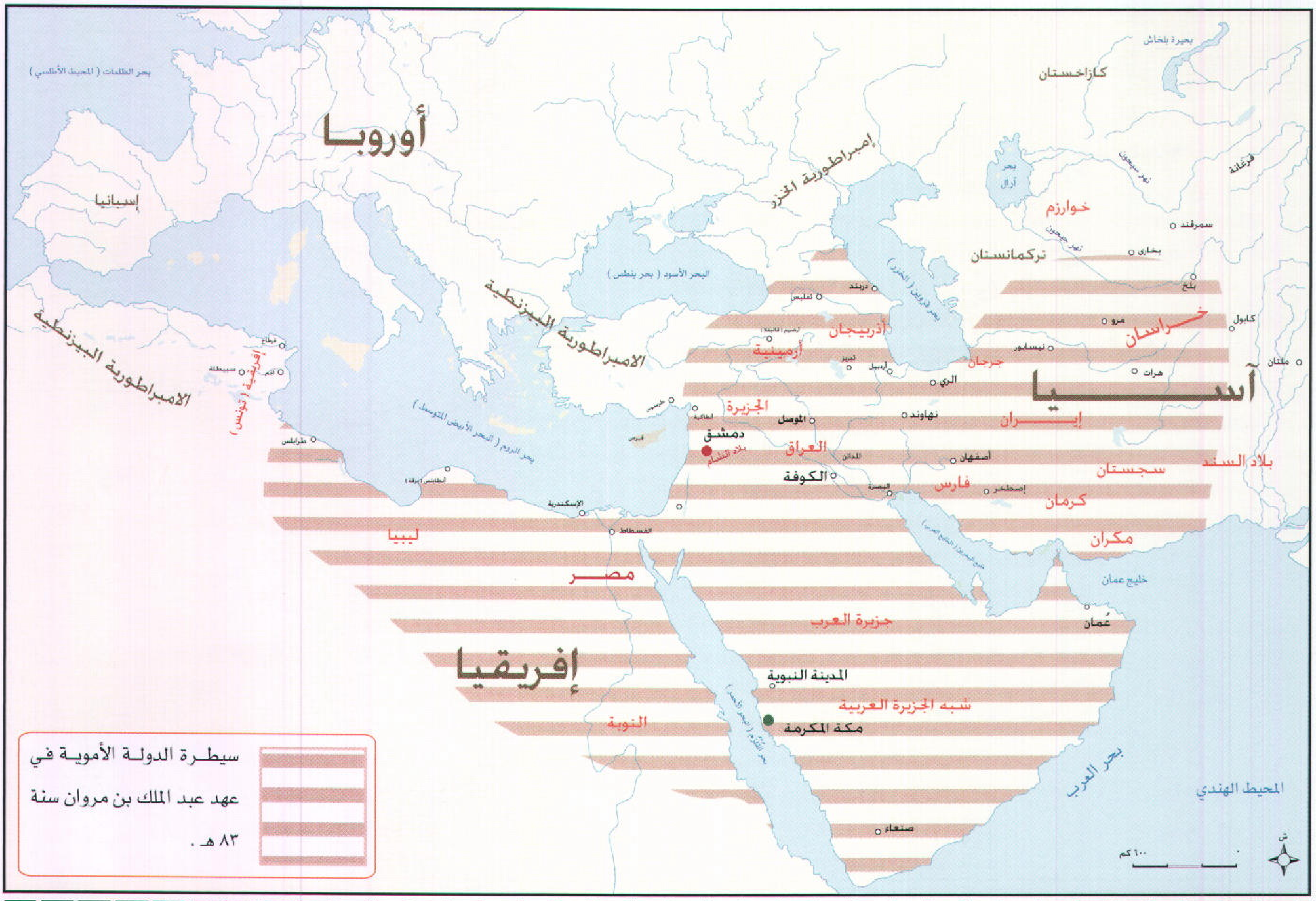

الوضع السياسي العام للدولة الأموية بعد القضاء على الدولة الزبيرية و الحركة المختارية

شهد عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان حركات أخرى معادية لحكمه؛ لكنها كانت محدودة النتائج ولم تشكل خطراً جدياً على مصير الخلافة، ولم تترك أثراً على المجتمع الإسلامي آنذاك، أثارتها قساوة الحجاج وسياسته الاقتصادية، نذكر منها: حركة عبد الله بن الجارود، وخروج قبائل الأزد في عمان .

وهكذا ثابر عبد الملك، وجاهد لتوطيد دعائم الدولة الإسلامية تحت قيادته، ونجح في ذلك نجاحاً فائقاً، ومن هنا استحق عن جدارة لقب موحد الدولة الإسلامية أو المؤسس الثاني لدولة الخلافة الأموية بعد معاوية مؤسسها الأول .

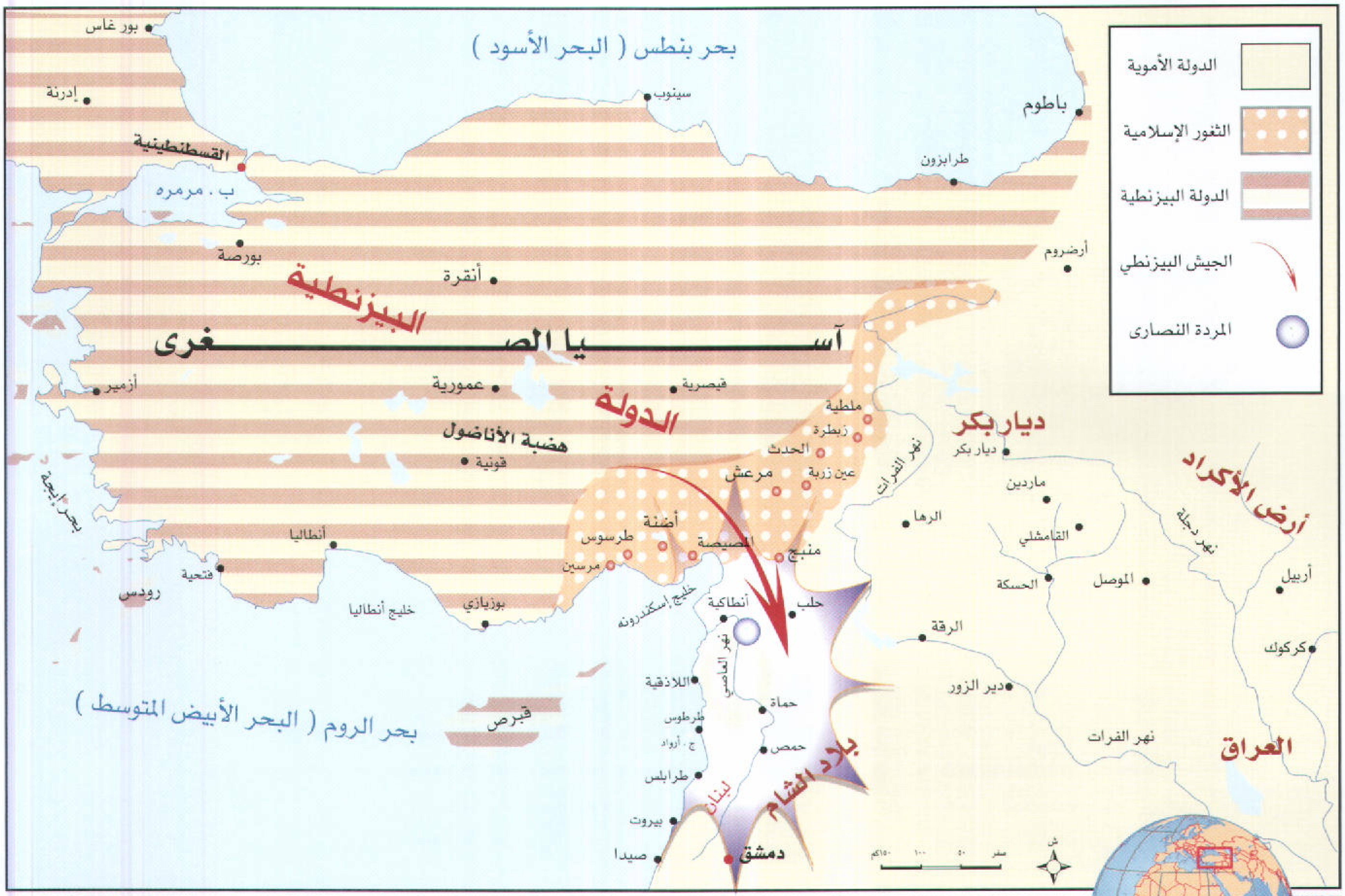

العلاقات الأموية البيزنطية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان

فقد المسلمون بعض قوتهم أمام الروم البيزنطيين في عهد الاضطرابات الداخلية التي عصفت بدولتهم، فانتهز الإمبراطور البيزنطي **جستنيان الثاني** هذه الفرصة ونقض المعاهدة التي سبق وأبرمها البيزنطيون مع المسلمين. وساق جيوشه لقتالهم، فاجتاح بلاد الشام في عام (٧٠هـ/٦٨٩م). في هذه الأثناء وقع الطرف الشرقي للإمبروطورية البيزنطية حادث بالغ الأهمية في تطوير العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين. ففي الحديث عن الشواتي والصوائف التي كان يقوم بها المسلمون ضد الدولة البيزنطية، تحدثنا المصادر عن وجود جماعات من **المردة النصارى** في جبال أمانوس وقد ألفوا جيشاً واتخذت منهم السلطات البيزنطية سياجاً في هذه المنطقة .

كان المردة، بحكم موقعهم الجغرافي ووضعهم السياسي، يحمون الدولة البيزنطية ، من هجمات المسلمين ويدافعون عن معاقلهم الجبلية المنيعة ضد أي اعتداء خارجي وكثيراً ما توغلوا جنوباً حتى وصلوا إلى جبال لبنان. وقد ضايقوا المسلمين فعلاً بما كانوا يشنونه من غارات مستمرة على المناطق المجاورة، خاصة المناطق الساحلية، بتحريض من البيزنطيين، فاضطر **عبد الملك** إلى استرضائهم تفادياً للحرب في هذه المنطقة من جهة، وللتفرغ للمشكلات الداخلية التي استجدت في العالم الإسلامي من جهة أخرى، فعقد مع الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني

الأمانوس: سلسلة جبال تركية شرقي خليج الإسكندرونة، تشرف على سهل قيليقية هي اليوم فيزيل داغ، وارتفاعها ٢،٢٦٠ متراً وتكثر بها الغابات، وتستخرج منها الأخشاب.

كنيسة القديس نيقولاس الأرثوذكسية بإقليم الإسكندرونة

المعاهدة في هذا العام (٧٠هـ/٦٨٩م) تعهد الخليفة بمقتضاها أن :
١- يدفع مالاً معيناً للإمبراطور البيزنطي يبلغ سنوياً ثلاثمائة وخمس وستين ألف قطعة ذهبية، وثلاثمائة وخمسة وستين عبداً وثلاثمائة وخمسة وستين جواداً أصيلاً مقابل، وقف الغارات البيزنطية، على الأراضي الإسلامية. ٢- تقتسم الدولتان الإسلامية والبيزنطية خراج أرمينيا وقبرص وإيبريا. ٣- تسحب الإمبراطورية البيزنطية المردة من منطقة شمالي الشام إلى ما وراء جبال طوروس داخل آسيا الصغرى . ٤- تستمر المعاهدة مدة عشرة أعوام.

كانت من نتيجة انسحاب المردة من جبال لبنان، وشمالي الشام أن دمر ذلك السور النحاسي الذي كان يحمي آسيا الصغرى من غارات المسلمين، وسمح لهؤلاء تجديد غاراتهم على هذه المنطقة وتوطيد مركزهم في الأقاليم التي فتحوها حديثاً. فعادت غزوات الشواتي والصوائف، ونجم عنها فتح قيسارية في عام (٧١هـ/٦٩٠م)[١] .

وفي عام (٧٣هـ/٦٩٢م) كشف عبد الملك عن نواياه تجاه الإمبراطورية البيزنطية بعد ما فرغ من مشكلاته الداخلية، وعندما قام بضرب الدنانير الذهبية الإسلامية وأرسلها كجزيئة بدلاً من العملة البيزنطية. وقد حمل هذا التصرف معنى التحدي للإمبراطور من جهة، كما دل على أن الخليفة على وشك استئناف النشاط العسكري على الجبهة البيزنطية من جهة أخرى. وفعلاً، هاجم المسلمين في عام (٧٣هـ/٦٩٢م) آسيا الصغرى وحققوا انتصاراً في أرمينيا، في حين اقتصر رد بيزنطة على غزو مرعش في عام (٧٦هـ/٦٩٥م)، وهذا دليل على مدى الضعف الذي كانت تعانية الإمبراطورية البيزنطية آنذاك .

واذا كان حكم الإمبراطور **جستنيان الثاني** الضعيف انتهى بعزله في عام (٧٦هـ/٦٩٥م)، فلم يكن الأمر أفضل حالاً في ظل خلفه الإمبراطور ليونتيوس حيث استمرت الغارات الإسلامية على مناطق آسيا الصغرى والمناطق الحدودية. فغزا الوليد بن عبد الملك ملطية في عام (٧٧هـ/٦٩٦م) كما غزا عبيد الله بن عبد الملك قاليقلا عند منابع نهر الفرات. ومن حسن حظ الإمبراطورية البيزنطية أن الاندفاع الإسلامي باتجاه المناطق الحدودية، وفي عمق الأراضي البيزنطية قد تراجع اعتباراً من عام (٨١هـ/٧٠٠م) **بفعل عاملين:**

الأول: اجتياح مرض الطاعون بلاد الشام في عام (٧٨هـ/٦٩٧م). **والثاني:** قيام ثورة عبد الرحمن بن الأشعث في عام (٨٠هـ/٧٠٠م) والتي استمرت أربعة أعوام،وقد ذكرناها بالتفصيل في الصفحات السابقة من الأطلس .

استغل الإمبراطور البيزنطي طيباريوس الثالث هذه الأوضاع وكثف نشاطه العسكري وهزم المسلمين عند سميساط وفي منطقة قيليقية في عام (٨٤هـ/٧٠٣م) إلا أن عبد الملك، وقد فرغ من مشكلاته مع ابن الأشعث، وهاجم إقليم قيليقيا واصطدم بالقوات البيزنطية عند مدينة سيواس، وكانت بقيادة الإمبراطور نفسه، وانتصر عليها وبذلك تكون قد عادت سيطرة المسلمين مجدداً على منطقة أرمينيا. كما تم فتح المصيصة. وهكذا سرعان ما استعادت الدولة الإسلامية تفوقها الملحوظ على البيزنطيين بفعل قيادة عبد الملك الحكيمة[٢] .

١ - ٢ . د. محمد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٩١ - ٩٤ .

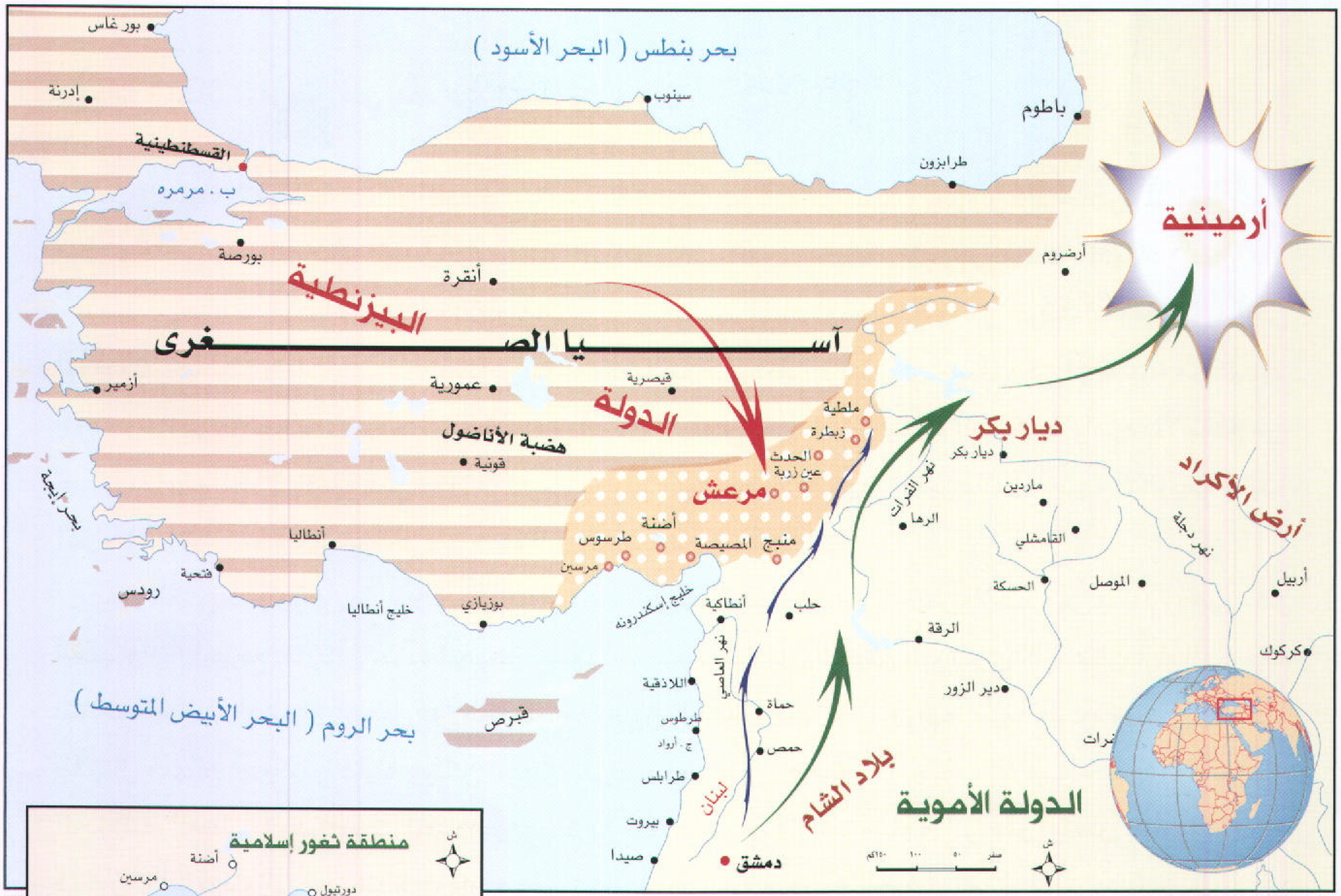

العلاقات الأموية البيزنطية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٢)

فتح قيسارية

سنة ٧١ هـ

دينار من الذهب، من الوجه عليه صورة جستنيان الثاني، ومن الخلف صورة الصليب المدرج .

في عام (٧٣هـ/٦٩٢م) كشف عبد الملك عن نواياه تجاه الإمبراطورية البيزنطية بعد ما فرغ من مشكلاته الداخلية،حينما قام **بضرب الدنانير الذهبية الإسلامية** وأرسلها كجزية بدلاً من العملة البيزنطية المعروفة « انظر عملة جستنيان ».

فتوحات الشمال الإفريقي في عهد عبد الملك بن مروان

كانت الجبهة الإفريقية المحور الجدي لسياسة الفتوح في عهد عبد الملك بن مروان ،إذ خاض المسلمون عدة معارك لتصفية **القواعد البيزنطية** على الساحل الشمالي ، وإخضاع **البربر** لسلطة الدولة .

فبعد أن هدأت أوضاع الخلافة الأموية ،نسبياً ، وجد عبد الملك أمامه متسعاً من الوقت ليقوم بعمل ما في إفريقيا ، خاصة وأنه خشي من انعكاس نتائج التحالف البيزنطي- البربري، وما يمكن أن يسببه من تهديد للحدود الغربية لدولته، فعهد إلى **زهير بن قيس البلوي** بقيادة العمليات العسكرية وأمره بالانتقام من كسيلة، واستعادة الأراضي التي أخلاها المسلمون بعد مقتل عقبة. وبتعيين زهير قائداً للجبهة الإفريقية، تبدأ **المرحلة الخامسة** من مراحل فتوح شمالي إفريقيا.

وفور تلقي كسيلة بن ملزم زعيم قبيلة أوربة البرنسية أنباء تقدم الجيش الإسلامي بقيادة زهير نحو القيروان ، اجتمع بأركان حربه ليعرض عليهم الوضع علماً بأن الجيش البربري كان عظيماً فقال كسيلة لقادته: " إني رأيت أن أرحل عن هذه المدينة، فإن بها قوماً من المسلمين لهم علينا عهود ونحن إن أخذنا القتال معهم أن يكونوا علينا ، ولكن ننزل على موضع ممس « **ممش** » (جنوب شرقي جبال الأوراس في الجزائر الحالية) وهي على الماء، فإن عسكرنا خلق عظيم، فإن هزمناهم إلى **طرابلس** قطعنا آثارهم فيكون لنا الغرب إلى آخر الدهر، وإن هزمونا كان الجبل منا قريب فنتحصن به" .

ولما علم زهير بخطة كسيلة وأنه اختار موقعاً حصيناً وبه ماء كثير، لذا لم يدخل القيروان وعسكر في ظاهرها ثلاثة أيام حتى استراح هو ومن معه من أفراد جيشه وذلك استعداداً للمعركة الحاسمة والتي يتوقف عليها مستقبل الإسلام في المغرب .

ودارت رحى معركة **ممس أو ممش** مابين المسلمين بقيادة زهير بن قيس البلوي وبين البربر والروم بزعامة كسيلة بن ملزم، واستحر القتل بين الجانبين ، ودارت الدائرة في نهاية المطاف على البربر وحلفائهم الروم وسقط **كسيلة قتيلاً** في المعركة، وطارد المسلمون فلول المنهزمين لتعود للإسلام هيبته في المغرب ، ويقضي على آمال الروم في العودة إلى المغرب تحت غطاء التحالف مع البربر، كما أن كسر شوكة البربر البرانس بقيادة كسيلة خاتمة لمقاومة هذه القبائل للجيوش الإسلامية الفاتحة . وقد علق السلاوي على موقعة ممس بقوله: " وفي هذه الواقعة ذل البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم .... واضمحل أمر الفرنجة .... وخاف البربر من زهير والعرب خوفاً شديداً، فلجأوا إلى القلاع والحصون ، وكسرت شوكة أوربة من بينهم ، واستقر جمهورهم بديار المغرب الأقصى وملكوا مدينة وليلي "[١].

---

١ - د. سلامة محمد الهرفي، دور قبيلة بلي في الفتوحات الإسلامية، موقع قبيلة بلي .

فتوحات قيس بن زهير البلوي على الشمال الإفريقي ٦٩ - ٧١ هـ

بقايا آثار رومانية في مدينة تيمقاد الجزائرية القريبة من ممس على جبال الأوراس

- (١) قاعدة انطلاق الجيش الإسلامي بقيادة قيس بن زهير البلوي
- (٢) خط سير القائد قيس بن زهير البلوي إلى ملاقاة كسيلة وجيشه
- ⚔ **معركة ممس** Battle of Mamma بين المسلمين والروم المتحالفين مع البربر. الزمان: عام ٦٩ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان. المكان: جبال الأوراس بالجزائر. سبب المعركة: تحالف (كسيلة) وهو أحد قادة البربر مع الروم ، هزم الروم والبربر في هذه المعركة وكانت حاسمة إذ ضعفت مقاومة البربر بعدها، وضعف أمل الروم في إفريقيا.

(٣) بعد هذه الموقعة عاد زهير ظافراً إلى مدينة القيروان فأصلح من شأنها وشأن جامعها، ثم أرسل حملة استولت على بلد هام شمال القيروان يعرف بالكاف أو الكف ويسميه العرب شقبنارية وهو تحريف لاسمه الرومي sicca.vane-rie ولكن المصادر تؤكد لنا أنه أبى أن يقيم فيها، وأنه قال: إني قدمت للجهاد ، وأخاف أن أميل إلى الدنيا فأهلك- ويعللون ذلك بقولهم بأن زهير كان من رؤساء العابدين وكبار الزاهدين ،لذا نجده يعود مسرعاً إلى برقة حيث استشهد هناك .

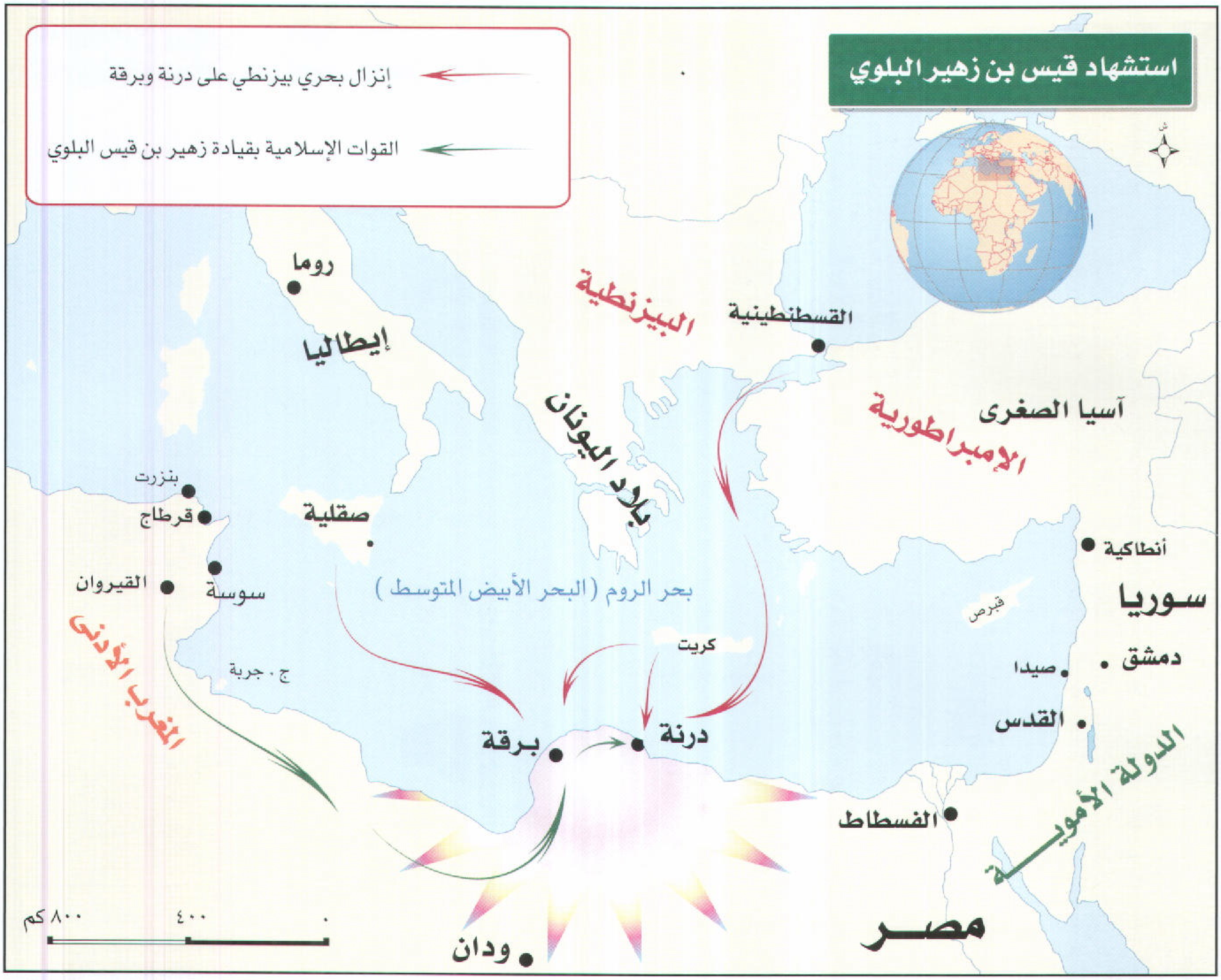

ما الذي جعل زهيراً البلوي يعود مسرعاً إلى برقة بعد انتصاره في موقعة ممس؟

إننا لانجد تفسيراً منطقياً لهذه العودة السريعة سوى أن معلومات خطيرة وصلت إليه تحتم عليه الإسراع بالعودة ، وهذا ما حدث بالفعل إذ وصلت إليه أنباء مؤكدة بأن الروم البيزنطيين يقومون بعمليات إنزال لقوتهم في **برقة** ليستعيدوها ، ويقطعوا على القوات الإسلامية بهذا طريق العودة ، وقد تحصن الروم في درنه وأخذوا ينقلون إلى سفنهم الأسلاب التي حصلوا عليها في إفريقية وكذالك الأسرى الذين أخذوا من المسلمين .

لقد وصل زهير قرية **درنة** ، وكان قد أعطى أوامره لجيشه بأن يسيروا في وحدات صغيرة من أجل سرعة الحركة، لقد كان زهير في طليعة الجيش الإسلامي المتجه إلى برقة مع سبعين من أصحابه، فرأوا الروم يدخلون أسرى المسلمين في المراكب وسط صراخ النساء والأطفال ، فأراد زهير أن ينتظر حتى تتكامل قواته، ولكن هول الموقف ورؤية حرائر المسلمين سبايا بأيدي الروم أثار حفيظة مع من زهير فدعوه للقتال، فقال ننتظر حتى يتكامل الجيش لأن قوة العدو كبيرة، فقال له أحد الجند : بل جبنت يا زهير ، فمست هذه الكلمة كبرياءه الجهادية فرد عليه بل قتلتني وقتلت نفسك، فدخل زهير مع الروم في معركة غير متكافئة كانت نتيجتها معروفة كما قال زهير للجندي ، فاستشهدوا عن بكرة أبيهم وكان ذلك في عام ٧١هـ / ٦٩٠م ، ودفن في درنة قريباً من الشاطىء الذي استشهد فيه وتسمى تلك المنطقة (قبور الشهداء).

أجل إن التاريخ يذكر لزهير بن قيس البلوي سجله الجهادي الطويل الذي توج باستعادة القيروان وتحريرها من يد كسيلة بن ملزم، وأنه ثأر لعقبة بن نافع وصحبه من كسيلة الذي قتل هو وعدد ضخم من فرسانه على يد زهير بن قيس البلوي في موقعة ممس أو ممش (٦٩هـ /٦٨٨م). د. سلامة محمد الهرفي، دور قبيلة بلي في الفتوحات الإسلامية، موقع قبيلة بلي .

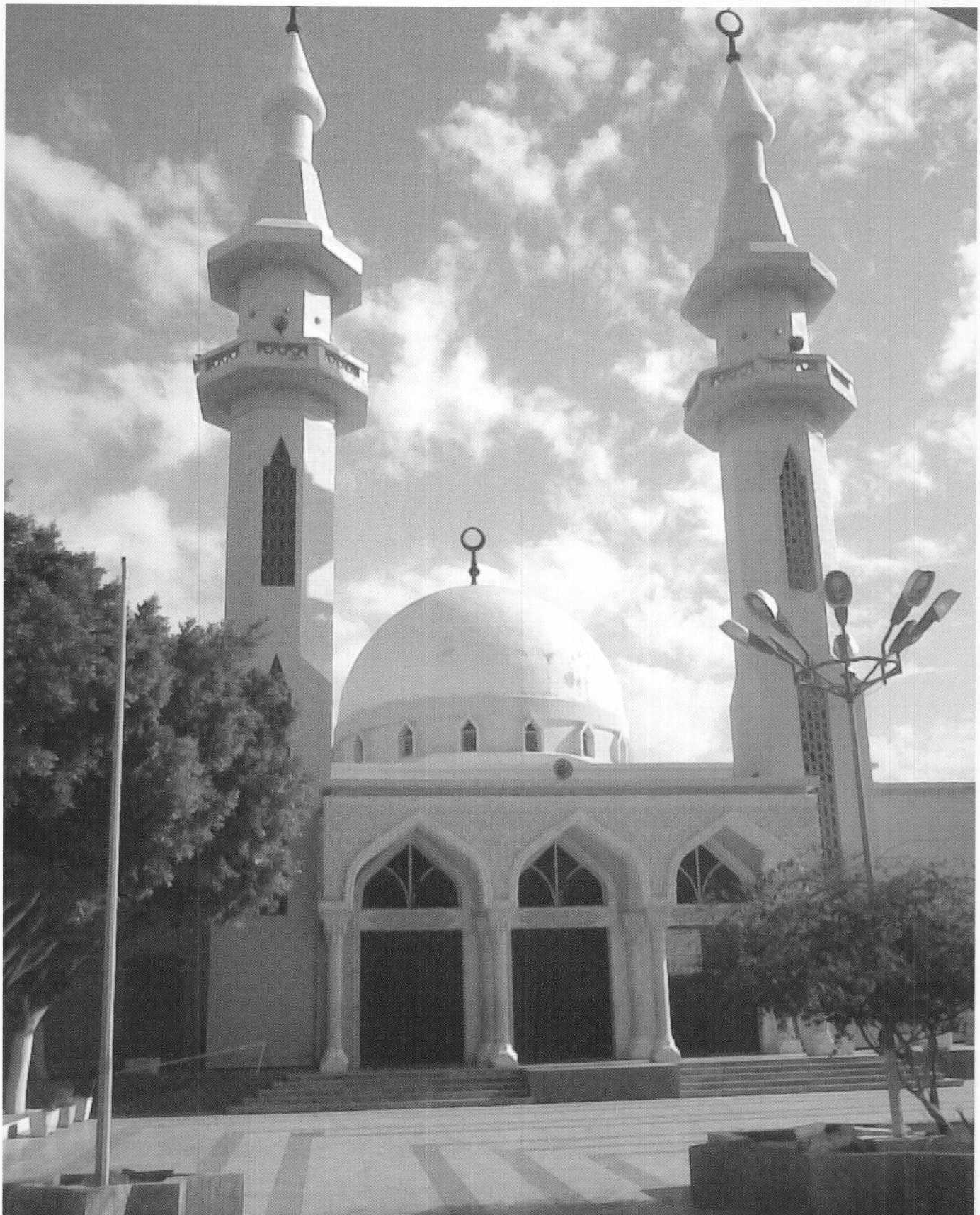

مسجد الصحابة بدرنة الليبية؛ نسبة لمجموعة كبيرة من شهداء الفتح الإسلامي للمغرب وعلى رأسهم زهير بن قيس البلوي

حملة حسان بن النعمان الغساني[١]

في عام (٧٤هـ/٦٩٣م)، وجد عبد الملك نفسه قوياً إلى الحد الذي يمكنه من استئناف سياسة الفتوح في شمالي إفريقيا، خاصة بعد أن تجاوزت الخلافة محنتها في الداخل المتمثلة بالقضاء على ابن الزبير، وجاء اختيار **حسان بن النعمان الغساني** قائداً جديداً، مؤشراً على ذلك. وبتعيين هذا القائد تبدأ **المرحلة السادسة** من مراحل فتوح شمالي إفريقيا.

كانت فاتحة أعمال حسان فتحه **لقرطاجنة**، سنة ٧٦ هـ، أقوى القواعد العسكرية البيزنطية. وحتى يحول دون عودة البيزنطيين إليها، فقد دمر ميناءها. وقد دعم هذا الفتح الموقف الإسلامي، فقام المسلمون بعمليات سريعة استهدفت المدن الساحلية ففتحوها باستثناء جيوب قليلة منها **سبتة** التي ظلت الحصن القوي للبيزنطيين.

وقد دعم هذا النصر الموقف العسكري الإسلامي في المغرب. ووقع في غضون ذلك تبدل مذهل في موقف البربر، إذ انفرجت قبائل الأوراس بقيادة امرأة غامضة عرفت في المصادر العربية باسم **الكاهنة** وهي تنحدر من قبيلة جراوة الزناتية البترية، وقد دانت على ما يبدو، بالعقيدة اليهودية.

ونجحت الكاهنة في تحقيق التفاف واسع حول ثورتها من البربر الأوراس ومن بقايا البيزنطيين وهذا ما يفسر احتلالها لمدينة **باغية** الساحلية آخر المعاقل المهمة التي احتفظ بها البيزنطيون، ثم راحت تتحدى المسلمين. ولم يستطع حسان الذي سارع إلى اعتراض تقدمها في **وداي مسكيانة**، من الوقوف في وجه الحشود الضخمة التي تكتلت وراءها حيث لاقى المسلمون العناء والبلاء حتى إنهم سموا يوم المعركة **(يوم البلاء)**، ومما يدل على جسامة الهزيمة أن حساناً اضطر، تحت ضغط الأحداث العسكرية، إلى التراجع عائداً إلى **برقة** في ثالث عملية انسحاب للقوات الإسلامية منذ معركة تهودة.

ونفذت الكاهنة في غضون ذلك إستراتيجية جديدة في مواجهة المسلمين قائمة على التدمير كسلاح خاص ضد استقرارهم. وقضى البربر زهاء خمسة أعوام يعملون في تدمير الأرض وتخريبها وحرق الزرع والضرع. وقد أدت هذه السياسة إلى انفضاض بعض البربر، والبيزنطيين عنها خاصة أهل المدن وكبار الملاكين والفلاحين، مما كان له أثر في وضع حد لنهايتها.

أما حسان فقد بقي في برقة طيلة هذه المدة مترقباً وصول الإمدادات إليه من العاصمة دمشق ليثأر لهزيمته، وفي الوقت نفسه كان يترصد أخبار الكاهنة. ولما علم بتضعضع مكانتها استأنف حركة الجهاد. وقد اقترنت عودته، هذه المرة، بتغيير في موازين القوى والتحالفات السياسية، إذ استقبله السكان البيزنطيون والبربر مستغيثين به من الكاهنة، وقدموا له الأموال والطاعة. واسترد بعض القلاع مثل **قابس، وقفصة، وقسطيلية، ودخل المغرب الأوسط**.

---

١ - د. محمد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٩٥ - ٩٦.

فتوحات حسان بن النعمان الغساني على الشمال الإفريقي المرحلة الأولى

بعث عبد الملك حسان بن النعمان سنة ٧٦هـ، ٦٩٥م، للشمال الإفريقي لكفاءته، فزحف إليها على رأس أربعين ألف مجاهد. خاض معارك حتى تم له فتح **قرطاج**. مقر حامية الروم. ودمرها، ثم تابع تقدمه، فدمر حاميات الروم المدافعة عن **صطفورة وبنزرت وبجاية**. ومضى لمحاربة البربر الذين كانت تقودهم الكاهنة (دهينا أو دهيانيت ينفاق) من قاعدتها في جبل الأوراس، وحشدت الكاهنة جيشاً كبيراً للقائه، ودارت معركة طاحنة انتصرت فيها الكاهنة، وأسرت ثمانين من أفضل رجال حسان. وأمده عبد الملك بقوات إضافية، فتمكن من الحصول على معلومات عسكرية عن عدوه، فالتقى بالكاهنة، ودارت رحى معركة رهيبة انتهت بمقتل الكاهنة، في موضع حَمَل اسم بئر الكاهنة. تابع حسان تقدمه حتى أخضع إفريقية. وأقام بالقيروان واهتم ببناء المجتمع الجديد؛ فعمل على نشر الإسلام. وأقبل البربر على الإسلام لحسن سياسته. واهتم بالحركة العمرانية، فطوّر بناء تونس، وجدد بناء مسجدها سنة ٨٤ هـ، ٧٠٣م، ودوّن الدواوين وولى الولاة وأقام قاعدة بحرية لبناء السفن ونظّم البحرية ليمنع الروم من معاودة الاتصال بإفريقية. ثم عاد إلى الشام ومعه ٣٥ ألف فارس. واعتزل الأعمال الإدارية في أول عهد الوليد بن عبد الملك. وتوجه إلى أرض الروم غازياً، فتوفي بها.

فتوحات حسان بن النعمان الغساني على الشمال الإفريقي المرحلة الثانية

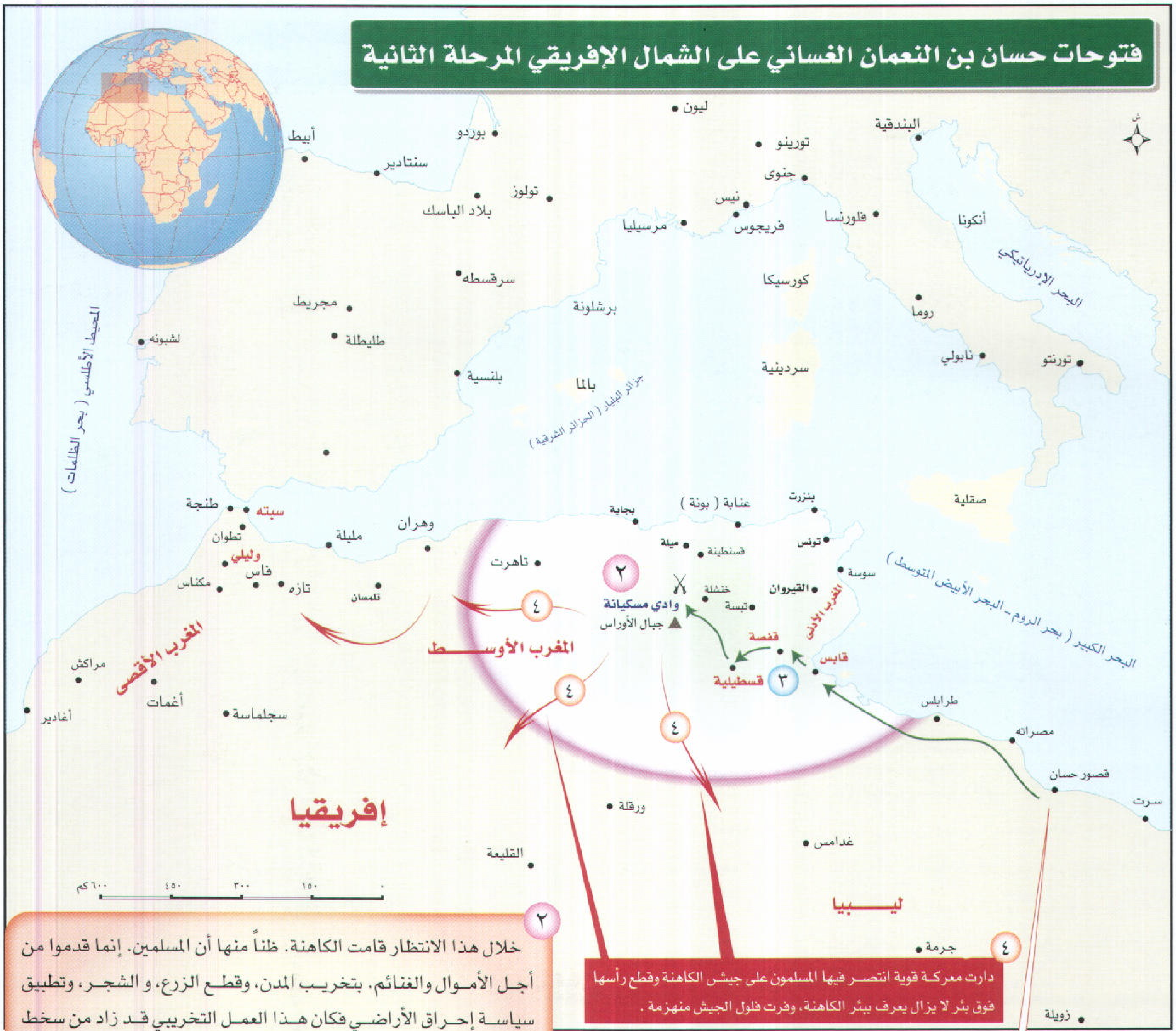

٤ دارت معركة قوية انتصر فيها المسلمون على جيش الكاهنة وقطع رأسها فوق بئر لا يزال يعرف ببئر الكاهنة، وفرت فلول الجيش منهزمة .

٢ خلال هذا الانتظار قامت الكاهنة. ظناً منها أن المسلمين. إنما قدموا من أجل الأموال والغنائم. بتخريب المدن، وقطع الزرع، و الشجر، وتطبيق سياسة إحراق الأراضي فكان هذا العمل التخريبي قد زاد من سخط البرابرة عليها وعلى تصرفاتها الحمقاء. وغاب عن ذهنها أن الفتح الإسلامي إنما جاء استجابة للباعث الإيماني بهدف نشر الدعوة الإسلامية وعمل الكاهنة لا تأثير له على هذا الباعث « الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً ».

١ قام حسان بن النعمان بمكاتبة الخليفة عبد الملك بن مروان بما حصل؟ فرد عليه بأن ينتظر في الشمال الإفريقي حتى تصل تعليمات أخرى جديدة، حيث استقر حوالي خمس سنوات في مكان **قصور حسان** استبدت خلالها الكاهنة بالمناطق الإفريقية الشمالية الداخلية.

٣ لقد باتت كل الأسباب مهيأة للمسلمين لتحقيق الانتصار على الكاهنة بعد وصول المدد من الشام عام ٨١هـ (٧٠٠م). فرحب البرابرة بالفاتحين بعدما ذاقوا كل أنواع الظلم الذي مارسته الكاهنة ضدهم و كذا الروم من قبلهم. وجد حسان في مطاردة الكاهنة التي تخلى عنها أكثر قومها حيث استطاع أن يقضي عليها ومن بقي معها في **جبل الأوراس** في موضع عرف فيما بعد ببئر الكاهنة. وكان مقتلها عام ٨٢هـ (٧٠١م) وبعد ذلك استطاع حسان أن يسترد بعض القلاع، مثل: **قابس، وقفصة، وقسطيلية، ودخل المغرب الأوسط** .

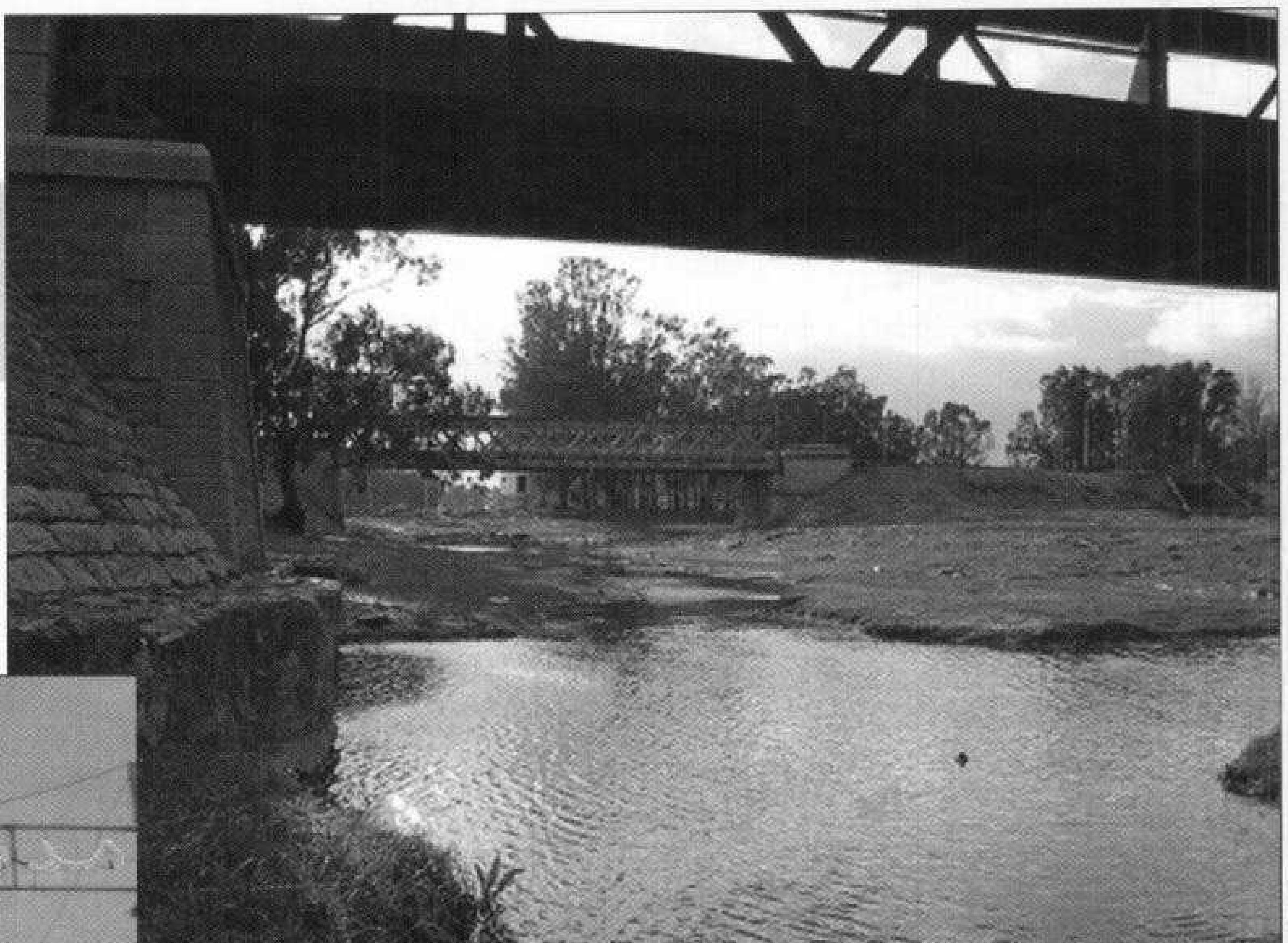

وادي مسكيانة - شرق الجزائر

مدخل مدينة مسكيانة - شرق الجزائر

حسان بن النعمان وبناء مدينة تونس وجامع الزيتونة

ارتبط تاريخ جامع الزيتونة بمدينة تونس ارتباطاً عضوياً، وهو ثاني جوامع المغرب الإسلامي. فبعد مدينة القيران وجامعها الذي أسسه عقبة بن نافع سنة ٥٠ للهجرة، أتى دور مدينة تونس سنة ٧٩ هـ/ ٦٩٨ م.

فبسقوط قرطاجة التاريخية، ظهرت للوجود بالقرب منها مدينة جديدة كتب لها أن تخلف جارتها نهائياً، وأن تصبح عاصمة للبلاد التونسية. وكان اختيار حسّان بن النعمان لموقعها ناتجاً عن عوامل استراتيجية مرتبطة بالحضور البيزنطي في مياه البحر الأبيض المتوسط، خاصّة وأن أطماعهم في منطقة دحروا عنها منذ عهد قريب ما زالت متأججة.

وبالرغم من أن المصادر التي سبقت الفترة الإسلامية تذكر أن **تونس** كانت قرية بربرية ليس لها أهمية تذكر لوجود قرطاج بالقرب منها، فإن الحفريات أثبتت عكس ذلك.

ومع الفتح الإسلامي، تغيرت المعطيات، وأصبح من الضروري أن يكون خط المواجهة من الداخل، خاصة وأن البحرية لم تكن تضاهي آنذاك الأسطول البيزنطي.

هكذا إذن أسّس **حسان بن النعمان** تونس بين سنتي ٧٩ هـ/ ٦٩٨ م و٨٤ هـ/ ٧٠٤ م، فاختطّ هذا القائد الفاتح المدينة الجديدة، بطريقة ذكية. إذ جعل فيها إضافة إلى الصناعة، مسجداً ذكره البكري، إلا أنه لا يفيدنا إن كان هو الجامع الأعظم الحالي. ويؤكد ابن الشباط والرقيق القيرواني أن عبيد الله بن الحبحاب هو المؤسس للجامع سنة ١١٤ هـ/ ٧٣٢ م. أما ابن عذاري، فيذهب إلى أن تاريخ التأسيس يعود إلى سنة ١١٦ هـ/ ٧٣٤ م. **لكن هل يمكن الاعتقاد أن المسلمين بقوا طوال ثلاثين سنة من غير جامع يؤمّونه ويصلون فيه؟** وهكذا من الممكن تصور أن عبيد الله بن الحبحاب قام بتوسيع الجامع وإضافة بعض الزيادات فيه، لكن من الراجح أن حسان بن النعمان لم يبن جامعاً؛ بل استعمل معلماً قديماً وجعل منه مسجده.

إذ أن بعض العناصر المعمارية تجعلنا نفترض أن جامع الزيتونة ببعض مكوناته الحالية يرجع إلى الفترات التي سبقت دخول المسلمين الفاتحين، وهذا اعتماداً على بعض النقاط، خاصة منها:

١) أولاً وبالذات نلاحظ أن لأقسام من الجدران السميكة التي تحيط بالجامع من الخارج نمطاً يختلف تماماً عما عهدناه في العمارة الإسلامية بصفة عامة لا في مدينة تونس فقط، بل في البلاد التونسية وما جاورها. فتتكون هذه الأقسام من حجارة ضخمة استعملت في المعالم الراجعة للفترة الرومانية ثم البيزنطية،

لكن يمكن الافتراض أن حساناً أو ابن الحبحاب أعاد استعمال حجارة كانت موجودة في بعض المعالم الرومانية أو البيزنطية؟ وهذا النمط من العمارة نفسه نلاحظه في جامع القصر: فقبل أن يستغل البناؤون هذا المعلم ليصبح جامعاً، أمكن التأكد من أنه كان معلماً دفاعياً يرجع حسب ما توصلنا إليه إلى الفترة البيزنطية، إذ رمم المعهد القومي للآثار والفنون هذا الجامع في بداية الثمانينيّات ولا حظنا آنذاك ضخامة سمك جدار القبلة الذي يبلغ ٢،٢٠ م. لذلك أجري سبر أول أمام المحراب، مما أثبت أنه محفور مباشرة في جدار القبلة، مما دفع لمواصلة فتح أسبار أخرى (عددها سبعة) في كامل أنحاء المعلم. ووضحت هذه الأسبار عن طريق اللّقى الأثرية وكذلك عن طريق وجود جدران ما زالت قائمة الذات وبعض الأسس والأرضيات، إلخ. أن المعلم يرجع إلى الفترات السابقة لدخول المسلمين الفاتحين، وتيقّنا من أن البنائيين استغنوا عن السقف الأصلي للمعلم، وعن عقوده التي عثرنا على أقسام منها تحت سطح الأرض. وبعد إعادة بناء السقف، بقيت الجدران على حالها بمكوناتها وبسمكها الذي كانت عليه خلال الفترة البيزنطية، وهي مشابهة في نمطها وفي ضخامتها لبعض الأقسام التي ذكرناها بعد بالجامع الأعظم. وهكذا تكاد تستقل الجدران الخارجية عن بقية عناصر المعلم، وهي تبدو للناظر كأنها « أسوار قلعة »[١] .

٢) يبعث تصميم بيت الصلاة نفسه على الاستغراب. فالبلاطات تأخذ اتجاهاً منحرفاً بالنسبة إلى الجدارين الشرقي والغربي اللذين يحددان هذه البلاطات. فلو بني بيت الصلاة خلال الفترة المتراوحة بين ٢٤٨ هـ/ ٨٦٣ م و٢٥٠ هـ/ ٨٦٤ م، لاختير تصميم مخالف يجعل من البلاطات والمسكبات تأخذ اتجاهاً موازياً للجدارين الخارجيين، وهو ما يجعلنا نرجح أن هذه الجدران كانت موجودة قبل اتخاذ المعلم جامعاً لمدينة تونس، وأن المسكبات والبلاطات أضيفت خلال الأعمال الأغلبية بالجامع، وهي المنسوبة للمستعين بالله العباسي والراجعة لسنة ٢٥٠ هـ/ ٨٦٤ م والتي أخذ خلالها الجامع شكله ومساحته الحاليين[٢].

وهكذا تبدو العناصر الداخلية الموجودة بقاعة الصلاة كأنها محشورة حشراً داخل الجدران الخارجية: كما أن انحراف اتجاه القبلة يعتبر انحرافاً هاماً بالنسبة إلى بقية الجوامع الأخرى، وربما يمكن تفسيره بوجود جدار القبلة قبل تأسيس الجامع؟ ومن الأكيد أن الأغالبة عند إعادتهم بناء الجامع لم يحاولوا تغيير اتجاه القبلة بالرغم من علمهم بانحرافه الهام عن الاتجاه الصحيح، إذ أن إدخالهم أي تغيير كان من الممكن أن ينتج عنه تحويرات هامة في طبيعة البناء.

١، ٢ - محمد الباجي بن مامي، جامع الزيتونة، أهمّ معالم مدينة تونس الأثرية والتاريخية .

إضافة إلى هذا، فقد وصلتنا العديد من الروايات والأساطير - التي لا تتفق مع العقيدة الإسلامية - حول تأسيس الجامع وإقامته في هذا المكان، من بينها خاصة تلك الرواية التي وردت في "المؤنس" لابن أبي دينار والتي تخص الراهب ترشيش الذي كان مقيماً في المكان الذي أقيمت عليه الزيتونة، وهو الذي دلّ المسلمين الفاتحين ليقيموا عليه جامعهم بعد أن حماه قبل وصولهم من أيّ تدنيس، هذا إضافة إلى اكتشافات المعهد الوطني للتراث بإشراف الأستاذ حامد العجابي التي تعود إلى سنة ١٩٧٢، والتي حصلت في القسم الشرقي للجامع، حيث عثر على مقبرة مسيحية ترجع إلى القرن الرابع الميلادي. كما يؤكد عالم الآثار الفرنسي كوكلر (P. Gauckler) أنه شاهد بقايا كنيسة رومانية توجد تحت مكان المئذنة الحالية. وقد توصل إلى ذلك عندما حصل تهديم صومعة الجامع الراجعة للفترة المرادية. وقد تم ذلك خلال سنة ١٣١٢ هـ/ ١٨٩٤ م، وهي ربما أدلة على ارتباط هذا الجامع بأحد البناءات القديمة التي نرجح أنها كانت مبنى دفاعيّاً، إذ أن الجامع مرتفع وكان مطلاً على البحر من قسمه الشرقي، فيؤكد أبو عبيد الله البكري في مؤلفه "المسالك والممالك" أن الجالس داخل الجامع كان بإمكانه مشاهدة السفن بالبحر. لهذا كان الجدار الشرقي للجامع أهم النقاط التي يمكن عن طريقها مراقبة حركات أساطيل الأعداء، ويمكن الافتراض أن حسانا بن النعمان نفسه هو الذي بنى برجي المراقبة الموجودين حالياً بكل من الزاويتين: الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية. كما يذكّر قسم من الجدار الشرقي بجدران الحصون والأربطة بصفة عامة؛ فحجارته السميكة تؤكد هذا الدور الدفاعي، وربما يمكن تفسير استغناء الجامع عن المئذنة حتى نهاية العهد الحفصي بوجود هذين البرجين اللذين كان يتم الأذان انطلاقاً منهما. وهكذا، فإنه يمكن اعتبار الزيتونة معلماً محصّناً ومدعماً ببرجي المراقبة، مما يدل على أن الجامع كان يحمي المدينة من هجمات الأعداء، ويضم المصلين والمدافعين على حد سواء [١].

لذلك من الراجح أن حساناً لم يبن جامعاً، بل استعمل معلماً قديماً، وجعل منه مسجده، مثلما حصل في بعض الجوامع الأخرى كجامع دمشق وجامع قرطبة. وهكذا من الممكن أنه استغل معلماً دفاعياً أو كنيسة، ولم يشيد جامعاً، وأن بن الحبحاب وسّع بيت الصلاة؟[٢].

١، ٢ - محمد الباجي بن مامي، جامع الزيتونة، أهمّ معالم مدينة تونس الأثرية والتاريخية.

حي باب البحــر في قلب العاصمة التونسية

أحد أزقة تونس العتيقة (المدينة العربية)

تذكر المصادر التاريخية أن لتونس خلال العصور الإسلامية الأولى خمسة أبواب وهي: باب الجزيرة (جنوباً) وباب السقائين (شمالاً) وباب أرطة (غرباً) وباب البحر (شرقاً) وباب قرطاجنة (شمالاً شرقياً) كما تذكر المصادر أن الخليفة عبد الملك بن مروان أمر الفاتح حسان بن النعمان بتشييد الجامع ودار الصناعة بتونس.

وكتب الخليفة إلى أخيه عبد العزيز والي مصر ليوجه «ألف قبطي بأهله وولده» لصنع المراكب: وسخّر البربر لجلب الخشب. ثم وقع تشييد ميناء شرقي دار الصناعة وميناء آخر على ساحل البحر (حلق الوادي) ثم حفر قناة لجلب مياه البحر إلى البحيرة.
هكذا يتبين أن حي باب البحر عرف منذ الفتح الإسلامي أضخم مشروع عمراني بقي بارزاً إلى أواسط القرن ١٦م، وهو «دار الصناعة» أي مركباً لصناعة السفن ويحتاج هذا الإنجاز إلى مساحة شاسعة تطل على البحر، ومخازن للخشب ولحاجيات السفن، كما تستخدم «دار الصناعة» عدداً هاماً من اليد العاملة المختصة (أقباط).

العاصمة (تونس) وهي تطل بإطلالتها الجرينة على البحر

البيت المرواني

الوليد الأول بن عبد الملك

الفصل السادس

٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م

هو **الوليد بن عبد الملك** بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي، أشهر خلفاء بني أمية، وُلد الوليد بن عبد الملك في خلافة معاوية بن أبي سفيان حوالي سنة (٥٠هـ = ٦٧٠م) في المدينة النبوية، حيث كان يقيم أبوه "عبد الملك بن مروان بن الحكم"، وكان أكبر أبنائه، وحين هاجر مروان بن الحكم إلى الشام كان الوليد معه ضمن أسرته، والمعروف أنه ترك المدينة في ربيع الآخر سنة (٦٤هـ = ديسمبر ٦٨٣م) بعد أن أعلن عبد الله بن الزبير الدعوة إلى نفسه بالخلافة [١].

شهد عصر الوليد بن عبد الملك أعظم حركة للفتوحات الإسلامية في الدولة الأموية؛ فبسط المسلمون أيديهم على أكبر بقعة من العالم القديم المعروف آنذاك، واتسعت دولتهم على نحو لم تشهده من قبل، وبرز في عهده عدد من القادة الأكفاء الذين اتسموا بالقدرة العسكرية والمهارة الحربية وعُرفوا بالشجاعة والتضحية، فقاموا بعبء هذه الفتوحات وأعادوا للأذهان ذكرى الفتوحات التي تمت في عهد الخلفاء الراشدين (انظر كتابنا الموسوم أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين).

ودأب الوليد على محاربة الدولة البيزنطية؛ لتأمين حدود دولته معها، وكان أخوه مسلمة بن عبد الملك بطل هذه الحروب، واشترك معه أبناء الخليفة الوليد في منازلة البيزنطيين وفتح حصونهم، وظلت الحملات تتوالى على بلاد الروم منذ سنة (٨٨هـ = ٧٠٦م)، ولا يكاد يخلو عام من حملة على الروم، واستعد الوليد لإرسال حملة برية وبحرية لغزو القسطنطينية، لكن المنية عاجلته قبل أن ينفذ هذا المشروع، فنهض به أخوه سليمان بن عبد الملك الذي ولي الخلافة من بعده [٢].

نجح الوليد في مدة خلافته التي لم تتجاوز عشر سنوات أن يقيم دولة عظيمة، وأن ينعم الناس في ظلها بالرخاء، وأن تنشط حركة العمران في مدن الدولة الأموية وفي عاصمتها دمشق وأنشأ الطرق؛ خاصة الطرق المؤدية إلى الحجاز والجزيرة واهتم بالعمران وبيوت الرعاية، ومن آثار الوليد الخالدة في العمارة الجامع الأموي بدمشق وكان يعد من عجائب الدنيا، ولا يزال حتى اليوم ناطقاً بحنكة الوليد ويعد من معالم الإسلام الخالدة عبر العصور، ومن آثاره عمارة المسجد النبوي، والمسجد الأقصى الذي بدأ به والده ثم أكمله في عهده ومن المحاسن التي تميزت في خلافته العدل بين الرعية، وتوحيد المسلمين وبناء الدولة بكل عظمتها.

وشاع بناء المستشفيات في العصر الأموي حتى أصبح في الكثير من المدن الإسلامية. ولم يكن المغرب الإسلامي بمنأى عن المشرق ببناء المستشفيات، إذ كان في قرطبة أيام الدولة الأموية ٥٠ مشفى. وازدهرت الثقافة وحلقات العلم في المساجد الكبرى، حتى صارت دولته أقوى دولة في العالم آنذاك، ولم تطل به الحياة فتوفي في (منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ = ٢٥ من فبراير ٧١٥م).

---

١ ، ٢ - أحمد تمام، الوليد بن عبد الملك، العصر الذهبي للدولة الأموية، موقع إسلام أون لاين.

سياسة الوليد بن عبد الملك الخارجية

أولاً : فتوحات الجبهة الشرقية

فتح بلاد ما وراء النهر

ما وراء النهر، لفظ استخدمه المؤرخون، والجغرافيون المسلمون، للتعبير عن المنطقة المحصورة بين نهري جيحون في الجنوب وسيحون في الشمال. وتقع هذه المنطقة في الشمال الشرقي من حدود الدولة القديمة وسكانها من **العنصر التركي**.

قامت في هذه المنطقة. المشار إليها، عدة ممالك مستقلة بعضها عن بعض أهمها :

- مملكة **طخارستان**، وتقع على ضفتي نهر جيحون وعاصمتها مدينة **بلخ**.
- مملكة **الختل** وقصبتها **هُلْبُك**، وهي أول إمارة وراء نهر جيحون.
- مملكة **صغانيان** وقصبتها **صغنيان**.
- مملكة **الصغد** وقصبتها **سمرقند**.
- مملكة **خوارزم** وقصبتها **الجرجانية**.

كان الوضع السياسي لهذه الممالك مزعزعاً بفعل النزاعات الدائمة التي كانت تنشب بينها مما شكل خطراً على المسلمين الذين تاخمت حدود بلادهم في خراسان حدود هذه المماليك، مما يجعلهم يفكرون في وضع حد لهذه الفوضى في هذه البلاد بضمها إلى الدولة الإسلامية ونشر الإسلام فيها وإخضاعها للنظام قبل أن يستفحل خطرها. وبالرغم من النزاعات الداخلية فيها إلا أن شعوبها يمكن أن تتحالف إذا شعرت بوجود خطر خارجي عليها.

كانت العمليات العسكرية في وسط آسيا على جانب كبير من الأهمية وتتم بنجاح في بلاد ما وراء النهر، حيث حقق القائد المسلم **قتيبة بن مسلم الباهلي** حاكم **خراسان**، السيطرة الأموية على البلاد وتمكن من إثبات جدارته بالإمارة والقيادة، بحيث اعتبر من أشهر وأنجح القادة العسكريين، وسانده حاكم قوي هو الحجاج بن يوسف الثقفي، وكانت أوضاع دولة الخلافة الأموية قد استقرت، فاجتمعت له شجاعة القائد، وعزم الوالي وتصميمه، وقوة الدولة واستقرارها[١] .

---

١ - د. محمد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

فتوحات قتيبة بن مسلم « المرحلة الأولى »

١ **طَخارستان:** بالفتح وبعد الألف راء ثم سين ثم تاء مثناة من فوق، ويقال طَخَيرستان: وهي ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان، وهي طخارستان العليا والسفلى، فالعليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون، وبينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخاً، وأما السفلى فهي أيضاً غربي جيحون إلا أنها أبعد من بلخ وأضرب في الشرق من العليا؛ وقد خرج منها طائفة من أهل العلم، ومن مدُن طخارستان: خُلْم وسِمِنْجان وبَغْلان « باقلان » وسَكَلْكَنْد وورواليز؛ قال الإصطخري: وأكبر مدينة بطخارستان طالقان، وهي مدينة في مُسْتو من الأرض وبينها وبين الجبل غلوة سهم. الحموي، معجم البلدان،ج٤، ص ٢٣ .

٢ استمرت متاعب قتيبة بن مسلم مع أمراء طخارستان مستمرة، خاصة نيزك ، وهو أحد الأمراء الذين صالحوا القائد المسلم.
لقد استغل نيزك هذا خروج الجيش الإسلامي من المنطقة، فنقض العهد الذي أبرمه مع المسلمين وكون حلفاً من أمراء طخارستان ضد الوجود الإسلامي، فاضطر قتيبة للعودة إلى طخارستان، لإخضاعه، وتمكن من القضاء على الحلف الذي شكله ثم قبض عليه وقتله.

بدأ **قتيبة** عملياته العسكرية اعتباراً من عام (٨٦ هـ/٧٠٥م) فعبر نهر جيحون على رأس جيش كبير، وتمكن بعد سلسلة من الحملات العسكرية الناجحة من إنزال العقاب بجميع الذين انتفضوا على الحكم الإسلامي في عهد الحروب الأهلية، وأعاد فتح إقليم طخارستان « السفلى والعليا ». وتعتبر هذه الخطوة ضرورية لتمهيد طريق التقدم إلى أقاليم أخرى، ثم عاد إلى مرو، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم.

١ **بُخَارى:** بالضم: من أعظم مُدُن ما وراء النهر وأَجلّها، يُعبَر إليها من آمُل الشّطّ، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه، وليس بخراسان وما وراءَ النهر مدينة أشد اشتباكاً من بخارى ولا أكثر أَهلاً على قدرها، ولهم في الربض نَهَرُ الصغد يَشُقُّ الربض، وهو آخرُ نهر الصغد، فيفضي إلى طَوَاحين وضياع ومزارع ويسقط الفاضل منه في مجمع ماءٍ بحذاءِ بيكند إلى قُرب فَرَبْر يعرف بسام خاسٍ، ويتخللُها أَنهار أُخر، وداخل هذا السور مُدُن وقرى كثيرة؛ منها الطواويس، وهي مدينة بُومِجْكَث وزندنة وغير ذلك. الحموي، معجم البلدان،ج٤، ص ٢٣ .

٢ قاد قتيبة بن مسلم فيها حملته الكبرى على بخارى « المرحلة الثانية من فتوحاته » فيما بين سنتي ٨٧ – ٩٠هجرية، وخلالها أتم فتح بخارى وما حولها من القرى والحصون، وكانت أهم مدن بلاد ما وراء النهر وأكثفها سكاناً وأمنعها حصوناً.

تقدم قتيبة بعد طخارستان إلى إقليم **بخارى** فغزا **بيكند** في عام (٨٧هـ/٧٠٦م) وفتحها صلحاً بعد حصار. ويبدو أن أهلها لم يكونوا صادقين في صلحهم، فاغتنموا فرصة انهماك المسلمين بالفتوحات، وثاروا على الحكم الإسلامي وقتلوا الوالي، فاضطر قتيبة للعودة إلى المدينة **وفتحها عنوة**، ثم عاد إلى **مرو**، استمرت حملات قتيبة على **إقليم بخارى ثلاث سنوات**، فكان يغزوه في الصيف ويعود في الشتاء إلى مرو، حتى تمكن أخيراً من فتحه، ويثبت أقدام المسلمين في مدنه.

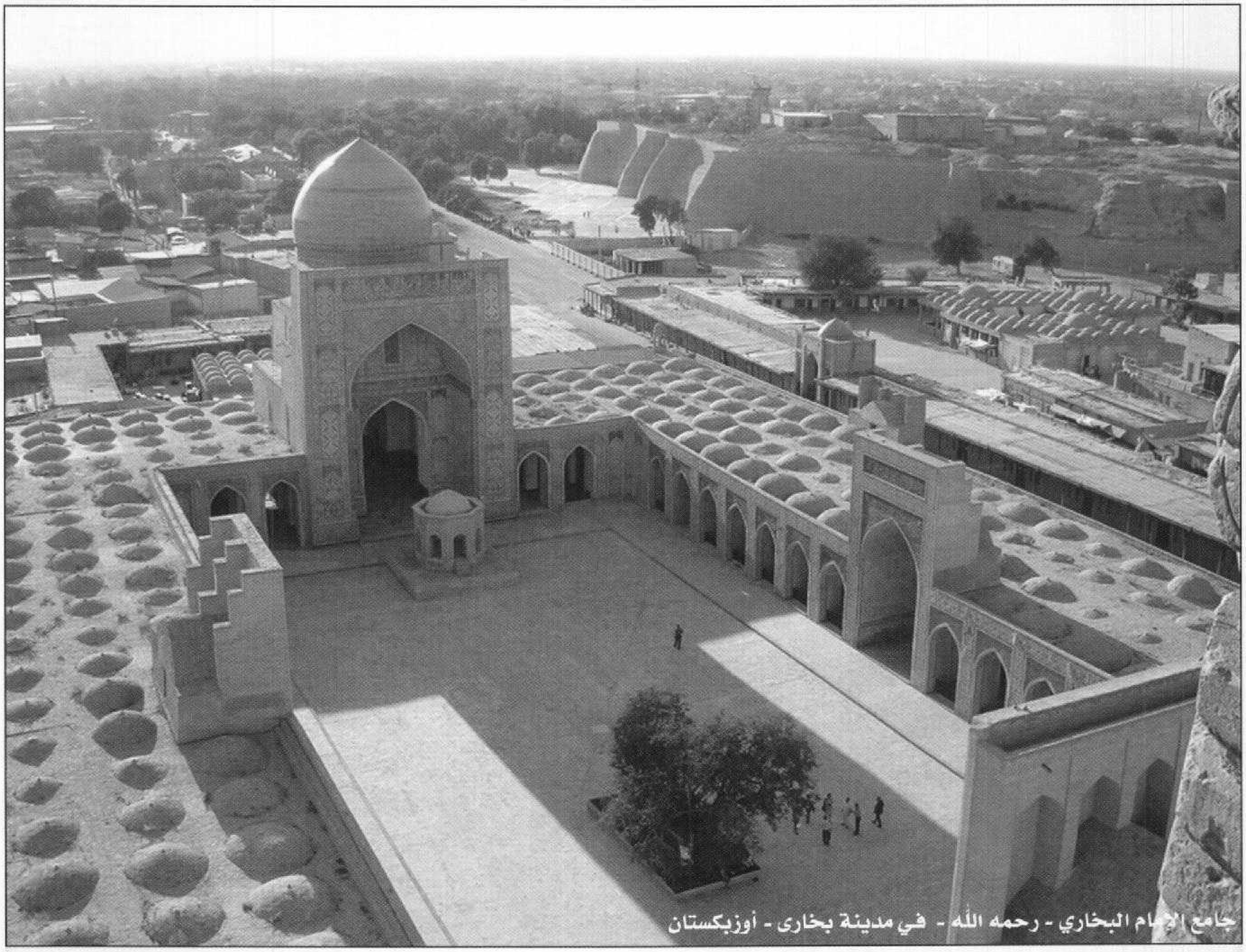

جامع الإمام البخاري - رحمه الله - في مدينة بخارى - أوزبكستان

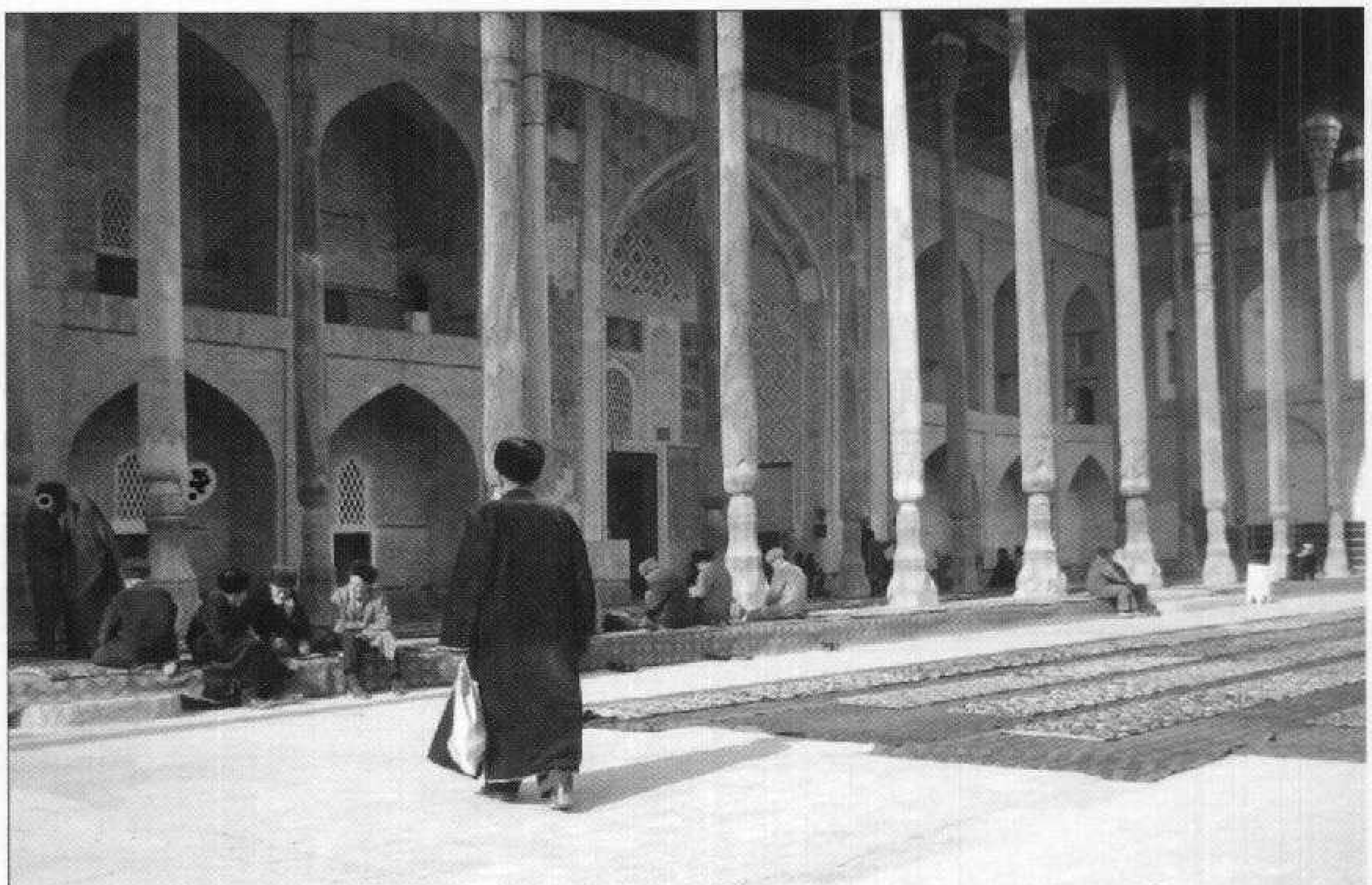

أروقة أحد المساجد القديمة في بخارى

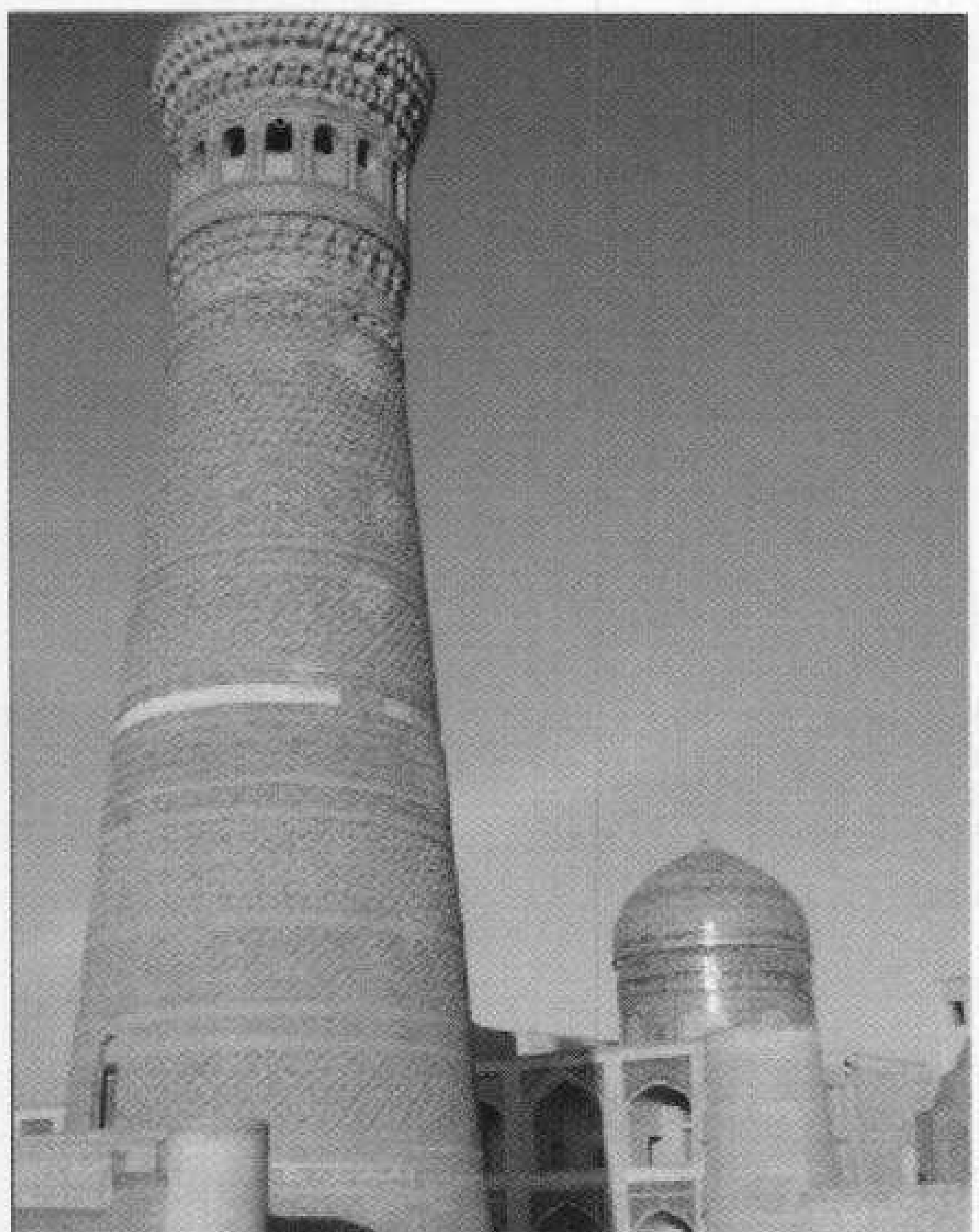

مسجد في بخارى من العهد الساماني

فتوحات قتيبة بن مسلم « المرحلة الثالثة »

(١) **سَمَرْقَنْدُ:** بفتح أوّله وثانيه، ويقال لها بالعربيّة سُمْران: بلد معروف مشهور، قيل: إنّه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصُّغْد مبنيّة على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه، ... وبسمرقند عدّة مدن مذكورة في مواضعها، منها: كرمانية ودبوسية وأُشروسنة والشاش ونخشب ونباكث؛ وقالوا: ليس في الأرض مدينة أنزه ولا أطيب ولا أحسن مستشرفاً من سمرقند، وقد شبهها حضين بن المنذر الرقاشي فقال: كأنّها السماء للخضرة وقصورها الكواكب للإشراق ونهرها المجرّة للاعتراض وسورها الشمس للإطباق؛ ... .
الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٤٦ – ٢٤٩ .

(٢) أتم القائد قتيبة بن مسلم **إعادة** تثبيت فتح إقليم سجستان بين إيران وباكستان اليوم.

استأنف **قتيبة** فتوحاته في حوض نهر جيحون، ففتح **سمرقند** صلحاً في عام (٩١هـ/٧٠٩م) وهي من أعظم المدائن في بلاد **الصغد** كما فتح **مدن خوارزم** صلحاً أيضاً في عام (٩٣هـ/٧١٢م). وتوج فتوحاته **بإعادة فتح سمرقند**، بعد أن نقض أهلها الصلح مع المسلمين، وتثبيت أقدام المسلمين فيها.

ميدان ريجستان بسمرقند - أوزبكستان

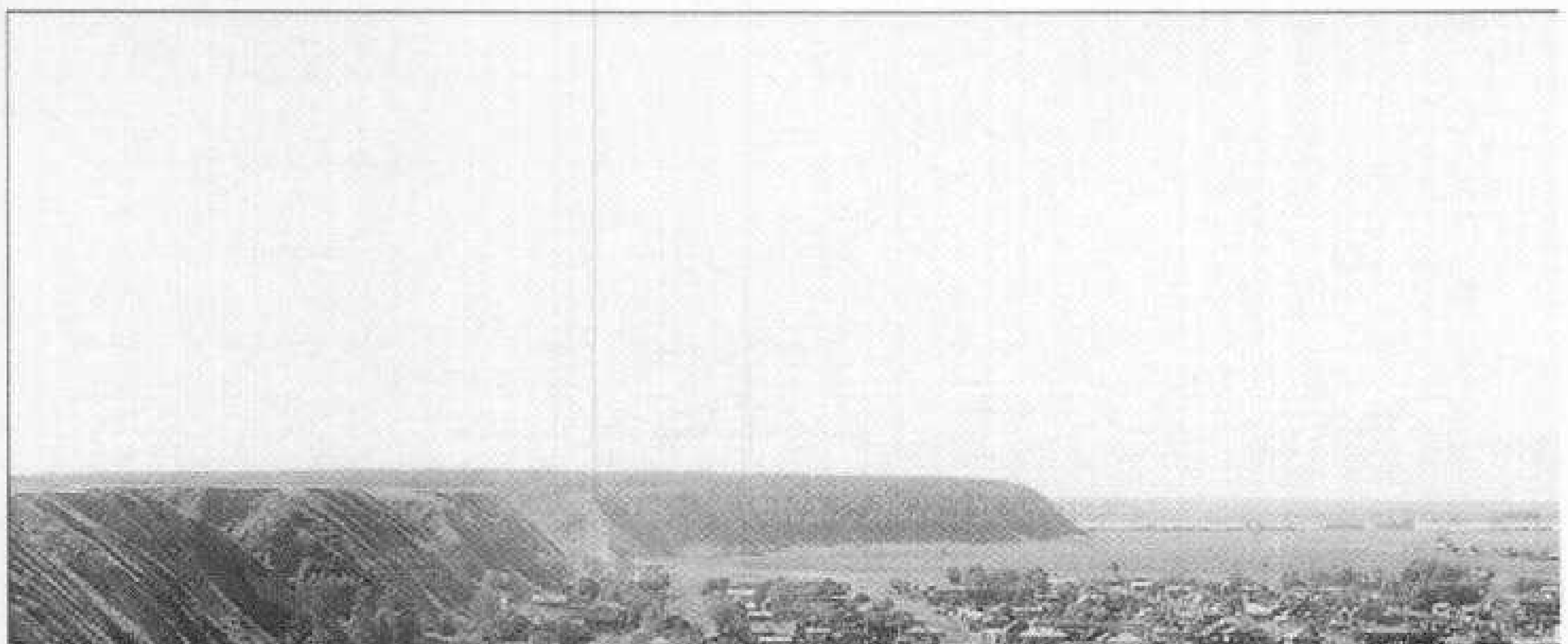

تقع مدينة "سمرقند" في آسيا الوسطى، في أوزبكستان. ومعني الاسم "قلعة الأرض". وقد وصفها "ابن بطوطة" بقوله: " إنها من أكبر المدن وأحسنها وأتمها جمالاً، مبنية على شاطئ وادٍ يعرف بوادي القصّارين، وكانت تضم قصوراً عظيمة، وعمارة تُنْبئ عن هِمَم أهلها. ".

تكمن أهمية فتح سمرقند أنها **ضمت مصنعاً للورق**، وهي صناعة صينية نقلتها جماعة من الحرفيين الصينيين إلى هذه المدينة. وحمل المسلمون هذه الصناعة إلى دمشق ثم إلى بغداد بعد ذلك في العصر العباسي، وإلى القاهرة وإفريقيا الشمالية وصقلية والأندلس، ومنها انتقلت إلى أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي.

فتوحات قتيبة بن مسلم « المرحلة الرابعة »

١ **فَرْغَانَةُ :** بالفتح ثم السكون، وغين معجمة، وبعد الألف نون: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تُرْكستان في زاوية من ناحية هَيْطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، كثيرة الخير واسعة الرستاق، يقال كان بها أربعون منبراً، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً، ومن ولايتها خُجَنْدة؛ ؛ ... . الحموي، معجم البلدان،ج٣، ص ٢٥٣ .

٢ أراد قتيبة تحقيق إنجاز إسلامي على الحدود مع **الصين**. فغادر **مرو** في طريقه إلى **كاشغر**، وهي أدنى المدائن إلى الصين، ولما وصلها جاءه رسول من قبل الإمبراطور الصيني يدعوه إلى إرسال وفد إلى العاصمة الصينية للتباحث في أمر تقدم المسلمين. وفعلاً أرسل وفداً على رأسه هبيرة بن المشمرج، الذي أجرى مباحثات مع الجانب الصيني، أسفرت على ما يبدو، إلى تجميد الفتوحات الإسلامية باتجاه الصين.

انتقل قتيبة، اعتباراً من عام (٩٤هـ/٧١٣م)، إلى فتح مدن **الشاش وفرغانة وكاشغر**، وكانت تحت سيطرة الأتراك، فصادف مقاومة شرسة، واصطدم بهم أكثر من مرة حتى تمكن أخيراً من فتحها في عام (٩٥هـ/٧١٤م).

وفي أثناء جهاده في بلاد الترك جاءه نعي الحجاج، فاغتم لموته. أدرك الخليفة تأثير ذلك عليه، فبعث إليه برسالة مواساة وتشجيع وثناء، فأحدثت في نفسه أثراً طيباً.

امتدت **المرحلة الرابعة** من فتوحات القائد الأموي قتيبة بن مسلم الباهلي من سنة ٩٤-٩٦ هجرية، حيث أتم فيها فتح حوض نهر سيحون بما فيه من مدن، ثم دخل **أرض الصين** وأوغل فيها ووصل مدينة **كاشغر** وجعلها قاعدة إسلامية وكان هذا آخر ما وصلت إليه جيوش الإسلام في آسيا شرقاً ولم يصل أحد من المسلمين أبعد من ذلك خلال الفتوحات.

كان الاحتفاظ بإقليم **فرغانة** بيد المسلمين، يستوجب **فتح منطقة كاشغر** التي تقع شرقي إقليم فرغانة، ويقطنها الترك كما يقطنون إقليم فرغانة. وفي سنة ٩٦ هـ - ٧١٤م، غزا **قتيبة** مدينة كاشغر، وهي أدنى مدائن الصين وأقربها إلى فرغانة « انظر الخارطة في الأعلى ».

وسار قتيبة من **مرو** عاصمة خراسان على رأس جيشه، وحمل الناس أبناءهم لتستقر في **سمرقند**. وعبر الجيش الإسلامي نهر جيحون، فاستعمل قتيبة رجلاً على معبر النهر، ليمنع من يرجع من جنده إلا بجواز منه وبموافقته الخطية. ومضى جيش المسلمين إلى فرغانة، مروراً بسمرقند، حيث أبقى الناس أبناءهم فيها بحماية المسلمين من أهل سمرقند، وكان الإسلام قد انتشر فيها انتشاراً سريعاً موفقاً. وفي فرغانة أكمل قتيبة استعدادات جيشه للقتال، وأرسل إلى (شعب عصام) الفَعَلَة لتمهيده، حتى يجتاز الجيش بسهولة ويسر وسرعة، فأكمل الفعلة مهمتهم وأخبروا قتيبة بإكمالها. **والفعلة هم سلاح الهندسة**، كما نطلق عليه اليوم في المصطلحات العسكرية الحديثة: وهم الذين يمهدون الطرق، ويبنون القناطر والجسور، ويزيلون العقبات الطبيعية، ويؤمّنون وسائط عبور الأنهار، ويشرفون على العبور والمعابر. ويبدو أن (شِعب عصام) أو وادي عصام، عارض من العوارض الطبيعية الوعرة، يعرقل مسيرة الجيش بقوات كبيرة، ويقع بين فرغانة والحدود الصينية القديمة. وتقدم قتيبة على رأس جيشه من فرغانة، سالكاً الطريق التجارية التي تربط مدينة فرغانة بمدينة كاشغر، ماراً بجنوب بحيرة (جاتيركول) السوفييتية قبل سقوط الشيوعية فيها، على الحدود مع الصين، مقتحماً ممر (تيترك) في تركستان الشرقية. وبعث قتيبة مقدمة أمام جيشه إلى **كاشغر**، فتقدمت حتى وصلت إلى هدفها، بعد أن أزاحت المقاومات الطفيفة التي صادفتها في طريقها وغنمت . وأوغل قتيبة حتى قارب حدود الصين القديمة، ففتح كاشغر، وجنغاريا الواقعة على حدود منغوليا، وترفان على مقربة من الحدود المنغولية، وخوتن الواقعة شمالي التبت وكشمير، وقانو التي تقع تماماً في منتصف الصين الحالية. **لكن المصادر العربية المعتمدة تقتصر على فتح كاشغر في هذه السنة ولا تقدم التفاصيل الإضافية الأخرى عن فتوح المدن الصينية الأخرى.** بتصرف عن إسماعيل حقي شن كولر – قضية تركستان الشرقية، ص ٦٤-٦٥.

فتح كاشغر: بات الاصطدام **بين المسلمين** من جهة **وبين ملك الصين** من جهة ثانية وشيكاً، فطلب ملك الصين التفاوض بين الجانبين، وعرض التفاوض على قتيبة، فقد أوغل قتيبة حتى قارب الصين واخترق حدودها الغربية، فكتب إليه ملك الصين: «ابعث إلي رجلاً شريفاً يخبرني عنكم وعن دينكم»، فوافق قتيبة على طلب ملك الصين.

واختار قتيبة من بين رجال جيشه اثني عشر رجلاً، لهم جَمال وألسن وبأس وتجمّل وصلاح، وأمر لهم بعُدّة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشي وغير ذلك وخيول حسنة، وكان منهم هُبيرة بن المشمرج الكلابي مفوّهاً سليط اللسان، وقال لهم: «إذا دخلتم على ملك الصين، فأعلموه أني حلفتُ أني لا أنصرف حتى أطأ بلادهم، وأختم ملوكهم، وأجبي خراجهم»..

وسار وفدُ قتيبة إلى ملك الصين، عليهم هبيرة بن المشمرج الكلابي، فلما قدموا الصين، دعاهم ملكها، فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل، وتطيبوا ولبسوا الأردية، ودخلوا على الملك، وكان عنده عظماء قومه، فأخذوا أماكنهم في مجلسه، فلم يكلم الملك الوفد ولا أحد ممن عنده.

ولما انصرف الوفد من مجلس الملك، قال الملك لمن حضره: «كيف رأيتم هؤلاء؟» قالوا: «رأينا قوماً ما هم إلا نساء». وبالطبع قال من حول الملك ما يحب الملك أن يسمع، لا ما يجب على الملك أن يسمع، أسوة من حول أصحاب السلطان في كل زمان وكل مكان، وفي غد دعاهم الملك إلى مجلسه، ولبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف –ألبسة من خزّ مربعة لها أعلام– وغدوا عليه، فلما دخلوا عليه قيل لهم: ارجعوا. وقال الملك لأصحابه بعد انصراف وفد المسلمين: كيف رأيتم؟ فقالوا: هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك، وفي اليوم الثالث دعاهم الملك إلى مجلسه أيضاً، فشدوا سلاحهم، ولبسوا البيض – الخوذ والمغافر - (جمع مِغفر)، وهو زرد ينسج على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة.. وأخذوا السيوف والرماح والقسي، وركبوا خيولهم العربية المطهمة الأصيلة. ونظر إليهم ملك الصين، فرأى أمثال الجبال المقبلة، فلما دنوا من مجلس الملك، ركزوا رماحهم ثم أقبلوا مشمِّرين وقيل لهم قبل أن يدخلوا على الملك: «ارجعوا..» لِما دخل في قلوب الملك ومن معه من رجال الصين وقادتها من خوف ورهبة. وانصرف الوفد عائداً إلى مستقره، بعد أن أخذوا رماحهم واستعادوا سلاحهم وامتطوا خيولهم، ثم دفعوا الخيل حضراً – عدْو ذو وثب، وهو ركض الخيل بأقصى سرعتها، كالذي يجري في سباق الخيل - كأنهم يتطاردون، فقال الملك لأصحابه: كيف ترونهم؟ فقالوا: ما رأينا مثل هؤلاء! وفي مساء ذلك اليوم، بعث ملك الصين إليهم، أن ابعثوا إليّ زعيمكم فبعثوا إليه هبيرة، فقال له الملك: قد رأيتم عظم ملكي، وأنه ليس أحد يمنعكم مني، وأنت في يدي بمنزلة البيضة في كفي، وإني سائلكم عن أمر، فإن لم تصدقوني قتلتكم. وما كان هبيرة بحاجة إلى التهديد والوعيد، وليس هو من الرجال الذين يخيفهم التهديد والوعيد، فهو لا يكذب أبداً حتى ولو قتل على أن يكذب لا على ألا يكذب، فلا مجال لتهديده بالقتل إذا لم يصدق وسأل الملك هبيرة: لماذا صنعوا في الزي الأول ما صنعوا، ثم الزي الثاني، والزي الثالث؟ وكان جواب هبيرة: أما زيّنا الأول، فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم، وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أمراءنا، وأما الثالث

فزيّنا لعدوّنا. وقال الملك: ما أحسن ما دبرتم دهركم، فانصرفوا إلى صاحبكم، فقولوا له: ينصرف، فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه، وإلا بعثتُ عليكم من يهلككم ويهلكه وإذا كانت الجبال الراسيات تهتز قيد أنملة من خطرات النسيم العليل، فإن هبيرة قد اهتز يومئذ من وعيد الملك وتهديده، فلا بد له من أن يبلغ هذا الملك رسالة قتيبة بقوة وأمانة وصدق، فقال للملك في ثقة كاملة وهدوء تام: كيف يكون قليل الأصحاب مَن أول خيوله في بلادك، وآخرها في منابت الزيتون! وكيف يكون حريصاً من خلّف الدنيا وغزاك؟ وأما تخويفك بالقتل، فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه، واستخذى الملك في مجابهة قولة الحق، فنسي تهديده ووعيده، ثم تساءل في قول ليّن رقيق: فما الذي يُرضي صاحبك؟ فأجابه هبيرة بقول فصل لا مساومة فيه: إنه حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم، ويختم ملوككم، ويُعطَى الجزية.

واستخذى الملك إلى درجة الانهيار بعد أن سمع كلمة الحق تزهق الباطل، فقال: فإنا نخرجه من يمينه: نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطأه، ونبعث أبناءنا فيختمهم، ونبعث له مالاً يرضاه.. ودعا الملك بصحاف من ذهب فيها تراب من أرض الصين، وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم، ثم أجاز الوفد فأحسن جوائزهم، فقدموا على قتيبة الذي قبل الجزية، وختم الغلمان، وردّهم إلى الملك، ووطئ تراب الصين. وقد لجأ الوفد الإسلامي إلى تبديل أزيائهم للتأثير في معنويات ملك الصين ومن معه، مما أدّى إلى انهيار معنويات الصينيين واستجابتهم لمطالب المسلمين.

حقيقة الفتح: المؤرخون العرب يذكرون أن مدينة كاشغر هي أدنى مدائن الصين، ولكن البلدانيين العرب يذكرون أنها من مدن تركستان. وما أخطأ المؤرخون العرب، لأن حدود الصين كانت تمتد غرباً فتضمّ حدودُها تركستان الشرقية بكاملها، أو جزءاً منها في حالة اشتداد قوة ملوك الصين، وتنحسر تلك الحدود نحو الشرق، فتستقل تركستان الشرقية بحدودها الطبيعية، أو تمتد حدود تركستان الشرقية فتضم إليها أجزاء من الصين، في حالة قوة ملوك تركستان وضعف ملوك الصين. وما أخطأ البلدانيون العرب القدامى في ذكرهم أن مدينة كاشغر من مدن تركستان الشرقية، فهي في الواقع كذلك أصلاً، ولكنها تدخل في حدود الصين تارة، وتكون خارج حدودها تارة أخرى، وقد ظلت تركستان الشرقية خاصة عرضة لهجمات الصينيين حتى أصبحت اليوم من أجزاء الصين كما هو معلوم. ومن مراجعة تاريخ تركستان الشرقية القديم يتضح لنا أن منطقة كاشغر والمناطق التي حولها التي امتدت الفتوحات الإسلامية إليها، كانت ضمن دولة (كول تورك) التي كانت من سنة ٥٥٢ م إلى سنة ٧٤٥ م، ومعنى هذا أن الفتح الإسلامي في تركستان سنة ست وتسعين للهجرة (٧١٤ م) كان على عهد تلك الدولة التركية التي كانت في عداء مستمر مع جارتها الشرقية الصين، وكانت على ولاء كامل مع بلاد ما وراء النهر، وخاصة مع إقليم فرغانة، لأن العنصر التركي كان يسيطر على هذا الإقليم، فكان تعاونه مع تركستان الشرقية تعاوناً وثيقاً. ويذكر لنا تاريخ تركستان الشرقية القديم، أن الاضطرابات شملت تركستان الشرقية سنة إحدى وعشرين ومائة للهجرة (٧٣٨ م)، فاستغل الصينيون هذه الاضطرابات واعتدوا على تركستان الشرقية وضمّوها إلى بلادهم.

ولكن الأتراك من سكان تركستان الشرقية تمكنوا من الحصول على المعونات العربية الإسلامية سنة أربع وثلاثين ومائة الهجرية (٧٥١ م) على عهد الدولة العباسية في بغداد، وتمكنوا بهذا العون من إنقاذ بلادهم من حكم الصين، وهزموا الصينيين في معركة (تالاس) المشهورة. يتضح من ذلك أن الفتح الإسلامي في كاشغر والمدن الأخرى جرى في تركستان الشرقية لا في الصين، ولكن ملك الصين الذي وجد سرعة تقدم الفتوح الإسلامية ووصولها إلى حدوده الغربية مباشرة في حينه، سعى لإرضاء الفاتحين خوفاً من اختراق بلاده وفتحها، فقدم ما قدم لقتيبة إرضاء له ولمن معه من المجاهدين، وصدّاً لتيارهم الجارف بالتي هي أحسن.

أما السبب الحقيقي لعودة قتيبة وجيشه عن حدود الصين الغربية، كما تذكر المصادر التاريخية المعتمدة، هو وصول خبر وفاة الوليد بن عبد الملك، وتولّي سليمان بن عبد الملك الخلافة بعده، وكان ذلك سنة ست وتسعين للهجرة، وكان الوليد مؤيداً لقتيبة وسنداً له أسوة بقادة الحجاج بن يوسف الثقفي كافة، وكان سليمان يكرههم ولا يميل إليهم!، لأن الوليد بن عبد الملك أراد أن ينزع أخاه سليمان بن عبد الملك عن ولاية العهد ويجعل بدله عبد العزيز ابن الوليد بن عبد الملك (ابنه)، فبايعه على خلع سليمان الحجاجُ وقتيبة وقادة الحجاج الآخرون [١].

وعاد قتيبة بمن معه من جيش المسلمين، فقُتل في فرغانة سنة ست وتسعين الهجرية، وهو في طريق عودته إلى خراسان، فقال رجل من العجم: يا معشر العرب، قتلتم قتيبة! والله لو كان قتيبة منا فمات لجعلناه في تابوت فكنا نستسقي به ونستفتح إذا غزونا! وقال أحد رجالات العجم بعد مقتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة: يا معشر العرب، قتلتم قتيبة ويزيد وهما سيدا العرب!

كاشغر: مدينة من أشهر مدن تركستان الشرقية وأهمها، وكانت عاصمة تركستان الشرقية، ولها مركز عظيم في التجارة مع روسيا وقد اجتاحت تركستان الشرقية القوات الصينية الشيوعية سنة ١٩٤٩م واحتلتها، فأطلق عليها الصينيون اسم (سينكيانج) وهي كلمة صينية تعني: المستعمرة الجديدة، وتبعهم بهذه التسمية الأوروبيون وبعض المصادر العربية الحديثة، إلا أن أهل تركستان الشرقية المسلمون يحبون أن تسمى بلادهم باسمها القديم: تركستان الشرقية، ولا يحبون تسميتها بالاسم الصيني الجديد.

وقد لعبت تركستان الشرقية دوراً تاريخياً مهماً في التجارة العالمية، وكان طريق الحرير المشهور يمر بها، وهو الطريق الذي كان يربط بين الصين أبعد بلاد العالم القديم والدولة البيزنطية.

١- إسماعيل حقي شن كولر – قضية تركستان الشرقية، ص ٦٤-٦٥.

أحد جوامع كاشغر

يقع **وادي فرغانة** بين ثلاث دول في أواسط آسيا، و تقتسمه كل من أوزبكستان، وقيرغيزستان، و طاجيكستان و يرتفع حوالي ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ قدم "٤٦٠ متراً" عن سطح البحر. وتحيط بالوادي الجبال من ثلاث جهات، حيث تحده من الشمال الغربي جبال كُرماين، و جبال شاتقال من جهة الشمال، وجبال فرغانة من الشرق، و جبال آلاي و تركستان من الجنوب. يبلغ طوله حوالى مئة وخمسين كيلو متراً و حوالي ثلاثمئة كيلومتراً في العرض و مفتوح من جهة الجنوب الغربي بما يعرف ببوابة چودشاند و التي يبلغ عرضها ٩ كم. يعتبر الوادي من أخصب المناطق في تركستان، و يستمد خصوبته من نهري نارين، و قارا داريا، و اللذان يلتقيان قرب مدينة نمنان ليشكلا نهر "سير داريا" أو ما يعرف تاريخياً **بنهر سيحون**. يعتبر الوادي مصدراً غنياً للمحصولات الزراعية المتنوعة، و أرضاً مثالية للرعي.

وادي فرغانة

فتح بلاد السـند:

يقع إقليم السند في شمالي غربي شبه القارة الهندية وشرقي بلاد فارس الجنوبية. وتعد أحداث فتح هذا الإقليم شبيهة بأحداث فتوحات بلاد ما وراء النهر من عدة أوجه منها :

- وحدة الزمان:فقد بدأ المسلمون فتوحاتهم في هذا الإقليم عام (٨٩هـ/٧٠٨م)، أي بعد أن بدأ قتيبة ابن مسلم فتوحاته لبلاد ما وراء النهر بعامين اثنين، وإن كانت اهتماماتهم بفتح بلاد الهند ترجع إلى عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.
- وحدة العالم الإسلامي: لقد تمت فتوحات كل من إقليم ما وراء النهر وإقليم السند في ظل وحدة العالم الإسلامي التي حققها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان رحمه الله.
- وحدة القيادة العامة: فالحجاج بن يوسف الثقفي هو الذي وجَّه الحملات العسكرية إلى كلا الإقليمين. فقد كلف قتيبة بن مسلم بفتح بلاد ما وراء النهر، كما كلَّف صهره وابن عمه محمد بن القاسم بفتح إقليم السند.
- وحدة الإعداد والتجهيز: في ظل القيادة العامة الواحدة.

عهد الحجاج إلى ابن عمه محمد بن القاسم، الذي لم يكن قد تجاوز العشرين من العمر، بفتح إقليم السند، بعد أن أضحى يجاور الحدود الشرقية للدولة الإسلامية، وعيَّنه أميراً عليه.

انتقل محمد هذا إلى **مكران** وتمركز فيها، وجعلها نقطة الانطلاق وقاعدة الفتح، وخرج منها إلى **الديبل**، على ساحل بحر الهند، وفتح وهو في طريقه إليها عدة قلاع ولما حاصرها واقتحمها بعد ثلاثة أيام هرب منها عامل **داهر ملك السند**.

أعاد القائد المسلم تخطيط المدينة وأسكنها بأربعة آلاف من المسلمين، وجعلها قاعدة بحرية. وكان لفتح المدينة تأثير كبير على الوضع الداخلي للمدن والقرى المجاورة، حيث هرع السكان يعرضون الصلح على المسلمين.

توجه محمد بن القاسم بعد ذلك إلى **البيرون** الواقعة على الضفة الغربية لنهر السند المعروف باسم مهران، فصالحه سكان سربيدوس وسهبان وانتصر عليه وقتله. سيطر المسلمون بعد هذا النشاط الجهادي على كامل إقليم السند، ثم زحفت جيوشهم نحو الشمال الشرقي حتى وصلوا إلى المدينة برهمناباد، وقد لجأت إليها فلول جيش داهر بقيادة ابنه جاي سنك إلى الشمال، وتحصن بالرور عاصمة السند، فلحقه المسلمون وحاصروا المدينة مدة أربعة أشهر قبل أن يفتحوها[١].

---

١ - د. محمد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ١١١ - ١١٣.

فتوحات محمد بن القاسم الثقفي على أرض السـنـد

تابع القائد المسلم زحفه حتى قطع نهر بياس، أحد روافد نهر السند، ووصل إلى **الملتان** فحاصرها وفتحها عنوة، وأرسل فرقة عسكرية دخلت البيلمان وصالحه أهل سرست، وفتح الكيرج عنوة.

أضحى وادي السند. بعد هذا الانتشار الإسلامي ، في قبضة المسلمين. فانصرف محمد بن القاسم إلى تنظيم أمور البلاد المفتوحة، والاستعداد للزحف نحو إمارة كنوج لكن أتاه نعي الحجاج، ثم نعي الوليد في عام (٩٦ هـ/٧١٥م) وتولي أخيه سليمان الخلافة، فتوقفت العمليات العسكرية على أرض السند.

قال أبو حمزة الحنفي:

إن المروءة والسماحة والندى ... لمحمد بن القاسم بن محمدِ

ساسَ الجيوش لسبعَ عشرَة حجةً ... يا قُربَ ذلك سؤدداً من مولدِ

عَنْ ثَوْبَانَ ، مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللهُ مِنَ النَّارِ عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ » . سنن النسائي الصغرى ، وأخرجه ابن عساكر في (تاريخه) (٢٤٨/٥٢) وصححه الألباني(٢) فنرجو بهذا الحديث النبوي أن يكون محمد بن القاسم وجيشه داخلاً في هذه البشرى العظيمة ، ونسأل الله لهم الفردوس الأعلى وأن يلحقنا بهم ونحن دعاة خير وسلام .

أتى محمد بن القاسم (البيرون) فصالحه أهلها، وجعل محمد لا يمر بمدينة إلا وفتحها وهزم جيوشها، ثم سار الى نهر (مِهران) فنزل في وسطه، وبلغ خبره "داهر"، فاستعد لمجابهته وعبر محمد بن القاسم النهر مما يلي بلاد الملك "راسل" ملك مدينة (القَصّة =كَجّ) وهي من بلاد الهند، وهناك لقى محمد بن القاسم قوات الملك "داهر" أعظم ملوكهم وكان يمتطى فيله وحوله الفيلة والخيول والجيوش العظيمة، وبدأت معركة عنيفة وشرسة واقتتلوا قتالاً شديداً لم يُسمع بمثله، واستخدم الهنود الفيلة، والنبال، والنفط « انظر الآلة التي يقومون برمي النفط بها »، واستمر القتال حتى المساء وترجل "داهر" وظل يُقاتل حتى قُتل ولله الحمد والمنة، وانهزم أصحابه وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، وكان الذى قتله - أي "داهر" - القاسم بن ثعلبة بن عبد الله الطائي، فقال- رحمه الله - في هذه المناسبة يفتخر بقتله للملك "داهر":

الخيلُ تشهد يوم داهَرَ والقَنا
ومحمدُ بن القاسم بن محمدِ
أنّى فَرَجْتُ الجمع غير مُعرِّدِ
حتى علوتُ عظيمهم بمُهنَّدِ
فتركتُه تحت العَجاج مُجندلاً
متعفر الخدّين غير موسّدِ

وكان هذا الانتصار من أعظم انتصارات محمد بن القاسم، وتخلص بذلك من أكبر ملوك السند وهو "داهر"، ثم واصل محمد بن القاسم فتوحاته.

بقايا قلعة داهر بإقليم السند، ملك السند

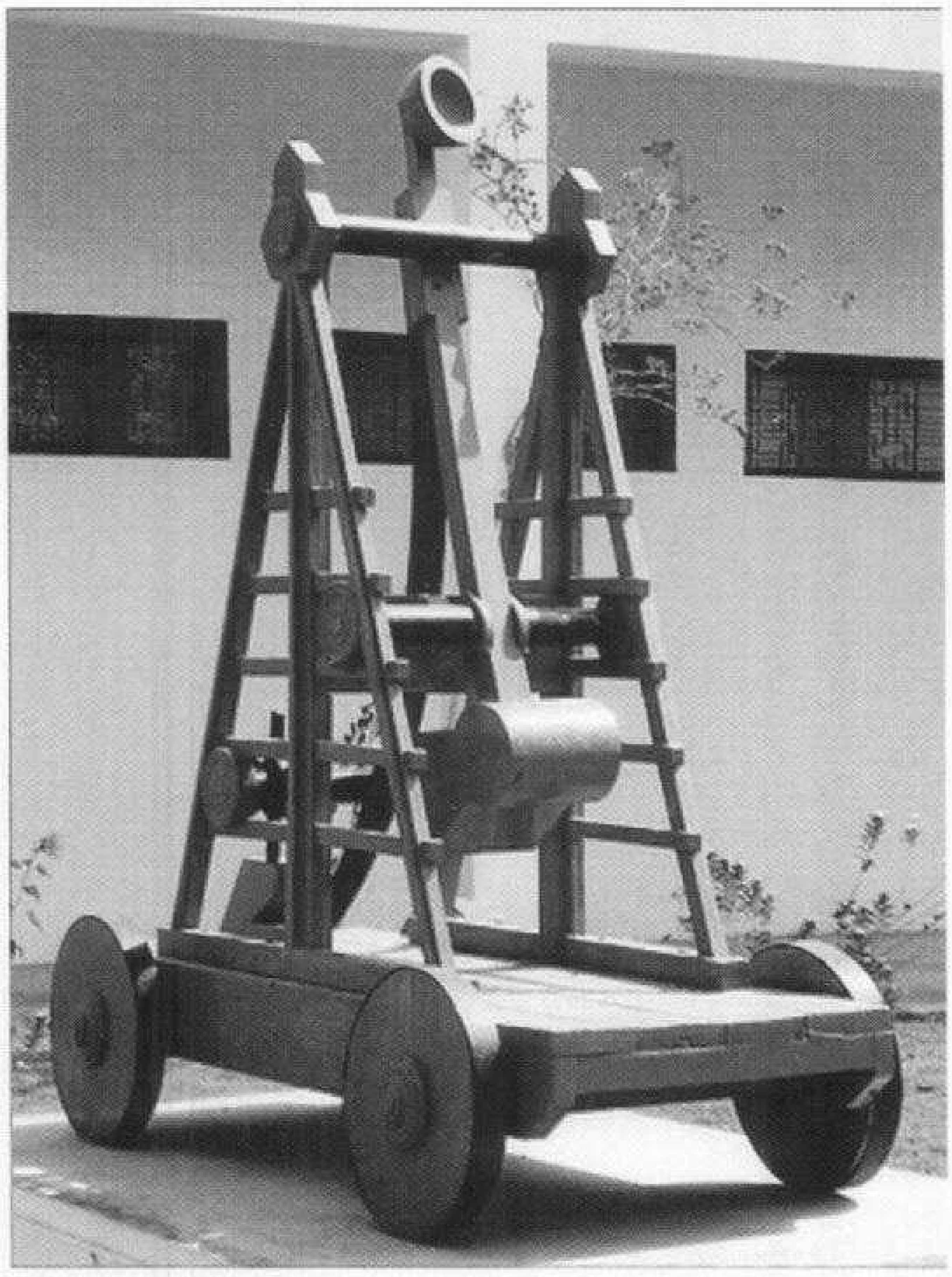

نموذج لمنجنيق استخدمه المسلمون في فتوح السند أيام محمد بن القاسم

الدَيبُلُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وباء موحدة مضمومة، ولام: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند، والدّيبل في الإقليم الثاني، طولها من جهة المغرب اثنتان وتسعون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها من جهة الجنوب أربع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وهي فرضة، وإليها تُفضي مياه لَهُور ومُولتان فتصب في البحر المالح؛ وقد نسب إليها قوم من الرواة، منهم: أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي، جاوَر مكة، روى عن أبي عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي وحسين بن حسن المروزي وابنه إبراهيم بن محمد الديبلي، يروي عن موسى بن هارون. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٩٥ .

م . ص . محمود حافظ، موقع فرسان السنة على الشبكة العنكبوتية

أول مسجد في شبه القارة الهندية بناه محمد بن القاسم بمدينة الديّبل (كراتشي) حالياً بباكستان

بقايا مسجد محمد بن القاسم بمدينة (الرور)

كان هذا المسجد الذي بناه محمد ابن القاسم هو أول مسجد بُني في هذه المنطقة. بمدينة الديّبل (كراتشي) حالياً بباكستان. ونزل الخبر على "داهر" كالصاعقة.

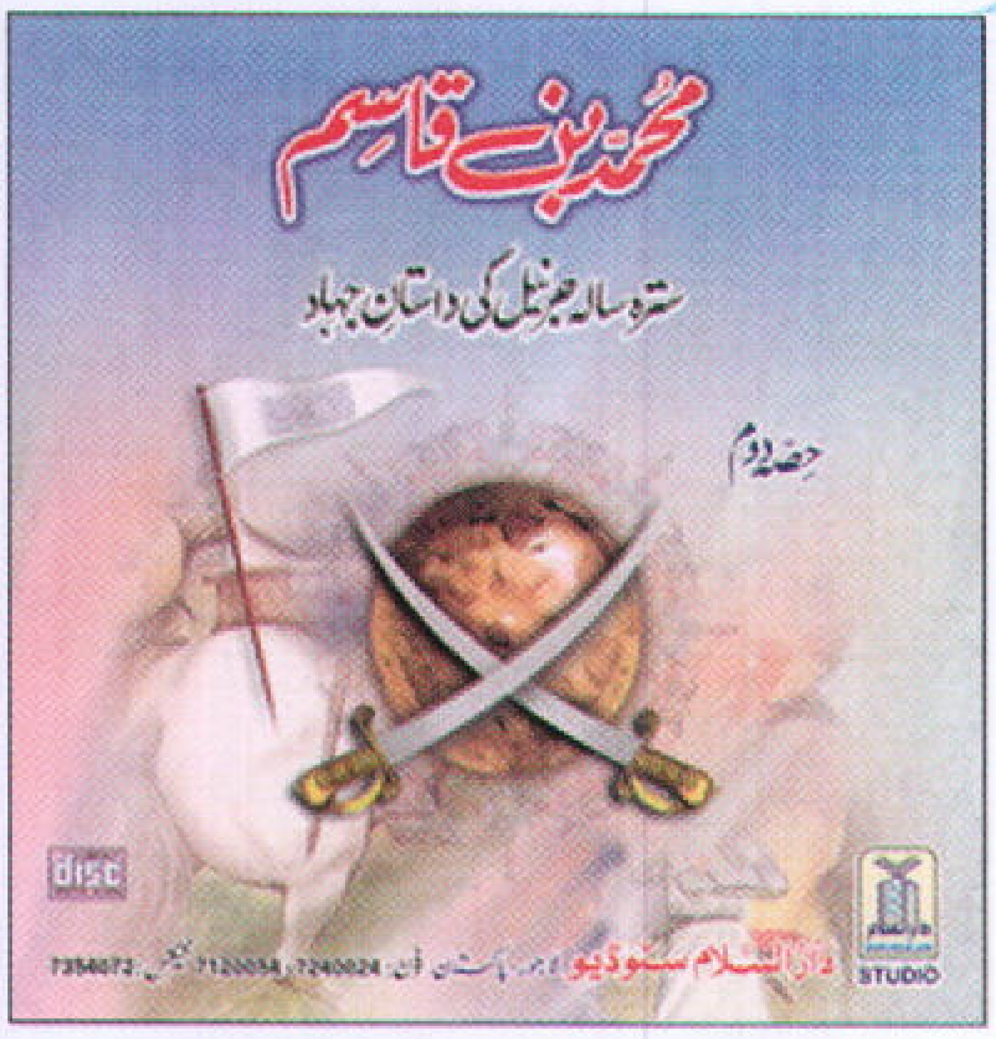

مازالت سيرة القائد محمد بن القاسم تُطبع وتباع في باكستان والهند إعجاباً بشخصيته الفذة، وسيرته الطيبة.

ثانياً : الجبهة البيزنطية

انتهج الوليد بن عبد الملك نهج والده في الضغط على الإمبراطورية البيزنطية. والواقع أنه في الوقت الذي كان فيه الإمبراطور البيزنطي يخشى اتساع النشاط العسكري الإسلامي في البر والبحر، كان الخليفة يعمل على تحقيق الهدف الذي ظل يراود الخلفاء الأمويين منذ تأسيس دولتهم، ألا وهو **فتح القسطنطينية**، خاصة وأن الإمكانات الإسلامية أصبحت متاحة بعد تقوية الأسطول البحري، وتنسيق التعاون بين القوتين البرية والبحرية، في حين افتقد الجانب البيزنطي إلى الاستقرار، وتدهورت قوته العسكرية، وساد الوضع الداخلي الصراع على العرش مما خلق مناخاً طيباً للعمليات العسكرية.

وقاد حركة الجهاد الإسلامي، على هذه الجبهة القائد الأموي **مسلمة بن عبد الملك**، أخو الخليفة الوليد، بمشاركة **العباس بن الوليد**، وتمكن من **فتح عدة حصون** ذات أهمية استراتيجية في الطريق المؤدي إلى القسطنطينية، أمثال: طوانة، وهرثومة، وهرقلة، وقونية، والحصون الخمسة التي تلي الحدود البيزنطية مع بلاد الشام، وعموريه ودوريليوم وسبسطية وطرسوس وبرجمة، ووصلت إحدى فرقه إلى مدينة سكودري في عمق الأراضي البيزنطية.

نتيجة لهذا النشاط العسكري الإسلامي المكثف، حاول البيزنطيون إيقافه أو الحد من قوة اندفاعه، فعمدوا إلى تقوية جبهة آسيا الصغرى، فعمّروا مدنها وشحنوها بجماعات من **الأرمن**، وعينوا قادة جدداً على ثغورها، خاصة ثغر الأناضول، واهتموا اهتماماً خاصاً بتقوية القوى الحربية، وعملوا على توفير أسباب الدفاع عن العاصمة.

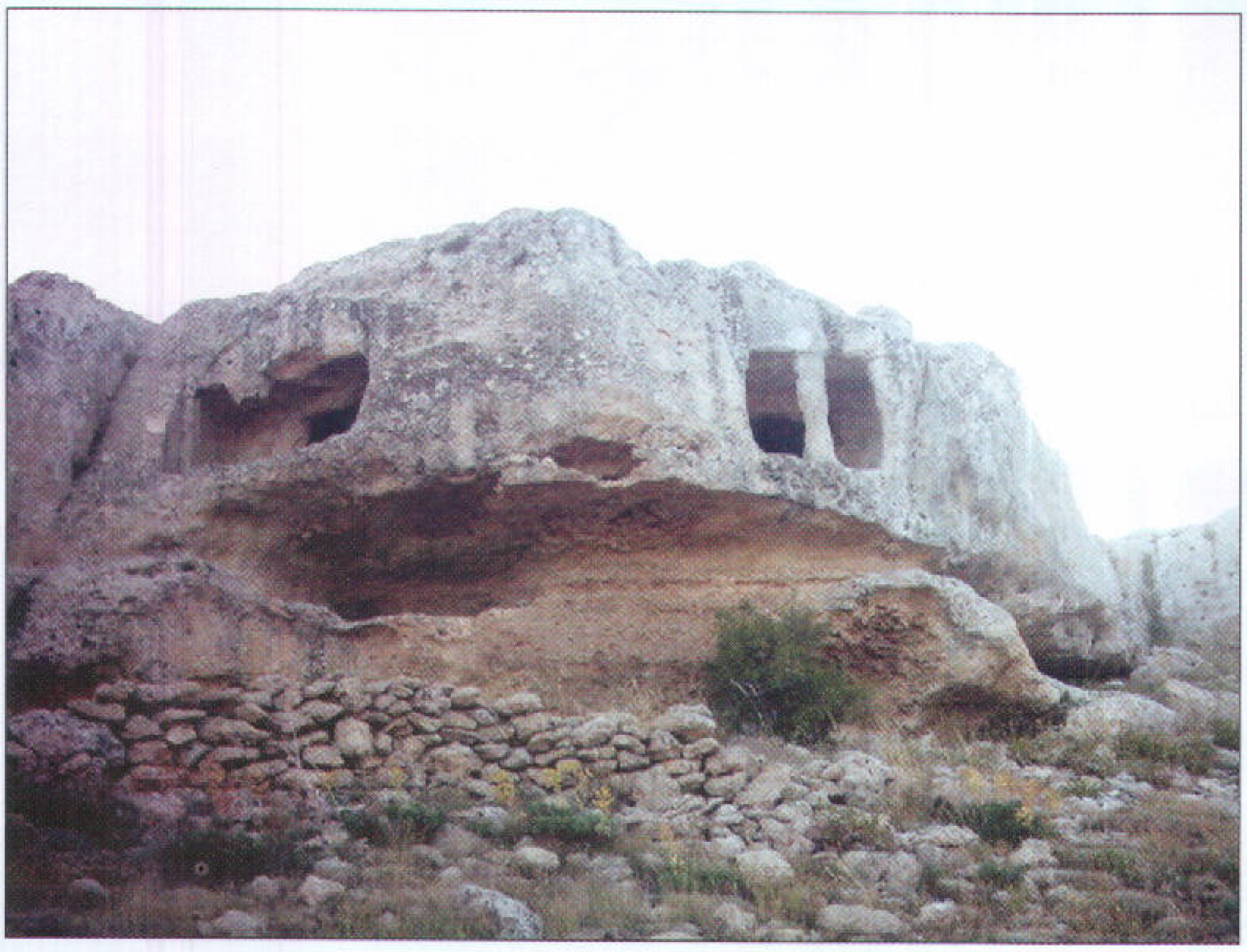
مساكن منحوته في الجبال في قونية - تركيا

وشهد عام ٩٦ هـ / ٧١٥ م، تطوراً جديداً في الأحداث، ففي دمشق تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك خلفاً لأخيه الوليد، وفي بيزنطة اختير ثيودسيوس الثالث إمبراطوراً. لكن أهداف كل من الدولتين لم تتغير، فتابع كل عاهل خطوات سلفه[١].

١ - د. محمد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ١١٤ - ١١٥ .

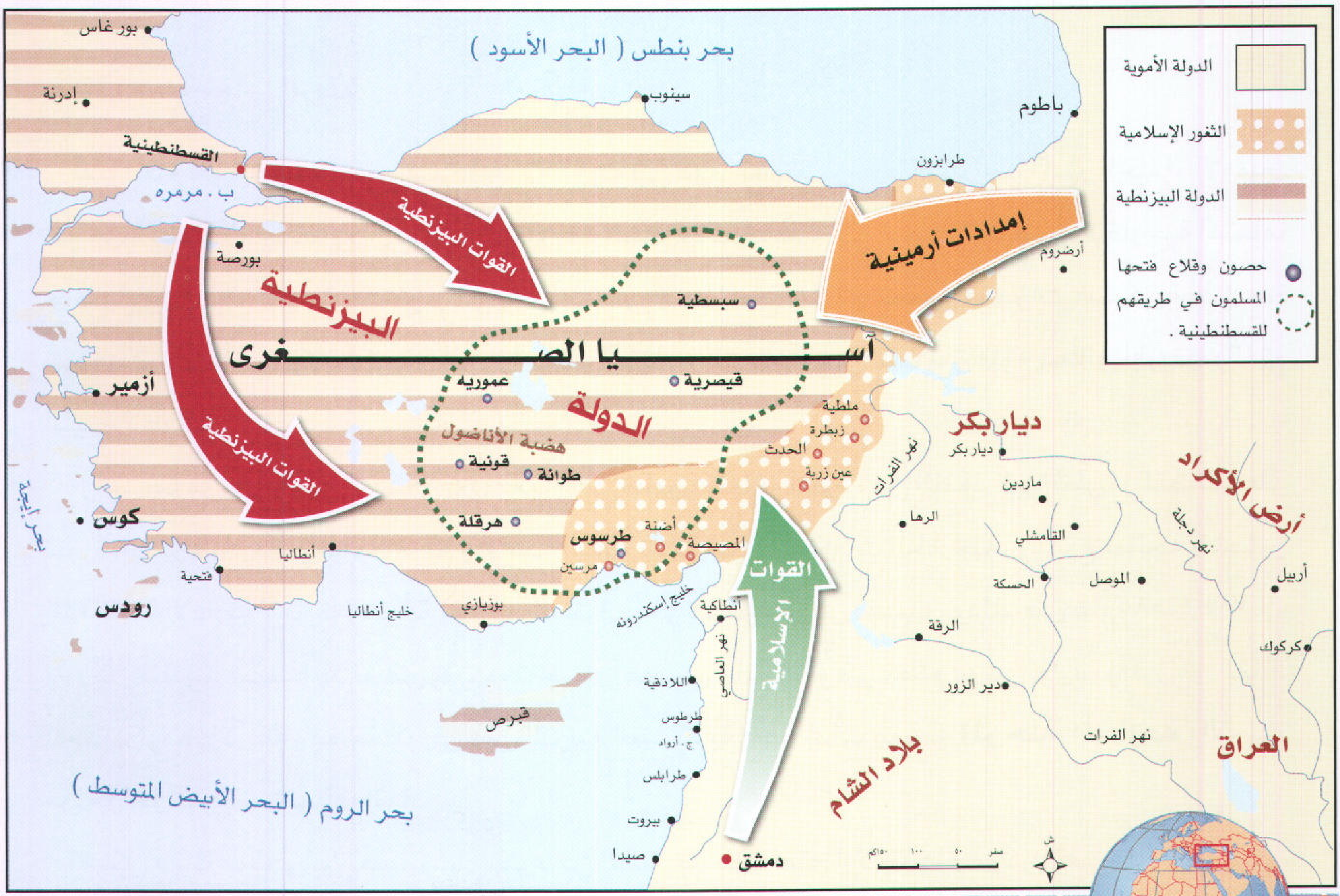

الصراع الإسلامي البيزنطي على آسيا الصغرى في عهد الوليد بن عبد الملك

دأب الوليد على محاربة الدولة البيزنطية؛ لتأمين حدود دولته معها، وكان أخوه مسلمة بن عبد الملك بطل هذه الحروب، واشترك معه أبناء الخليفة الوليد في منازلة البيزنطيين وفتح حصونهم، وظلت الحملات تتوالى على بلاد الروم منذ سنة (٨٨ هـ = ٧٠٦م)، ولا يكاد يخلو عام من حملة على الروم، واستعد الوليد لإرسال حملة برية وبحرية لغزو القسطنطينية، لكن المنية عاجلته قبل أن ينفذ هذا المشروع، فنهض به أخوه سليمان ابن عبد الملك الذي ولي الخلافة من بعده.

بقايا أثرية من مدينة عموريه - تركيا

ثالثاً : جبهة شمالي إفريقيا

لقد بلغ المد التوسعي على هذه الجبهة ذروته في عهد الوليد بن عبد الملك أحد أكثر الخلفاء الأمويين تشجيعاً لهذا الاتجاه. وكان لديه من الظروف المساعدة ما دفعه إلى إعطاء السياسة الخارجية اهتماماً خاصاً. ومن الطبيعي أن استقرار الوضع الداخلي أوجد المناخ الملائم لتحقيق منجزات عسكرية على عدة جبهات في آن واحد، وكانت أعظم إنجازات تلك السياسة التوسعية، هي استكمال فتوح شمالي إفريقيا والفتح الكبير لأسبانيا.

أوضحنا من قبل، جهود حسان بن النعمان في تطهير منطقة المغرب من النفوذ البيزنطي، والقضاء على ثورة البربر الثانية. والواقع أنه لم يكد هذا القائد ينتهي من المشكلات الخارجية، ويتفرغ لمعالجة الشؤون الداخلية الإدارية لإمارته حتى تم استبداله بقائد آخر هو **موسى بن نصير**، وذلك في عام ٨٥هـ/ ٧٠٤ م ، وإن كان تنفيذ المهمة قد تم في وقت متأخر من عهد عبد الملك، أو في مطلع عهد الوليد، وقد رافق القائد الجديد أولاده الأربعة وهم مفطورون على التربية العسكرية. وقد بدأت بتعيينه **المرحلة السابعة** والأخيرة من مراحل فتوح شمالي إفريقيا .

لم تكن مهمة موسى بن نصير على شيء من الصعوبة، فقد اهتم أولاً بتدعيم مركز **القيروان** العسكري ، ثم راح يثبت دعائم النصر الذي حققه سلفه في **المغربين الأدنى و الأوسط**.

لم يضيع موسى بن نصير وقتاً بعدما تولى القيادة بإفريقية، فلقد قرر إتمام أعمال من سبقوه من قادة عظام، متبعاً في ذلك، سياسة عسكرية حكيمة قائمة على مبدأ قتال العدو القريب أولاً، حتى إذا انتهى خطره وزال أمره، انتقل لقتال العدو البعيد، وهو بذلك قد استفاد من أخطاء من سبقوه من قادة المغرب، خاصة الخطأ الذي وقع فيه الأمير الكبير عقبة بن نافع، عندما توغل في أرض العدو، غير واضع في حساباته الحشود الكبيرة للعدو خلفه.

وتنفيذاً لهذه السياسة الحكيمة، استهل أعماله في أواخر عام ٨٥ هـ وأوائل عام ٨٦ هـ/ ٧٠٤ - ٧٠٥م بفتح **قلعة زغوان**، وتقع في **منطقة جبلية بين القيروان وتونس**، حيث بدأ موسى باستعادة ما خرج عن طاعة المسلمين من بقاع وحصون خاصة وأن بعض قبائل البربر قد خلعت الطاعة، ثم أخضع المغرب الأوسط من صحراء "درعة" إلى "السوس الأقصى" إلى "بلاد المصامدة" - نسبة إلى قبيلة مصمودة الكبيرة - وهي المنطقة الممتدة في جنوبي الجزائر الآن ومهد السبيل نحو أهم مدن المغرب العربي "طنجة" و"سبتة" .

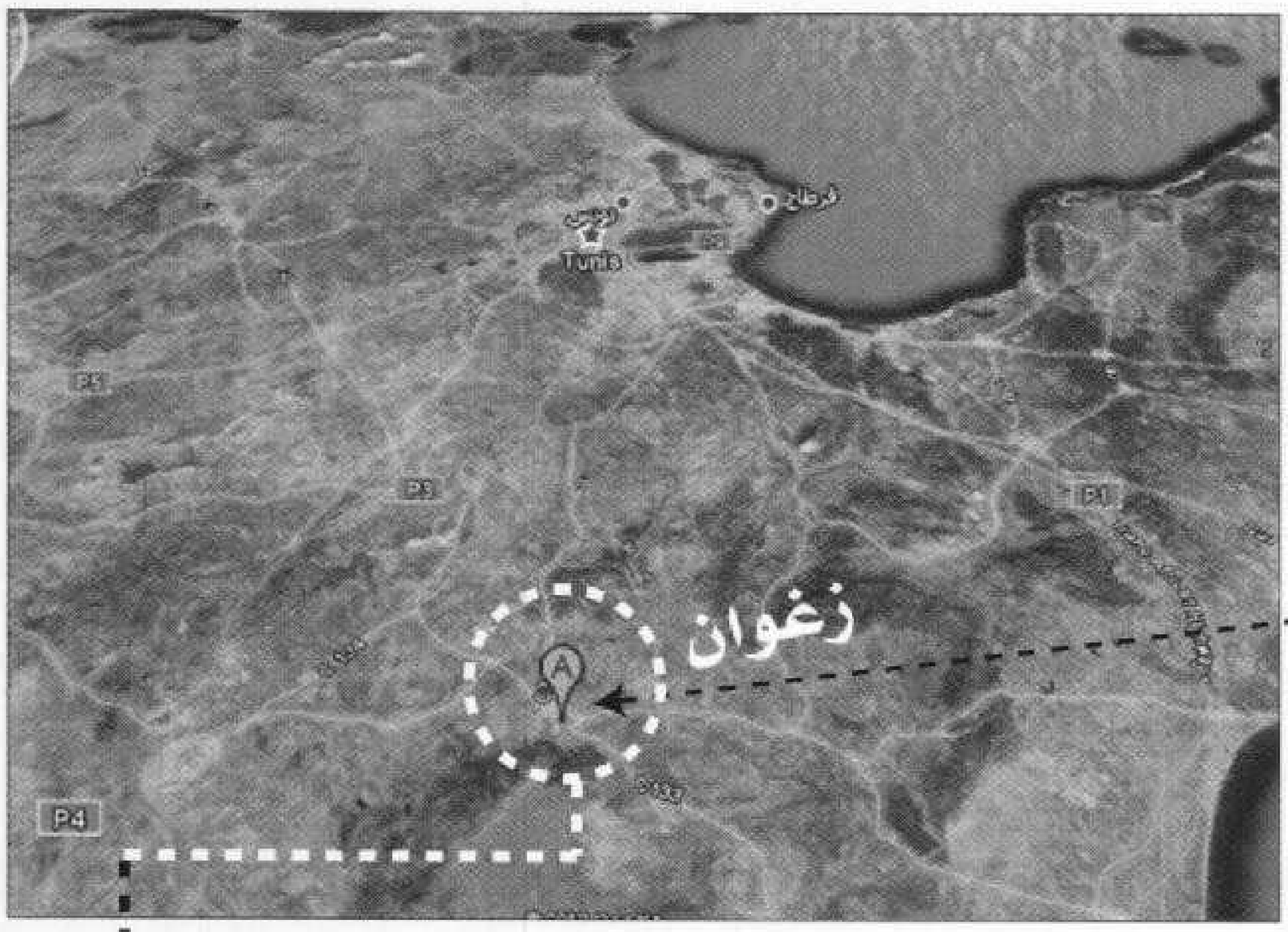

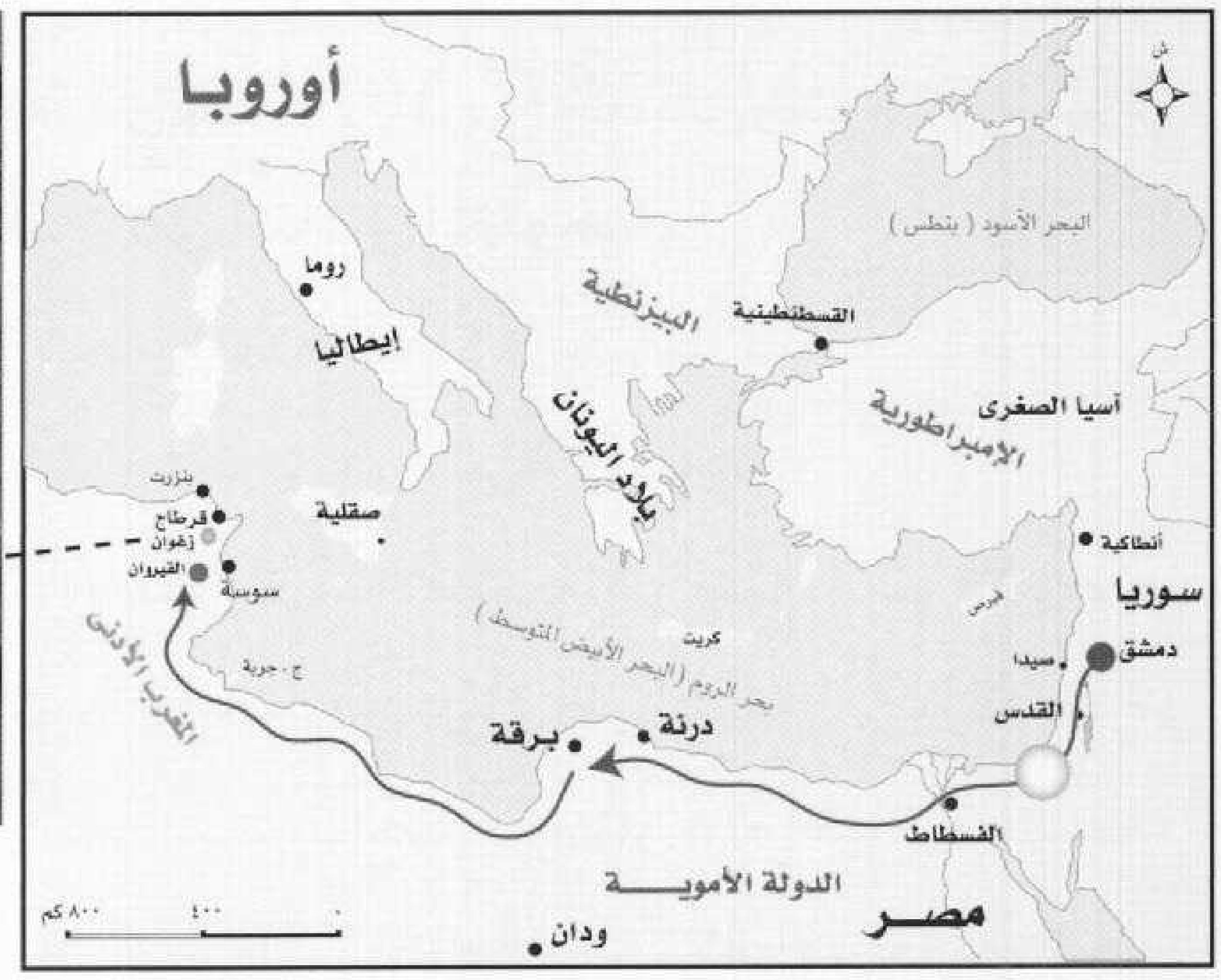

خط سير الجيش الإسلامي إلى إفريقية (تونس) بقيادة موسى بن نصير

دخل موسى بن نصير بلاد المغرب سنة ٨٥ هـ، ولم يكن قد دخلها من قبل أو اشترك في فتح شيء منها، بالجملة كان شخصية مجهولة للجنود المسلمين والبربر على حد سواء، فلما دخلها توافد الناس إليه من كل مكان وكانت جموع كثيرة في انتظاره، فقام فيهم خطيباً وفي كلمات موجزة بليغة واضحة كالشمس قال لهم: "إنما أنا رجل كأحدكم؛ فمن رأى مني حسنة فليحمد الله، وليحض على مثلها ومن رأى مني سيئة فلينكرها، فإني أخطىء كما تخطئون، وأصيب كما تصيبون، وقد أمر الأمير -أكرمه الله- لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثاً، فخذوها هنيئاً مريئاً، ومن كانت له حاجة فليرفعها إلينا وله عندنا قضاؤها على ما عز وهان، ومع المواساة إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا

ثم غزا **موسى بن نصير صنهاجة وسجومة** في شمالي المغرب الأقصى وفتح هذه الأخيرة، **وأرسل أولاده في كل اتجاه لتثبيت أقدام المسلمين في المناطق المفتوحة .**

والواقع أن فتح سجومة كان أمراً على جانب كبير من الأهمية فهذه البلدة التي في الغالب قاعدة لجزء كبير من قبيلة أوروبا، قبيلة كسيلة، كانت في الوقت نفسه، مفتاح الطريق إلى **سبتة وطنجة**.

كانت مدينة **"طنجة"** هي قصبة بلاد المغرب ودرتها، ومفتاح المغرب الأقصى وأكبر مدنه، لذلك فلقد اهتم بها موسى اهتماماً خاصاً، وخرج بنفسه في جيوش كبيرة من القيروان، ونزل على المدينة وحاصرها بشدة، وكان فيها قبائل بربرية من البتر "البربر البدو" والبرانس "البربر الحضر" ولم تكن هذه القبائل قد أسلمت أو التقت مع المسلمين من قبل، فلما نزل عليهم المسلمون لم يقووا على قتالهم واستسلموا سريعاً للمسلمين، فنزل فيها موسى وبنى فيها للمسلمين محالاً ومساجد، واختط فيها تجمعاً سكنياً للمسلمين يشبه القيروان، وجعل **طارق بن زياد البربري** والياً على "طنجة" وضواحيها وكان هذا التعيين أول فاتحة أعمال طارق بن زياد المجيدة.

حاول موسى بعد فتح مدينة **"طنجة"**، فتح مدينة **"سبتة"** الساحلية الهامة، وكانت هذه المدينة تابعة لحكم أسبانيا أو الأندلس، وعليها حاكم من طرفه واسمه "جوليان"، ولذلك كانت الإمدادات تنهال باستمرار على المدينة في أثناء محاصرة موسى لها، فلم يستطع المسلمون فتحها لشدة التحصين وكثرة الإمدادات وقربها من أسبانيا أو الأندلس.

واستكمل **موسى بن نصير** بعد ذلك، إخضاع البلاد إلى الجنوب من جبال الأطلس، فسيطر على المغرب الأوسط، سيطرة تامة، وطارد المتمردين من البربر حتى أقليم السوس الأقصى في عمق المغرب .

لم تمنع فتوحات موسى بن نصير البرية، اهتمامه بمثيلاتها البحرية، ذلك لأن الروم ما زالوا يسيطرون على جزائر البحر الأبيض، والتي تعد بمثابة قواعد انطلاق للإغارة على بلاد المسلمين بالشام والشمال الإفريقي، وليظهر أهمية الغزوات البحرية، قام بنفسه بركوب البحر ودعا الناس لذلك، فتسارعوا لإجابة دعوته، وسميت هذه الغزوة بغزوة الأشراف، ومن كثرة أشراف الناس الراكبين للبحر وخلال هذه الغزوة، طرق موسى بعض جزر البحر المتوسط، مثل: "صقلية"، ثم "سردينية"، ثم "كورسيكا"، ثم "جزر البليار"، ولكنها **لم تكن فتوحاً ثابتة دائماً، بل هي في مجملها بعثات استكشافية لاستطلاع الأحوال بهذه الجزر، والقضاء على بؤر الروم بها.**

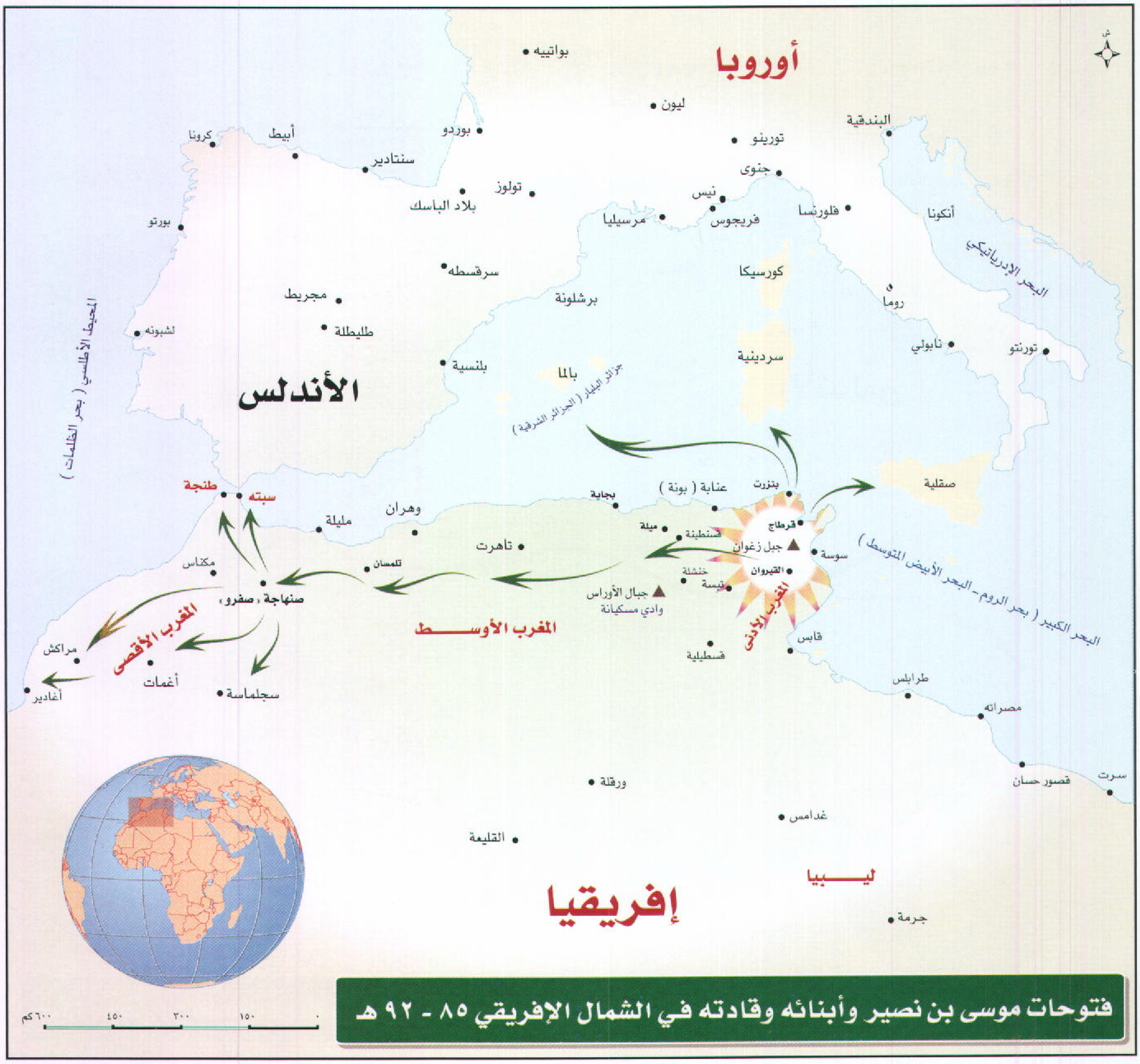

فتوحات موسى بن نصير وأبنائه وقادته في الشمال الإفريقي ٨٥ - ٩٢ هـ

قرر النصر الإسلامي مستقبل البربر الذين تحولوا إلى الإسلام، ودخلوا في الجيوش العربية ،كجنود محاربين، وقدر لبعضهم أن يصبح أكثر حماسة للإسلام من العرب أنفسهم، وهذا التحول الذي طرأ على وضعهم كانت له آثار إيجابية في فتح الأندلس بعد ذلك لأن معظم قبائل البربر أخذت بعد اعتناقها الإسلام تتوق إلى الحرب والجهاد وقد ادرك موسى بن نصير هذه النزعة فاستغلها بتوجيههم إلى الفتوحات الخارجيه، ولم يكن أمامه في هذه الحالة سوى عبور المضيق لتحقيق هذا الغرض .

عودة موسى بن نصير إلى القيروان بعد استكمال فتح الشمال الإفريقي

بعد أن فتح موسى بن نصير طنجة أقام للمسلمين مُدناً جديدة فيها، وبعث موسى لصديقه عبد العزيز بن مروان يبشره بالفتح، وأن خُمس الغنائم قد بلغ ثلاثين ألفاً، وجاءت الرسل إلى الخليفة «الوليد بن عبد الملك» في دمشق تزف إليه بشرى النصر، ففرح فرحاً شديداً لذلك، وكافأه على انتصاراته، وأخذ موسى بن نصير بنشر دين الله في المدن المفتوحة، ونجح في ذلك نجاحاً كبيراً، وحكم بين أهل هذه البلاد بالعدل والمساواة، فأحب أهل البلاد الإسلام، ورغبوا في اعتناقه، ودخلوا في دين الله أفواجاً، وتحولوا من الشرك والكفر إلى الإسلام والتوحيد بفضل الله - تعالى - أولاً، ثم بجهود موسى ورجالاته. ولما ضمن موسى ولاء أهل المغرب واستمساكهم بدعوة الإسلام، عاد إلى القيروان لإعداد العدة لفتح جديد.

فضائيتان لمدينة سبتة ذات الحكم الذاتي. وهي مدينة أسبانية ذات حكم ذاتي مساحتها قرابة ١٨,٥ كم^2 ومحاطة بالأراضي المغربية. في عام ١٤١٥م، احتلت البرتغال سبتة، وبعد قرنين وربع انتزعها منهم الأسبان في ١٦٤٠م، أما مدينة مليلية فقد أحتلتها أسبانيا عام ١٤٩٧م بعد أن سقطت إمارة غرناطة.

وقد أصبحت المنطقة منذ عام ١٩٩٥ م، تتمتع بصيغة للحكم الذاتي داخل أسبانيا بقرار البرلمان الأسباني عام ١٩٩٥م.

رابعاً : فتح الأندلـــــس

أطلق العرب لفظ الأندلس على شبه جزيرة إيبيريا التي تضم أسبانيا والبرتغال معاً، وحين يذكر اسم الأندلس فإنه يعني أيضاً المنطقة الإسلامية التي شملها الإسلام سلطاناً وسكاناً حتى شمال جبال البرانس حيث المدن الفرنسية (بوردو، ومنتوبات على نهر الجارون، ونارني وخليج بسكاي) وكلها فتحها المسلمون. واستمر اسم الأندلس متداولاً حتى تقلصت دولة الأندلس، وانحصرت في الجنوب في إمارة غرناطة.

كان يحكم الأندلس قبائل القوط، وهي من الجماعات البربرية التي اجتاحت أوروبا في أواخر القرن الخامس الميلادي. وكان القوط أشد وحشية من قبائل «الوندال» ولكنهم فشلوا في اقامة مجتمع حضاري موحد الانتماء والمصالح على رغم أنهم سادوا أسبانيا طوال القرن السادس الميلادي، وكانت عاصمتهم «طليطلة» وكانوا يدينون بالمذهب الكاثوليكي.

كما كانت تسود الدولة نزاعات وصراعات بين الأمراء والنبلاء إلى جانب تدخل الكنيسة في شؤون الحكم، ودسائس اليهود. ومن نتائج هذه الصراعات الداخلية أن أحد قادة ملوك القوط «غيطشة» ويدعى لذريق نجح في قتله وتنصيب نفسه ملكاً على القوط بدلاً منه، وكان أهل أسبانيا يلتجؤون إلى المسلمين جنوب المضيق الذي لايتجاوز عرضه ٢٠ كلم- ليجدوا فيهم الحماية من بطش الملك لذريق الذي كان يملك جيشاً ضخماً يشكل تهديداً للدولة الإسلامية في المغرب، وهو ماكان يخشاه موسى بن نصير، إذ كان لذريق يريد تصدير متاعبه للخارج لكي يقضي على النزاعات الداخلية ويوحد الشعب الأسباني وراءه[١].

حملة طريف: استجابة لأمر الخليفة بدأ موسى ابن نصير في تجهيز حملة صغيرة لعبور البحر إلى أسبانيا، وكان قوامها خمسمائة جندي يقودهم قائد من البربر يدعى "طريف بن مالك"؛ لاستكشاف الأمر واستجلاء أرض الأسبان، وقدمت لهذه الحملة أربع سفن أقلتهم إلى أسبانيا، فعبرت البحر ونزلت هناك في منطقة سميت **بجزيرة طريف**، نسبة إلى قائد الحملة، وكان ذلك في (رمضان ٩١هـ= يوليو ٧١٠م) وجاست الحملة خلال الجزيرة الخضراء، وغنمت كثيراً ودرست أحوال أسبانيا، ثم قفلت راجعة إلى المغرب، وقدم قائدها إلى موسى ابن نصير نتائج حملته[٢].

١ - منيرة الديلمي، مقال عن فتح الأندلس في صحيفة اليوم.

٢ - أحمد تمام، حدث في مثل هذا اليوم « معارك وغزوات » ، إسلام أون لاين.

جزيرة طَرِيف أو تاريفا (بالأسبانية: Tarifa)، هي إحدى بلديات مقاطعة قادس، التي تقع في منطقة الأندلس جنوبي أسبانيا، تبلغ مساحتها ٤١٩ كيلو متر مربع فيما يبلغ عدد سكانها ١٦,٠٥٨ نسمة.

العبور إلى الأندلـــــس بقيادة طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ

بعد مرور أقل من عام من عودة حملة طريف من الأندلس كان **موسى بن نصير** قد استعد للأمر، وحشد جنـوده، وجهز سـفنه، واختار قائداً عظيماً لهذه المهمة الجليلة هو **طـارق بن زياد والي طنجة**، وهو من أصل بربري دخل آباؤه الإسلام فنشأ مسلماً صالحاً، وتقدمت به مواهبه العسكرية إلى الصدارة، وهيأت له ملكاته أن يكون موضع ثقة الفاتح الكبير موسى بن نصير، فولاه قيادة حملته الجديدة على الأندلس.

خرج طارق بن زياد في سـبعة آلاف جندي معظمهم من البربر المسـلمين، وعبر مضيق البحر المتوسط إلى أسـبانيا، وتجمع الجيش الإسـلامي عند جبل صخري عرف فيما بعد باسم جبل طارق في (٥ من رجب ٩٢ هـ= ٢٧ من إبريل ٧١١م).

سـار الجيشـ الإسـلامي مخترقاً المنطقة المجـاورة غرباً، وزحـف على ولاية الجزيرة الخضـراء؛ فاحتل قلاعها، وترامت أنباء هذا الفتح إلى أسماع لذريق، وكان مشغولاً بمحاربة بعض الثائرين عليه في الشمال، فترك قتالهم وهرع إلى **طليطلة** عاصـمته، واسـتعد لمواجهة هذا الخطر الداهم على عرشـه، وبعث بأحد قادته لوقف الجيش الإسلامي، لكنه أخفق في مهمته.

وكان طارق بن زياد قد صـعد بجيشـه شمالاً صوب طليطلة، وعسكرت قواته في منطقة واسعة يحدها من الشـرق نهر وادي لكة، ومن الغرب نهر وادي البارباتي، وفي الوقت نفسـه أكمل لذريق اسـتعداداته، وجمع جيشاً هائلاً بلغ مائة ألف، وأحسن تسليحه، وسار إلى الجنوب للقاء المسلمين، وهو واثق إلى النصر مطمئن إلى عـدده وعتاده، ولما وقف طارق على خبر هذا الجيش كتب إلى موسـى نصـير يخـبره بالأمر، ويطلب منه المدد؛ فوافاه على عجل بخمسة آلاف مقاتل من خيرة الرجال، فبلغ المسلمون بذلك اثني عشر ألفاً[١].

معركة وادي لكة (وادي برباط)

كان لا بـد من الصـدام بين الفريقـين، فالتقى الفريقان جنوبي بحيرة خندة المتصـلة بنهر بارباتي الذي يصـب في المحيط الأطلسي بالقرب من مدينة **"شذونة"**، وكان لقاء عاصفاً ابتدأ في (٢٨ من رمضان ٩٢ هــ= ١٨ مـن يوليو ٧١١م) وظل مشـتعلاً ثمانية أيام، أبلى المسـلمون خلالها بلاء حسـناً، وثبتـوا في أرض المعركة كالجبال الراسـيات، ولم ترهبهم القوى النصـرانية، ولا حشـودهم الضـخمة، واستعاضـوا عن قلة عددهمـ إذا مـا قورنـوا بضـخامة جيش عدوهم. بحسـن الإعـداد والتنظيـم، وبراعة الخطـط والتنفيذ، وبشجاعة الأفئدة والقلوب، وبقوة الإيمان واليقين، والرغبة في الموت والشهادة.

---

١ - أحمد تمام، حدث في مثل هذا اليوم « معارك وغزوات » ، إسلام أون لاين.

فتح الأندلس على يد طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ

نجح المسلمون في الصمود والثبات ثمانية أيام عصيبة، حتى مالت كفة النصر إلى صالحهم، وتحول جيش **لذريق** العرمرم إلى غثاء كغثاء السيل، لا خير فيه ولا غناء، فقد كان على ضخامته متفرق الكلمة موزع الأهواء، تمزق صفوفه الخيانة؛ ولذلك لم يكن عجيباً أن يحقق المسلمون النصر على ضآلة عددهم؛ لأنهم التمسوا أسباب النصر وعوامل الفوز، فتحقق لهم في اليوم الثامن بعد جهاد شاق، وفر لذريق آخر ملوك القوط عقب الموقعة، ولم يُعثر له على أثر، ويبدو أنه فقد حياته في المعركة التي فقد فيها ملكه، أو مات غريقاً في أحد الأنهار عند فراره (١).

⚔ معركة وادي لكة ؛ حدثت في مواضع متنوعة حسب أيام القتال فيها

---

١ - أحمد تمام، حدث في مثل هذا اليوم « معارك وغزوات » ، إسلام أون لاين.

تذكر بعض الروايات أن طارقاً واصل سيره حتى أشرف على **ثغر خيخون** الواقع على **خليج بسكونية**، ولما عاد إلى **طليطلة** تلقى أوامر من موسى بن نصير بوقف الفتح حتى يأتي إليه بقوات كبيرة ليكمل معه الفتح.

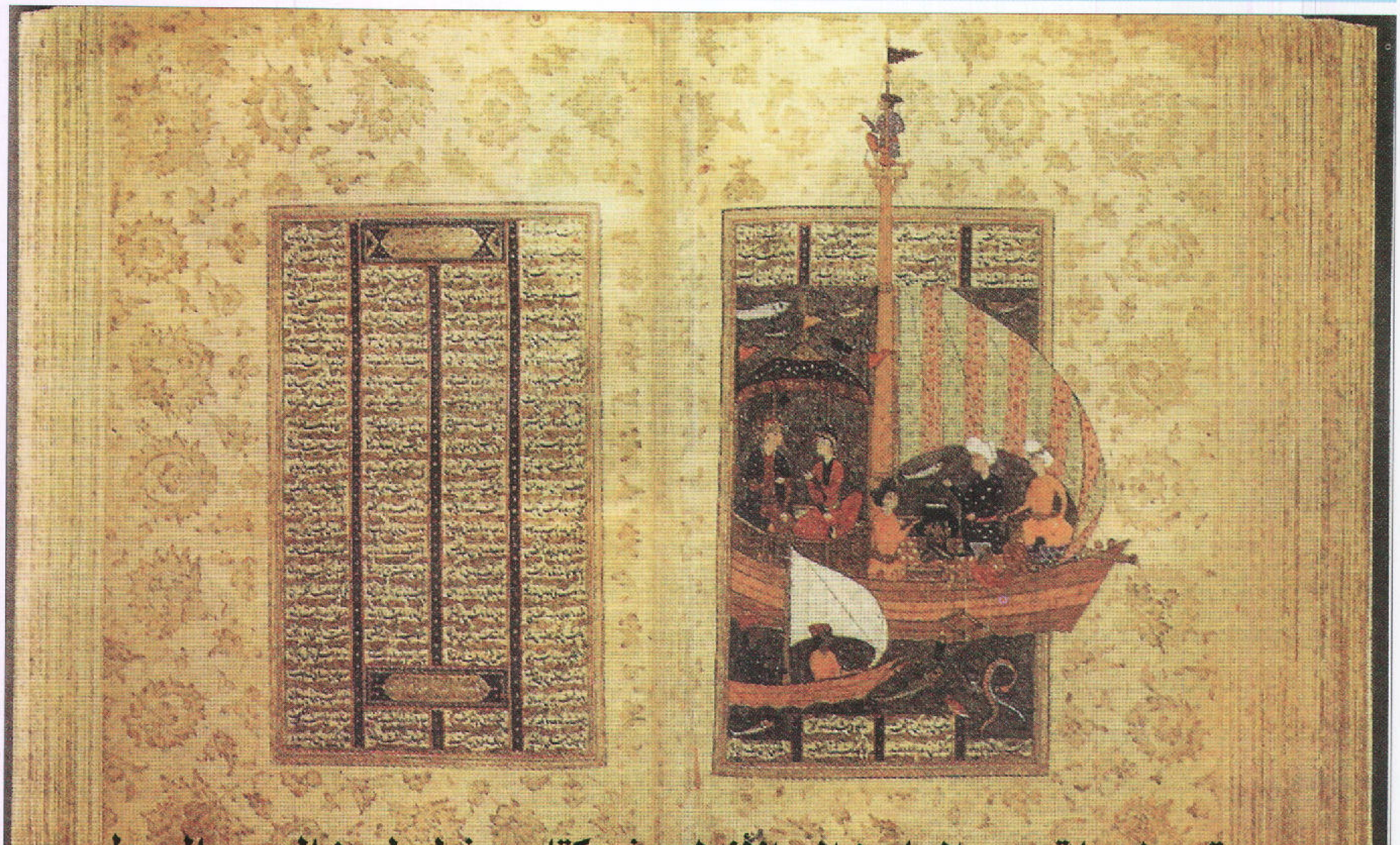

مرتسم لمرحلة عبور المسلمين إلى الأندلس في كتاب مخطوط من العصور الوسطى

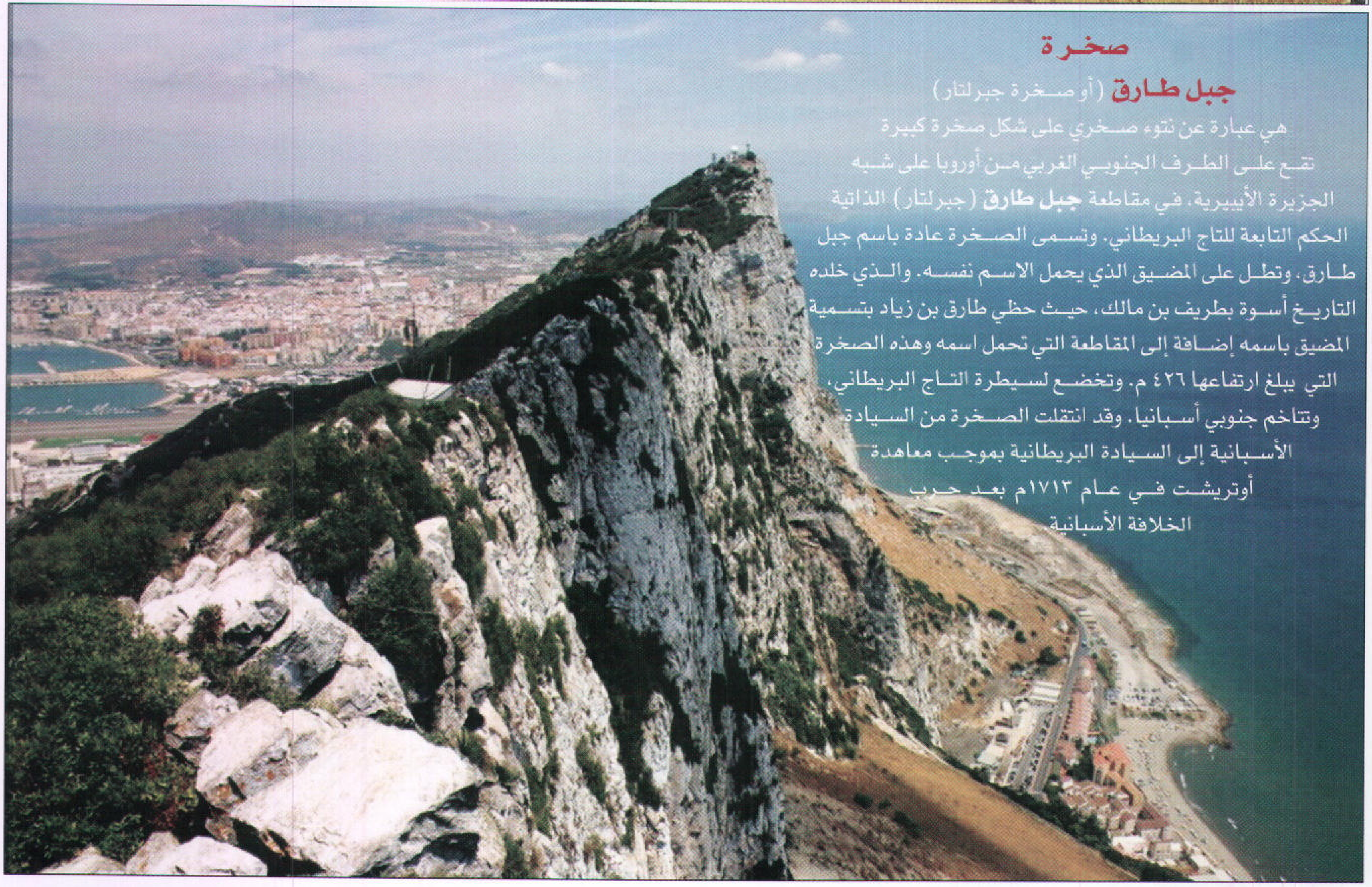

صخرة

جبل طارق (أو صخرة جبرلتار)

هي عبارة عن نتوء صخري على شكل صخرة كبيرة تقع على الطرف الجنوبي الغربي من أوروبا على شبه الجزيرة الأيبيرية، في مقاطعة **جبل طارق** (جبرلتار) الذاتية الحكم التابعة للتاج البريطاني. وتسمى الصخرة عادة باسم جبل طارق، وتطل على المضيق الذي يحمل الاسم نفسه. والذي خلده التاريخ أسوة بطريف بن مالك، حيث حظي طارق بن زياد بتسمية المضيق باسمه إضافة إلى المقاطعة التي تحمل اسمه وهذه الصخرة التي يبلغ ارتفاعها ٤٢٦ م. وتخضع لسيطرة التاج البريطاني، وتتاخم جنوبي أسبانيا. وقد انتقلت الصخرة من السيادة الأسبانية إلى السيادة البريطانية بموجب معاهدة أوتريشت في عام ١٧١٣م بعد حرب الخلافة الأسبانية.

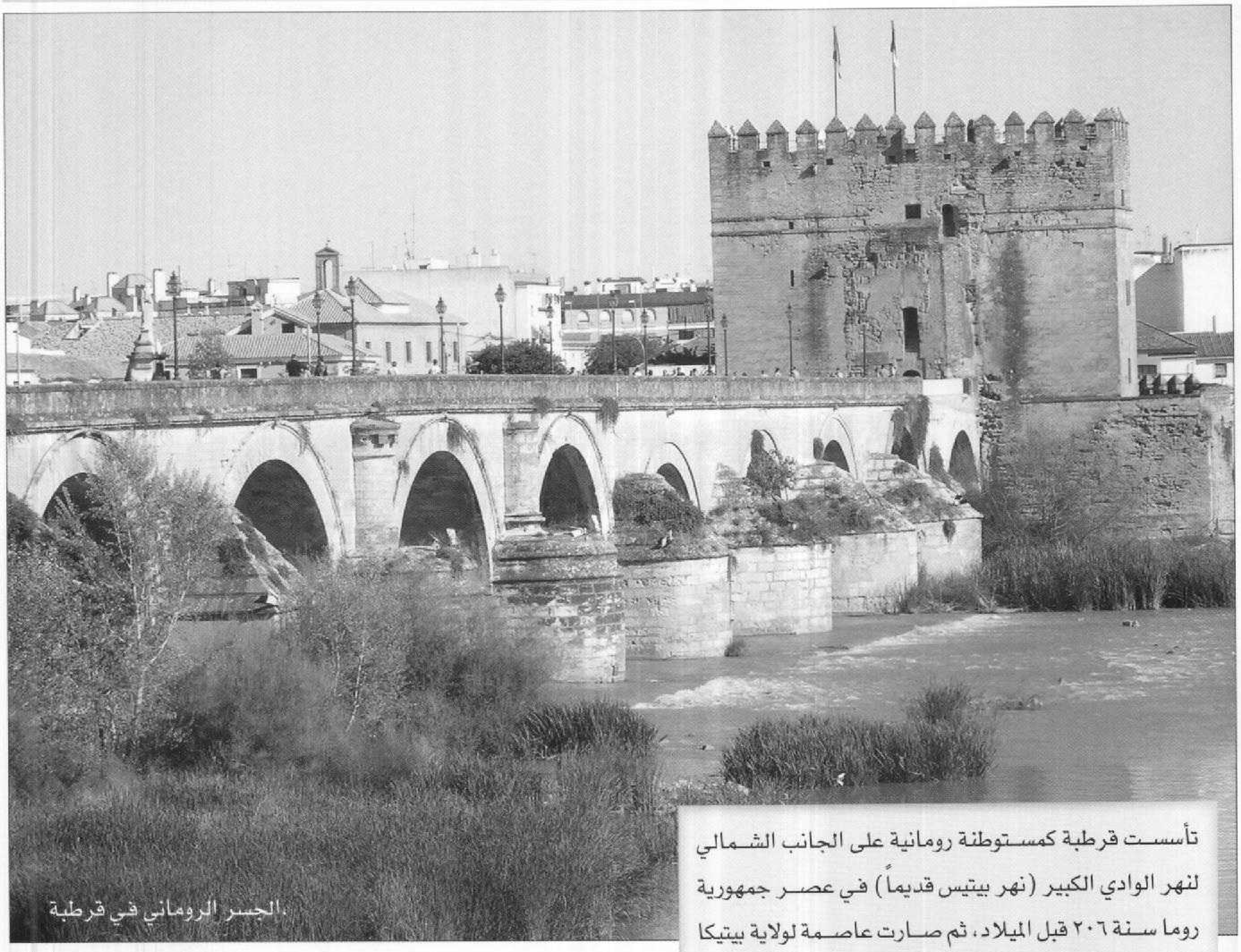

الجسر الروماني في قرطبة.

تأسست قرطبة كمستوطنة رومانية على الجانب الشمالي لنهر الوادي الكبير (نهر بيتيس قديماً) في عصر جمهورية روما سنة ٢٠٦ قبل الميلاد، ثم صارت عاصمة لولاية بيتيكا (جنوب أسبانيا) ضمن الإمبراطورية الرومانية. وقد ظلت **قرطبة** مدينة رومانية لمدة تزيد عن سبعة قرون، ولذلك ما زالت في قرطبة آثار من الحكم الروماني، **أبرزها الجسر الروماني ("بوينتي رومانو")** الذي يقطع الوادي الكبير، وأطلال معبد روماني، بالإضافة إلى ضريح روماني مكتشف حديثاً. وظهر في قرطبة في تلك الفترة الفيلسوف سينيكا.

بُعيد سقوط الدولة الرومانية على يد الغزوات المتتابعة من قبل القبائل الجرمانية ("البرابرة")، انحدرت على شبه الجزيرة الأيبيرية (أسبانيا والبرتغال حالياً) بعض هذه القبائل كالوندال والآلان، وتبعهم القوط الغربيون الذين كان أمر الجزيرة بأكملها، بما فيها قرطبة، قد آل إليهم **وقت وصول المسلمين في القرن الثامن الميلادي (الأول الهجري)**، بعد صراع مع الروم البيزنطيين.

كان **مغيث الرومي**، مولى الوليد بن عبد الملك يسير هو الآخر مع قوات جيش طارق بن زياد، ونزل بجيشه الإسلامي نحو الوادي الكبير قرب قرطبة، ونزل على الضفة اليسرى من النهر ورابط هناك بعض الوقت يستطلع أخبار قرطبة القريبة؛ فعلم أن معظم كبرائها، وأغنيائها قد غادروها، وترامى اليه أن سور المدينة القديم ضعيف البناء، وأن فيه ثغرة فوق باب القنطرة.

وفي ليلة مطيرة تسلق رجال من جيشه الحائط عند الثغرة ودخلوا المدينة بعد فتح الباب. تراجع المدافعون إلى كنيسة في القسم الغربي من مدينتهم، وكان عددهم لا يتجاوز الأربعمئة مقاتل، حيث ظلوا محاصرين مدة ثلاثة أشهر وانتهى الأمر بهم إلى قتل قائدهم، وأسرهم جميعاً. وبذلك تم للمسلمين **فتح قرطبة**. وقتل ملكها لذريق (رودريك).

وقد جعل الأمويون الأندلس ولاية تابعة لولاية المغرب، حتى جعل عمر بن عبد العزيز ولاية الأندلس تابعة للعاصمة الأموية في دمشق بشكل مباشر. وجعل الأمويون قرطبة مقراً لولاتهم على الأندلس فظلت كذلك حتى سقوط الدولة الأموية على أيدي العباسيين عام ١٣٢ هـ.

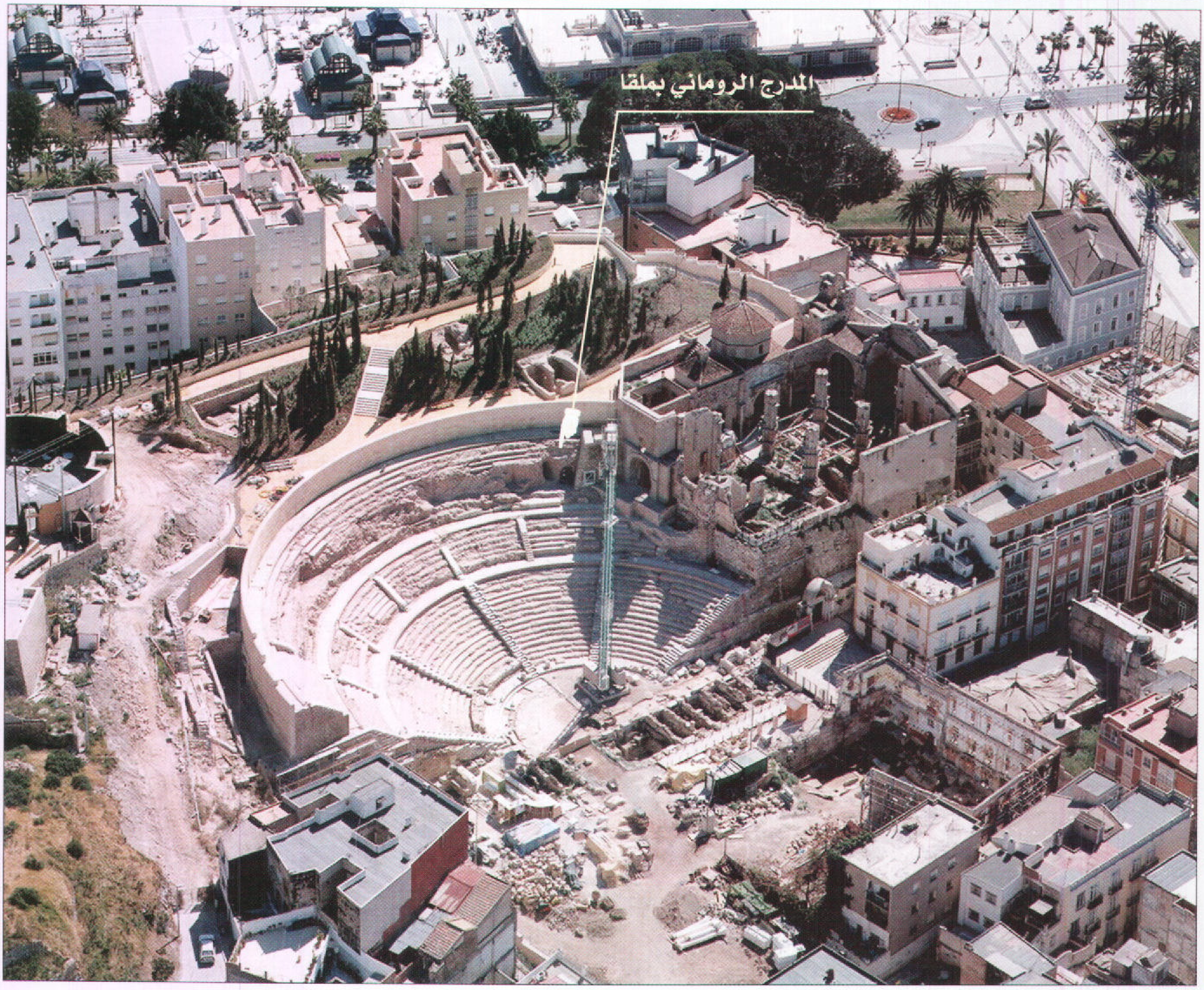

كانت **غرناطة** تدعى (إلبيرة) حتى منتصف القرن الثامن الميلادي. بيد أن تسمية غرناطة تأتي من أيام الحكم الإسلامي للأندلس بعد أن فتحها المسلمون في العهد الأموي عام ٩٢ هـ وأسسوا قلعة غرناطة. من أهم معالم المدينة قصر الحمراء.

غرناطة (بالاسبانية : Granada) عاصمة مقاطعة غرناطة في منطقة الأندلس ذات الحكم الذاتي جنوبي إسبانيا.

العبور الثاني إلى الأندلـــس بقيادة موسى بن نصير سنة ٩٣ هـ

كان **موسى بن نصير** يتابع سير الجيش الإسلامي بقيادة **طارق بن زياد** في الأندلس، حتى إذا أدرك أنه في حاجة إلى مدد بعد أن استشهد منه في المعارك ما يقرب من نصف الجيش، ألزم طارقاً بالتوقف؛ حرصاً على المسلمين من مغبة التوغل في أراض مجهولة، وحتى لا يكون بعيداً عن مراكز الإمداد في المغرب، ثم عبر **موسى بن نصير** في عشرة آلاف من العرب وثمانية آلاف من البربر إلى **الجزيرة الخضراء** في (رمضان ٩٣هـ= يونيه ٧١٢م)، وشيّد بها مسجداً وانتظر هناك حتى تمّ عبور سائر الجند واطمأنّ على سلامتهم وحسن ترتيبهم، **وسار بجنوده في غير الطريق الذي سلكه طارق**، ليكون له شرف فتح بلاد جديدة، فاستولى على **شذونة**، ثم اتجه إلى **قرمونة** وهي يومئذ من أمنع معاقل الأندلس ففتحها، ثم قصد **إشبيلية** وهي أعظم مدائن الأندلس شأناً، وأعجبها بنياناً، وأكثرها آثاراً، وكانت عاصمة للأندلس، قبل أن يغلب القوط عليها، فحاصرها، لكنها استعصت على المسلمين أشهراً، ثم هرب العلوج عنها، وفتحها الله للمسلمين، فدخلوها، ووجدوا فيها يهوداً، قد اضطهدهم النصارى القوط، وفرضوا عليهم التنصر، والعبودية لهم، وأسكنوهم خارج الأسوار، فرفعوا عنهم الظلم، وأسكنوهم داخل قصبة المدينة، وسمحوا لهم بحرية العبادة، وكافة الحقوق التي قررها الإسلام لأهل الذمة، ثم واصل جيش موسى زحفه، ففتح **لبلة** و **ليلة** و**باجة**، ثم وصل إلى **ماردة**، فوجدها " مدينة حصينة لها سور، لم يُبْنَ للناس مثله"، وقد تجمع فيها فلول القوط، حتى صار لهم فيها جيش قوي فحاصرها، لكن قواتها خرجت تحارب من خلف الأسوار المنيعة، فنالوا من المسلمين وآذوهم، ثم تجاسروا، وصاروا يفتحون باب المدينة، ويهاجمون المسلمين ثم يعودون إلى مدينتهم، بعد أن يوصدوا بابها، فلجأ موسى إلى حيلة للإيقاع بهم، حيث أمر مجموعة من فرسان المسلمين بالاختباء في نقب صخري قريب من السور، وعندما خرج جنود القوط ليقاتلوا المسلمين كعادتهم، فوجئوا بفرسان المسلمين في ظهورهم، فسقط منهم عدد كبير من القتلى، وتحصن القوط داخل أسوار المدينة ولم يخرجوا، **فصنع المسلمون دبابة من الحديد**، تحمي من بداخلها من سهام العدو، ويستعان بها في فتح ثغرة في سور المدينة، وبينما كان المسلمون منهمكين في نقب السور، خرج مجموعة من فرسان القوط من الباب وباغتوهم، فاستشهد من في الدبابة، فسمّي ذلك البرج **برج الشهداء**، وظل يحمل هذا الاسم إلى زمن سقوط الأندلس، واستمر الحصار إلى آخر رمضان من عام ٩٤هـ، **وانتهى بفتح المدينة صلحاً**، واتجه بعد ذلك إلى **طلبيرة** ثم مدينة **طليطلة** حيث التقى بطارق بن زياد في سنة (٩٤هـ= ٧١٣م).

أراد القائد موسى بن نصير باعتباره القائد الأعلى للجيش الإسلامي في بلاد المغرب وأسبانيا أن يوقف زحف طارق السريع والذي قد أفزعه بعد معركة وادي بكة، وتعريضه خطوط مواصلات المسلمين لخطر محقّق؛ بسبب تركه الكثير من المعاقل والمدن الهامة جرياً وراء مطاردة القوط، ولذلك بادر موسى برسم خطة للسيطرة أوّلاً على المراكز الحربية وغيرها في المدن التي كانت تهدّد خطوط مواصلات المسلمين، وليدعم فتوح المسلمين قبل الذهاب إلى طارق في طليطلة.

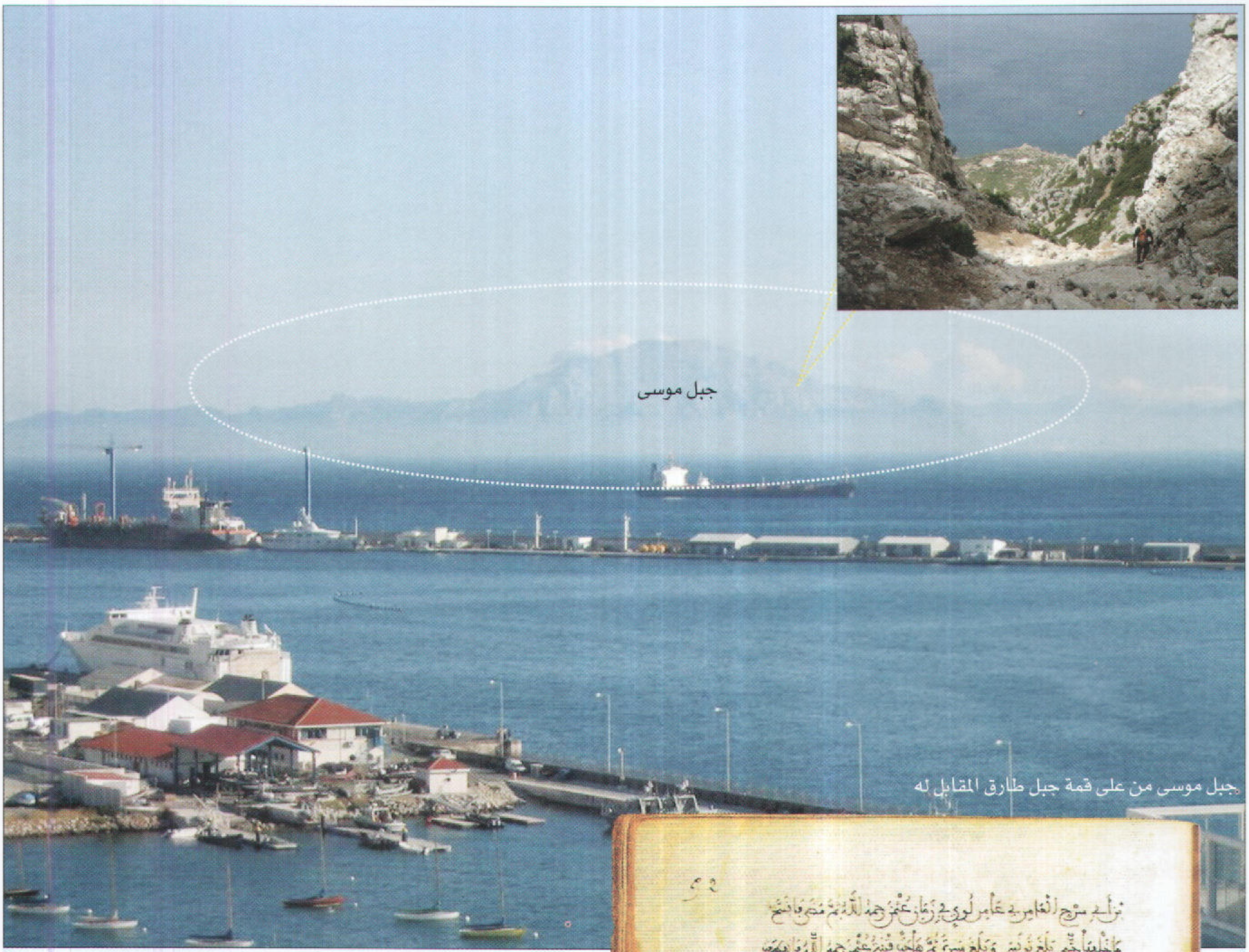

جبل موسى من على قمة جبل طارق المقابل له

جبل موسى هو الاسم الذي يطلق على جبل يقع في الجزء الشمالي من المغرب على الجانب الإفريقي لمضيق جبل طارق. مقابلاً لصخرة جبل طارق في الشمال. وعلو جبل موسى يبلغ ٨٥١ م (٢،٧٩٠ قدم).

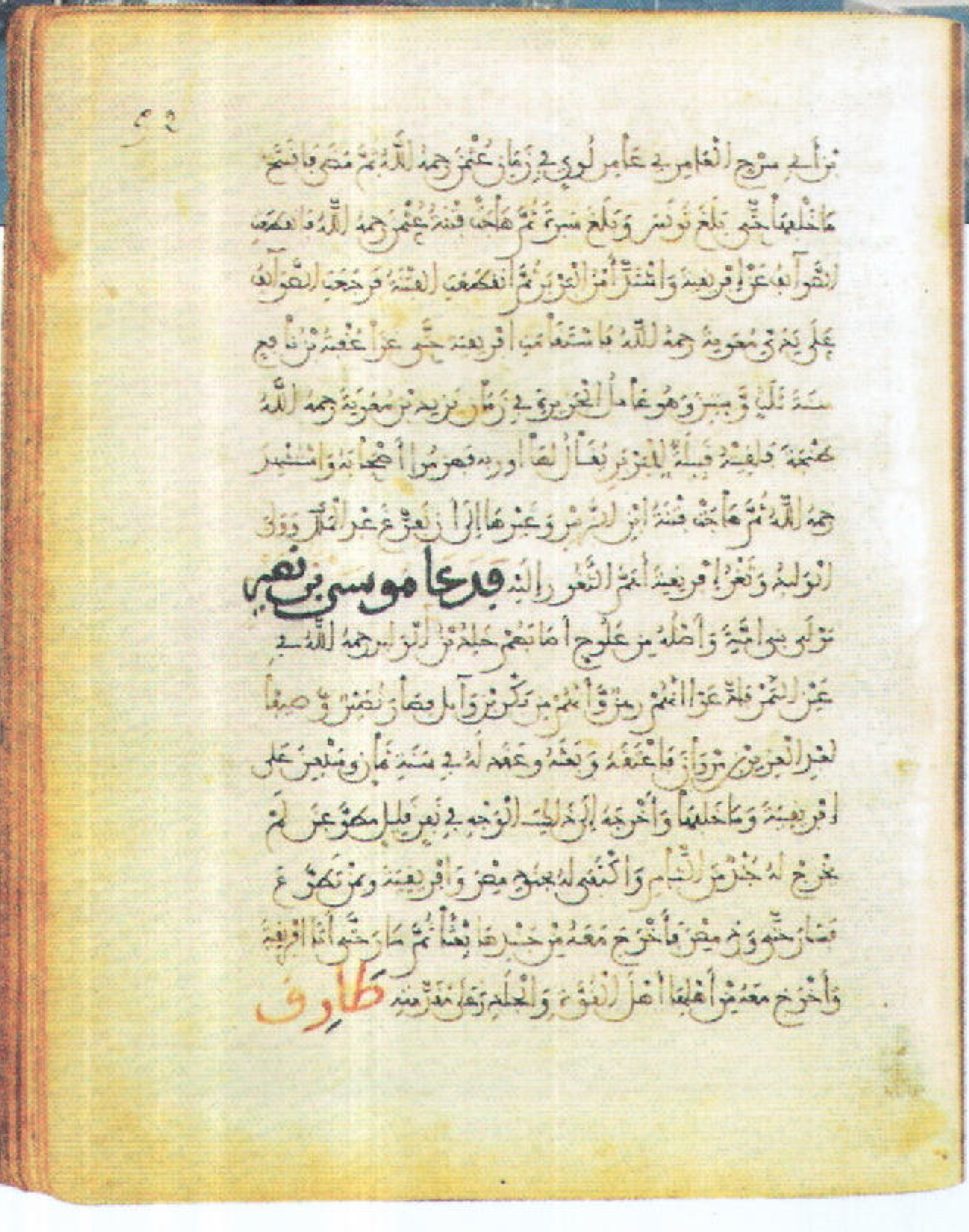

قصة فتح الأندلس ودور موسى بن نصير وطارق ابن زياد موثق في إحدى المخطوطات الإسلامية.

المدرج الروماني بماردة الأسبانية

كاتدرائية طلبيرة تعود إلى العصور الوسطى

طلبيرة : مدينة أسبانية تقع في مقاطعة طليطلة من منطقة كاستيا لا منتشا على ضفة نهر تاجة (تاجو) وهي أكبر مدن مقاطعة **طليطلة** إذ يبلغ عدد سكانها ٨٣،٧٩٣ نسمة وهو رقم يتخطى عدد سكان طليطلة نفسها. وهي المدينة التي التقى بها موسى مع طارق بعد عبور الأول إليها. ويوجد بها العديد من الآثار القديمة بما فيها الآثار التي تعود إلى العهد الأندلسي .

مواصلة موسى بن نصير وطارق بن زياد فتح الأجزاء الشمالية من الأندلس

بعد أن استراح القائدان **موسى بن نصير وطارق بن زياد** قليلاً في **طليطلة** **عاودا الفتح مرة ثانية**، وزحفا نحو الشمال الشرقي، وتقدّم موسى بقواته نحو مدينة قشتاله؛ لأنها تعد المركز المباشر الذي يمكن أن يهدّد منه القوط مدينة طليطلة وغيرها من البلاد الإسلامية، ثم إن اقترابها من الجهات الجبلية الوعرة يساعد من يتحصن بها على أن يبقى على المقاومة زمناً طويلاً، ولذا قسّم موسى بن نصير قواته قسمين: عهد بواحد منهما إلى طارق بن زياد وجعل مهمته السير غرباً، على حين قاد هو الشطر الثاني واتجه في البلاد شرقاً.

وقصد طارق بن زياد إلى جبال كنتبرية، وأخضع جماعات البسقاوية غربي نهر الأبرو، ودخل كثير من سكان تلك الجهات في الإسلام على يد طارق بن زياد، وصاروا يكوّنون نواة كثير من الأسر الأندلسية الإسلامية التي قدّر لها أن تمثّل دوراً هاماً في تاريخ البلاد فيما بعد.

وفي الوقت نفسه سار موسى بن نصير على الضفّة الشرقية لنهر إبرو في إقليم قشتالة، ورحّب به زعماء البلاد كذلك، ودخلوا في طاعة المسلمين، غير أن نفراً من فلول القوط آثروا الفرار أمام الزحف الإسلامي إلى المناطق الجبلية الساحلية الشمالية، **واعتصموا بمكان اسمه الصخرة**، فطارد موسى تلك الفلول حتى بلغ خيخون، وجعل منها حصناً يحمي ما تم على يديه من فتوح في تلك الجهات القاصية، وصارت تلك الجهات أقصى ما وصل إليه المسلمون في منطقة اشتريس، حيث بدأ موسى بن نصير يعد العدة للعودة من تلك البلاد النائية.

وتمّ في ذلك الوقت أيضاً إخضاع المنطقة الساحلية بين مالقة وبلنسية، وإخماد الفتن التي حاول القوط القيام بها، وقام بهذه المهمة عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي اشترك مع والده في إكمال الفتوح الإسلامية في إسبانيا.

تذكر بعض الروايات التاريخية أن **الخليفة الوليد بن عبد الملك** أرسل مغيثاً الرومي، يحمل أمراً صارماً بوقف الفتح، وعودة موسى إلى دمشق، **والسبب خوف الخليفة على المسلمين**، إذ نمى إليه خبر يفيد بأن موسى قد عزم على العودة إلى دمشق عبر أوروبا، التي يريد أن يقتحمها، ويصل إلى القسطنطينية، فيفتحها، ويفوز بما جاء في الحديث الصحيح الذي بشر فيه النبي صلى الله عليه وسلم بفتح القسطنطينية، فقال: " **لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير ذلك الأمير، ولنعم الجيش ذلك الجيش**". مسند الإمام أحمد ، حاول موسى الذي كان قد بلغ السادسة والسبعين من العمر، أن يقنع مغيثاً بالتريث، إلى أن ينتهي من فتح مكان في أعالي الجبال، لجأ إليه القوط، يسمى "**صخرة بلاي**"، نسبة إلى قائد قوطي يقود فلول القوط هناك، لكن مغيثاً رفض ذلك .

بعد ٧ سنوات من فتح إيبيريا (الأندلس) على يد المسلمين، قام **بيلايو** من **اشتريس** أحد كبار دولة القوط الغربيين التي قامت في شبه الجزيرة الإيبيرية بتأسيس مملكة **اشتريس** في الركن الشمالي الشرقي مما يعرف الآن بأسبانيا وهي مناطق قام المسلمون بغزوها مرات عديدة وانسحبوا منها. لم يكن بيلايو قادراً على دحر قوات المسلمين التي كانت تتوغل في مملكته من فترة لأخرى كما لم يكن باستطاعة المسلمين إزالته من الحكم، لوجود سلسلة من الجبال الوعرة.

دخل عبد العزيز بن موسى الأندلس مع أبيه سنة (٩٣هـ) مجاهداً، وكُلِّف مع أخيه مروان بمهمات التوسع. بيد أن عبد العزيز كان في ركاب والده خلال غزواته لمدن قبل طليطلة، فوجهه لاستكمال أو إعادة الاستيلاء على إشبيلية، ثم استولى على لَبْلَة Niebla وباجة Beja (البرتغال)، وأقام بإشبيلية عقب شوال سنة ٩٣هـ، ويوم ترك موسى الأندلس عام ٩٥هـ اختاره والياً عليها. لكن لدينا معلومات أن عبد العزيز خلال ذلك، استولى على مناطق في شرقي الأندلس قبل ابتداء ولايته من مثل تُدْمِير، ووقع مع أهلها صلحاً، وهي من الوثائق الأندلسية القليلة التي وصلتنا، ونصها: "هذا كتاب من عبد العزيز بن موسى لتدمير... رجب سنة ٩٤هـ". والظاهر أنه استولى على مناطق هناك، ربما قبل ولايته وخلالها في شرقي الأندلس لعله حتى بلنسية Valencia وكذلك في غربيه، حتى استقرت الأمور، ثم قام بالتنظيم والحفاظ على أهداف الغزو والعمل على إقرار الأوضاع. عبد الرحمن علي الحجي، «عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْر، رائب الصدع وفاتح شرق الأندلس وغربه». مجلة المجتمع، عدد ١٧٤١ لسنة ٢٠٠٧ م.

فتوحات عبد العزيز بن موسى بن نصير في أرض الأندلس

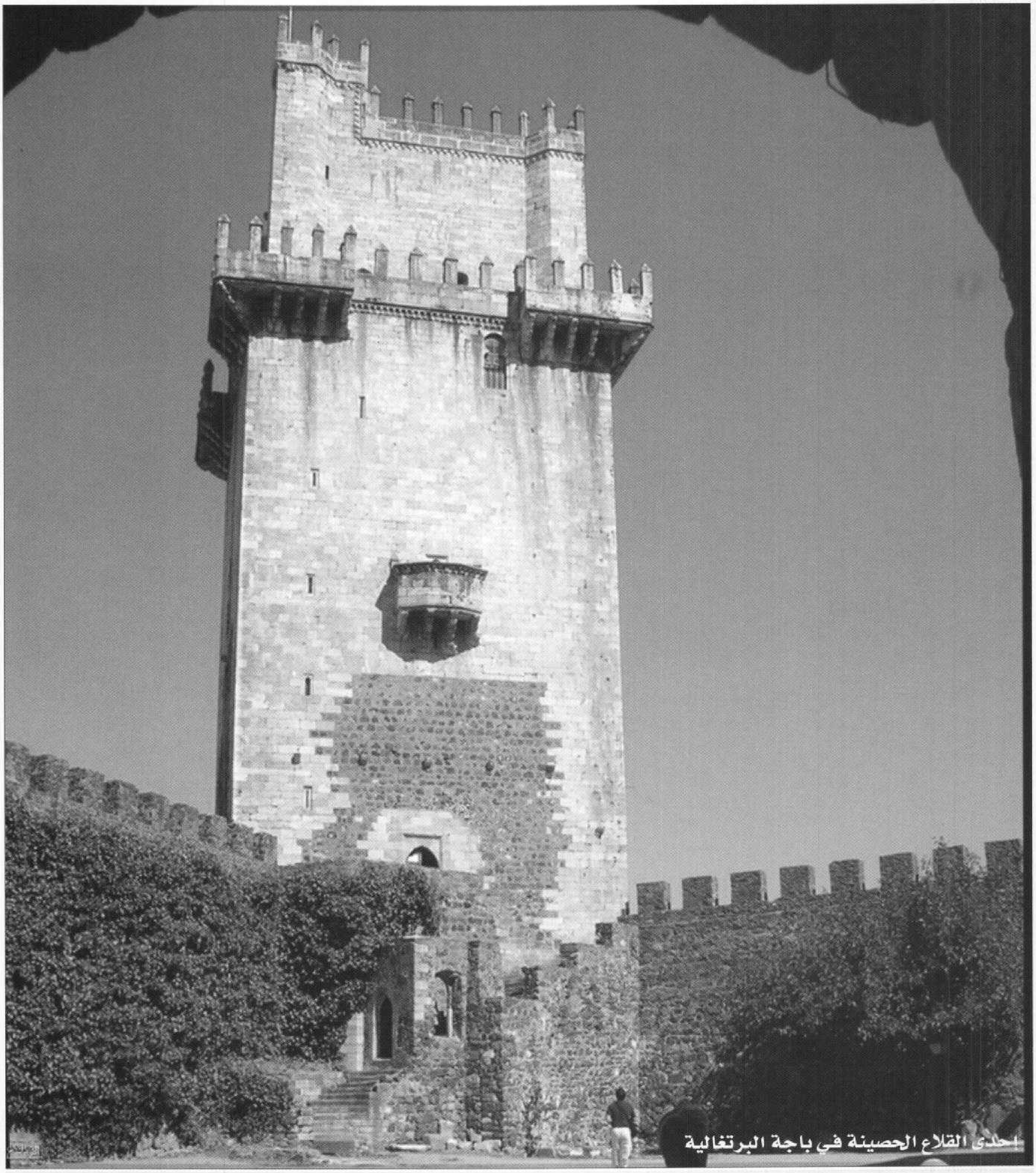
إحدى القلاع الحصينة في باجة البرتغالية

وأما **باجة الأندلس** : فهي من أقدم مدائنها بنيت في أيام الأقاصرة، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وهي من الكور المجندة نزلها جند مصر وكان لواؤهم في الميسرة بعد جند فلسطين، وهم النازلون بشذونة ... **ومدينة باجة** أقدم مدن الأندلس بنياناً وأولها اختطاطاً وإليها انتهى يوليش جاشر، وهو أول من تسمى قيصر وهو سماها باجة، وتفسير باجة في كلام العجم الصلح وحوز باجة وخطتها واسعة ولها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة ... . عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٧٥ .

سليمان بن عبد الملك

الفصل السابع

٩٦-٩٩هـ / ٧١٥-٧١٧م

هو **سليمان بن عبد الملك** بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي، (٥٤-٩٩ هـ/ ٦٧٤-٧١٧ م) الخليفة الأموي السابع، وهو يعد من خلفاء بني أمية الأقوياء، ولد بدمشق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام ٩٦هـ. ومدة خلافته لا تتجاوز السنتين وسبعة أشهر. (حكم: ٩٦-٩٩ هـ/ ٧١٥-٧١٧ م).

كان الناس في دمشق يسمونه مفتاح الخير ويحبونه ويتباركون به، أشاع العدل وأنصف كل من وقف ببابه، والخليفة سليمان بن عبد الملك يتصف بالجمال والوقار، عظيم الخلقة، طويل القامة، أبيض الوجه مقرون الحاجبين فصيحاً بليغاً، عمل في فترة توليه الخلافة كل مافيه مصلحة الناس وحافظ على اتساع وقوة الدولة الأموية واهتم بكل مايعني الناس أطلق الأسرى، وأخلى السجون، وأحسن معاملة الجميع فكسب محبتهم وكان من أعدل خلفاء بني أمية والمسلمين، واستخلف عمر بن عبد العزيز من بعده.

في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك استمرت الفتوحات الأموية في آسيا وفتحت جرجان وطبرستان، وجهز جيشاً كبيراً من سواحل الشام وأعد الأسطول الأموي وسيره في السفن لحصار القسطنطينية، وسار مع الحملة وعزم أن لا يعود حتى تفتح القسطنطينية أو يموت فمات مرابطاً في دابق شمالي مدينة حلب[١]. وهو مقيم بمرج دابق يتابع الأخبار عن الجيش في (١٠ من صفر ٩٩هـ). قال ابن كثير: "تعهد ألا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت؛ فمات هناك فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله"[٢].

توج سليمان بن عبد الملك أعماله بما يدل على حرصه على مصلحة المسلمين؛ فاختار عمر بن عبد العزيز قبل موته ليكون ولياً للعهد ويخلفه من بعده، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أصدر أوامره بسحب القوات الإسلامية المحاصرة للقسطنطينية والعودة إلى الشام.

قال نهار بن توسعة في سليمان بن عبد الملك:

له رايةٌ بالثغر سوداء لم تزل ... تفض بها للمشركين جموعُ

مباركةٌ تهدي الجنود كأنّها ... عُقابٌ نحت من ريشها الوقوع

على طاعة المهدي لم يبق غيرها ... فأينا وأمر المسلمين جميع

١ - الدولة الأموية، موقع ويكيبديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية.

٢ - ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، النسخة الرقمية.

الحصار الثالث للقسطنطينية في عهد سليمان بن عبد الملك[١]

على الرغم من عدم نجاح المحاولتين الأولى والثانية في عهد معاوية بن أبي سفيان لفتح القسطنطينية عام ٥٤-٦٠ هـ (٦٧٤-٦٧٩ م)، إلا أن الخليفة سليمان بن عبد الملك كان عازماً على إرسال الجيوش الإسلامية لفتح القسطنطينية، حيث أشار عليه **موسى بن نصير** بأن يفتح ما دونها من المدن، والرساتيق، والحصون، حتى يبلغ المدينة فلا يأتيها إلا وقد هدمت حصونها، ووهنت قوتها، فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع، فيعطوا بأيديهم ويسلموا لك البلد، ثم استشار أخاه **مسلمة** فأشار عليه بأن يدع ما دونها من البلاد ويفتحها عنوة، فمتى ما فتحت فأن باقي ما دونها من البلاد والحصون بيدك، فقال سليمان: هذا هو الرأي **ثم أخذ في تجهيز الجيوش** من الشام والجزيرة الفراتية والموصل نحواً من مائة وعشرين ألف مقاتل، وبعث من أهل مصر وإفريقية ألف مركب في البحر عليهم **عمر بن هبيرة**، و**على الناس كلهم أخوه مسلمة**، ومعه ابنه داود بن سليمان بن عبد الملك في جماعة من أهل بيته، وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير.

ثم سار سليمان حتى نزل **مرج دابق** قرب حلب، فاجتمع إليه الناس أيضاً من المتطوعة، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه **إليون الرومي المرعشي**، ثم ساروا حتى نزلوا على **القسطنطينية**، فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة، قالوا: فابعث إلينا إليون نشاوره، فأرسله إليهم، فقالوا له: رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملكك علينا، فرجع إلى مسلمة، فقال: قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تتنحى عنهم، فقال مسلمة: إني أخشى غدرك، فحلف له أن يدفع إليه مفاتيحها وما فيها، فلما تنحى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار.

مساعدة البلغار للقسطنطينية[١]:

لما ضيق **مسلمة بن عبد الملك** بمحاصرته على أهل القسطنطينية، وتتبع المسالك واستحوذ على ما هنالك من الممالك، كتب إليون ملك الروم إلى ملك البرجان يستنصره على مسلمة، ويقول له: ليس لهم همة إلا في الدعوة إلى دينهم، الأقرب منهم فالأقرب، وأنهم متى فرغوا مني خلصوا إليك، فمهما كنت صانعاً حينئذ فاصنعه الآن، فعند ذلك شرع في المكر والخديعة .... فكتب إلى مسلمة يقول له: إن إليون كتب إليّ يستنصرني عليك، وأنا معك فمرني لما شئت. فكتب إليه مسلمة: أني لا أريد منك رجالاً ولا عدداً، ولكن أرسل إلينا بالميرة فقد قلّ ما عندنا من الأزواد. فكتب إليه: أني قد أرسلت إليك بسوق عظيمة إلى مكان كذا وكذا، فأرسل من يتسلمها ويشتري منها. فأذن مسلمة لمن شاء من الجيش أن يذهب إلى هناك فيشتري له ما يحتاج إليه، فذهب خلق كثير فوجدوا هنالك سوقاً هائلةً، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة، فأقبلوا يشترون، واشتغلوا بذلك، ولا يشعرون بما أرصد

١ - ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٢٠٨ .

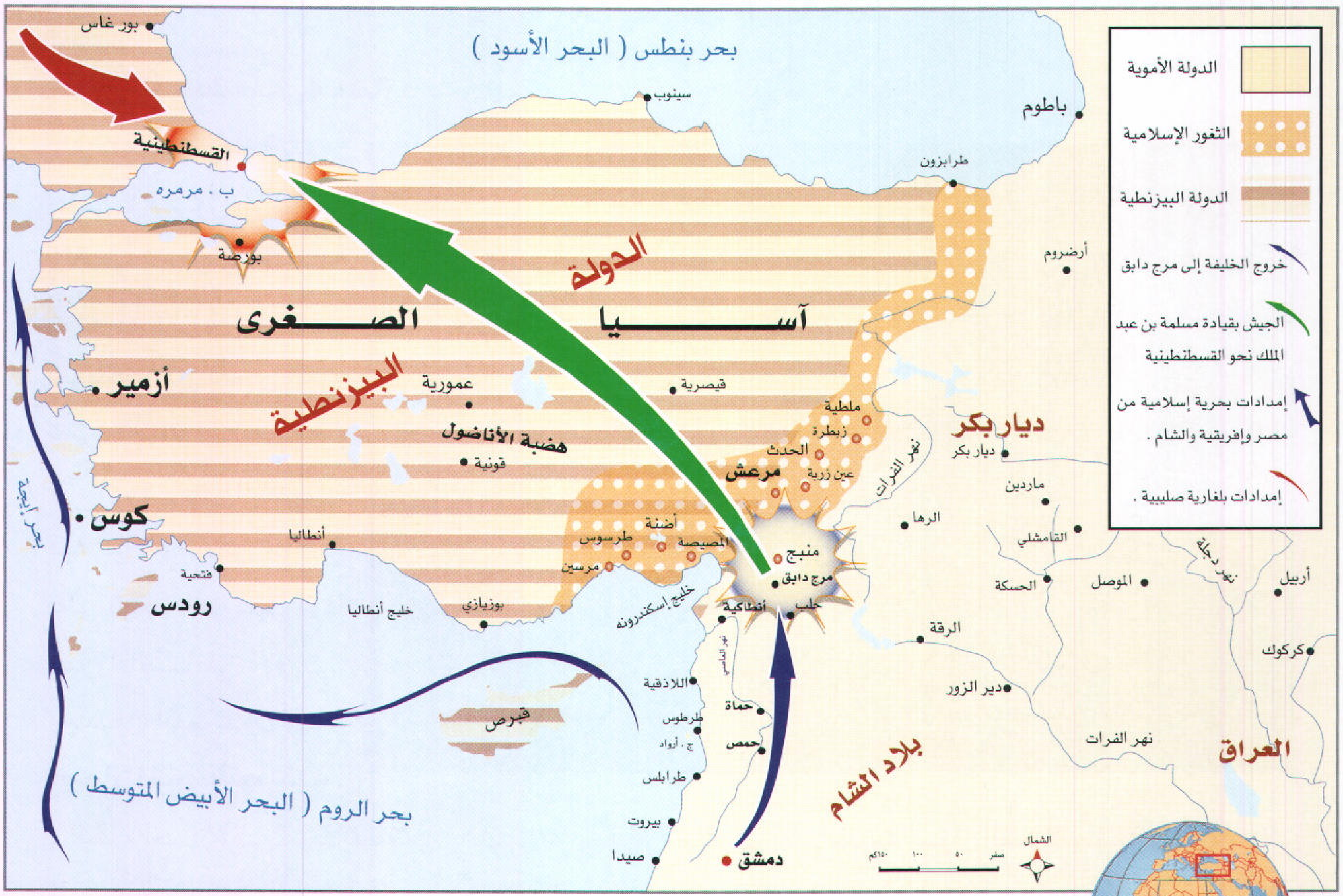

محاولة المسلمين لفتح القسطنطينية في عهد سليمان بن عبد الملك

لهم الخبيث من الكمائن بين تلك الجبال التي هنالك، **فخرجوا** عليهم بغتة واحدة فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأسروا آخرين، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل منهم، وتقول المراجع اليونانية بأن قتلى المسلمين من تلك العملية ما بين ١٢،٠٠٠-١٥،٠٠٠ رجل.

فكتب مسلمة بذلك إلى أخيه سليمان يخبره بما وقع من ذلك، فأرسل جيشاً كثيفاً صحبة **شراحيل بن عبيدة** هذا، وأمره أن يعبروا خليج القسطنطينية أولاً فيقاتلوا ملك البرجان، ثم يعودوا إلى مسلمة، فذهبوا إلى بلاد البرجان وقطعوا اليهم تلك الخلجان، فاقتتلوا معهم قتالاً شديداً، **فهزمهم المسلمون** بإذن الله، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأسروا خلقاً كثيراً، وخلصوا أسرى المسلمين، ثم تحيزوا إلى مسلمة فكانوا عنده **حتى استقدم الجميع عمر بن عبد العزيز خوفاً عليهم من غائلة الروم وبلادهم**، ومن ضيق العيش، وقد كان لهم قبل ذلك مدة طويلة[١].

---

١ - ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٢٠٨ .

شتاء القسطنطينية البارد :

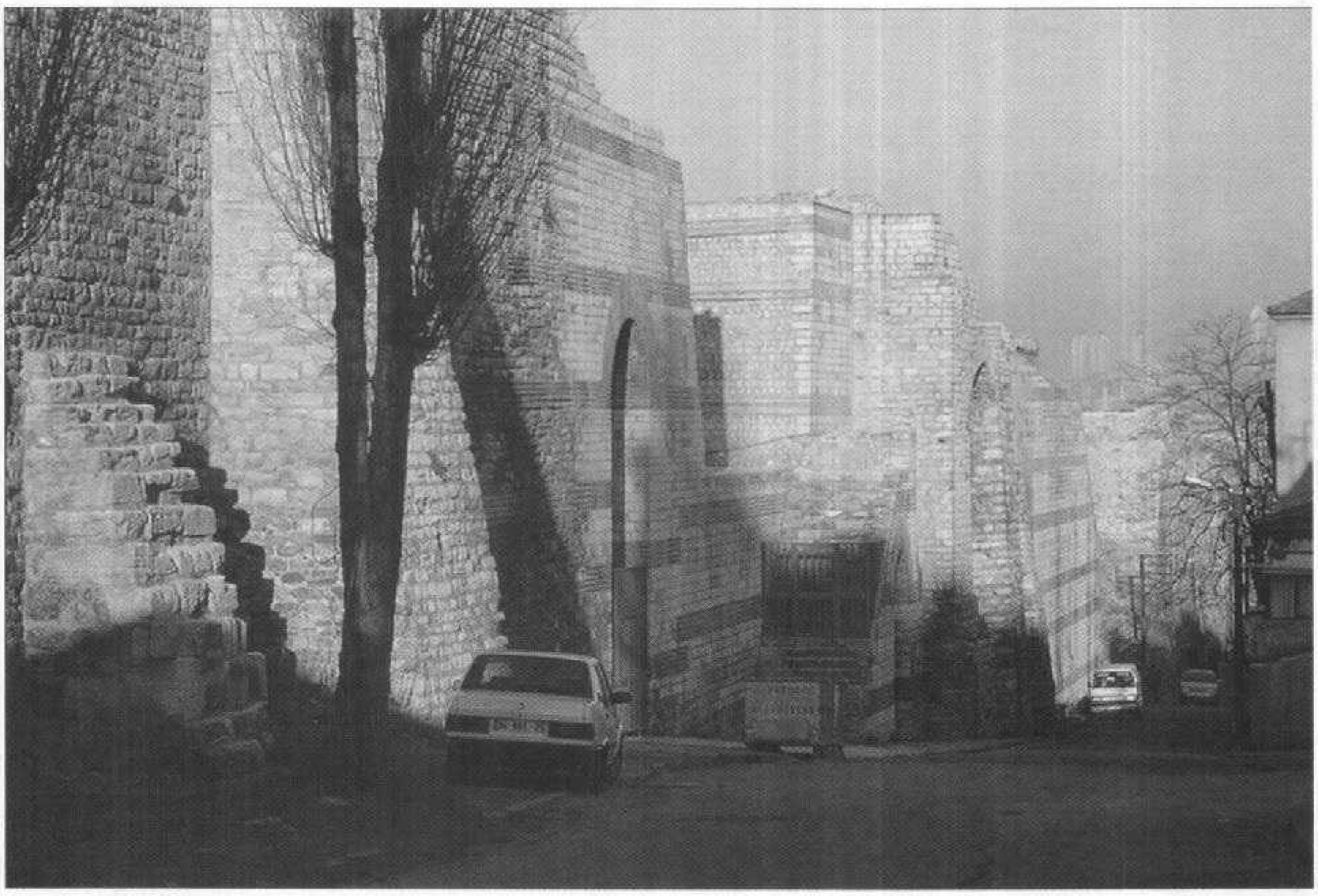

ماكاد يمضي ستة شهور على دخول ليو إلى **القسطنطينية** (٢٥ مارس ٧١٧)، أي في سبتمبر من نفس العام حتى تحرك المسلمون من برجاموس نحو الشمال، فبلغوا أبيدوس الواقعة على بوغاز الدردنيل، ولما عبروا الشاطئ الأوربي، وجدوا أنفسهم أمام **أسوار القسطنطينية**، «انظر الصورة في هذه الصفحة والصفحة المقابلة، لتتعرف على طبيعة أسوار القسطنطينية المنيعة» وفي الوقت نفسه كان الأسطول البحري يجتاز الدردنيل وبحر مرمرة محاصراً المدينة من جهة البحر. واستمات إليون (ليو الثالث) بالدفاع عن المدينة، إذ أغلق مداخل البوسفور بسلسلة ضخمة من الحديد وشحن الجنود على الأسوار لمنع المسلمين من اقتحامها، وقد عمل **مسلمة** بيوتاً من خشب أمضى بها الشتاء، **غير أن برد الشتاء بلغ من القسوة والشدة ماعانى منه المسلمون كثيراً من الجوع والأمراض، حتى أنهم أكلوا الجمال والخيول والبغال. وأيضاً محاولة إليون مفاوضة البلغار**، فهاجموا المسلمين الذين حاصروا المدينة من الجانب الأوروبي، وردوهم عنها، وما سببته النيران الإغريقية من خسائر فادحة بالإسطول. وزاد الأمر سوءاً تواطؤ البحارة النصارى الذين يعملون بالإسطول الإسلامي مع البيزنطيين، وقد هرب معظمهم.

وقد وصلت إمدادات من مصر حوالي ٤٠٠ سفينة، ومن إفريقية ٣٦٠ سفينة، خلال ربيع من عام ٧١٨/ ٩٩هـ، ولكن ذلك لم يغير من مجريات الحرب، وظلت أسوار المدينة مستعصية على المسلمين. فترتبت تلك العوامل على تراجع الإسطول الإسلامي نحو الجنوب، وفي أثناء تراجعه صادفته عواصف شديدة، فتحطمت سفن عديدة ونفدت أقوات الجند، مما أدى إلى اضطرار المسلمين إلى رفع الحصار والعودة إلى الشام في أغسطس عام ٧١٨. [١]

---

١ - د. السيد الباز العريني. الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م. دار النهضة العربية .

من أسوار القسطنطينية المنيعة

الفتوحات على الجبهة الشرقية في عهد سليمان بن عبد الملك(١)

غزو جرجان وطبرستان:

في هذه السنة غزا **يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان**، لما قدم يزيد بن المهلب **خراسان** أقام ثلاثة أشهر أو أربعة ثم أقبل إلى **دهستان وجرجان** وبعث ابنه مخلداً على خراسان وجاء حتى نزل بدهستان وكان أهلها **طائفة من الترك** فأقام عليها وحاصر أهلها معه أهل الكوفة، وأهل البصرة، وأهل الشام، ووجوه أهل خراسان، والري، وهو في مائة ألف مقاتل سوى الموالي والمماليك والمتطوعين فكانوا يخرجون فيقاتلون الناس فلا يلبثهم الناس أن يهزموهم، فيدخلون حصنهم ثم يخرجون أحياناً فيقاتلون فيشتد قتالهم ... ثم إنه ألح عليها وأنزل الجنود من كل جانب حولها، وقطع عنهم المواد فلما جهدوا وعجزوا عن قتال المسلمين، واشتد عليهم الحصار والبلاء بعث صول **دهقان دهستان** إلى **يزيد إني أصالحك** على أن تؤمنني على نفسي، وأهل بيتي، ومالي، وأدفع إليك المدينة وما فيها وأهلها؛ فصالحه وقبل منه ووفَّى له ودخل المدينة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز ومن السبي شيئاً لا يحصى وقتل أربعة عشر ألف تركي صبراً **وكتب بذلك إلى سليمان بن عبد الملك**.

ثم خرج يزيد بن المهلب حتى أتى **جرجان** وقد كانوا يصالحون أهل الكوفة على مائة ألف ومائتي ألف أحياناً وثلاثمائة ألف، وصالحوهم عليها، فلما أتاهم **يزيد استقبلوه بالصلح**، وهابوه، وزادوه، واستخلف عليهم رجلاً من الأزد، يقال له: أسد بن عبد الله، ودخل **يزيد** إلى **الإصبهبذ** في **طبرستان** فكان معه الفعلة يقطعون الشجر، ويصلحون الطرق، حتى انتهوا إليه فنزل به فحصره وغلب على أرضه، وأخذ الإصبهبذ يعرض على يزيد الصلح ويريده ما كان يؤخذ منه، فيأبى رجاء افتتاحها فبعث ذات يوم أخاه أبا عيينة في أهل المصرين فأصعد في الجبل إليهم، وقد بعث **الإصبهبذ** إلى **الديلم** فاستجاش بهم فاقتتلوا فحازهم المسلمون ساعة وكشفوهم وخرج رأس الديلم يسأل المبارزة، فخرج إليه ابن أبي سبرة فقتله، فكانت هزيمتهم حتى انتهى المسلمون إلى فم الشعب، فذهبوا ليصعدوا فيه، وأشرف عليهم العدو يرشقونهم بالنشاب، ويرمونهم بالحجارة فانهزم الناس من فم الشعب من غير كبير قتال، ولا قوة من عدوهم على اتباعهم وطلبهم وأقبلوا يركب بعضهم بعضاً حتى أخذوا يتساقطون في اللهوب ويتدهدى الرجل من رأس الجبل، حتى نزلوا إلى عسكر يزيد لا يعبئون بالشر شيئاً.

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، «تاريخ الطبري» ص ١٢٧٤، طبعة بيت الأفكار الدولية، أعتنى به أبو صهيب الكرمي.

فتوح المشرق في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ هـ

٢ أقام يزيد بن المهلب بمكانه في طبرستان على حاله، وأقبل الإصبهبذ كاتب أهل جرجان، ويسألهم أن يثبوا بأصحاب يزيد، وأن يقطعوا عليه مادته والطرق فيما بينه وبين العرب، ويعدهم أن يكافئهم على ذلك فوثبوا بمن كان يزيد خلف من المسلمين، فقتلوا منهم من قدروا عليه واجتمع بقيتهم فتحصنوا في جانب فلم يزالوا فيه حتى خرج إليهم يزيد، وأقام يزيد على الإصبهبذ في أرضه حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف نقداً ومائتي ألف وأربعمائة حمار موقرة، زعفراناً وأربعمائة رجل على رأس كل رجل برنس، وعلى البرنس طيلسان ولجام من فضة وسرقة من حرير، وقد كانوا صالحوا قبل ذلك على مائتي ألف درهم ثم خرج منها يزيد وأصحابه كأنهم فل، ولولا ما صنع أهل جرجان لم يخرج من طبرستان حتى يفتحها.

ذكر الطبري غير رواية أبي مخنف: **في أمر يزيد وأمر أهل جرجان:** ما حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن كليب بن خلف وغيره، أن سعيد بن العاص **صالح أهل جرجان** ثم امتنعوا وكفروا، فلم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان من ناحيته أحد إلا على وجل وخوف من أهل جرجان، كان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان فأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان، ثم غزا مصقلة خراسان أيام معاوية في عشرة آلاف فأصيب وجنده بالرويان وهي متاخمة طبرستان، فهلكوا في واد من أوديتها أخذ العدو عليهم بمضايقة فقتلوا جميعاً فهو يسمى وادي مصقلة. قال: وكان يضرب به المثل حتى يرجع مصقلة من طبرستان، قال علي عن كليب بن خلف العمي عن طفيل بن مرداس العمي وإدريس بن حنظلة: إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان فكانوا يجبئون أحياناً مائة ألف ويقولون هذا صلحنا، وأحياناً مائتي ألف، وأحياناً ثلاثمائة ألف، وكانوا ربما أعطوا ذلك، وربما منعوه ثم امتنعوا، وكفروا فلم يعطوا خراجاً حتى أتاهم **يزيد ابن المهلب** فلم يعازه أحد حين قدمها فلما صالح صول، وفتح البحيرة، ودهستان، صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص. **٣**

طَبَرِسْتَانُ: بفتح أوله وثانيه، وكسر الراء، قد ذكرنا معنى الطبر قبله، واستان: الموضع أو الناحية، كأنه يقول: ناحية الطبر، وسنذكر سبب تسمية هذا الموضع بذلك، والنسبة إلى هذا الموضع الطَّبَري؛ قال البُحتري:

وأقيمَت به القيامة في قُمّ على خالعٍ وعاتٍ عنيدِ ... وثنى معلماً إلى طَبَرستان بخيلٍ يَرُحْنَ تحت اللبود

وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم؛ خرج من نواحيها من لا يُحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، والغالب على هذه النواحي الجبال، فمن أعيان بُلْدانها دهستان، وجرجان، واستراباذ، وآمُل، **وهي قصبتها**، وسارية، وهي مثلها، وشالوس، وهي مقاربة لها، وربما عُدّت جرجان من خراسان إلى غير ذلك من البلدان، وطبرستان في البلاد المعروفة بمازَنْدَران، ولا أدري متى سميت بمازَندران، فإنه اسم لم نجده في الكُتب القديمة وإنما يُسمَع من أفواه أهل تلك البلاد، ولا شكّ أنهما واحد، وهذه البلاد مجاورة لجيلان، وديلمان، وهي بين الرّي وقومس والبحر، وبلاد الديلم والجيل، رأيت أطرافها وعاينتُ جبالها، وهي كثيرة المياه متهدّلة الأشجار كثيرة الفواكه إلا أنها مخيفة وخِمَة، قليلة الارتفاع، كثيرة الاختلاف والنّزاع، وأنا أذكر ما قال العلماء في هذا القطر وأذكر فتوحه واشتقاقه: ولا بُدّ من احتمالك لفصل فيه تطويلٌ بالفائدة الباردة، فهذا من عندنا مما استفدناه بالمشاهدة والمشافهة ... . الحموي، معجم البلدان، ج ٣ ، ص ١٤٧.

فتح جرجان:

قال الطبري: وفي هذه السنة فتح **يزيد بن المهلب جرجان** الفتح الآخر بعد غدرهم بجنده ونقضهم العهد قال علي عن الرهط الذين ذكر أنهم حدثوه بخبر جرجان وطبرستان: ثم إن يزيد لما صالح أهل طبرستان قصد لجرجان فأعطى الله عهداً لئن ظفر بهم ألا يقلع عنهم، ولايرفع عنهم السيف ... فلما بلغ المرزبان أنه قد صالح الإصبهبذ، وتوجه إلى جرجان جمع أصحابه وأتى وجاه فتحصن فيها وصاحبها لا يحتاج إلى عدة من طعام، ولا شراب، وأقبل يزيد حتى نزل عليها وهم متحصنون فيها وحولها غياض فليس يعرف لها إلا طريق واحد فأقام بذلك سبعة أشهر لا يقدر منهم على شيء ولا يعرف لهم مأتى إلا من وجه واحد فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونه ويرجعون إلى حصنهم فبينما هم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان كان مع يزيد يتصيد ومعه شاكرية له.

وقال هشام بن محمد عن أبي مخنف، فخرج رجل من عسكره من طيىء يتصيد فأبصر وعلاً يرقي في الجبل فاتبعه وقال لمن معه: قفوا مكانكم، ووقل في الجبل يقتص الأثر فما شعر بشيء حتى هجم على عسكرهم فرجع يريد أصحابه فخاف ألا يهتدي فجعل يخرق قباءه ويعقد على الشجر علامات حتى وصل إلى أصحابه ثم رجع إلى العسكر، ويقال: إن الذي كان يتصيد الهياج بن عبد الرحمن الأزدي من أهل طوس وكان منهوماً بالصيد فلما رجع إلى العسكر أتى عامر بن أينم الواشجي صاحب شرطة يزيد فمنعوه من الدخول فصاح إن عندي نصيحة.

وقال بعضهم: استعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد، وقال له: إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت وإياك أن أراك عندي مهزوماً وضم إليه جهم بن زحر، وقال يزيد للرجل الذي ندب الناس معه: متى تصل إليهم؟ قال: غداً عند العصر فيما بين الصلاتين، قال: امضوا على بركة الله، فإني سأجهد على مناهضتهم غداً عند صلاة الظهر ، فساروا فلما قارب انتصاف النهار من غد، أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار في حطب كان جمعه في حصاره إياهم فصيره آكاماً فأضرموه ناراً فلم تزل الشمس حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من النيران، ونظر العدو إلى النار فهالهم ما رأوا من كثرتها؟! فخرجوا إليهم، وأمر يزيد الناس حين زالت الشمس فصلوا فجمعوا بين الصلاتين، ثم زحفوا إليهم فاقتتلوا. وسار الآخرون بقية يومهم والغد فهجموا على عسكر الترك قبيل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه، ويزيد يقاتل من هذا الوجه، فما شعروا إلا بالتكبير من ورائهم فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم وركبهم المسلمون فأعطوا بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريهم، وقتل مقاتلتهم، وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الأندرهز وادي جرجان، وقال من طلبهم بثأر فليقتل فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة، والخمسة في الوادي، وأجرى الماء في الوادي على الدم، ... وبنى مدينة جرجان، وقال بعضهم: قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفاً ولم تكن قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفي. الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، « تاريخ الطبري » ص ١٢٧٧ ، طبعة بيت الأفكار الدولية ، أعتنى به أبو صهيب الكرمي .

٢

دعا **يزيد بن المهلب** **جهم بن زحر**، فبعث معه أربعمائة رجل حتى أخذوا في المكان الذي دلوا عليه وقد أمرهم يزيد فقال: إذا وصلتم إلى **المدينة** « **جرجان** » فانتظروا، حتى إذا كان في السحر فكبروا ثم انطلقوا نحو باب المدينة، فإنكم تجدوني وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها، فلما دخل ابن زحر المدينة أمهل حتى إذا كانت الساعة التي أمره يزيد أن ينهض فيها مشى بأصحابه فأخذ لا يستقبل من أحراسهم أحداً إلا قتله وكبر، ففزع أهل المدينة فزعاً لم يدخلهم مثله قط، فيما مضى فلم يرعهم إلا والمسلمون معهم في مدينتهم **يكبرون فدهشوا فألقى الله في قلوبهم الرعب** وأقبلوا لا يدرون أين يتوجهون! غير أن عصابة منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جهم بن زحر ؛ فقاتلوا ساعة فدقت يد جهم وصبر لهم هو وأصحابه فلم يلبثوهم أن قتلوهم إلا قليلاً، وسمع **يزيد بن المهلب** التكبير فوثب في الناس إلى الباب فوجدوهم قد شغلهم جهم بن زحر عن الباب، فلم يجد عليه من يمنعه ولا من يدفع عنه كبير دفع، ففتح الباب ودخلها من ساعته، فأخرج من كان فيها من المقاتلة فنصب لهم الجذوع فرسخين، عن يمين الطريق ويساره، فصلبهم أربعة فراسخ، وسبى أهلها وأصاب ما كان فيها.

معاودة فتح جرجان في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ هـ

٣

كتب يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك.

أما بعد: فإن الله قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً وصنع للمسلمين أحسن الصنع فلربنا الحمد على نعمه، وإحسانه أظهر في خلافة أمير المؤمنين على **جرجان وطبرستان** وقد أعيا ذلك سابور ذا الأكتاف، وكسرى بن قباذ، وكمري بن هرمز، وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، ومن بعدهما من خلفاء الله حتى فتح الله ذلك لأمير المؤمنين كرامة من الله له، وزيادة في نعمه عليه، وقد صار عندي من خُمس ما أفاء الله على المسلمين، بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفيء، والغنيمة ستة آلاف ألف، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله .

البيت المرواني

عمر بن عبد العزيز

الفصل الثامن

٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٧٢٠م

هـو **عمـر بن عبـد العزيز** بن مروان بن الحكم بـن أبي العاص بن أميـة (٧١٧م - ٧٢٠م) ثامن الخلفاء الأمويين، ويرجع نسـبه من أمه إلى عمر بن الخطاب رضـي الله عنه حيث كانت أمه هي أم عاصـم ليلى بنت عاصـم بن عمر بن الخطاب وبذلك يصـبح الخليفة عمر بن الخطاب جده. ولد في المدينة النبوية وقد تلقى علومه وأصول الدين فيها على يد صالح بن كيسان ، واستفاد كثيراً من علمائها، ثم استدعاه عمه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى دمشق عاصمة الدولة الأموية وزوجه ابنته فاطمة وعينه أميراً على إمارة صغيرة بالقرب من حلب تسـمى دير سـمعان وظل والياً عليها حتى سـنة ٨٦ هـ. لقب بخامس الخلفاء الراشـدين لسـيره في خلافته سـيرة الخلفاء الراشـدين. تولى الخلافة بعد سـليمان بن عبد الملك في دمشـق سنة ٩٩ هجرية وقد سمي الخليفة العادل لمكانته وعدله في الحكم. في ربيع الأول من عام ٨٧ هـ ولاّه الخليفة الوليد بن عبد الملك إمارة المدينة النبوية، ثم ضـم إليه ولاية الطائف سـنة ٩١ هـ، وبذلك صـار والياً على الحجاز كلها، واشـترط عمـر لتوليه الإمارة ثلاثة شـروط للعدل فوافق الوليد عليها، وباشـر عمر بن عبـد العزيز عمله بالمدينة وفرح الناس به فرحاً شـديداً. ومن أبرز الأعمال التي قام بها في المدينة، وهو عمل مجلس للشـورى يتكون من عشر فقهـاء مـن المدينة، ثم عينه الخليفة الأموي سـليمان بن عبـد الملك وزيراً في عهده - كمـا تقدم في ترجمة سليمان - ، قال عنه سفيان الثوري: كخامس الخلفاء الراشدين (الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان ،وعلي، وعمر بن عبد العزيز).

لما وارى الناس جثمان سليمان، قام رجاء بن حَيْوة أحد علماء المسلمين، فأعلن على المنبر أن خليفة المسلمين، وأمير المؤمنين للعالَم الإسلامي، عمر بن عبد العزيز. فلما تلقى عمر خبر توليته، انصدع قلبه من البكاء، وهو فـي الصـف الأول، فأقامه العلماء على المنـبر وهو يرتجف، ويرتعد، وأوقفوه أمـام الناس، فأتى ليتحدث فما اسـتطاع أن يتكلـم من البكاء، قال لهـم: بيعتكم بأعناقكم، لا أريد خلافتكم، فبكـى النـاس وقالوا: لا نريد إلا أنت، فاندفع يتحدث، فذكر الموت، وذكر لقاء الله، وذكر مصارع الغابرين، حتى بكى من بالمسجد. يقول رجاء ابن حيوة: والله لقد كنت أنظر إلى جدران مسـجد بني أمية ونحن نبكي، هل تبكي معنا !! ثم نزل، فقربوا له المَراكب والموكب كما كان يفعل بسـلفه، قال: لا إنما أنا رجل من المسـلمين، غير أني أكثر المسلمين حِملاً وعبئاً ومسئولية أمام الله، قربوا لي بغلتي فحسب، فركب بغلته، وانطلق إلى البيت، فنزل من قصره، وتصدق بأثاثه ومتاعه على فقراء المسـلمين. نزل عمر في غرفة في دمشـق أمام الناس؛ ليكون قريباً من المساكين والفقراء والأرامل، ثم استدعى زوجته فاطمة، بنت الخلفاء، أخت الخلفاء، زوجة الخليفة، فقال لها: يا فاطمة، إني قد وليت أمر أمة محمد ﷺ – وتعلمون أن الخارطة التي كان يحكمها عمر، تمتد من السند شرقاً إلى الرباط غرباً، ومن تركسـتان شـمالاً، إلى جنوب إفريقيا جنوباً – قال: فإن كنت تريدين الله والدار الآخرة، فسـلّمي حُليّـك وذهبـك إلى بيت المـال، وإن كنت تريدين الدنيا، فتعالي أمتعك متاعاً حسـناً واذهبـي إلى بيت أبيك، قالت: لا والله، الحياة حياتُك، والموت موتُك، وسلّمت متاعها وحليّها وذهبها، فرفَعه إلى ميزانية المسلمين [1].

---

١ - الشيخ د. عائض القرني، عمر بن عبد العزيز (خطبة جمعة).

سياسة عمر بن عبد العزيز العامة

أولاً : الخوارج:

سلك عمر بن عبد العزيز مع **الخوارج** المسلك الصحيح الذي تبعه سلفنا الصالح كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن عباس رضي الله عنهما، ويبدو أن عمر قد طمع في رجوع هؤلاء الخوارج إلى جادة الطريق، ولذلك لم يترك لهم شبهة إلا كسرها وبين زيفها وكشف عوارها، ولم يجادلهم في الحق الذي معهم ولكنه طلب مهلة إلا أنه مات قبل انتهائها، وعندما استخدم **خوارج العراق** القوة ضد واليه عبد الحميد **وتمكن الخوارج من دحر جيش الوالي**، أسرع عمر بن عبد العزيز فأرسل إلى الخوارج **مسلمة بن عبد الملك** على رأس جيش من أهل الشام، وكتب إلى عبد الحميد:

قد بلغني ما فعله جيشك، جيش السوء، وقد بعثت مسلمة فخل بينه وبينهم، وتقدم مسلمة على رأس قواته إلى حيث عسكر الخوارج، ودارت معركة بين الطرفين انتهت بانتصار جيش الخلافة. **إن اضطرار عمر إلى استخدام القوة إزاء فئة من الخوارج**، لم يدفعه أبداً إلى تطبيق أسلوب الشدة تجاه كل الخوارج، فما دام خصمه مستعداً للحوار، فلا داعي أبداً لإراقة الدماء.

لقد كان السبب المفضي لقتال الخوارج: هو أنه لم يأمر عمر بن عبد العزيز بقتالهم لما اختلفوا معه في الرأي ولا عندما عارضوه وسبوه، بل صبر عليهم لعل الله أن يهديهم إلى الصواب، **ثم لما وصلوا إلى مرحلة خطيرة وهي أخذ المال وإخافة السبيل وسفك الدماء عند ذلك أمر بقتالهم.**

بيد أن عمر بن عبد العزيز رد متاع الخوارج إلى أهليهم، فهو لم يسب نساء الخوارج وذراريهم ولم يستحل أموالهم، بل أمر برد متاعهم إلى أهليهم، فقد كتب إلى عامله في الخوارج: فإن أظفرك الله بهم وأدالك عليهم فرد ما أصبت من متاعهم إلى أهليهم، وهذا رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيهم في عدم سبي ذرية ونساء الخوارج، وعدم استحلال أموالهم .

وكان موقف الخليفة هو أن يحبس أسرى الخوارج حتى يحدثوا خيراً؛ فلما قاتلهم، وقتل منهم من قتل، وأسر منهم من أسر، أمر عمر بن عبد العزيز بسجنهم حتى يحدثوا خيراً، من الرجوع إلى الحق والتخلي عن أفكارهم الضالة، فلقد مات عمر بن عبد العزيز وفي حبسه منهم عدة . فهذا منهج وفقه عمر بن عبد العزيز في التعامل مع المعارضين من الخوارج في عهده[1] .

---

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية (عمر بن عبد العزيز)، النسخة الرقمية .

خروج شوذب الخارجي سنة ١٠٠ هـ

جَرْجَرَايا : بفتح الجيم، وسكون الراء الأولى: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي، كانت مدينة وخربت مع ما خرب من النهروانات؛ وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء والكُتَّاب والوزراء، ولها ذكر في الشعر كثير؛ قال أبزون العَمَّاني:

ألا يا حبَّذا يوماً جَرَرْنا ذُيُولَ اللهو فيه بجَرْجَرايا

وممن ينسب إليها محمد بن الفضل الجرجراي وزير المتوكل على الله بعد ابن الزيّات، ثم وزر للمُستعين بالله، ثم مات سنة ٢٥١، وكان من أهل الفضل والأدب والشعر؛ ومنها أيضاً جعفر ابن محمد بن الصباح بن سفيان الجرجراي مولى عمر بن عبد العزيز، نزل بغداد وروى عن الدَّرَاوَرْدي وهشيم، روى عنه عبد الله بن قَحطبة الصلحي وغيره؛ وعصَابة الجرجراي واسمه إبراهيم بن باذام، له حكايات وأخبار وديوان شعر، روى عنه عون بن محمد الكندي. الحموي، معجم البلدان، ج٢ ، ص ١٢٣. قلت: وعرفت جرجرايا في الأثر أنها من أرض جوخي.

استمر **الخوارج** في حربهم **للدولة الأموية** أحياناً ينشطون، وفي الغالب تتغلب عليهم الدولة بالقوة وتكسر شوكتهم إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز فدخل معهم في محاورات ونقاشات واستخدم معهم القوة عند اللزوم مثل ما فعله مع **شوذب الخارجي**، وكان عمر بن عبد العزيز يذم الجدال المذموم ويناظر ويجادل بالتي هي أحسن.

١ الخارجي شوذب واسمه بسطام من بني يشكر، يخرج **بجوخي** في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة،

٢ كتب **عمر بن عبد العزيز** إلى عبد الحميد والي العراق، ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دماً أو يفسدوا في الأرض فإن فعلوا فحل بينهم وبين ذلك وانظر رجلاً صليباً حازماً فوجهه إليهم، ووجه معه جنداً وأوصه بما أمرتك به، فعقد عبد الحميد **لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلي** في ألفين من أهل الكوفة وأمره بما أمره به عمر بن عبد العزيز.

٣ تمكن **الخوارج** من دحر جيش الوالي عبد الرحمن، لذا أسرع **عمر بن عبد العزيز** فأرسل إلى **الخوارج** **مسلمة بن عبد الملك** على رأس جيش من أهل الشام، الذي استطاع أن يدحر قوات الخوارج .

ثانياً : الشيعة

تذكر في الاصلاح كاسم لكل من فضل عليّاً رضي الله عنه، على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم جميعاً وأن أهل بيته أحق بالخلافة، وهو ما لم تأت بها النصوص الصريحة من القرآن والسنة، وقد تحدثت عن الشيعة بالإيجاز في كتابي أطلس الأديان « تاريخ ، عقائد، انتشار » .

قال د. الصلابي: **والشيعة فرق عديدة** منهم الغلاة الذين خرجوا عن الإسلام وهم يدعونه ويدعون التشيع، ومنهم دون ذلك ومن أهم فرقهم: الكيسانية، والسبئية، والإمامية وغيرها. وكان لعمر بن عبد العزيز أقوال في الشيعة الغلاة، فقد قال عمر بن عبد العزيز: إني لا أعرف صلاح بني هاشم وفسادهم بحب كُثير عزة (الشاعر)، فمن أحبه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه فهو صالح لأنه كان خشبياً يؤمن بالرجعة، وجاء عمر بن عبد العزيز كتاب من عامله على الكوفة يخبره بسوء طاعة أهلها، فرد عمر: لا تطلب طاعة من خذل عليّاً رضي الله عنه وكان إماماً مرضياً، وعن إسحاق بن طلحة بن أشعث قال: بعثني عمر بن عبد العزيز إلى العراق فقال: أقرئهم ولا تستقرئهم وحدثهم ولا تسمع منهم، وعلمهم ولا تتعلم منهم. فقد كان عمر بن عبد العزيز على معرفة بعقيدة كُثير الشاعر ويؤيدها ما يروى أن كُثير عزة له أبيات يثبت فيها عقيدته الفاسدة **في الغلو** في أهل البيت مثل قوله:

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء

قال الذهبي قال الزبير بن بكار عن كُثير: كان شيعياً يقول بتناسخ الأرواح ويقرأ : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار ، الآية : ٨) قال: وكان خشبياً يؤمن بالرجعة يعني رجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا. ولم يهتم **عمر** بالرد على ما كان يراه كُثير وغيره من الشيعة الغلاة كما اهتم بالرد على **القدرية والخوارج**، وحذر عمر بن عبد العزيز من مخالطة ومجالسة أصحاب البدع والأهواء[١].

ثالثاً : التسامح الديني مع غير المسلمين، ودعوتهم إلى الإسلام.

حيث أمر عمال الولايات بدعوة الذميين إلى الإسلام، مثل ما فعل مع الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث يدعوه للإسلام، وأنه أعطى بطريقاً ألف دينار يتألفه بها على الإسلام، ودخلت أفواج من سكان بلاد ما وراء النهر في الإسلام .

---

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية (عمر بن عبد العزيز)، النسخة الرقمية .

١ في **حقل السياسة الخارجية** طلب **عمر بن عبد العزيز** من **مسلمة بن عبد الملك** الانسحاب من أمام **أسوار القسطنطينية**، من أجل تجميد العمليات العسكرية، والمحافظة على مكتسبات الفتوح، والدفاع عنها ضد الأخطار المحدقة بها.

٢ **بروز فرقة القدرية** في عهد عمر بن عبد العزيز: وأول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن، وكان نصرانياً، فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان الدمشقي عن معبد. وكان مسلم بن يسار يقعد على هذه السارية فقال: إن معبداً يقول بقول النصارى. وقد **ناقش عمر بن عبد العزيز القدرية** وسألهم عن العلم وذلك بسؤالهم عن علم الله، فإذا أقروا به خصموا وإن جحدوا كفروا فقال لغيلان الدمشقي: ما تقول في العلم. قال: قد نفد العلم. قال: فأنت مخصوم اذهب الآن فقل ما شئت ويحك يا غيلان إنك إن أقررت بالعلم خصمت وإن جحدته كفرت، إن تقر به فتخصم خير لك من أن تجحده فتكفر. ولعل عمر بن عبد العزيز أول من نهج هذا النهج في سؤال القدرية عن العلم، ثم صار هذا المنهج منهجاً لأهل السنة من بعده.

٣ **الخوارج** سبق الحديث عنها في الصفحة ما قبل الماضية.

٤ **الشيعة** سبق الحديث عنها في الصفحة الماضية.

٥ في **حقل الجانب الدعوي** دخلت أفواج من سكان بلاد ما وراء النهر في الإسلام، وكذلك استجاب كثير من أمراء السند لدعوته، وأرسل عمر بن عبد العزيز الفقهاء إلى بلاد المغرب ليفقهوا مسلمي البربر في دينهم وبذل عامله إسماعيل بن عبد الله نشاطاً كبيراً في ذلك.

البيت المرواني

يزيد الثاني بن عبد الملك

الفصل التاسع

١٠١-١٠٥هـ / ٧٢٠-٧٢٤م

هو أبو خالد **يزيد بن عبد الملك** بن مروان بن الحكم القرشي الأموي الدمشقي، وأمه عاتكة بنت يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان. ومما رفع مكانته لدى الأمويين أنه يجمع النسب إلى فرعي البيت الأموي، فهو مرواني من جهة أبيه، وسفياني من جهة أمه. ولد سنة ٧١ هـ. ولي الخلافة بدمشق بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ وهو ابن تسع وعشرين سنة؛ بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك وكان عادلاً.

ذكر الذهبي[1]: قال "عبد الرحمن بن زيد بن أسلم": لما ولي يزيد الخلافة، قال: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز فأتي بأربعين شيخاً فشهدوا له: ما على الخلفاء حساب ولا عذاب، وقال ابن الماجشون: لما مات عمر بن عبد العزيز، قال يزيد: والله ما عمر بأحوج إلى الله مني فأقام أربعين يوماً يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز ثم عدل عن ذلك. وقال "سليم بن بشير": كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك حين احتضر، سلام عليك أما بعد فإني لا أراني إلا لمبي فالله الله في أمة محمد، فإنك تدع الدنيا لمن لا يحمدك وتفضي إلى من لا يعذرك، والسلام.

كانت أيامه أيام فتوحات وغزوات، أعظمها حرب الجراح الحكمي في بلاد ما وراء النهر مع الترك واللان وانتصر عليهم. وفي سنة ١٠٢ هـ، لكن يزيد الثاني وقع في براثن الانغماس في العصبية القبلية، وعاد المجتمع العربي إلى التمزق وكثرت الثورات ضد يزيد الثاني كثورة يزيد بن المهلب في العراق التي انتهت على يد مسلمة بن عبد الملك، بسحقها وقتل قائدها وملاحقة أفراد أسرة آل المهلب لإبادتهم، بالرغم مما كان لهذه الأسرة من دور كبير في خدمة الحكم الأموي وحمايته، وانفجرت الثورات أيضاً في الشمال الإفريقي، وفي الأندلس، خاصة بعد أن شعر البربر وغيرهم بالظلم من ضعف السياسة الأموية بعد عمر بن عبد العزيز. وحدث مثل ذلك في بلاد الترك وفي بلاد ما وراء النهر، وفي بلاد الخزر وأنزل الثوار هزائم منكرة بالقوات الأموية.

وكان يزيد بن عبد الملك من أصحاب المروءات مع إفراط في طلب الملذات، وقد ذكرت روايات غير مؤكدة عنه بما لا يليق بسبب عشقه للجاريات، وإلى ما ذلك غير أن بعض المؤرخين ومنهم المؤرخ ابن تغري بردي صاحب كتاب (النجوم الزاهرة) يرفضون هذه الروايات ويردونها إلى نقمة العباسيين المتمردين على الأمويين وخاصة في هذه الفترة من أواخر حكم الأمويين، وأنها مدسوسة ومغرضة.

مات يزيد في أواخر شعبان سنة ١٠٥ هـ، ويقال: بأنه مات وعمره أربعة وثلاثون عاماً، وفي روايات أخرى غير ذلك ودام حكمه أربع سنوات ونيف من الأشهر. قيل: إنه مات بحوران ونقل إلى دمشق وصلى عليه ابنه الوليد وكان عمره خمسة عشر عاماً وأخوه هشام بن عبد الملك وتذكر الروايات: أنه حمل على أعناق الرجال ودفن بين باب الجابية في دمشق.

---

١ - الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، النسخة الرقمية.

ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة في عهد يزيد بن عبد الملك

كان يزيد بن المهلب من زعماء اليمنية، وكان أبوه يد الحجاج القوية في قمع ثورات الخوارج، فقد حاربهم تسعة عشر عاماً، لقي منهم الأهوال، وتم له التغلب عليهم، وولاه الحجاج (أمير العراق والمشرق) ، على ولاية خراسان .

ولما توفي سنة ٨٣ هـ، ولّى الحجاج ابنه يزيد مكانه ثم خشي الحجاج بأسه فكتب إلى عبد الملك بن مروان يتهمه بميله إلى آل الزبير وطلب منه أن يعزله، ففوضه عبد الملك بعزله على أن يولي مكانه أخاه المفضل بن المهلب، فعمل الحجاج بأمر الخليفة، ولما توفي عبد الملك عزله الحجاج وألقى القبض عليه وعلى أخيه يزيد وسجنهما، وولى قتيبة بن مسلم على خراسان .

وأخذ الحجاج يعذب يزيد وأخاه المفضل ويطالبهما برد ما أخذاه من الأموال في أثناء ولايتهما على خراسان وتمكنا من الهرب من سجن الحجاج، ودخلا على سليمان بن عبد الملك وهو في الرملة بفلسطين واستجارا به فأجارهما وأمنهما، وكتب إلى أخيه الوليد بذلك وتعهد له أن يسترد منهما الأموال التي كان الحجاج يطالبهما بها.

وفي سنة ٩٥هـ توفي الحجاج، ثم توفي الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦هـ، وتولى الخلافة سليمان بن عبد الملك فولى يزيداً ابن المهلب على العراق والمشرق .

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩هـ **عزل يزيد** عن العراق والمشرق، وأمر بالقبض عليه فحمل إليه، فطلب منه أن يرد الأموال التي كان قد استولى عليها أثناء ولايته على خراسان وأمر بحبسه، ثم تمكن من الهرب من سجنه وتوجه إلى **العراق واستولى على البصرة** بمساعدة اليمانية، **وخلع طاعة يزيد الذي خلف عمر بن عبد العزيز وأخذ يوزع على الناس الذهب والفضة، يشتري ولاءهم، فمالوا إليه، حتى مال إليه جماعة من تميم وقيس وهم من مضر.**

ولّى يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة على العراق سنة ١٠٢هـ وأمره بقتال يزيد بن المهلب وفي المعركة التي جرت بينه وبين يزيد في موضع يدعى (العقر) - انظر الخارطة - **قُتل يزيد** وقتل بعض إخوته من آل المهلب وتفرق من كان يناصره، وهزم من بقي حياً من آل المهلب وتوجهوا إلى البصرة ومنها حملتهم السفن إلى **السند** فوجه إليهم مسلمة بن عبد الملك جيشاً بقيادة هلال بن أحوز التميمي، فقاتلهم وأفنى أكثرهم وبعث برءوس القتلى إلى مسلمة مع من أسر منهم، فأرسلهم إلى الخليفة يزيد فضرب أعناقهم. ويذكر أن آل المهلب مكثوا، بعد الإيقاع بهم، عشرين سنة لا يولد لهم إلا الذكور، ولا يموت أحد من المولودين[١] .

١ - أحداث التاريخ الاسلامي بترتيب السنين .د. عبدالسلام الترمانيني .

ثورة يزيد بن المهلب سنة ١٠٢ هـ

عَقُر بابل: قرب كربلاء من الكوفة، وقد روي أن الحسين، رضي الله عنه، لما انتهى إلى كربلاء وأحاطت به خيل عبيد الله بن زياد قال: ما اسم تلك القرية؟ وأشار إلى **العقر**، فقيل له: اسمها العقر، فقال: نعوذ بالله من العقر! فما اسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا: **كربلاء**، قال أرض كرب وبلاء، وأراد الخروج منها فمنع حتى كان ما كان. قُتل عنده يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة في سنة ١٠٢، وكان خلع طاعة بني مروان ودعا إلى نفسه وأطاعه أهل البصرة والأهواز وفارس وواسط وخرج في مائة وعشرين ألفاً فندب له يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة فواقفه بالعقر من أرض بابل فأجلت الحرب عن قتل يزيد بن المهلّب؛. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٠٤.

صورة قديمة لشط العرب

(١) **الخليفة يزيد بن عبد الملك** يرسل **أخاه مسلمة بن عبد الملك** لقتال ابن المهلب، ويرسل أمامه ابن أخيه **العباس ابن الوليد** بأربعة آلاف فارس، الذي استطاع أن يصل الحيرة (الكوفة) قبل وصول قوات يزيد بن المهلب إليها، وجاء مسلمة بن عبد الملك بأهل الشام، وقد سار إلى الجزيرة الفراتية محاذياً نهر الفرات.

(٢) **استخلف يزيد بن المهلب** ابنه معاوية على واسط، وسار هو لقتال أهل الشام، وقد أرسل أخاه عبد الملك بن المهلب أمامه، فالتقى بالعباس بن الوليد فانتصر على عبد الملك أول الأمر، ثم هُزم وسار نحو أخيه للقاء مسلمة بن عبد الملك عند الأنبار، بينما تحرك العباس بن الوليد نحو عمه مسلمة.

(٣) **جاءت الجموع إلى يزيد بن المهلب** فجعل عليها أخاه المفضل، ودارت معركة بين الطرفين قتل فيها يزيد بن المهلب وأخوته حبيب ومحمد، وانتصر أهل الشام، وعاد المفضل إلى واسط، بينما سار مسلمة إلى الحيرة (الكوفة) فدخلها.

(٤) **سار آل مهلب** من **واسط** إلى **البصرة** ومنها ركبوا السفن وانتقلوا إلى **كرمان، والسند**، فأرسل مسلمة بن عبد الملك إليهم مدرك بن ضب الكلبي حيث أوقع القتل فيهم، ومن نجا منهم التحق بأرض خاقان وحاكم كابل « رتبيل ».

فتوحات عنبسة بن سحيم في عهد يزيد بن عبد الملك

ينتمي عنبسة بن سحيم إلى قبيلة كلب اليمانية، المعروفة تأريخياً بتأييدها للبيت الأموي، وهو من القادة الفاتحين الشجعان، وهو أحد ولاة الأندلس الطموحين الذين حرصوا على تحقيق أحلام الخلفاء الأمويين في فتح القارة الأوروبية، وهو يشبه بذلك السمح بن مالك الخولاني، وعبد الرحمن الغافقي.

ولي عنبسة الأندلس بعد السمح بن مالك (١٠٢-١٠٧هـ/٧٢١-٧٢٦م) ليزيد بن أبي مسلم، والي المغرب الكبير؛ إذ جرت العادة أن يُعيّن ولاة الأندلس والي المغرب خلال عصر الولاة.

وقد اختير للولاية لكفاءته القيادية وحزمه ونفاذ بصيرته، فهو سياسي محنك، ومحارب متمرس، وقد رأى فيه ابن أبي مسلم أداة فاعلة في تحقيق انتصارات مهمّة في أوروبا.

وبعد مقتل ابن أبي مسلم (١٠٣هـ/٧٢٢م) في القيروان خلفه بشر بن صفوان، الذي وافق على بقاء عنبسة بن سحيم في ولاية الأندلس، بعد استشارة الخليفة الأموي **يزيد بن عبد الملك**. وعندما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة (١٠٥هـ/ ٧٢٤م)، أقرّ عنبسة بن سحيم على ولاية الأندلس لما لمسه من استقرار الأندلس في أثناء ولايته. بدأ عنبسة مشروعه الجهادي سنة ١٠٥هـ/٧٢٤م بقيادة جيش كبير عبر به جبال البرانس في طريقه إلى بلاد الفرنجة، توقف فترة قصيرة **بأربونه**، حيث انشغل فيها بتحسين مواقعها الحربية وتحصينها، ثم اتجه غرباً نحو مدينة **قرقشونة**.

وفي مستهل سنة ١٠٦هـ/٧٢٥م، فرض على المدينة حصاراً شديداً، مما اضطر أهلها إلى المصالحة على شروط اشترطها عليهم منها: أن ينزل أهلها عن نصف الأراضي التابعة لها، وأن يحرروا جميع أسرى المسلمين لديهم، وأن يواظبوا على دفع الجزية وأن يلتزموا واجبات أهل الذمة تجاه المسلمين؛ فيحاربوا من يحاربه المسلمون ويهادنوا من يهادنونه، إلى غير ذلك [1].

سار عنبسة بعد ذلك لمواصلة عملية الفتح (انظر اتجاه الأسهم على الخارطة المقابلة) حتى وصل "شانس" على بعد ثلاثين كيلومتراً جنوبي باريس، وخشي "أدو" دوق أكوتين أن يهاجمه المسلمون مرة أخرى، فسعى إلى مفاوضتهم ومهادنتهم، وبذلك بسط المسلمون نفوذهم في جنوب شرقي فرنسا.

ولما لم يكن في نية عنبسة الاستقرار في تلك المناطق، فقد عاد إلى بلاده بعد أن أعاد نفوذ المسلمين في مملكة غالة، قاطعاً نحو ألف ميل شمالي قرطبة، وفي طريق العودة داهمته جموع من الفرنجة، فالتحم معها في معركة في عهد هشام بن عبد الملك، أصيب أثناءها بجراح بالغة توفي على إثرها في (شعبان ١٠٧هـ = ديسمبر ٧٢٥م) ، بعد أن انفرد بين المسلمين بفخر الوصول برايات الإسلام إلى قلب أوروبا الغربية، ولم يدرك هذا الشأن بعد ذلك مسلم آخر.

---

١ - عبد الكريم العلي، الموسوعة العربية الرقمية .

فتوحات عنبسة بن سحيم الكلبي

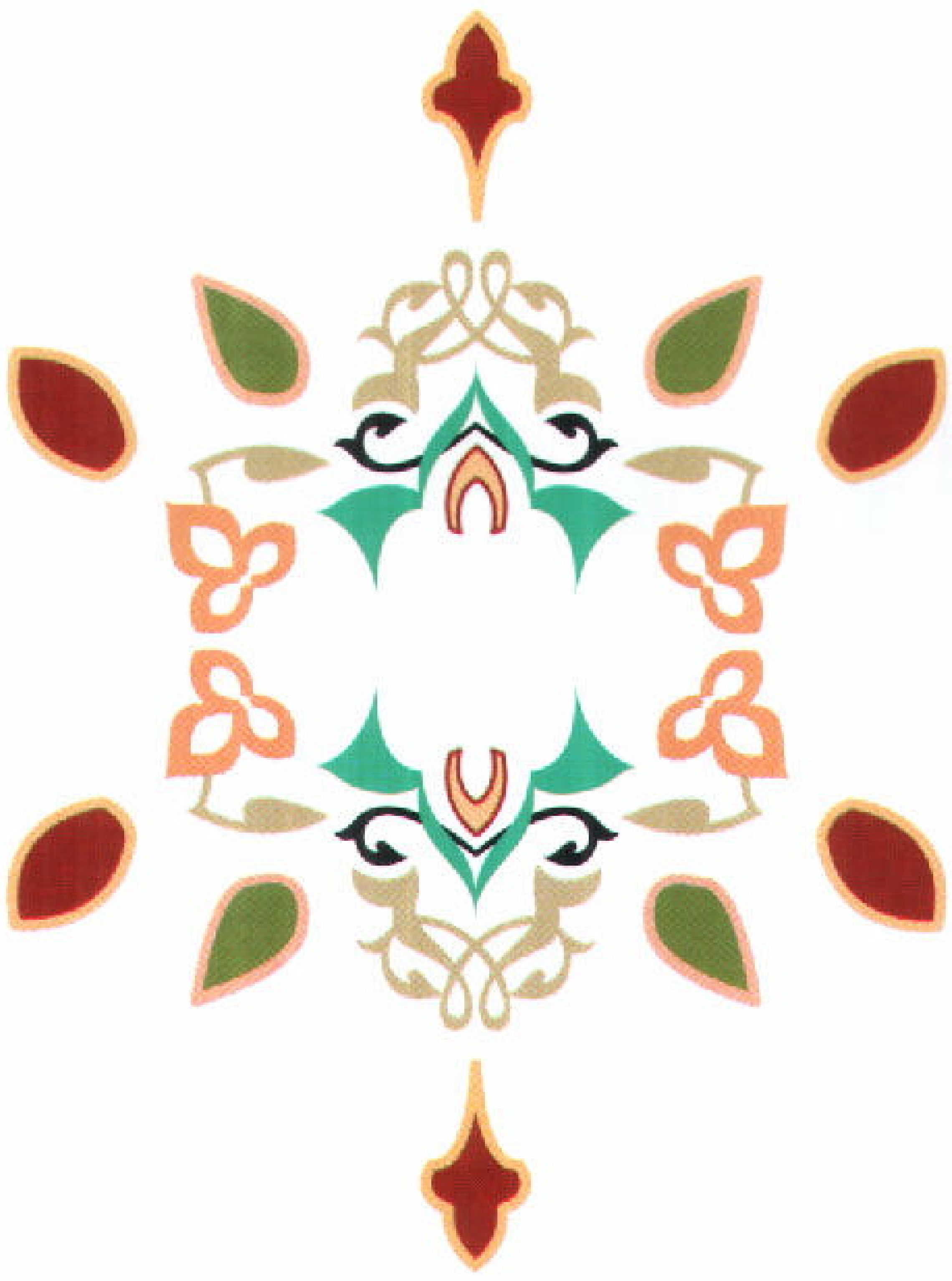

البيت المرواني

هشام بن عبد الملك

الفصل العاشر

١٠٥_١٢٥هـ / ٧٢٤_٧٤٣م

هو **هشام بن عبد الملك** بن مروان بن الحكم القرشي الأموي الدمشقي. (٧١-١٢٥ هـ) (٦٩١ م - ٧٤١ م) حكم من سنة (١٠٥-١٢٥ هـ/٧٢٤-٧٤٣ م)، وأمه فاطمة بنت الأمير هشام ابن إسماعيل بن هشام أخي خالد: ابني الوليد بن المغيرة المخزومي وكان جميلاً أبيض مسمناً أحول خضب بالسواد، ذكر الذهبي: أن مصعب الزبيري قال: زعموا أن عبد الملك رأى أنه بال في المحراب أربع مرات فدس من سأل ابن المسيب عنها، فقال: يملك من ولده لصلبه أربعة فكان هشام آخرهم وكان حريصاً جماعاً للمال عاقلاً حازماً سائساً، فيه ظلم مع عدل، روى أبو عمير بن النحاس عن أبيه، قال: كان لا يدخل بيت المال لهشام شيء حتى يشهد أربعون قسامة لقد أخذ من حقه ولقد أعطى الناس حقوقهم[١].

مثلت خلافة يزيد بن عبد الملك مرحلة دقيقة في تاريخ الدولة الأموية، فقد رسمت خط النهاية لهذه الدولة، ذلك أن الخليفة الجديد **هشام بن عبد الملك**، الذي بويع له بعد وفاة أخيه كان عاجزاً عن القيام بإصلاح ما فسد، وترميم ما انهار، وإيقاف عجلة التدهور، فقد أصبح الأمر فوق طاقته وخرج عن إرادته بالرغم من اتصافه بالحزم وحسن الإدارة والتدبير، وبالرغم من الجهود، التي بذلها للحفاظ على وحدة الدولة وترميم الحكم الأموي، ومن الإنصاف الإشارة إلى أن الخلافة الأموية استردت في عهد هشام الكثير من حيويتها ومهابتها، ويمكننا أن نعتبر الفترة الطويلة، التي تسلم فيها هشام زمام المسؤولية تشبه صحوة ما قبل الموت.

تسلم هشام الحكم وهو في حوالي الرابعة والثلاثين من عمره، وأقام في **الرصافة** شمالي بلاد الشام وكان حازماً، حليماً، طيب السمعة، انجرف كغيره من خلفاء بني أمية في تيار التعصب القبلي، لكن مصلحة الدولة عنده فوق الاعتبارات القبلية، وكان الجهاز الإداري في عهده انعكاساً لشخصيته، حيث عهد بالحكم إلى رجال مخلصين، وأصحاب كفاءة، محاولاً، بذلك إصلاح ما أفسده أخوه دون جدوى.

في عهده بلغت الدولة الإسلامية أقصى اتساعها، حارب البيزنطيين، واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه (فرنسا) حيث وقعت معركة بلاط الشهداء سنة ١١٤ هـ. وتزايدت في عهده العصبية القبلية بين المضرية واليمانية، واشتعلت فتن وثورات عديدة في أنحاء الدولة: ثورة الخوارج، والشيعة في الكوفة (بقيادة زيد بن علي بن الحسين)، والبربر في المغرب؛ وكذلك اضطربت الفتن في بلاد ما وراء النهر، وقد قضى عليها جميعاً بحنكته ودهائه وقوته.

ترجمت في عهده الكثير من المؤلفات والمصنفات العلمية، وحرص على إصلاح الزراعة وتوابعها، واهتم بباقي المنشآت العمرانية، تميز عهده بسيادة الأمان في بلاد الشام وأرجاء البلاد الإسلامية.

توفي هشام بالرصافة في شهر ربيع الآخر عام ١٢٥هـ/شهر شباط عام ٧٤٣م، وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وستة أشهر وأياماً. وخلفه الوليد بن يزيد.

---

١ - الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، النسخة الرقمية.

أولاً : الأوضــاع الداخليــة

ثورة زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢١ هـ :

بعـد القضـاء على ثـورة المختار الثقفي في الكوفة سنة ٦٧ هـ ، لم يقـم الشيعة فيها بثورات على الدولة الأمويـة، ولعل السبب في ذلك الهزائم المتلاحقة والخسائر التي مرت بهم في هذا الصدد، ثم افتقارهم إلى زعامة قوية يلتفون حولها من ناحية ثانية، كما أن العراق التي هي موطن حركاتهم قد شهدت حكم ولاة أقويـاء عرفـوا بالحـزم والقسوة مـع الخارجين على الدولـة، مثل: الحجـاج بن يوسـف، كل ذلك جعلهم يستكينون للهدوء ولكن إلى حين، فجمرة الثورة والتمرد على الحكم الأموي لم تخب في أنفسهم قط، فلما وجـدوا الفرصـة سانحة اغتنامها، وكان هذا حالهم مع قائد الثورة الجديـد التي هبت في وجه هشام بن عبد الملك سنة ١٢١ هـ.

يعد **زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه** من كبار آل البيت وعلمائهم، وكان يحدث نفسه بالخلافة ويرى أنه أهل لها وكان هشام بن عبد الملك يخشاه لفضله، وعلمه، وفصاحته، ومكانتـه بين الناس. **خـرج زيد على هشام** ، ثم أتى الكوفة، فجعل الشيعة يلتجؤون إليه ويقولون له : « إنـا لنرجـو أن تكون المنصور ، وأن يكون هذا الزمـان الذي يهلك فيه بنوأمية » كان من الطبيعي أن يكون زيد محل رصد هشام وأن يكون وجوده في الكوفة بخاصة مصدر قلق عليه، فأوعز إلى عامله على العراق ، يوسف بن عمر الثقفي، بطرده منها فمازال به يوسف حتى أخرجه، ولكن الشيعة ساروا خلفه وقالوا له : « أيـن تذهـب عنا ؟ومعك مائة ألف رجـل من أهل الكوفة يضربـون دونك بأسيافهم غـداً »؟! نفس النغمة القديمة التي طالما خدع بها أهل العراق آل البيت وعلى الرغم من أن زيداً أبدى شكوكه فيهم حتى بعد أن أعطوه عهودهم، ومواثيقهم، وقال لهم : « إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدي »

انتشر أمر زيد ووصل خبر دعوته الناس إلى البيعة في البصرة، وواسط، والموصل، والمدائن، وخراسان، والري، وبلغت أخباره يوسف بن عمر الثقفي وكان **بالحيرة** فأدرك خطورتها، وكان زيد قد واعد أصحابه على الخروج ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة ٢٢ هـ، « انظر تفاصيل ذلك في الخارطة القادمة » فقرر يوسف أن يحول دون ذلك ، فأمر الحكم بن الصلت نائبه على الكوفة أن يدعو الناس لاجتماع في المسجد الأعظـم وهـدد كل من يتخلف منهـم وكان ذلك قبل موعد خـروج زيد بيوم واحد، فهرع أهـل الكوفة إلى المسجد فحاصرهم يوسف بن عمر فيه، وأصبح زيد فلم يجد معه من خمسة عشر ألفاً بايعوه سوى مائتين وثمانيـة عشـر رجلاً فلما رأى خذلان الناس إياه قال لأحد أنصاره نصر بن خزيمة: « أتخاف أن يكونوا قد جعلوهـا حسينيـة » يشير الي حادثة جده الحسين وهم حقاً قـد فعلوها حسينية وتركوه يواجه قوات يوسف ابن عمر الثقفي في هذا العدد القليل كما فعل أسلافهم بجده الحسين يواجه قوات عبيد الله بن زياد .

ثورة زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢١ هـ

٢ جمـوع من أهل المدائن والبصرة وواسط والموصـل وخراسان تلتف حول حركة زيد بن علي في الكوفة .

٤ خـرج زيد بن علـي ومن وافقه على مذهبه يوم الأربعاء ١ صفر ١٢٢هـ، وأرسل بعض فرسانـه ينـادون في نواحي الكوفة بشعار الثورة: "يا منصـور يا منصور"، ومع ذلك لم يجتمـع عنده إلا ٣١٨ رجلاً فقط من أصل ٤٠,٠٠٠، ومع ذلك أصر زيد بن علي على مواصلة الثورة والخروج، حتى كتب الله له الشهادة بعد بسالة أذهلت الخصوم .

١ غضب الخليفـة الأمـوي **هشـام بن عبـد الملك** علـى والي العراق **خالد بـن عبد الله القسري** بسبـب وشايات وسعايات ظالمة في حق خالد، فقام بعزله وكلف مكانه رجلاً من ألد أعـداء خالـد القسري وهـو **يوسف بن عمر الثقفـي** وكان والياً على اليمـن، وكان يحب أن يتشبـه بالحجـاج وكان من قرابته، فـكان أول ما فعله يوسف عندما دخـل العراق القبض على **خالـد القسري** والتحفظ على كل أمواله ومحاسبته عليها. وفي أثناء المحاسبة ادعى البعض علـى خالد أنه قـد أودع جزءاً من ماله وديعة عند **زيد بن علـي**، فأرسل للخليفة هشام بذلك فألح على **زيد بن علي بالتوجه إلى الكوفة** ليتحقق من هذه التهمة، وبالفعل ذهب زيد بن علي **للكوفـة** واستبانـت براءته من تلك التهمة، لكـن زيد بن علي ظل مقيمـاً بالكوفة لبعض الوقـت ولم يعد فور الانتهاء من القضية. عندما علم الشيعة بالكوفة والعراق عموماً أن زيد بن علـي بـن الحسين مقيم بالكوفة؛ انهالوا عليه من كل حدب وصـوب بالألوف يبايعونه ويقسمون بين يديه بالقتال حتى الموت وزينوا له الخروج حتى اجتمع عنده ديوان به أسماء أربعين ألف مقاتل.

٣ قرر **زيد بن علي** أن يقدم موعد قيام **الثورة** فيجتمع مع قادة الشيعة ويطلعهم على خطته للحركـة وتعجيل ميعاد الخـروج، وعندها فوجئ زيد بن علي بسؤال غريب جاءه من قادة الشيعة حيث قالوا له: "ما تقول في **أبي بكر وعمر**" فدعا لهما وترحم عليهما وقال: "ما أدركت أحداً من أهلـي إلا يترحـم عليهما ويستغفر لهما، وإن كنا نحن أحق بالأمـر منهما إلا أنهما حكما بالكتاب والسنة وعدلا فيما حكما"، فقال عندها قادة الشيعة: فلِمَ تقاتل هؤلاء إذاً؟ فقال زيد: "هؤلاء ليسوا كهؤلاء. إنما نقاتل الذين ظلموا الناس وظلموا أنفسهم، فإن تسمعوا يكن خيراً لي ولكم، وإن تأبوا فلست عليكـم بوكيـل. فعندهـا قام قـادة الشيعة من عنده وقالوا لـه: **إن إمامنـا هو جعفر الصـادق بـن محمـد الباقـر** ،"وكان الباقر قـد مات سنة ١١٥هــ ، فقال لهم زيـد ابن علي: رفضتمـوني، رفضتمـوني، ومن يومها تسمى شيعـة الكوفة بالاثنى عشريـة والرافضة، أما باقي الشيعـة الذين ظُلموا مع زيد فتسمـوا بالزيدية. وهذا الضغط أدى **بزيد** لأن يستعجل بالخروج، وحدد موعداً للخروج يوم الأربعاء ١صفر ١٢٢هـ، ولكن هذه العجلة أدت لسهولة كشفها.

ثانياً : الفتوحات في عهد هشام بن عبد الملك

لم تعد هناك فتوحات واسعة كالتي حدثت أيام الوليد وإنما كانت غزوات يحدث فيها تقدم قليل ثم يعود المسلمون على إثرها إلى ثغورهم أو تُفتح رقعة صغيرة من الأرض، أو بعض الحصون، أو يحدث قتال بسبب نقض العهد من قبل أعداء المسلمين الأمر الذي يضطر فيه المسلمون إلى معاودة قتالهم وإجبارهم إلى طلب الصلح ثانية ودفع الجزية .

أ: أرمينيا وأذربيجان

كثر الغزو في **أرمينيا وبلاد اللان** أيام **هشام بن عبد الملك** واشتهر من القادة : الحجاج بن عبد الملك، والجراح بن عبد الله الحكمي، ومسلمة بن عبد الملك، وأشرس بن عبد الله السلمي، والحارث بن عمرو الطائي، وإسحاق بن مسلم العقيلي، ومروان بن محمد ، فقد غزا الحجاج بن عبد الملك بلاد اللان فصالح أهلها أن يؤدوا الجزية إلا أنهم نقضوا العهد فغزاهم مسلمة بن عبد الملك من جهة باب الأبواب وهزمهم عام ١١٠هـ ، وسار الترك إلى **أذربيجان** فلقيهم الحارث بن عمرو عام ١١٢هـ فردهم على أعقابهم مهزومين، وتحركوا من جهة بلاد اللان فلقيهم الجراح بن عبد الله الحكمي فيمن معه من أهل الشام، وأذربيجان في العام نفسه واستشهد رحمه الله هو ومن معه من الجند **بأردبيل** وأخذ الترك مدينة أردبيل، فوجه هشام بن عبد الملك أخاه مسلمة في شتاء بارد غزير المطر والثلوج فسار في أثرهم حتى تجاوز **باب الأبواب** فخلف عليها الحارث بن عمرو الطائي.

وعاد إليهم مسلمة في عام١١٣هـ، ففرق جنده في أرضهم فقتلوا وسبوا، وكان ممن قتلوا ابن خاقان الترك، فتأثر خاقان لما حلّ بابنه فتقدم إلى مسلمة إلا أنه هُزم ١١٤هـ ورجع مسلمة عن الباب، وعاد الترك إلى نقض العهد فأرسل إليهم مروان بن محمد بعثين عام ١١٧هـ الأمر الذي جعلهم يقرون بالجزية ولم يلبثوا أن نقضوا العهد فغزاهم عام ١٢٠هـ إسحاق بن مسلم العقيلي ومروان بن محمد الذي افتتح بلاد السرير فدانت له وأدت الجزية عام ١٢١هـ، وتوفي في ذلك العام مسلمة بن عبد الملك الذي دوخ الروم والترك.

اللاّنُ: آخره نون: بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للخَزَر، والعامة يغلطون فيهم فيقولون علاّن، وهم نصارى تُجْلَب

قال الفيروزآبادي: واللاّنُ: بلادٌ وأُمَّةٌ في طَرَفِ إرْمِينِيَةَ... . القاموس المحيط

الصراع على أرمينية وأذربيجان في عهد هشام بن عبد الملك

في سنة ١١٢ هـ اجتمع **الخزر والترك** من ناحية **اللان** لقتال المسلمين، فلقيهم الجراح بن عبد الله الحكمي مع أهل الشام، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وصبر الفريقان، واستشهد الجراح وكثير ممن كان معه **بمرج أردبيل**، فطمع الخزر وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل، فأرسل هشام بن عبد الملك سعيداً الحرشي لقتال الخزر والترك، فكان لا يمر بمدينة إلا ويستنهض أهلها فيجيبه من يريد الجهاد، حتى التقى بأصحاب الجراح وساروا معه، فالتقى بالخزر ليلاً وهم نيام فهاجمهم مع الفجر، فما بزغت الشمس حتى قتلوا جميعاً غير رجل واحد، ثم سار الحرشي إلى الخزر المجتمعين في مكان آخر فباغتهم وقتلهم، ثم حث ابن ملك الخزر الجنود على معاودة القتال فاجتمع معه عساكر كثيرة، فسار الحرشي إليه فالتقيا بأرض برزند، وصبر المسلمون حتى ولى الخزر الأدبار منهزمين، ثم تتابعت حملات الخزر وكانوا ينكسرون في كل مرة.

قال الحموي: قد كان مَسْلَمة بن عبد الملك وصل إلى هذا الموضع وملك هذه القلعة وأَسكنها قوماً من العرب إلى هذه الغاية يحرسون هذا الموضع، وكانت أرزاقهم تحمل إليهم من تَفْليس، وبين هذه القلعة وتفليس مسيرة أيام. ولو أن رجلاً واحداً في هذه القلعة لمنع جميع ملوك الأرض أن يجتازوا بهذا الموضع لتعلقها بالجو وإشرافها على الطريق والقنطرة والوادي، وكان صاحب اللان يركب في ثلاثين ألفاً، هكذا ذكر بعض المؤرخين، وأما أنا الفقير فسألْتُ مَنْ طَرَقَ تلك البلاد فخبرني بما ذكرته أوَّلاً... . معجم البلدان.

ب: قتال الترك في عهد هشام بن عبدالملك

قال ابن كثير: **وفي سنة ١١٠** من الهجرة النبوية فيها قاتل **مسلمة بن عبد الملك ملك الترك الأعظم خاقان**، فزحف إلى مسلمة في جموع عظيمة فتوقفوا نحواً من شهر، ثم هزم الله خاقان زمن الشتاء، ورجع مسلمة سالماً غانماً، فسلك على مسلك ذي القرنين في رجوعه إلى الشام، وتسمى هذه الغزوة **غزاة الطين** وذلك أنهم سلكوا على مفارق ومواضع غرق فيها دواب كثيرة، وتوحل فيها خلق كثير، فما نجوا حتى قاسوا شدائد وأهوالاً صعاباً وشدائد عظاماً.

وفي هذا العام دعا **أشرس بن عبد الله السلمي نائب خراسان** أهل الذمة **بسمرقند** ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام، ويضع عنهم الجزية فأجابوه إلى ذلك، وأسلم غالبهم، ثم طالبهم بالجزية فنصبوا له الحرب وقاتلوه، ثم كانت بينه وبين الترك حروب كثيرة [1].

ثم دخلت **سنة إحدى عشرة ومائة**: وفيها عزل **هشام بن عبد الملك أشرس بن عبد الله السلمي** عن إمرة خراسان وولى عليها **الجنيد بن عبد الرحمن**، فلما قدم خراسان تلقته خيول الأتراك منهزمين من المسلمين، وهو في سبعة آلاف فتصافوا واقتتلوا قتالاً شديداً، وطمعوا فيه وفيمن معه لقلتهم بالنسبة إليهم، ومعهم ملكهم خاقان، وكاد الجنيد أن يهلك، ثم أظفره الله بهم فهزمهم هزيمة منكرة، **وأسر ابن أخي ملكهم**، وبعث به إلى الخليفة.

ثم دخلت **سنة اثنتي عشرة ومائة**: ونهض أمير خراسان في طلب الأتراك أيضاً في جيش كثيف، فوصل إلى نهر **بلخ** ووجه إليهم سرية ثمانية عشر ألفاً، وأخرى عشرة آلاف يمنة ويسرة، وجاشت الترك وجيشت، فأتوا **سمرقند** فكتب أميرهم إليه يعلمه بهم، وأنه لا يقدر على صون سمرقند منهم، ومعهم ملكهم الأعظم خاقان، فالغوث الغوث. فسار الجنيد مسرعاً في جيش كثيف هو نحو سمرقند حتى وصل إلى شعب سمرقند وبقي بينه وبينها أربعة فراسخ، فصبحه خاقان في جمع عظيم، فحمل خاقان على مقدمة الجنيد فانحازوا إلى العسكر، والترك تتبعهم من كل جانب، فتراءى الجمعان والمسلمون يتغدون ولا يشعرون بانهزام مقدمتهم وانحيازها إليهم، فنهضوا إلى السلاح واصطفوا على منازلهم، وذلك في مجال واسع، ومكان بارز، فالتقوا وحملت الترك على ميمنة المسلمين وفيها بنو تميم والأزد، فقتل منهم ومن غيرهم خلق كثير، ممن أراد الله كرامته بالشهادة، وقد برز بعض شجعان المسلمين لجماعة من شجعان الترك فقتلهم. فناداه منادي خاقان: إن صرت إلينا جعلناك ممن يرقص الصنم الأعظم فنعبدك. فقال: ويحكم، إنما أقاتلكم على أن تعبدوا الله وحده لا شريك له، ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله.

---

١ - البداية والنهاية: ج٩ ص ٢٥٩.

ثم تناحى المسلمون وتداعت الأبطال والشجعان من كل مكان، وصبروا وصابروا، وحملوا على الترك حملة رجل واحد، فهزمهم الله عـز وجـل، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثم عطفـت الترك عليهم فقتلوا من المسلمين خلقاً حتى لم يبق سوى ألفين، فإنا لله وإنا إليـه راجعـون. وقتل يومئذ سودة بن أبجر واستأسـروا من المسلمين جماعة كثيرة فحملوهم إلى الملـك خاقان فأمر بقتلهم عن آخرهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وهذه الوقعة يقال لها: **وقعة الشعب**. وقد بسطها ابن جرير جداً. ابن كثير ، المصدر السابق

1 القبائل العربية في خراسان تحجم غالبيتها في أعمال الفتح بفعل حياة الاستقرار التي ألفها أتباعها، والسماح للقبائل الموالية للدولة السكن في مرو (مركز الولاية)، في حين تم نقل القبائل المعارضة إلى خارجها.

4 القبائل العربية المنضمة مع الحارث تعود إلى رشدها وتنضم من جديد إلى الأمويين وينفرط عقد التحالف من جديد .

5 والي خراسان، عاصم الهلالي يخبر الخليفة هشام بنفوذ المعارضة فيها، فأشار عليه أن يضمها إلى ولاية العراق تحت إمرة خالد بن عبد الله القسري، فاستجاب له وضمها إلى العراق وولّى عليها أخاه أسداً .

تحالف الأتراك والهياطلة وبعض قبائل العرب ضد الأمويين سنة ١١٦ هـ

٢ الخليفة هشام بن عبد الملك يمد الوالي الجديد عاصم بن عبد الله الهلالي، بعشرين ألفاً من المقاتلين ليسد الفراغ الذي تركه إحجام بعض القبائل العربية في هذا الشأن .

٣ **الحارث بن سريج** يقود تمرداً عسكرياً في سنة ١١٦ هـ، ويزحف نحو **بلخ** لابساً السواد تعبيراً عن نقمته على بني أمية، داعياً إلى كتاب الله وسنة رسوله والبيعة للرضا من آل محمد و يتحالف مع خاقان الترك، وتنضم إليه الهياطلة ثم تهاجم مرو .

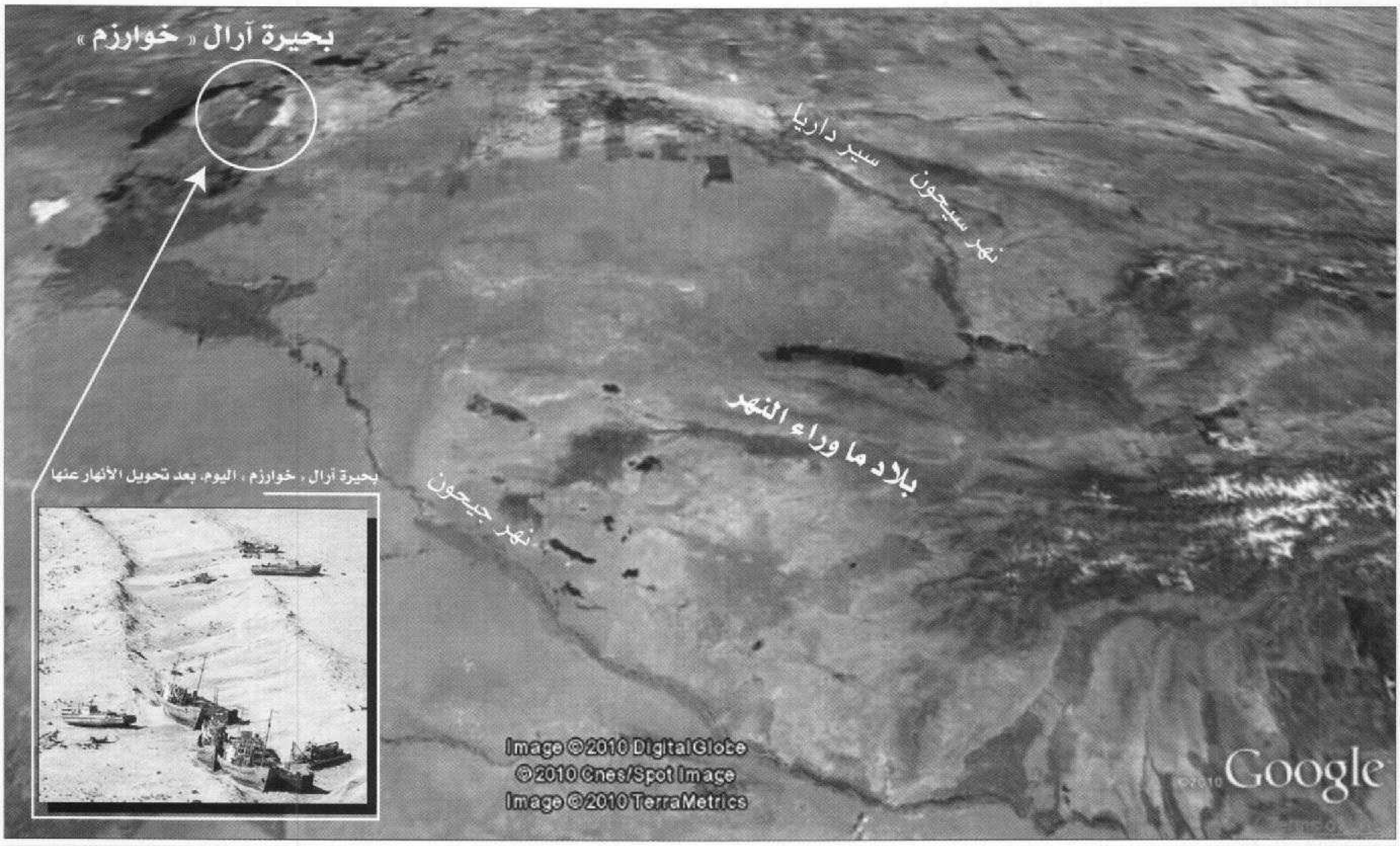

بلاد ما وراء النهر.. والنهر هنا هو نهر **جيحون**، وهو الحد الفاصل إلى حد ما بين الأقوام الناطقة بالفارسية، والتركية أي «إيران، وتوران»، فما كان في شماله أي ورائه من أقاليم سماها العرب ما وراء النهر وهو نهر جيحون، أما عن أصل تسميته فهو اسم أعجمي هو من جاحَهُ إذا استأصلَه ومنه الخطوب الجوائح، وقد سمي بذلك لاجتياحه الأراضين.

وأصل الاسم بالفارسية: هرون وهو اسم لوادي خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان فنسبَه الناس إليها وقالوا: جيحون على عادتهم في قلب الألفاظ.

قال الاصطخري: نهر جيحون يخرج من حدود بذخشان ثم تنضم إليه أنهار كثيرة من حدود الجبل ووخش، فيصير نهراً عظيماً ويمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم، ولا ينتفع به شيء من البلاد في ممره إلا خوارزم، ثم ينصب في بحيرة خوارزم التي بينها وبين خوارزم ستة أيام، وهذا النهر يجمد في الشتاء عند قوة البرد فيصير قطعاً، ثم تصير القطع قطعاً على وجه الماء حتى يلصق بعضها ببعض إلى أن تصير سطحاً واحداً على وجه الماء، ويثخن حتى يصير سمك ذراعين أو ثلاثة أذرع، ويستحكم حتى تعبر عليه العجلات والقوافل المحملة ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق، والماء يجري تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم بالمعاول آباراً يستقون منها ويبقى كذلك شهرين فإذا انكسر البرد تقطع قطعاً كما بدأ أول مرة ويعود إلى حالته الأولى، وهو نهر قتال قلّ أن ينجو منه غريق.

لم ينقطع القتال في بلاد ما وراء النهر أيام هشام بن عبد الملك، واشتهر من القادة كما ذكرنا آنفاً: أسد بن عبد الله القسري، ومسلم بن سعيد، والجنيد بن عبد الرحمن، وسعيد بن عمرو الحرثي ونصر بن سيار.

قال ابن كثير: وفي سنة ١١٩ هـ قتل **أسد بن عبد الله القسري ملك الترك الأعظم وهو خاقان**، وكان سبب ذلك أن أسد بن عبد الله **أمير خراسان** عمل نيابة عن أخيه خالد بن عبد الله على العراق، ثم سار بجيوشه إلى مدينة **خُتّل** فافتتحها، وتفرقت في أرضها جنوده يقتلون ويأسرون ويغنمون، فجاءت العيون إلى ملك الترك خاقان بأن جيش أسد قد تفرق في **بلاد خُتّل**، فاغتنم خاقان هذه الفرصة فركب من فوره في جنوده قاصداً إلى أسد بن عبد الله وتزود خاقان وأصحابه سلاحاً كثيراً، وقديداً مملحاً، وساروا في خلق عظيم، وجاء العيون إلى أسد فأعلموه بقصد خاقان له في جيش عظيم كثيف، فتجهز لذلك وأخذ أهبته، وأرسل من فوره إلى أطراف جيشه، فلمها عليه وأشاع بعض الناس أن خاقان قد هجم على أسد بن عبد الله فقتله وأصحابه، ليحصل بذلك خذلان الجنود فلا يجتمعون إلى أسد، فردّ الله كيدهم في نحورهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم، وذلك أن المسلمين لما سمعوا بذلك أخذتهم حمية الإسلام وازدادوا حنقاً على عدوهم، وعزموا على الأخذ بالثأر، فقصدوا الموضع الذي فيه أسد بن عبد الله، فإذا هو حي قد اجتمعت عليه العساكر من كل ناحية، وسار أسد نحو خاقان حتى أتى جبل الملح، وأراد أن يخوض **نهر بلخ**، وكان معهم أغنام كثيرة. فكره أسد أن يتركها وراء ظهره، فأمر كل فارس أن يحمل بين يديه شاة وعلى عنقه شاة، وتوعد من لم يفعل ذلك بقطع اليد، وحمل هو معه شاة وخاضوا النهر، فما خلصوا منه جيداً حتى دهمهم خاقان من ورائهم في خيل دهم، فقتلوا من وجدوه لم يقطع النهر وبعض الضعفة، فلما وقفوا على حافة النهر أحجموا وظن المسلمون أنهم لا يقطعون إليهم النهر، فتشاور الأتراك فيما بينهم، ثم اتفقوا على أن يحملوا حملة واحدة ـ وكانوا خمسين ألفاً ـ فيقتحمون النهر، فضربوا بكؤساتهم ضرباً شديداً حتى ظن المسلمون أنهم معهم في عسكرهم، ثم رموا بأنفسهم في النهر رمية رجل واحد، فجعلت خيولهم تنخر أشد النخير، وخرجوا منه إلى ناحية المسلمين فثبت المسلمون في معسكرهم، وكانوا قد خندقوا حولهم خندقاً لا يخلصون إليهم منه، فبات الجيشان تتراءى ناراهما، فلما أصبحا مال خاقان على بعض الجيش الذي للمسلمين فقتل منهم خلقاً وأسر أمماً وأخذ أموالاً كثيرة وإبلاً موقرة، ثم إن الجيشين تواجهوا في يوم عيد الفطر حتى خاف جيش أسد أن لا يصلّوا صلاة العيد، فما صلوها إلا على وجل، ثم سار أسد بمن معه حتى نزل مرج بلخ، حتى انقضى الشتاء[1].

١ - ابن كثير، البداية والنهاية، النسخة الرقمية.

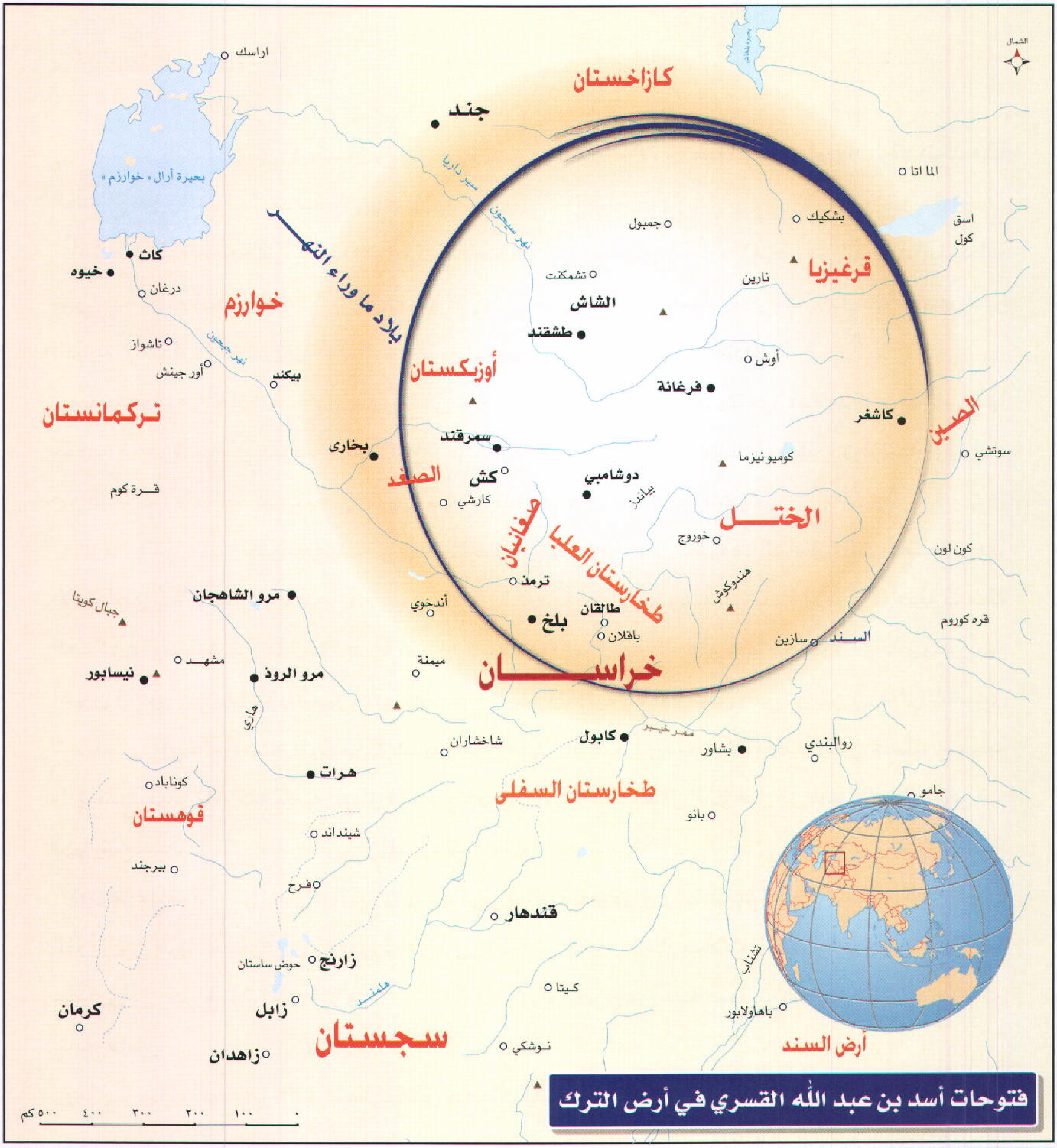

فتوحات أسد بن عبد الله القسري في أرض الترك

حينما وصل المسلمون هرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن فتحصن بها، فاتفق أن لعب بالنرد مع بعض أمرائه فغلبه الأمير فتوعده خاقان بقطع اليد، فحنق عليه ذلك الأمير ثم عمل على قتله فقتله، **وتفرقت الأتراك** فرقاً يعدو بعضهم على بعض، وينهب بعضهم بعضاً، **وبعث أسد إلى أخيه خالد** يعلمه بما وقع من النصر والظفر بخاقان، وبعث إليه بطبول خاقان ـ وكانت كباراً لها أصوات كالرعد وبشيء كثير من حواصله وأمتعته، فأوفدها خالد إلى أمير المؤمنين **هشام** ففرح بذلك فرحاً شديداً، وأطلق للرسل أموالاً جزيلة كثيرة من بيت المال. ابن كثير، المصدر السابق.

ب: الجبهة البيزنطية

استمـر النضـال بين المسلمـين والبيزنطيين في عهد هشام الذي أحيا أعمـال الجهاد، وقد اتخذ هذا الصراع صفة الحرب المقدسة من جانب البيزنطيين.

اهتـم هـذا الخليفة في بادئ الأمر بإنشاء الحصون في مناطـق الحدود لامتصاص الغارات البيزنطية مـن جهة، واتخاذهـا قواعد انطلاق لغـزو الأراضي البيزنطية من جهـة أخرى، فأنشـأ ستة حصون على الطريق العسكري الممتد بين **أنطاكية حتى المصيصة** كما رمم حصن ملطية.

وبعـد عـام من خلافته درج المسلمون على الإغارة سنويـاً على المنطقة، وفتحوا عدة مدن، وحصون منها خنجـرة، خرشنـة، قيصريـة، وصمالـو، وحاصروا عدة مـدن أخرى، منهـا: دور يليوم، ونيقيـة، وطوانة، وبرجمة. كما نفذوا حملات بحرية إسلامية ضد الجزر، مثل: قبرص، وصقلية.

كان رد الفعل البيزنطي تجاه هذا النشاط الإسلامي محدوداً بفعل الظروف الداخلية التي كانت تمر بها الإمبراطوريـة، وتتمثل بالصراع مع عبـدة الأيقونات مما أعطى الفرصة للخليفـة الأموي لمواصلة ضغطه العسكـري وحـدث في عام ١٢٢هـ ٧٤٠م، أن توغلت قوة إسلامية باتجـاه آسيا الصغرى، وحاصرت ربض أكـرن (أكرونيـون) القريبة مـن عموريه، فخرج **ليـو الثالث** بنفسـه على رأس جيشـ بيزنطي للتصدي للمسلمـين واصطدم بهـم في معركة شرسة حقق فيهـا انتصاراً واضحاً وتكبد المسلمـون خسائر جسيمة وارتبطـت بهذا المعركـة قصة البطل التركي المعروف بعبد الله البطّال الذي قُتل في أثناء القتال ودفن في قرية تقع جنوب أسكي شهر ولا يزال قبره قائماً حتى اليوم.

تعد هذه المعركة آخر المعارك الكبرى بين الأمويين والبيزنطيين، وترتب عليها أن جلا المسلمون عن الجزء الغربي من آسيا الصغرى، وتراجعوا نحو الشرق وكما تراجعت حدة الحملات المندفعة وما حدث من نشاط عسكري بين أعوام (١٢٣ - ١٢٥هـ ـ ٧٤١ - ٧٤٣م)، لم يخرج عن كونه صوائف عادية لم تترتب عليها أي نتائج هامة.

وماجـرى مـن تخليص القسطنطينية من هجمات المسلمين وارتـداد هؤلاء عن آسيا الصغرى يعد خاتمة مرحلـة من مراحل النضـال بينهم وبين البيزنطيين، وظلـت المنطقة بفضل نظام الثغـور البيزنطي جزءاً لايتجزأ من الإمبراطورية البيزنطية[١].

---

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ١٥٩ - ١٦٠.

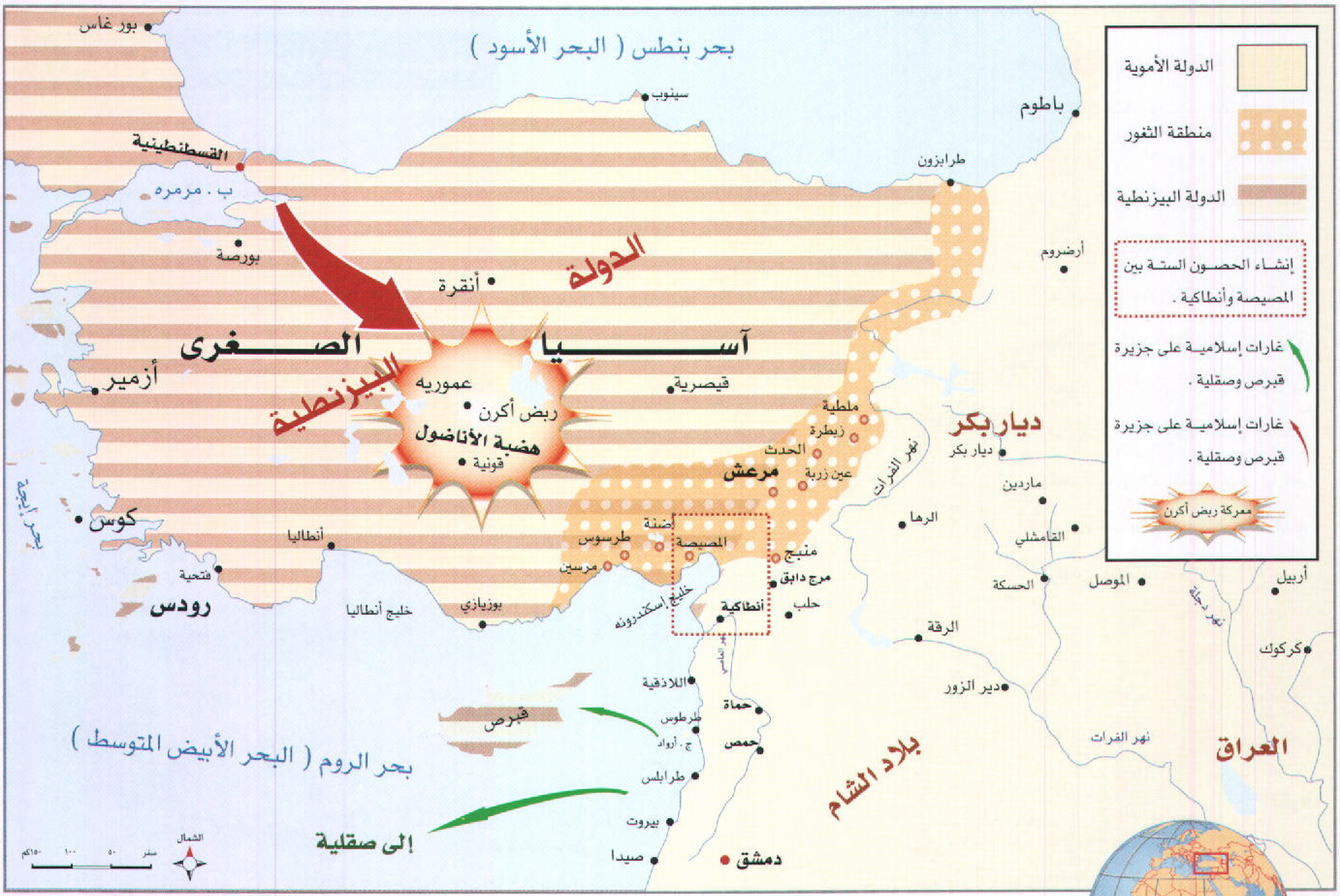

الجبهة البيزنطية في عهد هشام بن عبد الملك

ليو الثالث (٦٨٥ - ٧٤١م) بالإنجليزية Leo III the Isaurian، إمبراطور روماني على الإمبراطورية الرومانية الشرقية « البيزنطية » في الفترة من (٧١٧-٧٤١م) ، وقد استمد ليو الثالث لقبه من إقليم إسوريا Isauris في قليقية. ومن أشهر أعماله تحطيم الصور والتماثيل داخل الكنائس وتحريم تصوير الشخصيات الدينية المقدسة. وقد تشبعت نفس ليو الثالث وهو في صباه بآسيا بفكرة رواقية عن الدين سرت إليه من المسلمين، واليهود، والمانيين، واليعاقبة، ومن تعاليم بولس، وكلها تذم عكوف جمهرة النصارى على عبادة الصور والتماثيل، والحرص الشديد على المراسم والطقوس، والاعتقاد بالخرافات. ولقد نهى العهد القديم في صراحة تامة (الآية الخامسة عشرة من الإصحاح الرابع من سِفر التثنية) المؤمنين على أن يضعوا: "تمثالاً منحوتاً صورة مثال ما، شبه ذكر، أو أنثى شبه بهيمة ما، مما على الأرض... الخ".

عملتان من الذهب تخصان ليو الثالث وابنه قنطسنطين الخامس

استمرار الفتوحات على أرض السـنـد

١ حينما آلت الخلافة إلى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان نشطت حركة الجهاد في **السند** بهدف تثبيت الأوضاع فيها وإخضاع بعض الولايات الهندية المجاورة التي كانت من عوامل عدم استقرار الأوضاع في السند وكان من أشهر قادة المسلمين في بلاد السند، الجنيد بن عبد الرحمن المري، فقد قام بإخضاع **بلاد السند وإقليم كجرات من بلاد الهند** بنجاح وسرعة، وعادت الحياة إلى بلاد السند بالطمأنينة والأمن وكان ذلك عام ١٠٧هـ.

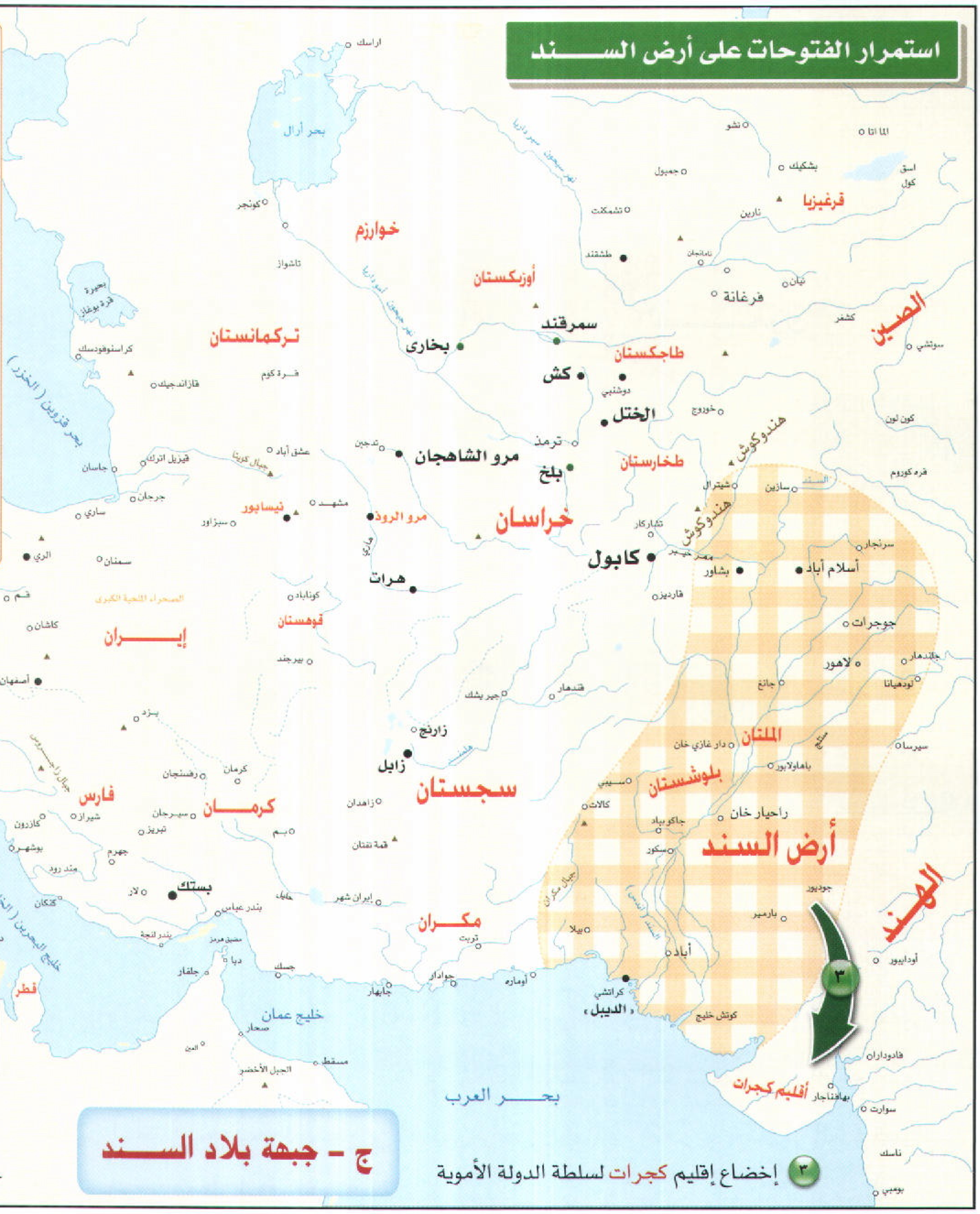

ج - جبهة بلاد السند

٣ إخضاع إقليم كجرات لسلطة الدولة الأموية

٢ بعد نقل الجنيد بن عبد الرحمن إلى خراسان، تولى إمرة السند **تميم بن زيد العتبي** وكان ذلك سنة ١١١ هـ، ولم يكن في كفاءة الجنيد فاضطربت أحوال البلاد وقامت الفتنة بين أهل السند والعرب، وبين العرب أنفسهم، ولما أوشكت البلاد على نشوب حرب داخلية قرر تميم مغادرة البلاد إلى العراق وقد مات بالطريق وعين خالد بن عبد الله القسري **الحكم بن عوانة الكلبي** سنة ١١٢هـ، فأحيا الجهاد وسار سيرة حسنة في السند وكان من عوامل نجاحه اختياره **عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي** وقد أسند إليه الحكم بن عوانة قيادة الجيش، فتحرك عمرو بالجيش لإخماد الفتن فرجع من جولته منتصراً **فاستقرت الأوضاع في السند** ووصى أهلها بولاية الحكم ولقد بقي الحكم في إمارة السند حتى عام ١٢٢هـ حيث خرج على رأس جيش لإخماد الفتن التي ثارت في بعض مناطق السند وفي صحبته عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي فاستشهد الحكم وانتصر جيشه على الأعداء ثم تولى ولاية السند عمرو بن محمد بن القاسم، فكان من أعماله بناء **مدينة المنصورة** لتكون حصناً للمسلمين عند أي هجوم من الأعداء وكانت لعمرو بن محمد أعمال مشكورة وتمتع بمحبة لأهل السند لشهرة أبيه فاتح السند.

ثورات الخوارج في الشمال الإفريقي في عهد هشام بن عبد الملك

د - جبهة شمالي إفريقيا

مع انتشار الإسلام بين الأمازيغ انخرط جلهم مع جيوش الفتح الإسلامي وشاركوا بعملية فتح الشمال الإفريقي كله والأندلس في أقل من نصف قرن، ومع ذلك فإن العلاقات بين العرب والأمازيغ لم يكن يسودها الصفاء بصورة دائمة، لأن الأمازيغ مال بعضهم إلى بعض الفرق الخارجة عن سلطة الدولة، مما جعل بعضهم ينحازون إلى مذهب الخوارج الصفرية أو الإباضية.

بدأ هذا التمرد في غربي البلاد عام (١٢٢هـ/٧٤٩م) بزعامة أحد **رجال مدغرة** من الخوارج الصفرية اسمه ميسرة السقّاء، وبعد مقتل ميسرة على يد أبناء عشيرته لأمور أنكروها عليه، وولّوا أمرهم خالد بن حميد الزناتي، الذي انتصر على الجيش الذي بعث به والي إفريقية عبيد الله بن الحبحاب بقيادة خالد بن حبيب في **موقعة الأشراف** (١٢٢هـ)، فأرسل الخليفة هشام بن عبد الملك جيشاً للقضاء على الثورة بقيادة كلثوم بن عياض الذي هزم أيضاً وقتل (١٢٣هـ)، وألهب هذا النصر الذي أحرزه **الخوارج** حماسة بقية إخوانهم، فثار الخوارج الصفرية من زناتة وهوارة في المنطقة الواقعة بين **قابس في إفريقية وطرابلس في ليبية** **وهددوا العاصمة القيروان**، لولا تمكن حنظلة بن صفوان، عامل هشام بن عبد الملك الجديد، من الانتصار على جيشين لهم بمعونة أهل القيروان في معركتين: معركة **الأصنام** على بعد مرحلة من القيروان، ومعركة **القرن** على بعد ٦ أميال منها أواخر (١٢٤هـ/٧٤٢م).

١ اشتعال شرارة الخوارج الصفرية على يد ميسرة السقاء.

٢ منطقة تأثر الخوارج الصفرية من زناتة وهوارة بثورة مدغرة.

٣ هشام بن عبد الملك يكلف واليه الجديد حنظلة ابن صفوان للقضاء على تمرد الخوارج.

جبهة بلاد الأندلس ومعركة بلاد الشهداء « بواتيه » سنة ١١٤ هـ

بعد وفاة عنبسة متأثراً بجراحه عند عودته من غزوة أرض الفرنجة سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م، وارتد الجيش إلى الداخل وظهر الاضطراب في الجزيرة، وتعاقب ولاة عدة بعده حتى عيّن والي إفريقيا عبيدةُ بنُ عبد الرحمن السلمي عبدَ الرحمن بنَ عبد الله الغافقي والياً على الأندلس بموافقة الخليفة الأموي في دمشق هشام بن عبد الملك، فكانت هذه الولاية هي الثانية، فرحبت الأندلس بتوليته، وأحبه الجند لعدله ورفقه، وجمعت هيبته كلمة القبائل، فتراضت مضر وحمير، وعاد الوئام إلى الإدارة والجيش. وقام عبد الرحمن بزيارة الأقاليم المختلفة، ونظم شؤونها وعهد بإدارتها إلى ذوي الكفاية والعدل، وقمع الفتن والمظالم، وأعاد إلى النصارى كنائسهم وأملاكهم، وعدل نظام الضرائب على أساس العدل والمساواة، وضبط الإدارة، وأصلح الجيش مشاركاً فيه مختلف الولايات. وأعدّ وحدات قوية مختارة من فرسان البربر بقيادة نخبة من القادة العرب، وحصّن القواعد والثغور الشمالية.

نشأ وضع جديد عندما عقد دوق أكويتن (أكيتانيا) تحالفاً مع مينوسة الحاكم المسلم لولايات البيرينيه الشمالية وسبتمانيا موثقاً هذا الحلف بمصاهرة من دون موافقة عبد الرحمن، وكانت غاية التحالف مناوأة حكومة الأندلس، فأرسل عبد الرحمن حملة اجتاحت مناطق الثائر «مينوسة» الجبلية وقتلته وأسرت زوجته ابنة دوق أكيتانيا (لامبيجيا)، التي حُمِلَت إلى دمشق وزوجت هناك من أمير مسلم.

دفعت هذه الأحداث الفرنجة والقوط إلى التحرك لمهاجمة المواقع الإسلامية، مما دفع عبد الرحمن إلى إعداد جيش كبير لاجتياح مملكة الفرنجة كلها، وكان أكبر جيش سيره المسلمون إلى غاليسيا (غاليا - فرنسا) منذ الفتح، وبقصد الثأر لحملة السّمح بن مالك السابقة. وحشد عبد الرحمن قواته في (**بمبلونة**) جنوبي البيرينيه بعدما اخترق أراغون (الثغر الأعلى) ونافار (بلاد البشكنس) ثم عبر البيرينيه من ممرات باب شزروا (رونيسفال)، فاستولى على «آرل»، وتوجه إلى «بردال» وهَزم الدوق وتابع الجنود تقدمهم نحو الشمال مثقلين بالغنائم. واستنجد دوق أكيتانيا أودو بـ «شارل (كارل) مارتل» صاحب السلطة الحقيقية محافظ قصر ملك فرناة الصوري تيودوريك الرابع، وأحس كارل بخطر الهجوم العربي الإسلامي على دولته، التي يسعى إلى ترسيخها، فبادر بسرعة إلى جمع جيش كبير قاده لمواجهة العرب. والتقى الجيشان في موضع بين «تور» و«بواتييه» يبعد عشرين كيلو متراً شمال شرقي بواتييه. وحدثت معركة شرسة في أوائل ١١٤هـ وربيع ٧٣٢م، استشهد فيها قائد الجيش عبد الرحمن، وتراجع الجيش بعد ذلك، وأطلق العرب على موقع المعركة اسم «بلاط الشهداء»، على أن المعركة لم تكن فاصلة، ولم تحل دون حدوث غزوات أخرى لاحقاً [١].

---

١ - يوسف الأمير علي، موسوعة المعرفة، النسخة الرقمية للمجلد الأول، دار الفكر، دمشق - سوريا.

معركة بلاط الشهداء « بواتيه » سنة ١١٤ هـ بقيادة عبد الرحمن الغافقي

القصر (البلاط) القريب من موقعة « بلاط الشهداء » بالقرب من بواتييه بفرنسا

توغل يوسف بن عبد الرحمن، حاكم نربونة بعد سنتين (١١٦هـ/٧٣٤م) في حوض الرون، باتجاه الشمال، ولكن الغزوات اللاحقة كانت أقل عمقاً وأضيق نطاقاً. واستقر المسلمون في الأراضي التي حازوها بحملة يوسف بن عبد الرحمن مدة أربع سنوات، ردهم بعدها شارل مارتل إلى قاعدتهم نربونة، ولم يستطع فتحها إلى أن قام «بيبن» الفرنجي عام ٧٦١م باسترجاع نربونة وبذا سقط آخر معقل للمسلمين في أراضي غاليا أو (غاليش).

لم يولِ المؤرخون العرب والمسلمون بلاط الشهداء أهمية كبرى قياساً بمؤرخي الغرب، ولاسيما المحدثين منهم، الذين عدّوها معركة فاصلة في الصراع بين الإسلام والنصرانية، ردّ فيها الزحف الإسلامي عن غربي أوربا النصراني بأكمله. وقد كان عبد الرحمن الغافقي جندياً مجيداً ظهرت مواهبه الحربية في غزوات غاليا كما كان حاكماً قديراً بارعاً في شؤون الحكم والإدارة يعمل للإصلاح. وتجمع الروايات على رفيع صفاته وتقدير عدله وحلمه وتقاه. والمعروف عنه أنه كان من التابعين روى عن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عياض. (١)

١ - يوسف الأمير علي، موسوعة المعرفة، النسخة الرقمية للمجلد الأول، دار الفكر، دمشق - سوريا .

مرتسم للفنان كارل فان ستوبين لمعركة بلاط الشهداء

يعزو بعض المؤرخين إلى السبب المباشر لهزيمة المسلمين في المعركة هو الحصول على الغنائم التي جمعها المسلمون أثناء زحفهم من المدن التي مروا بها قبل المعركة الفاصلة، فالمراجع متفقة على أنّ الجيش الإسلامي كان يجر قوافل محملة بالغنائم والأسلاب من كل صنف، ولعل تعلق الجند بهذه الغنائم كان كبيراً، لأنهم حملوها معهم حتى نهر اللوار، ولو أحسنوا لبعثوا بها جنوباً إلى الأندلس، حتى يطمئنوا عليها، وتخلو أيديهم للعمل الجاد في المعركة، إنّهم حرصوا عليها فكان هذا الحرص العامل الرئيس والأساس لهزيمتهم، لأن عدوهم استشعر هذا الحرص منهم فعرف كيف يستغله لصالحه.

لقد كانت بواتييه "بلاط" في أواسط تشرين الأوّل ٧٣٢م، أواخر شعبان ١١٤هـ، وتثبت المراجع تفوق المسلمين على أعدائهم في بدء المعركة، ثم حدث أن اندفعت فرقة من الفرنجة إلى خلف صفوف المسلمين، حيث أودع المسلمون غنائمهم، فخشي الكثير منهم أن يستولي الفرنجة عليها، فالتفت بعضهم وعاد إلى الخلف ليبعد الأعداء عنها، وهنا اضطربت، صفوف المسلمين، واتسعت الثغرة التي نفذ منها الفرنجة، ودار القتال بعنف وقوة فزلزل نظام المسلمين، وحاول عبد الرحمن جهده أن يثبت جنده، ويعيد النظام، أو يصرف الجند عن الهلع عن الغنائم فلم يوفق وأصابه سهم أودى بحياته، وكان ذلك بداية الهزيمة، إذا انهال الفرنجة على المسلمين من كل جانب، وصبر المسلمون، حتّى أقبل الليل فانتهزوا فرصة حلول الظلام، وتسلّلوا متراجعين إلى الجنوب على عجل، وكان ذلك في ٢٠ تشرين الأول ٧٣٢م أوائل شهر رمضان ١١٤هـ.

ومن نتائج بلاط الشهداء :تغيير مجرى التاريخ إلى حد كبير، ولم تحل هذه الصدمة دون إعادة الكرّة على فرنسا، إذ إن الهزيمة وحدها لم تكن لتوقف المسلمين عند هذا الحد، بل، كانت لهم بعد كّرات أعقبها النصّر والفتح، غير أن أهمية بلاط الشهداء ترجع إلى أن المسلمين ارتدوا عن فرنسا ولم يحاولوا إخضاعها تاماً ... ولو تحقق إخضاعها كاملة لزالت عصورها الوسطى المظلمة مبكراً، ولحقت بركب الحضارة والتقدم في الأندلس خلال عيشها في رحاب الإسلام، فلا غرابة إذ إن العديد من الكتّاب الغربيين الذين رأوا روعة الإسلام وحضارته أينما حل، اعتبروا نتيجة بلاط الشهداء نكبة كبيرة أصابت أوربة، وضربة عنيفة حرمتها من الحضارة المنيرة وكرامة الإنسان. د. الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٠٢.

الوليد الثاني بن يزيد ١٢٥ـ١٢٦هـ / ٧٤٣ـ٧٤٤م

يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦هـ / ٧٤٤م

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ١٢٧هـ / ٧٤٥م

الفصل الحادي عشر

الوليد بن يزيد

هـو أبـو العباس **الوليد بن يزيد** بن عبد الملك بن مروان . حكم سنة واحدة وشهرين من (١٢٥ - ١٢٦ هـ). أمه بنت محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج. تولى الحكم في دمشق بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك، وقتل من قبل جنده في الحرب التي وقعت بينه وبين ابن عمه يزيد بن الوليد سنة ١٢٦هـ (٧٤٤م) ،كان على رأسهم محمد بن خالد القسري البجلي وكان ذلك في قصر النعمان بن بشير بالبخراء، وحمل رأسه إلى دمشق فنصب بالجامع. وكان الوليد أمر بالقبض على خالد بن عبد الله القسري البجلي وتعذيبه حتى مات، مات الوليد وعمره ٣٨ سنة، ومدة حكمه قصيرة مقارنة بحكام بني أمية السابقين.

يزيد الثالث بن الوليد

هـو **يزيد الثالث بن الوليد** بـن عبد الملك بن مروان (٨٦-١٢٦هـ، ٧٠٥م-٧٤٤م) الخليفة الأمـوي الثـاني عشر. توفي بعد توليـه الخلافة بقليل فلم يدم حكمه أكثر مـن ستة أشهر. سمي بيزيـد الناقص لأنه أراد أن يقتدي بعمر بـن عبد العزيز، فأنقص رواتب الجيش أسوة بعمر بعد أن كان يزيد الثاني الخليفة الأموي قد زادها بعد توليه الخلافة. تولى الحكم بعد قيامه بانقلاب علـى ابن عمه الوليد بـن يزيد حينما استطاع إلقاء القبض على الوليـد الثاني في قصره وقتله. كانـت نفسه تميـل للإصلاح وكان متقشفاً. ولي عهده أخوه إبراهيم بن الوليد. كان أول من خرج بالسلاح في العيدين، سوف يرد تفصيل لسيرته في الصفحات القادمة.

إبراهيم بن الوليد

هـو **أبـو إسحاق إبراهيم بـن الوليد** بن عبد الملك الخليفة القرشـي الأموي، بويع بدمشق عند موت أخيه يزيد « سنة ١٢٦ هـ »، وكان أبيض جميلاً وسيماً طويلاً إلى السمن أقرب، قال معمر: رأيت رجلاً من بني أمية، يقال له: إبراهيم بن الوليد، جاء إلى الزهري بكتاب عرضه عليه، ثم قال: أحدث بـه عنك، قال: إي لعمري فمن يحدثكموه غيري. قـال أبو معشر : مكث إبراهيم بن الوليد سبعين ليلة ثـم خلع، ووليها مروان الحمار. قلت: وعاش إلى سنـة اثنتين وثلاثين ومئة مسجوناً ، وكان ذا شجاعة وأمـه بربريـة، ولم يستقم له أمر فكان جماعة يسلمون عليه بالخلافـة وطائفة بالإمرة وامتنع جماعة من بيعته وقيل: يبايع إبراهيم في كل جمعة ... ألا إن أمراً أنت واليه ضائع

الأوضـــاع الداخليـــة في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك

يذكر التاريخ جنايات كثيرة **للوليد بن يزيد بن عبد الملك** -الوليد الثاني- على الدولة الأموية، وكان أعظمهـا إفساده بني عميـه هشام، والوليد، والوزراء، والولاة اليمانية وهم الدولة، فقد قام بجلد ابن عمه سليمـان بـن هشام وتغريبه إلى **عمَّـان** لأمور كان ينقمها مـن أبيه وهو ولي عهـده، وكان سليمان محبوباً معدوداً من أكابر الرجال علماً وسياسة ودراية بالحروب، ومعرفة بحيلها ومكائدها.

كمـا أراد الوليـد بن يزيد البيعـة لابنيه الحكم، وعثمان وكانا غلامين، وسجـن الوزير سعيد بن صهيب لنهيه إياه عن البيعة لابنيه، فغضب عليه وتركه في السجن حتى مات، وعرض أمر البيعة لابنيه على خالد ابن عبد الله القسري فرفض، وكان خالد رأس ولاة الأمويين، وشيخ وزرائهم، وأعظم قائد لجند اليمانية، فغضـب الوليـد الثاني على خالد. وممـا زاد من غضبه أن خالـد القسري تكتم على اليمنيـة الذين كانوا يخططـون لاغتياله، ولم يدله عليهم، فقد كان الوليد الثاني على علم بما أجمع عليه زعماء مضر وقضاعة واليمانية من الفتك به، فأبى أن يكاشف خالد بما علم اتقاءَ الفتنة [١].

ثم أمر بحبس خالد ودفعه إلى يوسف بن عمر أمره أن يستأدِيَ منه أموال العراق أيام كان عليه؛ فقبض منـه خمسين مليون درهـم، وسار به يوسف بن عمر إلى العراق ومكث في العـذاب إلى أن مات قتيلاً سنة ١٢٦هـ، وكان آل القعقاع يتولون أهم الولايات فـكان الوليد بن القعقاع على قنسرين وعبد الملك أخوه على حمص فعزلهما وعين يزيد بن عمر بن هبيرة، ودفع إليه آل القعقاع فعذبهم ونكل بهم حتى مات الوليد بن القعقاع وأخوه عبد الملك في العذاب، ورجلان من آلهِمَا.

ونظـراً لهذه الأسباب فقـد اضطغن على الوليد آل هشام والوليد ابنا عبد الملك، وآل القعقاع، واليمانية، ومضر، وألّبوا عليه الأمة [٢].

وسرعان ما اندلعت الثورة ضد الوليد الثاني في **دمشق** بزعامة يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وساندته اليمنية بكل ثقلها، وتم السيطرة على العاصمة وقتل الوليد بن يزيد، وانفرط عقد الأسرة الأموية بفرعيها السفيـاني والمـرواني فـي سبيل الحصول علـى الحكم. وبـدأ الصراع القبلـي يأخذ منحى أشـد ضراوة وخطورة.

١، ٢ - د. راغب السرجاني، موقع قصة الإسلام على الشبكة العنكبوتية.

الحركات الداخلية في عهد الوليد الثاني سنة ١٢٦ هـ والتي آلت إلى مقتله

٣ وممن انضم إلى حركة يزيد بن الوليد **القدرية**، وكان يزيد - فيما ذكر بعض المؤرخين - يدين بمذهب القدرية، واستفاد منهم في حث الناس على مبايعته وتأييده وحضّهم على خلع الوليد وسفك دمه. ويبدو أن تأييد القدرية ليزيد بن الوليد سببه محاربة الوليد لهم، وسيره على منهج هشام بن عبد الملك في حربهم.

١ زيّن **يزيد بن الوليد** بن عبد الملك لأنداده من الأمراء الصغار من بني أمية **الثورة** على الوليد واستهواهم بآرائه، وما كان يُظهر من النسك والورع والتواضع؛ فاندفعوا إليه وآمنوا بآرائه، وأيدوا خطته ومطامعه؛ فعملوا على القرب من يزيد إرضاءً لغرورهم وكبريائهم، أو بحثاً عن الوجاهة والنباهة، أو انتقاماً من الوليد؛ لأنه أهملهم وأبعدهم واستهان، وأما الأمراء الأمويون الكبار فإنهم لم ينجحوا في إزالة أسباب الفرقة واستئصال جذور الفتنة لعوامل مختلفة منها ما يعود إلى بُعد بعضهم، وتَسَتُّر العباس بن الوليد بن عبد الملك على أخيه يزيد، ومنها ما يُرَدُّ إلى خبث يزيد ودهائه ومراوغته ومخادعته لأخيه العباس كلما نهره وردعه، ومضيه في العمل والتخطيط واستقطاب الأنصار سراً، ومنها استبداد الوليد بن يزيد برأيه.

٢ تذمّر **اليمنية بالشام والعراق**، وكانوا قد بدأوا يضجون بالشكوى **من بني أمية**، ويتضجرون منهم في نهاية القرن الأول بعد محق عبد الملك بن مروان لعبد الرحمن بن الأشعث الكندي، ومن التفوا حوله من اليمنية وغيرهم، ثم حنقهم على بني أمية في بداية القرن الثاني عندما نكب يزيد بن عبد الملك **المهالبة** وكاد يفنيهم، وتنامي حقد اليمنية في أواخر أيام هشام حين أقصى خالداً عن العراق، وتَصَدّى الوليد بن يزيد لخالد بن عبد الله القسري؛ لأنه قاوم رغباته السياسية فسجنه وأَذِنَ في ضربه، وكان قتل يوسف بن عمر الثقفي لخالد خاتمة النكبات التي حاقت باليمنية، وبعثتهم على التدبير المتقَن لخلع الوليد واغتياله، ثأراً لدماء زعمائهم المراقة، وكرامتهم المهدرة وسلطتهم الضائعة، وقضاءً على نفوذ المضرية من قيس وتميم الذين أيّدوا بني أمية ومكنوهم من اليمنية، ولبلوغ ذلك لجأ اليمنية في الشام إلى وسيلتين: **الأولى:** إعلامية دعائية تحريضية، قصدوا منها استفزاز أبناء عشائرهم، وإذكاء حميتهم وأنفتهم بإثارة العصبية القبلية بينهم وبين القيسية، فوضعوا على لسان الوليد بن يزيد قصيدة طويلة في تقريع اليمنية وذمّهم، والتشفي باندحارهم وتقلّص سلطانهم، وفي تمجيد القيسية والافتخار بجبروتهم وعظمتهم وسحقهم لليمنية، وهي تتوالى على هذا النمط:

ألم تهتج فتذكر الوصالا ... وحبلاً كان متصلاً فزالا
بلى فالدمع منك له سجام ... كماء المزن ينسجل انسجالا
فدع عنك ادِّكار آل سعدى ... فنحن الأكثرون حصى ومالا إلى آخر الأبيات...

وأما الوسيلة **الثانية** التي لجأ إليها اليمنيون فهي التخطيط السري المنظم للثورة على الوليد، فجعلوا يبحثون عن زعيم يثقون به، ويشاركهم آلامهم وآمالهم، فوجدوا بغيتهم في يزيد بن الوليد بن عبد الملك الزعيم المنشود، إذ كان حانقاً على الوليد مثلهم، وكان يبحث عن أنصار مخلصين له، فوجد كل منهما بغيته في الآخر، وزاد من اطمئنان اليمنية إليه وإقبالهم عليه أنه كان مصهراً إليهم، فقد كان متزوجاً امرأة منهم اسمها هند بنت زبان الكلبي، فأتاه رؤساء اليمنية وفاوضوه في خلع الوليد والمبايعة له بالخلافة.

الثورات التي أعقبت مقتل الوليد الثاني سنة ١٢٦ هـ

١ ثـار أهـل **حمص** وكاتبـوا الأجنـاد ودعوهم إلى الطلب بدم الوليد فأجابوهم وعقد هـؤلاء الثّوار بينهم عقـداً تحالفوا عليـه، خلاصتـه أن لا يدخلـوا في طاعة يزيد بن الوليد بن عبد الملك.

٢ تجهـز أهـل **حمص** وساروا إلى **دمشق** حتى وافوا **عذراء** وهي علـى أربعة عشر ميلاً من العاصمـة الأموية. فنهد إليهم عبـد العزيز بن الحجّاج فـي ثلاثة آلاف وأمـره أن يثبت على عقبـة السـلام، وحـين التقى الجيشـان بالثائريـن حمـل عبد العزيز بـن الحجاج فانهزم الثّوار فتبعهم عبـد العزيز فناداه يزيـد بن خالـد القسري : " الله الله في قومـك " فكفّ عنهم على أن يبايعوا ليزيد، وأرسل وجوههم إلى دمشق معتقلين، ولما وصلوا بايعوا مع أهل دمشق ليزيد، فعفا عنهم وأعطاهم أموالاً واستعمل عليهم معاوية بن يزيد بن حصين برضاهم.

٣ **ثـورة أهـل فلسطـين :** ثار أهل فلسطين لما أتاهم نبأ مقتل الوليد وكان رئيسهم يومئـذ سعيـد بن روح بن زنباع. فكتب إلى يزيد بن سليمان بن عبد الملك: أن الخليفة قد قُتِل، فأقدم علينا نولك أمرنا. فجمع له سعيد قومه وكتب إلى عامل فلسطين سعيد ابـن عبـد الملك وهو نازل بالسبعَ. ارتحل عنّا فإن الأمـر قد اضطرب وقد ولينا أمرنا رجلاً ارتضيناه. فخرج ولحق بيزيد بن الوليد. د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ج ٢، ص ٥٣١ .

٤ **ثورة أهل الأردن،** بلغ أهل الأردن ما فعل الفلسطينيون، فتابعوهم وولّوا عليهم محمـد بن عبـد الملك، فبعـث إليهـم **يزيد** سليمـان بن هشـام في أجنـاد **دمشق وحمص**، فارتحل بالجنود إلى أن أشرف على **طبَريّـة**، فوافاه إليها الثّوار، فأوفد إليهـم رسوله محمد بن راشـد يكلّم سعيداً وضبعان ابنـي روح، والحكم وراشد ابني جـرو، فلقيهـم فوعدهـم ومنّاهـم على الدخول فـي طاعة يزيد فبايعـوه على الرضا وصرفـوا الجنود ووقـي الله منهم، ووفى لهم يزيد بما واعدهـم محمد بن راشد من الولايـات. ثـم تحول سليمان بجنـوده إلى الرملة وأخـذ البيعة على أهلهـا . د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ج ٢، ص ٥٣١ .

سلامة الوليد من الزندقة والكفر :

زيف بعض الرواة حديثاً رموا فيه الوليد بالتجبر والكفر وجعلوا توليه الخلافة نذيراً بانهيار الدولة الأموية، وبشيراً بقرب قيام الدولة العباسية، وهو حديث رواه أحمد بن حنبل فقال : حدثنا ابن عباس قال : حدثني الأوزاعي وغيره عن الزهري، عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : ولد لأخي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسمّوه الوليد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **سميّتموه بأسماء فراعنتكم ليكوننَّ في هذه الأمة رجل يقال له : الوليد لهو شّر على هذه الأمة من فرعون لقومه** وإسناد الحديث ضعيف لانقطاعه، فسعيد بن المسَيب لم يدرك عمر بن الخطاب إلا صغيراً ولم يَرو عنه، وإنما روى عن غيره من الصحابة الذين ذكرهم ابن سعد . والراجح أن الحديث موضوع . ونقل علماء اليمنية كالأزدي، وعلماء الشيعة كالشريف المرتضى، أن الأوزاعي سأل الزهري : أي الوليدين هو؟ فقال : إن استخلف الوليد بن يزيد فهو هو، وإلاّ فهو الوليد بن عبد الملك ، فلما استتبّ الأمر للعباسيين وثبت سلطانهم، عزف خلفاؤهم وأمراؤهم وولاتهم عن قذف الأمويين بالخروج على الإسلام، فخلت خطبهم من تكفير الأمويين، وصدَّ المهدي والرشيد الرواة الذين كانوا يُداهنونهما عن التعريض بالأمويين وتجريحهم، بل إنهما انتصرا للوليد، **ونفيا عنه تهمة الزندقة** ونزّهاه عنها، إذ إن المهدي كان إذ ذُكر الوليد في مجلسه يقول : رحمه الله، ولا رحم قاتله، فإنه كان خليفة مجمعاً عليه. وقيل له : إن الوليد كان زنديقاً، فقال : إن خلافة الله أعز وأجلُّ من أن يوليّها من لا يؤمن. ويروى أن ابناً للغمر بن يزيد ابن عبد الملك دخل على الرشيد فقال ممّن أنت ؟ قال : من قريش. قال : من أيّها ؟ فأمسك. قال : قل وأنت آمن، ولو إنك مروانيٌّ. قال : أنا ابن الغمّر بن يزيد . قال : رحم الله عمّك، ولعن يزيد النّاقص وقتلة عمِّك جميعاً، فإنهم قتلوا خليفة مجمعاً عليه. ارفع حوائجك فرفعها فقضاها وقد تَنَّبه كثير من المؤرخين إلى أن الأخبار التي تقدح في دين الوليد وتتهمه بالزندقة مصنوعة، فتوقف فريق منهم عندها، وتحرَّجوا من رواياتها ولم يستطيعوا القطع برأي فيها، منهم ابن شاكر فإنه يقول : اتهمه بعضهم بالزندقة والانحلال والله أعلم. واليافعي يقول : ذكروا عنه أشياء قبيحة في الدين والعرض أكره ذكرها، والله أعلم بذلك. ولكن فريقاً من المؤرخين رفضوها، وجزموا بوضعها، وأشار بعضهم إلى أنها أثر من آثار السياسة، منهم ابن الأثير فإنه يقول : وقد نزه قوم الوليد بن يزيد مما قيل فيه، وأنكروه ونفوه عنه وقالوا : إنه قيل عنه، وأُلصقَ به، وليس بصحيح، والذهبي يقول : لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة، وابن خلدون فإنه يقول: لقد سارت القالة فيه كثيراً وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا : إنها من شناعات الأعداء، ألصقوها به ، وابن تغري بردي فإنه يقول : ذكر عنه بعض أهل التاريخ أُموراً استبعد وُقُوعها، وكرر السيوطي. رأي الذهبي واقتصر عليه. وهذا هو الصحيح والله أعلم إن مقتل الوليد بن يزيد وقتال الأمويين بعضهم لبعض حطمت قواهم وعجلت بزوالهم. د . علي الصلابي، الدولة الأموية، ج ٢، ص ٥٣١ - ٥٣٣ .

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٦ هـ

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأمه شاه آفريد بنت فيروز بن يزدجرد، آخر ملوك الفرس ، وكان يجمع في أصوله بين الدم العربي والفارسي والرومي والتركي، فجده لأبيه عبد الملك بن مروان، وهو عربي، وجده لأمه فيروز بن يزدجرد وهو فارس وجدة جده لأمه ابنة قيصر، وأم جدته لأمه ابنة خاقان الترك، فكان يفخر ويقول :

أنا ابن كسرى وأبي مروان وقيصر جدي وجدي خاقان

لما وافت يزيد البشائر بخمود الفتن خرج إلى الجامع في موكب مشهود وألقى ما يسمّونه في العصور الحديثة خطاب العرش وقد ضمن فيه أصول سياسته في الحكم. وتعتبر خطبته أوفى صياغة لمشروعه « انظر المستند » وفي عهده لم يكن لعلماء أهل السنة والجماعة مجال، حيث تبني يزيد طائفة القدرية - اتباع غيلان الدمشقي - والتف حوله أقطابها وأفسح لهم المجال إذ قاموا بنصرته في خلعه للوليد وقتله . ومن منهجهم إذا كانت لهم السلطة وبيدهم مقاليد الأمور أن عليهم أن يحملوا الناس على مذهبهم واعتقاد مبادئهم فلذا لن يقبلوا من العلماء المخالفين لهم مزاحمة، بل لعلهم كانوا يهيئون لإحداث محنة بهم وقد بدت بوادر هذه المحنة حيث يذكر بعض المؤرخين أن يزيد بن الوليد لما تم له الأمر دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه . ولكن الله حال بينه وأصحابه وبين ما يشتهون حيث لم تدم خلافته أكثر من ستة أشهر، وكما قال الذهبي : ولكنه لم يمتع وما بلعَ ريقه (١) .

وفاته : مات يزيد الناقص في سابع ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، فكانت دولته ستة أشهر، ومات. وكان شاباً أسمر نحيفاً، حسن الوجه، وقيل : مات بالطاعون، وبويع من بعده أخوه إبراهيم بن الوليد، ودفن بباب الصغير وكان آخر ما تكلم به : واحسرتاه وآسفاه. وكان نقش خاتمه يا يزيد قم بالحق (٢) .

خطبة يزيد بن الوليد

خطب أمير المؤمنين يزيد بن الوليد الناس بدمشق فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك وما بي إطراء نفسي وإني لظلوم لها، ولقد خسرت إن لم يرحمني ربي. ولكني خرجت غضباً لله ودينه، وداعياً إلى الله وسنة نبيه، لما هدمت معالم الهدى، وأطفئ نور التقوى وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة، والراكب لكل بدعة، مع أنه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب، ولا يصدق بالثواب والعقاب، وإنه لابن عمي في النسب وكفئ في الحسب فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره وسألته أن لا يكلني إلى نفسي، ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهل بيتي حتى أراح الله منه العباد وطهر منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي : أيها الناس إن لكم عليّ أن لا أضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة، ولا أكري نهراً ولا أكنز مالاً، ولا أعطيه زوجاً ولا ولداً، ولا أنقل مالاً من بلد إلى بلد حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم، فإن فضل فضل نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج إليه منه وأن لا أجمّركم في ثغوركم فافتنكم أهليكم، وأغلق بابي دونكم، فيأكل قويكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجلبهم به عن بلادهم وأقطع نسلهم، ولكم عندي أعطياتكم في كل سنة، وأرزاقكم في كل شهر، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم، فإذا أنا وفيت لكم فعليكم بالسمع والطاعة وحسن الموازرة والمكاتفة، وإن أنا لم أوف لكم فلكم أن تخلعوني، إلا أن تستتيبوني، فإن أنا تبت قبلتم مني، وإن عرفتم أحداً يقوم مقامي ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من بايعه ودخل في طاعته. أيها الناس، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

ابن جرير، تاريخ الطبري (١٤٨/٨) المستند

١، ٢ - د . علي الصلابي، تاريخ الدولة الأموية، ص ٥٣٤ - ٥٣٩.

خلافة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٧ هـ [١]

استهلت هذه السنة والخليفة **إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك** بوصية أخيه يزيد الناقص إليه، وبايعه الأمراء بذلك، وجميع أهل الشام إلا أهل **حمص** فلم يبايعوه، وقد تقدم أن مروان بن محمد الملقب بالحمار كان نائباً بأذربيجان وأرمينية، وتلك كانت لأبيه من قبله، وقد كان نقم على يزيد بن الوليد في قتله الوليد بن يزيد، وأقبل في طلب دم الوليد، فلما انتهى إلى حران أناب وبايع يزيد بن الوليد، فلم يلبث إلا قليلاً حتى بلغه موته، فأقبل في أهل الجزيرة حتى وصل قنسرين فحاصر أهلها فنزلوا على طاعته، ثم أقبل إلى حمص وعليها عبد العزيز بن الحجاج من جهة أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد فحاصرهم حتى يبايعوا لإبراهيم بن الوليد، وقد أصروا على عدم بيعته، فلما بلغ عبد العزيز قرب مروان بن محمد ترحل عنها، وقدم مروان إليها فبايعوه وساروا معه قاصدين دمشق، ومعهم جند الجزيرة وجند قنسرين، فتوجه مروان إلى دمشق في ثمانين ألفاً، وقد بعث إبراهيم بن الوليد سليمان بن هشام بن عبد الملك في مائة وعشرين ألفاً، فالتقى الجيشان عند **عين الحر** من البقاع، فدعاهم مروان إلى الكف عن القتال وأن يتخلوا عن ابني الوليد بن يزيد وهما الحكم وعثمان اللذان قد أخذ العهد لهما، وكان يزيد قد سجنهما بدمشق، فأبوا عليه ذلك، فاقتتلوا قتالاً شديداً من حين ارتفاع النهار إلى العصر، وبعث مروان سرية تأتي جيش سليمان بن هشام من ورائهم، فتم لهم ما أرادوه، وأقبلوا من ورائهم يكبرون، وحمل الآخرون من تلقاهم عليهم، فكانت الهزيمة في أصحاب سليمان، فقتل منهم أهل حمص خلقاً كثيراً واستبيح عسكرهم، وكان مقدار ما قتل من أهل دمشق في ذلك اليوم قريباً من سبعة عشر ألفاً أو ثمانية عشر ألفاً وأسر منهم مثلهم، فأخذ عليهم مروان البيعة للغلامين ابني الوليد، الحكم وعثمان، وأطلقهم كلهم سوى رجلين وهما يزيد بن العقار والوليد بن مصاد الكلبيان، فضربهما بين يديه بالسياط وحبسهما فماتا في السجن، لأنهما كانا ممن باشر قتل الوليد بن يزيد حتى قتل. وأما سليمان بن هشام وبقية أصحابه فإنهم استمروا منهزمين، فما أصبح لهم الصبح إلا بدمشق فأخبروا أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد بما وقع، فاجتمع معهم رؤوس الأمراء في ذلك الوقت وهم عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد بن عبد الله القسري، وأبو علاقة السكسكي، والأصبغ بن ذؤالة الكلبي ونظراؤهم، على أن يعمدوا إلى قتل ابني الوليد الحكم وعثمان، خشية أن يليا الخلافة فيهلكا من عاداهما وقتل أباهما، فبعثوا إليهما يزيد بن خالد بن عبد الله القسري، فعمد إلى السجن وفيه الحكم وعثمان ابنا الوليد وقد بلغا، ويقال وولد لأحدهما ولد فشدخها بالعمد، وقتل يوسف بن عمر – وكان مسجوناً معهما – وكان في سجنهما أيضاً أبو محمد السفياني فهرب فدخل في بيت داخل السجن وجعل وراء الباب ردماً، فحاصروه فامتنع، فأتوا بنار ليحرقوا الباب. ثم اشتغلوا عن ذلك بقدوم مروان بن محمد وأصحابه إلى دمشق في طلب المنهزمين. أ. هـ.

---

١ – ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٢٥٣.

البيت المرواني

مروان بن محمد

الفصل الثاني عشر

١٢٧ـ ١٣٢هـ / ٧٤٤ـ ٧٥٠م

هو أبو عبد الملك، **مروان بن محمد** بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي الأموي، - (٧٢ هـ-١٣ ذي الحجة ١٣٢هـ/٢٣ يوليو ٧٥٠ م) -، أمير المؤمنين، آخر خلفاء بني أمية، وأمه **أمة كردية** يقال لها: لبابة، وكانت لإبراهيم بن الأشتر النخعي، أخذها محمد بن مروان يوم قتله فاستولدها مروان هذا، ويقال: أنها كانت أولاً لمصعب بن الزبير [١].

يعرف مروان بن محمد بمروان الحمار، وبمروان الجعدي نسبه إلى مؤدبه جعد بن درهم ويقال: أصبر في الحرب من حمار، وكان مروان بطلاً شجاعاً داهية رزيناً جباراً يصل السير بالسرى، ولا يجف له لبد، دوخ الخوارج بالجزيرة، ويقال: بل العرب تسمي كل مئة عام حماراً فلما قارب ملك آل أمية مئة سنة، لقبوا مروان بالحمار وذلك مأخوذ من موت حمار العزير عليه السلام وهو مئة عام ثم بعثهم الله تعالى مولد مروان بالجزيرة في سنة اثنتين وسبعين إذ أبوه متوليها وأمه أم ولد وقد افتتح في سنة خمسين [٢].

كان مروان بن محمد قبل أن يتولى الخلافة الأموية حاكماً على ولاية أرمينية وأذربيجان تولاها سنة (١١٤ هـ = ٧٣٢م) من قبل هشام بن عبد الملك، فأظهر كفاءة وقدرة في إدارة شؤون ولايته وبذل جهداً كبيراً في ضبط أمورها، ورد غارات الترك والخزر على حدود ولايته، وظلّ مروان على ولايته حتى نجح في الجلوس على كرسي الخلافة الأموية بعد أن لعبت به الأهواء. ولم تكن الظروف التي تولى فيها مروان بن محمد تساعده على الخروج بدولة الخلافة من أزمتها، بل كانت مضطربة تغلي كالمرجل فتحمل هو عبء أوزارها، وحاول بكل ما يملك من قوة إصلاح اعوجاجها، ولكنه كلما خلص من أزمة ظهرت له أخرى، كأنها تنتظره فأنهكت قواه، واستغرقت جهده ووقته، ولم تدع له فرصة للتفسير الهادئ والتأمل الرزين. وكانت دمشق معقل الأمويين ومركز أنصارهم منقسمة على نفسها شيعاً وأحزاباً، وامتد هذا إلى الشام كله، وأصبح الأمر كله منذراً بالخطر، فحاول مروان أن يهدئ النفوس، ويسكن القلوب الثائرة بأن عرض على أهل الشام أن يختاروا من يرضونه والياً عليهم دون نظر إلى عصبيته وقبيلته، ففعلوا ذلك، وبهذه الخطوة الطيبة نجح مروان في أن يرتّب أوضاع الشام وأن يعيد الهدوء والنظام إليها [٣].

اتخذ مروان من مدينة حرّان في أقصى الشمال من بلاد الشام مقراً له بعيداً عن قلب الشام المضطرب، وقريباً من مكامن الخطر في الشرق، وفي كل الأحوال فقد اعتبر الكثيرون عملية نقل العاصمة إلى حران إساءة كبيرة لأهل الشام عامة، لم يستطع الوقوف في طريق المؤامرات والفتن التي عصفت بدولته. هزم في معركة الزاب الحاسمة، وسقطت دولة الأمويين بعدها، وقيل إنه استمر متخفياً حتى عثر عليه في قرية « أبوصير » المصرية وقتل في ١٣ من ذي الحجة سنة ١٣٢هـ.

أهم مصادر ومراجع الصفحة

١ - ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، الجزء العاشر، النسخة الرقمية .

٢ - شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، النسخة الرقمية .

٣ - أ. أحمد تمام، مروان بن محمد والإنقاذ المستعصي، موقع إسلام أون لاين .

خلافة مروان بن محمد سنة ١٢٧ - ١٣٢ هـ

رغم أن الدولة الأموية انتهت وانهارت في عهده أو بنهاية خلافته إلا أنه يعتبر من فرسان بني أمية وشجعانهم ولم يكن مروان من القادة العاديين، فهو إلى جانب مهارته في القيادة وحيله الحربية ومعرفته بنفوس المحاربين، فاجأ العدو بخطط حربية لم يألفها، فكان بعدد صغير من الجيش يقضي على عدد كبير من الأعداء ويذكرنا مروان ابن محمد في حروبه برومل بطل الألمان في حربه للإنجليز بشمال إفريقية في الحرب العالمية الأخيرة [١].

وكان من عبقرية مروان أنه لم يعتمد على التنظيم القبلي، بل جعل جيشه مقسماً أقساماً متشابهة متكاملة في أجزائها، تستطيع الفرقة أن تلعب في ميدان القتال بمفردها ما تفعله عّدة قبائل غير متجانسة، وكان مروان يلقي بكتيبة من كتائبه في الحرب فرقة بعد فرقة، فإذا ظن العدو أنه تمكن من الكتيبة التي تحاربه، أتته كتيبة أخرى تذهله بقوتها الجديدة وعلى كل كتيبة اسم تسمى به " كالذاكونية والوضاحية" . وهذه الكتائب تتكون من الأفراد المدربين، كل منهم ذو عمل محدد يتقنه والانسجام مطلوب منهم في أعمالهم، وهم لا يعتمدون على الغنيمة التي تدرها الحرب عليهم، بل على أجور منتظمة يأخذونها وتكفيهم أودهم وقد حققت خططه في القتال انتصارات كثيرة على خصومه، حتى لندهش من المعارك العديدة التي قارع فيها مروان خصومه، فكان يقضي عليهم الواحد بعد الآخر، مع أن ظاهر أمله في النجاح ضعيف، وكان مروان شيخاً محنكاً حين توفي يزيد بن الوليد، فقد كان تجاوز الخامسة والخمسين من العمر، وكان يعد شيخ بني أمية، وهو رجل ذو طموح عجيب، وقد وجد أن من بقي من بني أمية لم يكونوا بمستواه من القدرة والقوة والكفاءة، فطمع إلى الخلافة، وتلك بادرة من بوادر انهيار الدولة الأموية، فبدلاً من أن تنتقل الخلافة بالعهد – كما هو السائد في النظام الأموي – صار الطامحون يسعون إليها بالقوة، أو بالمؤامرات، كما فعل يزيد بن الوليد قبل مروان هذا، وتظهر رغبة مروان في أن يلعب دوره في الوصول إلى الخلافة حين امتنع عن مبايعة يزيد بن الوليد واعتبره مغتصباً للخلافة وأراد أن يعلن عصيانه عليه لولا أن يزيد تلافى ذلك بتثبيته على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان والموصل، فرضي وبايع ليزيد، ولكن يزيد لم يلبث أن توفي سريعاً، في نهاية ١٢٦هـ وكان قد عمل قبل وفاته لأخيه إبراهيم بن الوليد فبايعه بعض الناس بالخلافة [٢].

لم يستقر الأمر لخلافة إبراهيم بن الوليد وأخذ مروان يزحف على دمشق، وقد هزم وهو في طريقه إليها جيش إبراهيم بن الوليد الذي كان قد أرسله لإخماد ثورة أهل حمص وفر قائد الجيش سليمان بن هشام إلى دمشق فاستولى هو وإبراهيم بن الوليد على ما في بيت المال وفرا هاربين، تاركين دمشق مفتوحة الأبواب، فدخلها مروان، فوجد ابن الوليد ابن يزيد – الحكم وعثمان – قد قتلا ولما كانا في نظره، هما أصحاب الحق الشرعي في الخلافة، وأنه ما خرج إلا للمطالبة بدم أبيهما وحقهما فيها، وبعد موتهما لم يعد هناك من يستحقها غيره خصوصاً بعد أن شهد له أبو محمد السفياني بأن ابني الوليد عهدا له بها وتقدم وبايعه وتبعه الناس فبايعوا مروان وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٧هـ، وبهذا أصبح مروان آخر الخلفاء الأمويين [٣].

١- د . يوسف العش، الخلافة الأموية، ص ٤١٠ .

٢ ،٣ - د . علي الصلابي، تاريخ الدولة الأموية، ص ٥٤١ - ٥٤٢.

الأوضاع السياسية في مستهل خلافة مروان

أول خطـر داهم مروان بن محمد هو انقسام الأمويين على أنفسهم، والذي كان من أسوأ نتائجه انقسام كتلتي العـرب الرئيستـين فـي **الشام** وهمـا: **اليمنيون والقيسيون**، فقـد انقلب اليمنيون ضد مروان، وانحاز القيسيـون إليه، وتظهـر خطورة هذا الانقسـام في أنه حـدث في مقر الخلافـة الأموية (دمشـق) وبين أكثر أنصـار الأمويين قوة، ولهـذا كان اضطـراب الأمر في الشام، إيذاناً باضطراب أمر الدولة كلها.

١ بعـد أن تم الأمر لمـروان الثاني واستقر له الحكم في بلاد الشام، أقـام **بحـرّان** وجعلها حاضرته، وهذا بفعـل نشأته فيها في ظل غلبة القيسية، وقد أدى ذلك إلى انحراف اليمنية عنه. د.طقوش

٢ حـاول مروان منذ بيعته في دمشـق، أن يهدىء خواطر الناس، وأن يبعـث الثقة في النفوس، فلما بايعـه النـاس عرض عليهم أن يختاروا بأنفسهم من يرضون من الولاة لولايات **الشام** الرئيسة، يقول الطبري: "فأمرهم أن يختاروا لولاية أجنادهم، فاختار أهل دمشق زامل بن عمرو الجيراني، وأهل حمص عبد الله بن شجرة الكنـدي، وأهل الأردن الوليد بن معاوية بن مروان، وأهل فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي".

٣ بعد نقل الخلافة انضم اليمنيون إلى الدعوة العباسية، وشعر أهل الشام أنهم خسروا مكانة دمشق، وما كان يجره ذلك من خيرات، لذلك عمت النقمة بلاد الشام. د.طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ١٧٤

ثورات الشام ضد خلافة مروان بن محمد

١ خروج أهل **حمص** ١٢٧هـ : كان أهل حمص قد بايعوا مروان الثاني وساروا معه إلى دمشق، إلا أنهم خرجوا على حكمه بعد ذلك، وحاول مروان الثاني في بادئ الأمر، إصلاح الأحوال بالطرق السلمية، إلا أن أهل حمص لم يرتدعوا، عندئذ اضطر **الخليفة** أن يخرج بنفسه لوضع حد لحركتهم، وكانت له مع أهل حمص وقائع حاسمة انتصر فيها عليهم وهدم أسوار المدينة . د. الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٤٥ .

٢ ثورة أهل **الغوطة** سنة ١٢٧هـ : بينما كان مروان مشغولاً بقمع ثورة حمص، نشبت ثورة أخرى في الغوطة فقد ثار أهلها وولوا زعيماً يمنياً، وهو يزيد بن خالد القسري، وساروا إلى دمشق فحاصروها، ولكن مروان أرسل إليهم وهو في حمص قائدين من قواده، هما أبو الورد بن الكوثر بن زفر بن الحارث، وعمر بن الوضاح في عشرة آلاف : فلما دنوا من المدينة حملوا عليهم، وخرج عليهم من بالمدينة، فانهزموا واستباح أهل مروان عسكرهم، وأحرقوا المزة وقرى اليمانية وأخذ يزيد بن خالد فقتل، وبعث زامل ابن عمرو والي دمشق برأسه إلى مروان بحمص. د. الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٤٥ .

٣ ثورة أهل **فلسطين** ١٢٧هـ : أعلن والي فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي الثورة على مروان بن محمد، ولكن الخليفة الأموي الجديد عاجله وكتب إلى أبي الورد الذي قمع ثورة الغوطة، وفك حصار دمشق، أن يسير إلى ثابت، فلما صار أبو الورد قريباً منه خرج أهل طبرية على ثابت فهزموه واستباحوا عسكره وتبعه أبو الورد فالتقوا واقتتلوا، فهزمه أبو الورد ثانية، وتفرق أصحابه وأسر ثلاثة من أولاده وبعث بهم إلى مروان واستطاع الوالي الجديد الذي عينه مروان على فلسطين وهو الرماحس بن عبد العزيز الكناني أن يقبض على ثابت ابن نعيم وأن يرسله إلى مروان، فأمر بقتله هو وأولاده الثلاثة .د. الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٤٥ .

إذا كانت بلاد الشام قد رفعت راية العصيان ضد حكم مروان بن محمد فطبيعي أن تقوم في **العراق** حركات أشد خطراً، خاصة وأنه الإقليم الأكثر عداوة للحكم الأموي، منذ أن أصبحت بلاد الشام مركز السلطان، **واشتُهرَ العراق بأنه مركز الشيعة، وحركات الخوارج** وتستعر في نفوس أهله عصبية إقليمية غدت بموجبها الهوية العراقية، منطلقاً لتطرف لا حدود له ضد كل نزعة شامية. ووجد **الخوارج** في تصدع بني أمية فرصة للانتفاضة ضد الحكم الأموي، وتوجيه ضربة قاسية إلى مروان بن محمد قد تنهي حكم أسرة طالما مقتوها وأرادوا التخلص منها، وتميزت حركتهم في هذه الفترة بالشمولية، فبعد أن كانت قلة العدد طابع جيوشهم، أضحوا الآن يقاتلون بأعداد جماهيرية كبيرة. فيبدو أن حركة الخوارج بعد تسعين عاماً من العمل العقائدي الثوري، غدت أكثر عدداً بما انضم إليها من مختلف الطبقات، إذ لم تعد تقتصر على المؤمنين الصادقين في إيمانهم الخارجي كما في السابق، بل أضحت حركة سياسية أكثر منها حركة دينية، وفتحت أبواب صفوفها لكل من يجيء إليها صادقاً أو غير صادق ذا رأي قد لا يتفق تماماً مع مبادئه، ولكنه يشاركها العداء لبني أمية. وتعددت حركاتهم بعد مقتل الخليفة الوليد الثاني في عام ١٢٦هـ وكان مسرحها العراق وشبه الجزيرة العربية، حيث دخلوا **الكوفة**، واستولوا عل **البصرة** وعلى **حضرموت** إلا أن مروان بن محمد تصدى لهم وهزمهم في أكثر من معركة في نواحي **كفرتوثا** من أعمال **ماردين**، وفي **عين التمر**، وفي **جيرفت**، وفي **وادي القرى** شمالي الحجاز، وتغلب عليهم وأجلاهم عن العراق، واستعاد سيطرته على الحجاز واليمن. من أبرز قواد الخوارج في تلك الفترة **الضحاك بن قيس الشيباني** الذي قام بثورته في العراق ما بين أعوام ١٢٧- ١٣٠هـ، **وأبو حمزة الخارجي** الذي قام بثورته في الجزيرة العربية ما بين أعوام ١٢٨- ١٣٠هـ. د. محمد سعيد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ١٧٦ - ١٧٧.

تزعـم عبـد الله بـن معاوية بن عبد الله بن جعفر آخر حركة قام بها **الشيعة** ضد الدولة الأمويـة وانضم إليها شيعة **الكوفة** وبايعوه بالخلافة وخرج في شهر محرم مـن عـام ١٢٧هـ / ٧٤٤م لقتـال أهل الشام في **الحيرة** ، ويبدو أن الشيعة خذلوه عندما نشب القتال، وفروا من أرض المعركة ولم يثبت معه سوى **ربيعة والزيدية**، فاضطر إلى التراجـع إلى الكوفـة، وتبعه الأمويون، وشهدت شوارع المدينة مجابهات عنيفة بين الطرفـين وتمكن الجيش من السيطرة على الموقف. ومنحه الوالي الأموي عبد الله ابـن معاويـة الأمـان والإذن بالانسحاب، فارتحل إلى **فارس** حيث أعاد تنظيم صفوفه وقوي أمره بمـا انضم إليه من الموالي، والعبيـد، والعباسيين الثائرين على الحكم الأموي، والأمويين الناقمين على مروان الثاني، وكل طامع في عطية أو وظيفة وبقايا الخوارج الذي طردهم مروان الثاني في الموصل . وكان الحشد الذي التف حوله غير متجانس كل ما يجمعه هو العداء لمروان الثاني، لذلك لم يستطع المواجهة، ولم يتم له الصمود والاستمرار طويلاً ، فانفرط عقده عند أول هزيمة مني بها أمام قوات مروان الثاني عند مدينة " مرو الشاهجان " في نهاية عام ١٢٩هـ / ٧٤٧م.

وقال ابن عساكر : وقد كان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ظهر وبويع له بالخلافة **بأصبهان** في سنة سبع وعشرين ومائة في خلافة مروان بن محمـد ، وملـك **فارس وكرمان** وكثر تبعه وجيء بالأموال، وملك تلك البلاد وقوي أمره وكانت بينـه وبين عمّال مروان وقائع وحروب كثيرة، ولم يزل هناك إلى أن جاءت الدولة العبّاسية، ثم حارب مالك بن الهيثم صاحب أبي مسلم، فظفر به وحمله إلى أبي مسلم فحبسه وقتله، ويقال : بل مات في سجنه. د . علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٤٩.

حركة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز سنة ١٢٧ هـ

كان **عبد الله بن عمر بن عبد العزيز** والياً على العراق ومركزه **الكوفة**، والراجح أنه كان ذا نزعات استقلالية، إذ بعد تغلبه على عبد الله بن معاوية، أضحى له من السلطان والقوة ما بدا له أن باستطاعته الانتفاضة على حكم **مروان بن محمد**، فنقض بيعته له، واعتمد في تحركه على **القبائل اليمنية** من أهل الشام المقيمين في الكوفة والحيرة، الذين ساءهم خضوع الشام للنفوذ القيسي.

لم يُعِر مروان بن محمد هذه الانتفاضة التفاتة جدية في بادئ الأمر، فترك عبد الله وشأنه لاعتقاده بأنه لا يشكل خطراً كبيراً على مركزه، ولكن حين بدا له أن مطامع واليه السابق على العراق قد وصلت إلى حد الخطر بما توافر له من القوة والمنعة، والنية في التوسع، قام لمواجهته **وبعث إليه بجيش من الشام** بقيادة **النضر بن سعيد الحرشي**، أحد رجالات قيس المشهورين، فاصطدم به، ودارت بين القوتين معارك هي إلى المناوشات الخفيفة أقرب، لم تؤدِ إلى نتيجة حاسمة، وظل الفريقان على هذه الحال حتى ظهرت مشكلة أكثر خطورة، تمثلت في الخوارج الذين برزوا مجدداً على مسرح الأحداث في العراق، وانهمك مروان بن محمد في التصدي لهم، وترك أمر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز.

ثورة سليمان بن هشام بن عبد الملك ١٢٧هـ

خُسافُ: بضم أَوله، وتخفيف ثانيه، وآخره فاء؛ قال العمراني: مفازة بين الحجاز والشام؛ قلت أَنا: والصواب أَنها برية بين بالس وحلب، مشهورة عند أَهل حلب وبالس، وكان بها قرى وأَثر عمارة، وهي تمتد خمسة عشر ميلاً؛ قال الأَعشى:

من ديار بالهضب هضب القليب ... فاض ماءُ الشؤون فيض الغروب

أَخلفتني به قتيلةُ ميعادِي ... وكانت للوعد غير كَذوب

ظبية من ظباءِ بطن خُساف ... أُمّ طفل بالجوّ غير ربيب

كنت أُوصيتُها بأَلا تطيعي ... فيّ قول الوشاة والتخبيب

الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ٣٨٠ .

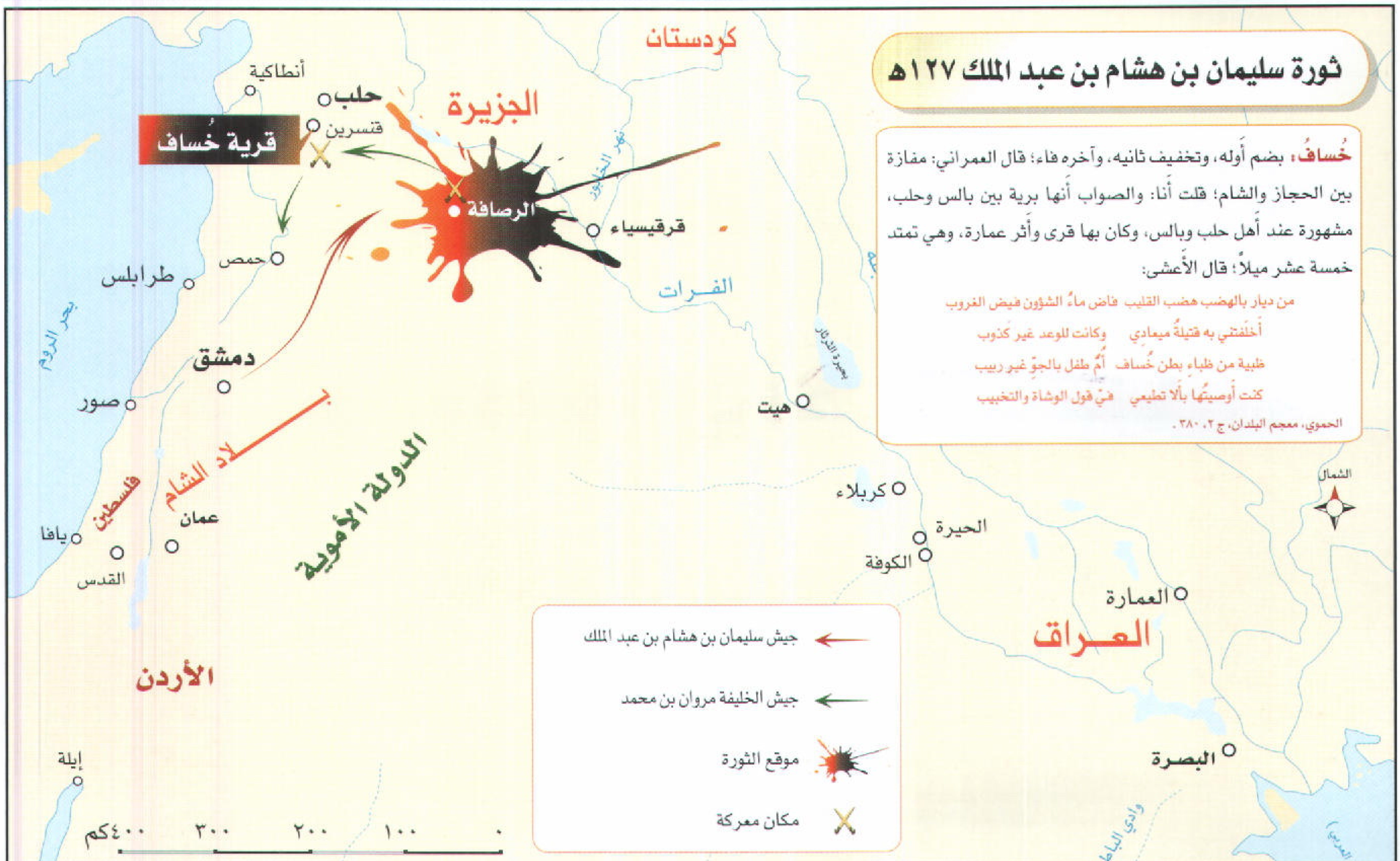

توقع مروان أن مصاهرته لأبناء هشام بن عبد الملك كافية لرأب الصدع بين أبناء البيت الأموي كله، وأن الأمر في الشام قد استقام له ولهذا أخذ في إعداد جيش قوامه عشرون ألفاً تحت قيادة **يزيد بن عمر بن هبيرة** لمواجهة **ثورة الخوارج في العراق** الذين خرجوا عليه بزعامة الضحاك بن قيس الشيباني منتهزين فرصة انشغاله بثورات الشام، كما ضرب على أهل الشام بعثاً للحاق بيزيد ومعاونته في حرب الخوارج، وكان سليمان بن هشام – شقيق زوجتي ولدي مروان – قد استأذنه في الإقامة **بالرصافة** أياماً للراحة فأذن له، وبينما يقوم مروان بالإشراف بنفسه على تجهيز جيش ابن هبيرة **في قرقيسياء**، فاجأته ثورة عارمة قادها صهره سليمان، حيث انفلت عشرة آلاف من أهل الشام الذين استنفرهم مروان لقتال الخوارج وذهبوا إلى **سليمان بالرصافة**، ودعوه إلى خلع مروان، فأجابهم إلى ذلك دون أن يعبأ ببيعته وعهوده التي قطعها على نفسه للخليفة ولا مراعاة لصلة الرحم والمصاهرة الجديدة بل ودون أن يضع في تقديره الظروف التي تمر بها الدولة الأموية كلها، استفحلت ثورة سليمان فقد اجتمع حوله سبعون ألفاً عسكر في قرية تسمى **خساف من أعمال قنسرين**. فاجأت هذه الأخبار مروان على غير توقع، فقرر أن يسير إلى سليمان بنفسه فقصده في **خساف**، حيث دارت بينهما معركة كبيرة هزم فيها سليمان، وقيل – قتل حوالي ثلاثين ألفاً من أتباعه، وهرب هو ومن بقي من جيشه إلى **حمص**، ولكن مروان لاحقه إليها، ففر منها هارباً قبل وصول مروان، تاركاً فيها أخوه سعيد بن هشام، ثم وصلها مروان وضرب عليها الحصار لمدة عشرة أشهر، ثم استسلمت له. في هذا الجو العصيب، الذي انقسم فيه الأمويون على أنفسهم وأخذوا يحاربون بعضهم بعضاً، وبينما مروان يحاول رأب الصدع وإعادة الأمور إلى نصابها في الشام والحجاز والعراق واليمن وبينما مروان يواجه هذا الموقف الصعب وينتقل من ميدان إلى ميدان، **فاجأته الثورة العباسية من خراسان** كالسيل المُنهمر، فاكتسحت قواته في خراسان والعراق ثم كانت هزيمته الساحقة في **موقعة الزاب في جمادى الآخرة ١٣٢هـ**، وفراره إلى **مصر** ومقتله هناك في ذي الحجة من نفس العام . د . علي الصلابي، الدولة الأموية، ج ٢، ص ٥٥٠ – ٥٥١ .

إعلان الدعوة العباسية

أرسل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، بكير بن ماهان إلى خراسان سنة ١٢٦ هـ، فقويت شوكتهم هناك، واجتمعت جماعة من الدعاة العباسيين بإبراهيم بن محمد سنة ١٢٧ هـ، فقام إبراهيم بن محمد بإرسال أبي مسلم الخراساني إلى خراسان، وطلب من شيعته الطاعة له سنة ١٢٨ هـ، فلم يطيعوه فرجع إلى إبراهيم فأعاده، وطلب منه أن يعتمد على اليمانية إذ إن والي خراسان نصــر بن سيار كان يعتمد على القيسية[١] .

ومن المعلوم بمكان أن العباسيين اتخذوا « التسويد » وهو نشر العلم الأسود، ولبس الثياب السود، شعاراً لدعوتهم وتمييزاً لأنفسهم وأتباعهم عن بني أمية وأتباعهم؛ الذين كانوا قد اتخذوا البياض شعاراً لهم .

وفي واقع الحال فقد ظلت الدعوة العباسية سرية حتى رمضان من سنة ١٢٩ هـ حينما أمر أبو مسلم الخراساني " بالتسويد " ولبس أتباعه السواد جهراً، فكان ذلك بدءاً لإعلان الدعوة العباسية. ومن ذلك الحين وقع القتال المنظم بين بني أمية وبين أتباع بني العباس[٢] .

ثم إن الدعوة كانت حتى ذلك الحين إلى الرضا من آل محمد ولم يكن أبو مسلم قد كشف بعد أنه يعني بآل محمد أبناء العباس لا أبناء أبي طالب – والعباس وأبو طالب عمّان للرسول – إلا أن الاعتقاد السائد آنذاك هو أن الأمر سيؤول إلى أحد أبناء علي بن أبي طالب . وكان العباسيون أنفسهم يوهمون الطالبيين بذلك .

ولما وقعت الحرب بين المسوّدة وبين بني أمية فوّض أبو مسلم أمر الحرب إلى قحطبة بن شبيب الطائي، ثم إن المسوّدة أخذوا يستولون على خراسان بلداً بلداً، بينما كان الأمويون يتراجعون شيئاً فشيئاً نحو الغرب. ولقد استنجد نصر بن سيار والي خراسان بمروان الثاني فلم يستطع مروان الثاني إنجاده، ولما بلغ تراجع نصر بن سيار مرو عاصمة خراسان مرض هناك وتوفي في ربيع الأول سنة ١٣١ هـ .

ثم ما زال قحطبة بن شبيب الطائي يتقدم حتى بلغ العراق، فحاربه والي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ولكنه انهزم في المحرم سنة ١٣٢ هـ وكذلك قتل قحطبة في تلك المعركة نفسها، فقام بالأمر بعده ابنه الحسن بن قحطبة واحتل الكوفة ، وهنا أعلن أبو مسلم أن الخلافة لآل العباس، وأن الخليفة عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الذي عرف فيما بعد بـ (السفاح) فبويع له بالخلافة في الكوفة[٣] .

---

١ – الشيخ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٣–٤، ص ٣٠٤، نشر المكتب الإسلامي .

٢ – ٣ ، أ . عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ ، دار العلم للملايين .

انطلاق الدعوة العباسية

١ اتفق العباسيون والعلويون على مناوئة الدولة الأموية، أملاً في انتزاع الخلافة لأنفسهم، لأنهم اعتقدوا أنها حق لهم قد اغتصبه الأمويون، حيث بدأت دعوتهم **السرية** تحت شعار « **الدعوة للرضا من آل محمد** » وسموا أنفسهم بالهاشميين، وأرسلوا الدعاة إلى الولايات الإسلامية، لنشر الدعوة سراً واختار محمد بن علي بن عبد الله (خراسان) مركزاً للدعوة للرضا من آل محمد، بينما اتخذ هو من **الحميمة** بالقرب من ميناء العقبة مركزاً للدعوة العباسية .

٢ اشترك العباسيون والعلويون في الدعوة إلى نقل الخلافة « **للدعوة للرضا من آل محمد** » وكان يقف وراء هذه الدعوة في خراسان شيخان لهما دور بارز في نجاح الدعوة هما: أبو سلمة الخلال، وأبو مسلم الخراساني . وهذا الأخير طلب من سليمان ابن كثير أن يصلي العيد بالناس ، فأرسل إليهم نصر بن سيار قوة ، لكن جند أبي مسلم استولت على هراة « هرات » وانكشف أمر إبراهيم بالرسائل حتى استطاع الأمويون تعقبه في الحميمة فأرسلوه إلى دمشق، ومن هناك سيّر إلى حرَّان حيث سجن ومات سنة ١٣٢ هـ . ثم بويع للسفاح. ثم تمكن أبو مسلم من دخول مرو قاعدة خراسان وانتزاعها من نصر بن سيار سنة ١٣٠ هـ .

٣ أصبح محمد علي العباس كبيراً للدعاة، بالكوفة حيث جعلها موقعاً له ومقاماً، إذ هي أقرب إلى خراسان من الحميمة، وبها شيعة أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية الذين انضموا إلى بني العباس وكان كبير الدُعاة مسئولاً عن نشر الدعوة والإشراف عليها بخراسان.

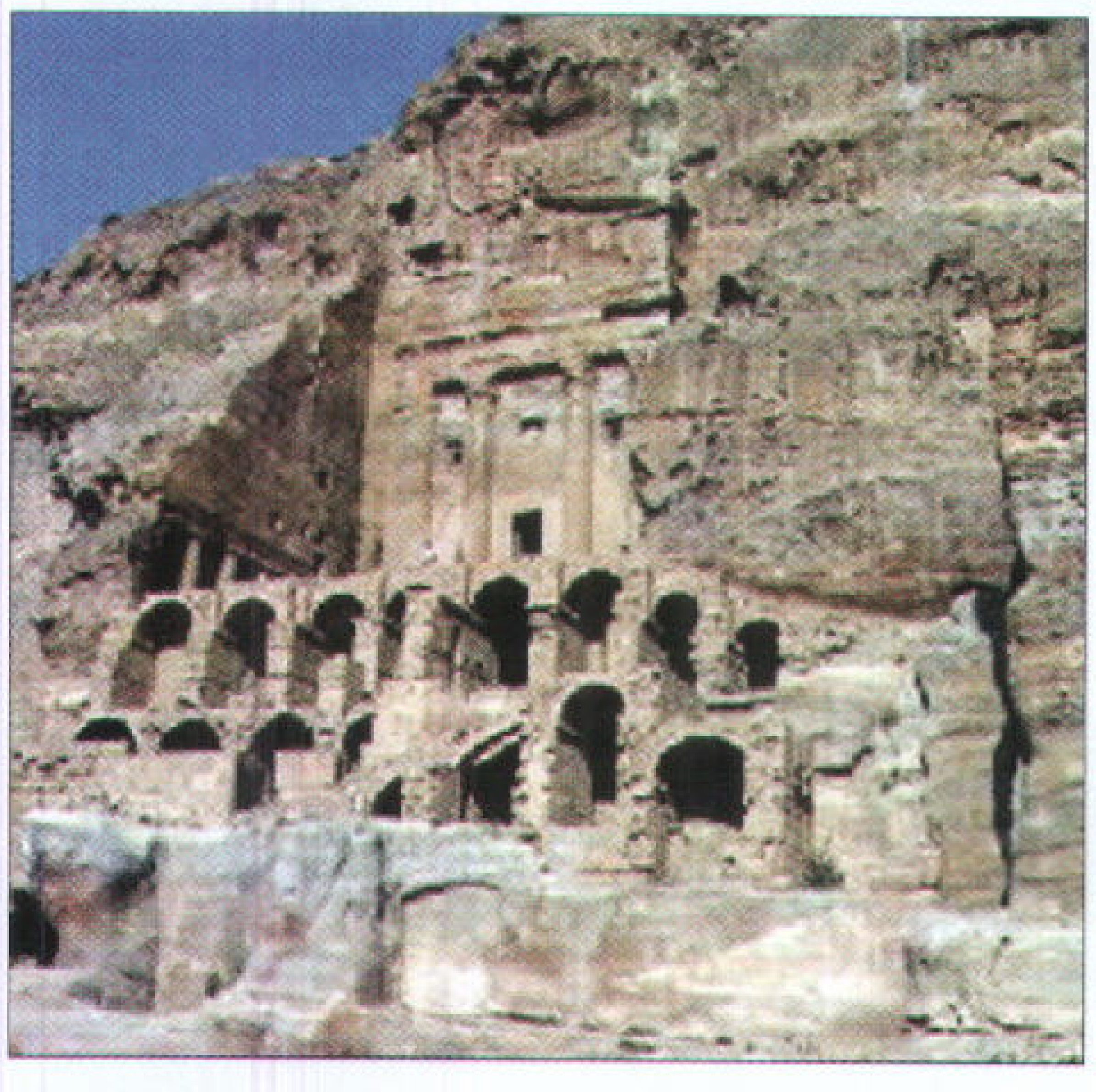

صورتان لموقع الحميمة والمنطقة الأثرية فيها.

نتائج المعركة :

١- قطع العباسيون الجسر فغرق من جيش الخليفة مروان أكثر ممن قُتل .

٢- فر مروان بن محمد إلى مصر ثم تتبعه العباسيون حتى قتلوه في سنة (١٣٢هـ - ٧٥٠ م) في كنيسة أبي صير .

٣- سقطت الخلافة الأموية، وقامت دولة الخـــلافة العباسية في بغداد.

معركـة الـزاب: كان قحطبـة بن شبيب الطائي قد أرسل من مدينة نهاوند أحد قواده أبا عون الأزدي، فلقي عبد الله بن مروان ابن محمد على الزاب الأصغر، أحد روافد دجلة، فهزمه في ذي الحجة من سنة ١٣١ هـ، فخفّ حينئذ **مروان الثاني** نفسه على رأس جيش عـدده مائـة وعشـرون ألفاً، ولم يكن مع أبي عون سوى عشرين ألفاً. ولكن السفاح أنجـد أبا عون بجيش من أهل **الكوفة** عليه عمه عبد الله بـن علـي . فلمـا وصل عبد الله بن علي إلى مشهـد المعركة عسكر على الضفة الشرقية من نهر **الـزاب الأكبر** (جنوبي الموصل) ، بينما كان مروان على الضفة الغربية.

قطع مروان بن محمد الزاب ليباغت العباسيين، ولكنه وجد أن قلوب أصحابه متفرقة، فأحب أن يحمسهم، ولكنه ارتكب خطأً فادحاً ، إذ أعلـن لهـم أن معه فـي خيمته أمـوالاً سيوزعها عليهم بعد المعركـة، طمع الجند بالمـال، ورجعوا نحو الخيمة فوقعت فيهم الفوضى فالهزيمة في ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٢ هـ كانون الثاني ٧٥٠ م . وكان من غرق في نهر الزاب من الأمويين أكثر ممن قتل منهم بالسيف .

أ. عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٢٠٥ ، دار العلم للملايين .

سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ

لقد خلّف "هشام" أربعة من الخلفاء الأمويين عجزوا عن ممارسة السلطان، وأفلت منهم زمام الحزم، وأتاحوا الفرصة لعوامل الهدم والاضمحلال، فراحت الدولة الأموية تتهاوى وتترنح. وقد كان ظهور العباسيين في هذه الفترة على مسرح الأحداث يمثل ضربة قاصمة أطاحت بالبيت الأموي عن عرش الخلافة الإسلامية. بعد أن انتهت معركة الزاب سنة ١٣٢ هـ لصالح العباسيين، حيث استولى عبد الله ابن علي العباسي على الجزيرة والشام بينما هرب **مروان بن محمد** إلى **مصر**، لكن الجيوش العباسية اقتفت طريقه، وبعد أن عبر مروان النيل لحقه صالح بن علي عم السّفّاح، فأدركه بقرية من قرى **الفَيُّوم** من أرض مصر يقال لها بُوصير، فوافاه صائماً وقد قدّم له الفطور، فسمع الصائح فخرج وسيفه مصلت، فجعل يضرب بسيفه ويتمثل بقول الحجاج بن حكيم :

متقلّدين صفائحاً هندية
يتركن من ضربوا كأن لم يولد
وإذا دعوتهم ليوم كريهة
وأفوك بين مكبر وموحّد

فقصدته الخيول من كل جانب، وبقي يقاتل حتى قُتِل وكان من كلامه قبل أن يقتل : إن الجزع لا يزيد في الأجل وإن الصبر لا ينقص الأجل وكان يتمثل بهذين البيتين كما جاء في بعض الروايات :

ذلُّ الحياة وهول الممات
وكلاّ أراه وخيماً وبيلا
فإن كان لا بد من ميتة
فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

وبمقتله انتهت الدولة الأموية في المشرق، وقامت الدولة العباسية، حيث بويع عبد الله بن محمد الملقَّب بأبي العباس السفاح بالخلافة في الكوفة في ربيع الأول سنة ١٣٢هـ، قبل مقتل مروان بن محمد بشهور. وصدق الله القائل: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١).

١ - سورة آل عمران: ٢٦.

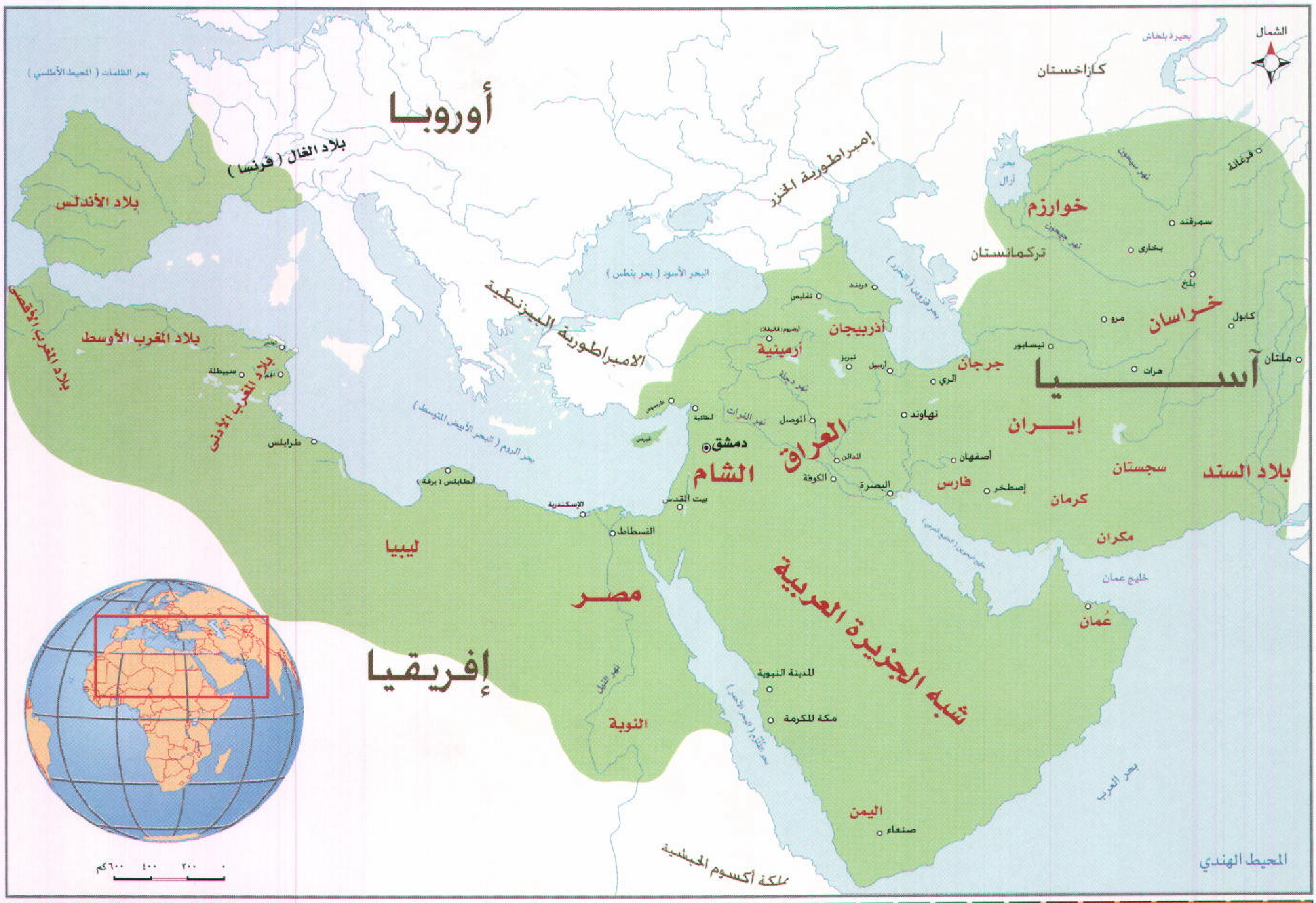

أقصى حدود دولة الخلافة الأموية سنة ١٣٢ هـ

تولى الخلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ - ٦٠ هـ (٦٦٢ - ٦٨٠م)، بعد أن أجمع المسلمون بخلافة معاوية وتنازل الحسن بن علي - رضي الله عنهما - له في عام الجماعة سنة ٤١ هـ، حيث اتخذ معاوية من **دمشق** عاصمة للخلافة الإسلامية. وأسس معاوية بذلك الخلافة الأموية وأرسى كيانها كخلافة قوية جذبت مخالفيه على طاعته، وأرسى كيان الدولة وعمل على توحيد المسلمين. وتميز حكمه بالحكمة والعدل. وصل إشعاع الحضارة الإسلامية من دمشق إلى أصقاع بعيدة من العالم لتكون الدولة الأموية أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ، وأضحت دمشق منارة للعلم، والعلماء، والفقهاء، واهتم الخلفاء الأمويون بالعمارة، وإنشاء المساجد، والتي تعد أهم المعالم الإسلامية اليوم، وفتحوا الكثير من البلاد من حدود الصين شرقاً - كما هو واضح في الخريطة أعلاه - إلى المغرب الأقصى وبلاد الأندلس غرباً، حتى أخذ نجم الدولة بالأفول مع آخر الخلفاء الأمويين مروان الثاني بن محمد سنة ١٢٧ - ١٣٢ هـ (٧٤٤-٧٥٠م) الذي واجه مؤامرة من العباسيين الذين تمكنوا من قبض زمام الأمور وتكوين دولتهم في خراسان إلى أن انتهى مقتولاً في دير بمصر بعد هروبه من جنود العباسيين، وبه انتهى عصر الخلافة الأموية في المشرق والذي دام أكثر من ٩٠ سنة.

الفصل الثالث عشر

أبرز الجوانب الحضارية في العصر الأموي

الحضارة الإسلامية جاءت نسيجاً من جميع العروق والأجناس والطبقات والمواقع الجغرافية. والعهد الأموي -ولا سيما عهد معاوية- امتداداً طبيعياً للعهد الراشدي في عدة جوانب؛ إذ بقي كثير من الصحابة إلى بدايات هذا العهد، وشاركهم في العلم والفقه والقضاء وغيرها كبار التابعين ومن بعدهم، وظهر في هذا العهد عدد كبير من المجتهدين الذين كانوا صلة الوصل بين الصحابة والمذاهب الفقهية، وكان العلماء والمجتهدون في العهد الأموي أساتذة لأئمة المذاهب التي ظهرت في العهد العباسي، وبما أن هذا العهد هو امتداد لعصر صدر الإسلام فقد ظلت اللغة العربية الفصحى سائدة على اللغات الأخرى لأسباب كثيرة، أهمها: أن الفصحى لغة القرآن الكريم، فهي لغة الإسلام، إضافة إلى أنها لغة العرب، وكما أن القرآن الكريم هو كتاب الإسلام الأول، ولغة الفاتحين، ثم إن العربية الفصحى لغة حية اشتقاقية غنية بالمفردات أضاف لها الإسلام إضافات عظيمة حتى أضحت تستعين بها اللغات الأخرى في تغطية حاجتها من مفردات العلوم والآداب والفنون. وظلت سيادة العربية الفصحى في مدٍ عظيم حتى سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩م)، حيث مضى عهد الدولة الأموية وبدأ عهد الدولة العباسية، فأخذت المفردات الدخيلة تتكاثر في العربية الفصحى.

وهذا بالفعل ما حرص من خلالها الأمويون من خلال تركيزهم على العنصر العربي خلال القرن الهجري الأول وطلائع القرن الثاني الهجري، حيث استغل مرضى القلوب مثل هذا التوجه، فأحيوا بذلك العصبية القبلية التي أوصلت الدولة إلى مهاوي الردى؛ لكن الدولة في مجملها العام حرصت على إبراز الجانب الحضاري المادي والمعنوي للإسلام من خلال توحيد الصف، ورأب الصدع، والاهتمام ببناء المساجد ودور العبادة، والقصور، والقنوات والسدود، وتعريب الدواوين، وسك العملة النقدية العربية، وسوف تقف أخي القارئ الكريم من خلال هذا الفصل والفصل القادم على الكثير من الجوانب الحضارية في الدولة الأموية.

أما الذين يحاولون التقليل من جهد الدولة الحضاري فهم من الذين لم ينصفوا تاريخ هذه الدولة، فلك أن تتصور هذه الدولة برقعتها الجغرافية الكبيرة كيف كانت تبسط نفوذها على مسرح الأحداث على الرغم من سيل الدسائس والفتن التي ما فتئ أعداء الإسلام يقدمونها متى ما تحينت الفرص وبرزت الثغرات؛ لقد ظلت الدولة الأموية دولة متماسكة أبرزت حضارة مادية ومعنوية رغم أنوف الحاقدين عليها والناقمين. ولعل تضخيم مشكلة (الموالي) واقتصار الأمر على تصرفات خاطئة ظالمة مثل تصرفات الحجّاج بن يوسف ومن على شاكلته، لكن الدولة الأموية ما كانت لتستطيع في ظروفها تلك إلا أن يكون كبار الأمراء وقواد الجيوش من العرب، وعندما رفعت الدولة العباسية شعار المساواة استغل الفرس الشعوبيون هذا الشعار أحسن استغلال وأرادوا الهدم من الداخل وقد تنبه الخليفة العباسي «الرشيد» لهذا؛ فكانت ضربته المشهورة للبرامكة. لكن الواقع يؤكد على الدور الحضاري الذي قدمته هذه الدولة برغم الأوضاع التي كادت تعصف بها.

بناء المساجد في العصر الأموي

أ. المسجد الحرام والكعبة المشرفة[١]:

أولى خلفاء بني أُمية (٤١ - ١٣٢ هـ / ٦٦١ - ٧٥٠ م) وولاتهم المسجد الحرام والكعبة المشرفة جلّ عنايتهم . فقد كسى معاوية بن أبي سفيان الكعبة بالديباج والقباطي (قماش يصنع في مصر) . وأجرى عليها وظيفة الطِّيب لكل صلاة . كان يبعث لها بالمجمر (البخور) والخَلوق (الطيب) الموسم و شهر رجب . عيّن موظفين يقومون على خدمتها. كما أجرى للمسجد الحرام زيتاً وقناديل لإضاءته.

وقام ولده يزيد ، من بعده ، بكسوة الكعبة بالديباج الخرساني (الخسرواني) . و فترة خلافة عبد الملك ابن مروان ، قام الحجاج بن يوسف الثقفي (واليه على الحجاز ٧٣ -٧٥ هـ/٦٩٢ - ٦٩٤ م) بهدم الزيادة التي أحدثها عبد الله بن الزبير في أثناء بنيانه للكعبة من جهة الحِجْر عام ٦٥ هـ / ٦٨٥ م . وأعاد بناءها عام ٧٤ هـ / ٦٩٣ م وجعل لها باباً واحداً وأخرج الحِجْر منها. فعادت بذلك على الأصول التي كانت عليها قبل عبدالله بن الزبير. وكساها الحجاج بالديباج الذي اعتاد عبد الملك إرساله كل سنة إلى المدينة ويُنشر يوماً مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأساطين ثم يُطوى ويُبعث إلى مكة. وكان يَبعث بالطِّيب إليها وبالمُجَمّر .

وأمر عبد الملك عامله على مكة بأن يرفع جدران المسجد الحرام وأن يسقفه بالسّاج، الذي استحضره عبد الملك من مصر إلى جدّة على العَجَل إلى مكة فعمره عمارة حسنة .

وحدث عام ٨٠ هـ / ٦٩٩ م أن داهم البيت سيل عُرف بسيل " الجُحاف " أو " الجُراف " فذهب ببعض الحجيج وبأمتعتهم وأحاط بالكعبة، فأمر عبد الملك، عبد الله بن أبي سنان المخزومي (واليه على مكة) بعمل سواتر وردميات على السكك المؤدية إلى البيت لمنع السيول .

ولما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة، بعث إلى خالد بن عبد الله القَسْري (واليه على مكة) بمقدار ثلاثين ألف دينار ذهبية. فضربت صفائح وجعلت على باب الكعبة وعلى الأساطين (الأعمدة) التي داخلها ، وعلى الأركان والميزاب. فكان بذلك أول من ذهّب الكعبة في الإسلام. كما أرسل رخاماً (أبيض وأخضر وأصفر) من الشام فُرشت به أرض الكعبة وأزّر به جدرانها .

وما يتعلق بالمسجد الحرام، فقد قام عمر بن عبد العزيز في أثناء ولايته للوليد على مكة (٨٧ - ٩١ هـ / ٧٠٥ -٧٠٩ م) بزيادة رواق دائري على حافة المسجد حول الكعبة من الجهة الشرقية. وجعل له سرادقات يتظلل بها المصلّون من الحر الشديد وأزّر المسجد بالرخام من داخله، وجعل وجوه الطغيان أعلاها الفُسَيفِساء، وسقف المسجد بخشب السَّاج المزخرف بالذهب .

د .عمر بن سليمان العقيلي، بناء المساجد في العصر الأموي، النسخة الرقمية .

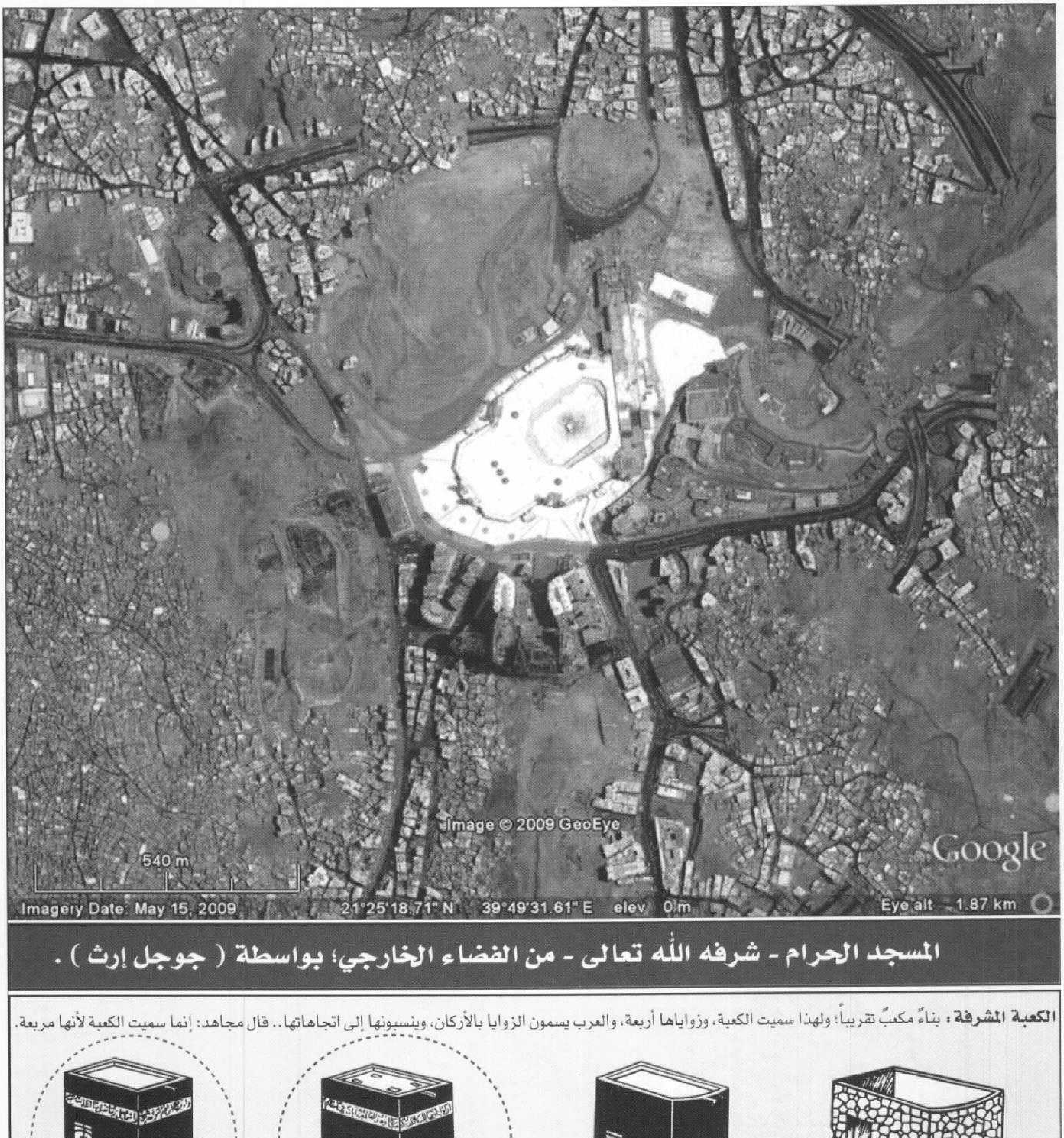

المسجد الحرام - شرفه الله تعالى - من الفضاء الخارجي؛ بواسطة (جوجل إرث) .

الكعبة المشرفة : بناءٌ مكعبٌ تقريباً؛ ولهذا سميت الكعبة، وزواياها أربعة، والعرب يسمون الزوايا بالأركان، وينسبونها إلى اتجاهاتها.. قال مجاهد: إنما سميت الكعبة لأنها مربعة.

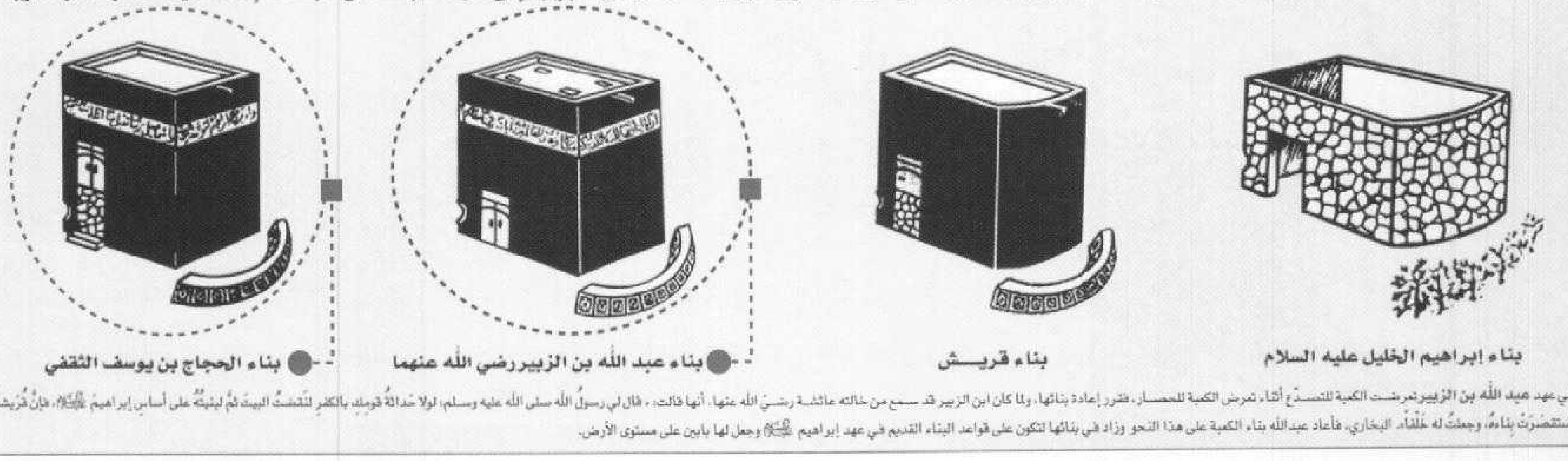

بناء إبراهيم الخليل عليه السلام — بناء قريش — بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما — بناء الحجاج بن يوسف الثقفي

في عهد **عبد الله بن الزبير** تعرضت الكعبة للتصدّع أثناء تعرض الكعبة للحصار، فقرر إعادة بنائها، ولما كان ابن الزبير قد سمع من خالته عائشة رضيَ الله عنها، أنها قالت: «قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لولا حَداثةُ قومِك بالكفر لنَقَضتُ البيتَ ثمَّ لبنيتُهُ على أساسِ إبراهيمَ عليه السلام، فإنَّ قُريشاً استقصَرَتْ بناءهُ، وجعلتُ له خَلْفاً» البخاري، فأعاد عبد الله بناء الكعبة على هذا النحو وزاد في بنائها لتكون على قواعد البناء القديم في عهد إبراهيم عليه السلام وجعل لها بابين على مستوى الأرض.

مراحـــل بناء البيـــت العتيـــق

توسعة المسجد الحرام عبر التاريخ

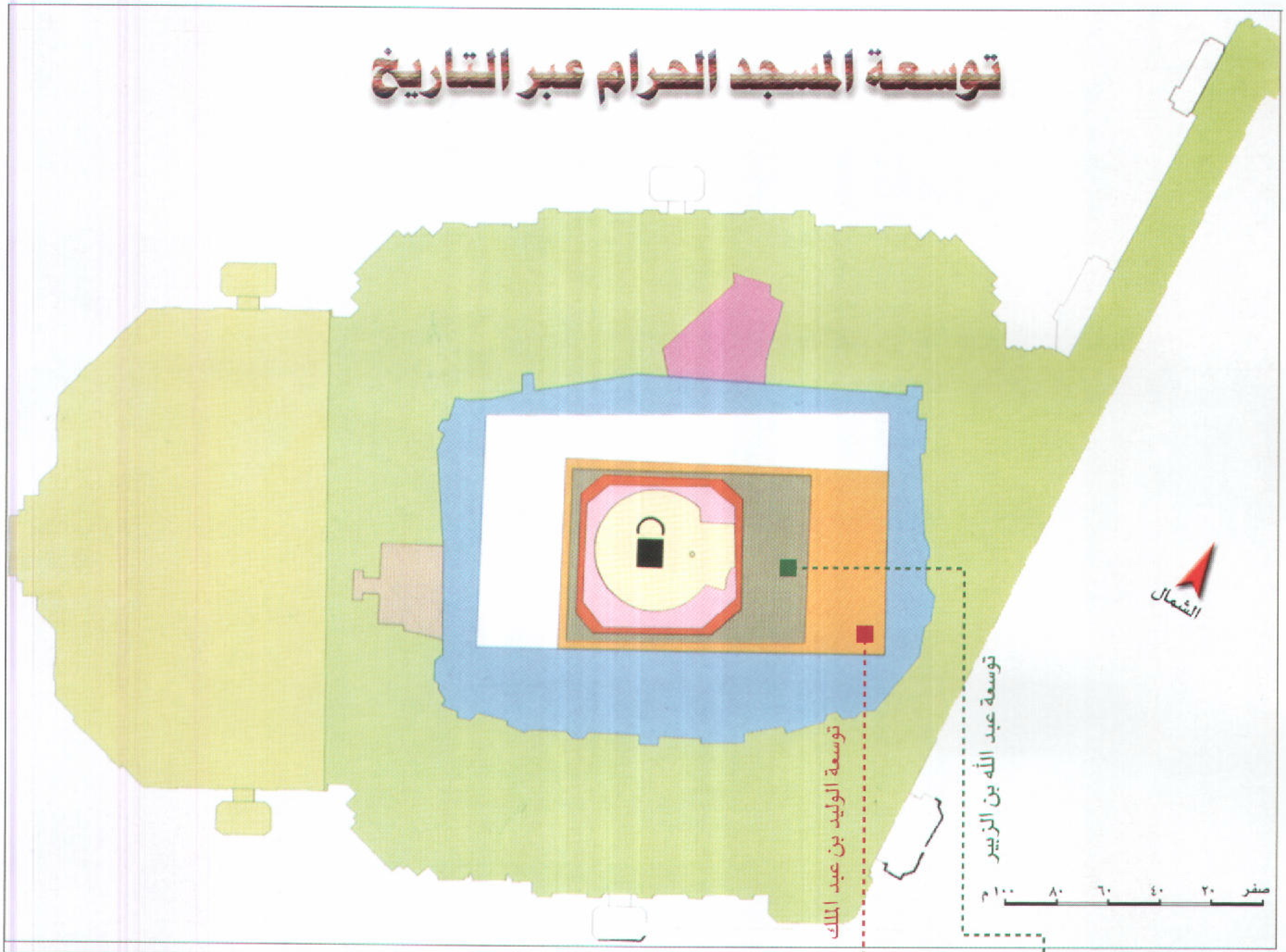

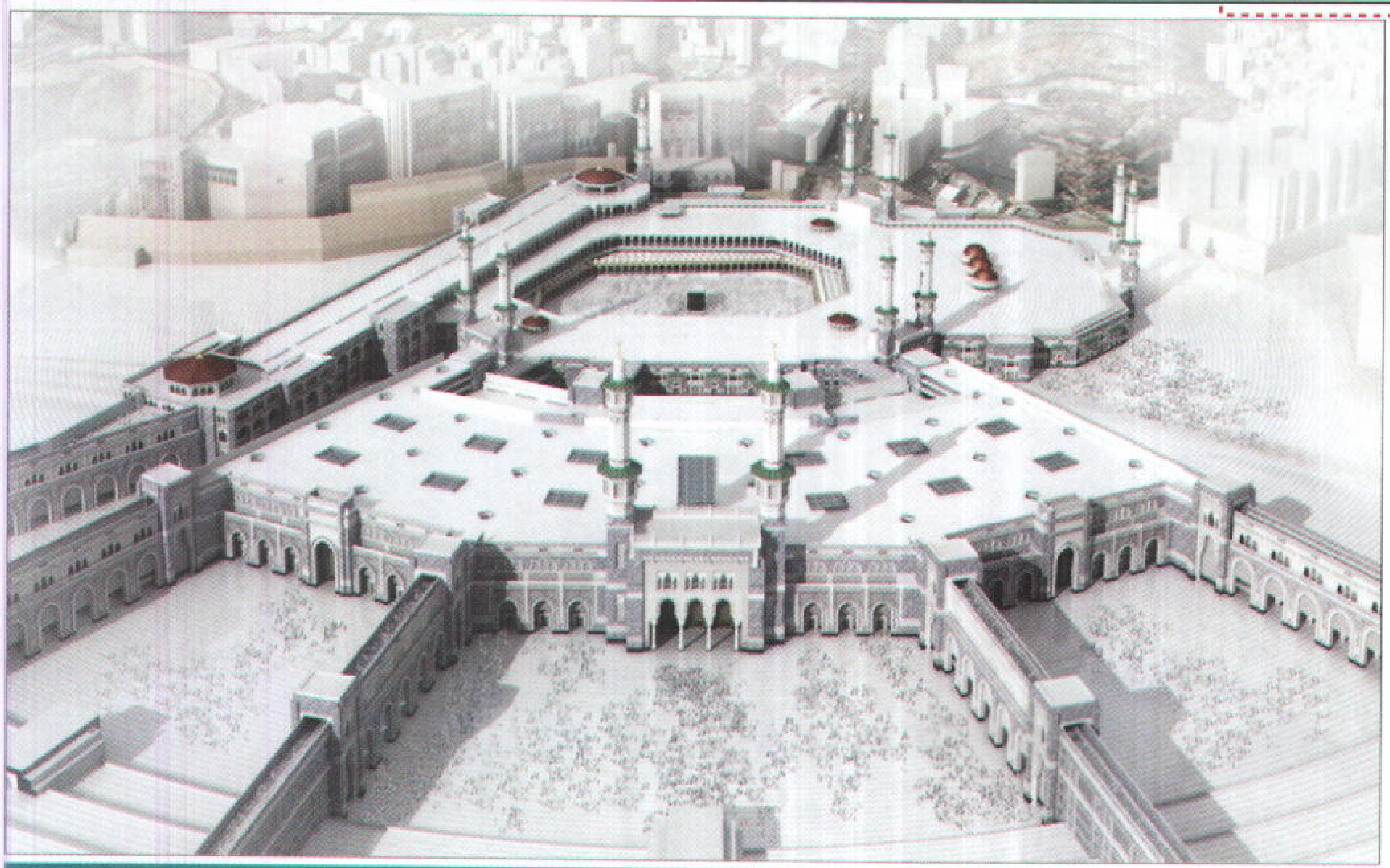

لقطة منظورية لمشروع توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - لتوسعة المسجد الحرام

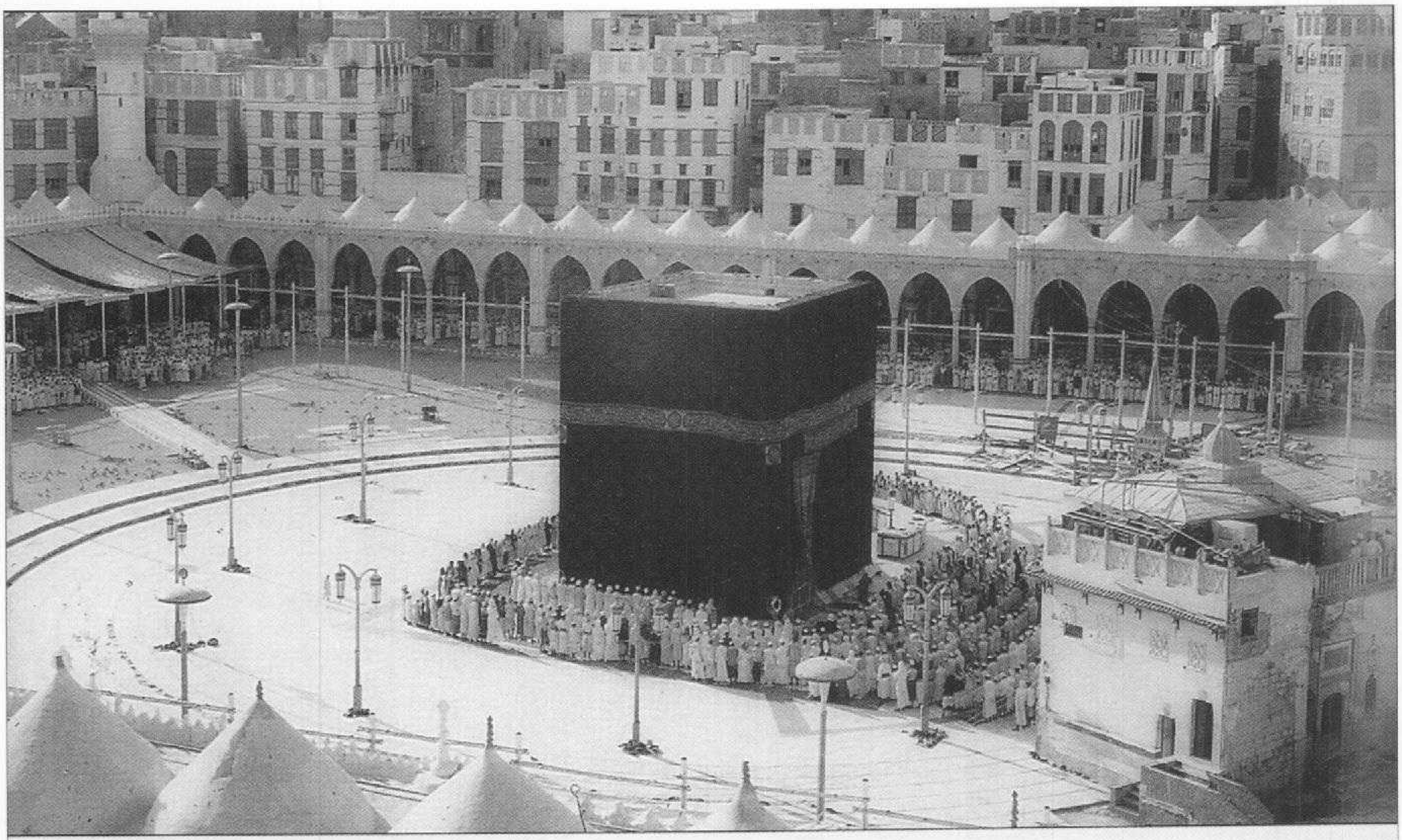

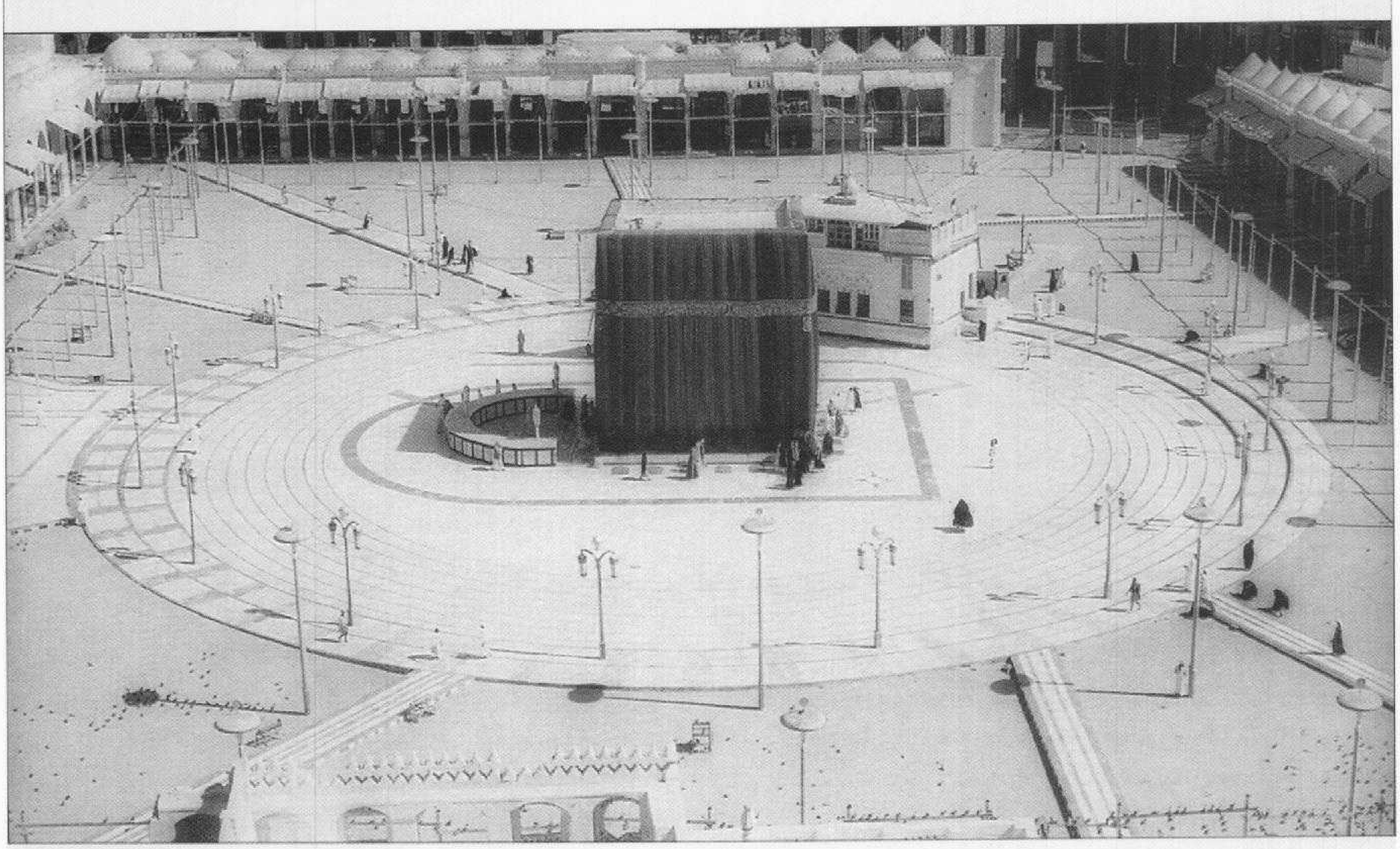

صورتان قديمتان تعودان إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، مصدر الصورتين، عبيد الله محمد أمين كردي ، الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارة وتاريخاً

ب.المسجد النبوي الشريف[١] :

بنى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هذا المسجد في المدينة (١ هـ / ٦٢٢ م)وأصبح مخططه أساساً لبناء المساجد فيما بعد . وقد أجريت على المسجد زيادات في مساحته في عهد الخليفتين عمر وعثمان رضي الله عنهما.

وفي العصر الأموي تذكر الروايات التاريخية: أن الخليفة الوليد بن عبد الملك رغب في توسعة هذا المسجد، وعهد بهذه المهمة إلى عمر بن عبد العزيز (واليه على المدينة) وزوده بالبنائين والفنيين المهرة من أهل الشام، ومصر، وفارس ، وأضاف إليه الرخام، والمرمر، والفسيفساء ، لتجميل المسجد وزخرفته ونقشه.

بدأ عمر العمل سنة ٨٨هـ / ٧٠٦ م، يسانده في ذلك أستاذه صالح بن كَيْسَان مشرفاً على الشؤون المالية (المصروفات) . وقام بهدم حجرات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وأدخلها في توسعة المسجد. وتم بناء الأساس والجدران والأساطين (الأعمدة) بالحجارة، وبنيت المقصورة والمحراب من خشب السّاج . وزينت جدران المسجد بالفسيفساء وفرشت أرضيته بالحصباء التي جلبت من وادي العقيق . وبنيت للمسجد أربع مآذن في كل ركن منه واحدة . وجُعل له عشرون باباً . وتمت إنارة المسجد بالقناديل . وأصبحت مساحة المسجد الكلية ٤٠,٠٠٠ ذراع مربع (٢٠٠ ذراع × ٢٠٠ ذراع للطول) «٦٤٤٠ م٢».

وأما فيما يتعلق بقبر الرسول صلى الله عليه وسلم والذي يقع داخل المسجد، فقد أمر عمر بن عبد العزيز ببناء جدار؛ يسد به الجهة الشمالية ممايلي القبر وذلك لمنع الناس من إكمال طوافهم حول القبر، فأصبح الداخل من الباب يتقدم فيسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم على صاحبيه أبي بكر وعمر رضي عنهما، ثم يمضي حتى يخرج من الباب الآخر .

ويروى أن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عمر بن عبد العزيز أن يبني الفوّارة (لعلها نافورة) بالمدينة . فبناها عمر في ظاهر المسجد عند بقعة رآها فأعجبته. وساق إلى الفَوّارة الماء من ظاهر المدينة . ولعل الهدف من وراء ذلك هو إيجاد مصدر مائي يسقي أهل المسجد منه، ويستفاد منه في الوضوء، إضافة إلى كونه منظراً جمالياً أمام المسجد.

وعلى إثر اكتمال إعمار المسجد النبوي، حضر الخليفة الوليد إلى المدينة في طريقه للحج عام ٩١ هـ / ٧١٠ م . وتفقد المسجد وأعجب بما تم إنجازه . ويقال : إن أكثر ما أعجبه هو زركشة سقف المقصورة، ورواق القِبْلة ، وتمنى لو أن كل سقف المسجد كان مثلها، ولكن عمر بن عبد العزيز ذكّره بالتكلفة الباهظة لو قام بهذا العمل، إذ كلّفت المقصورة وحدها فيما بين أربعين إلى خمسة وأربعين ألف دينار .

١ - د .عمر بن سليمان العقيلي، بناء المساجد في العصر الأموي، النسخة الرقمية .

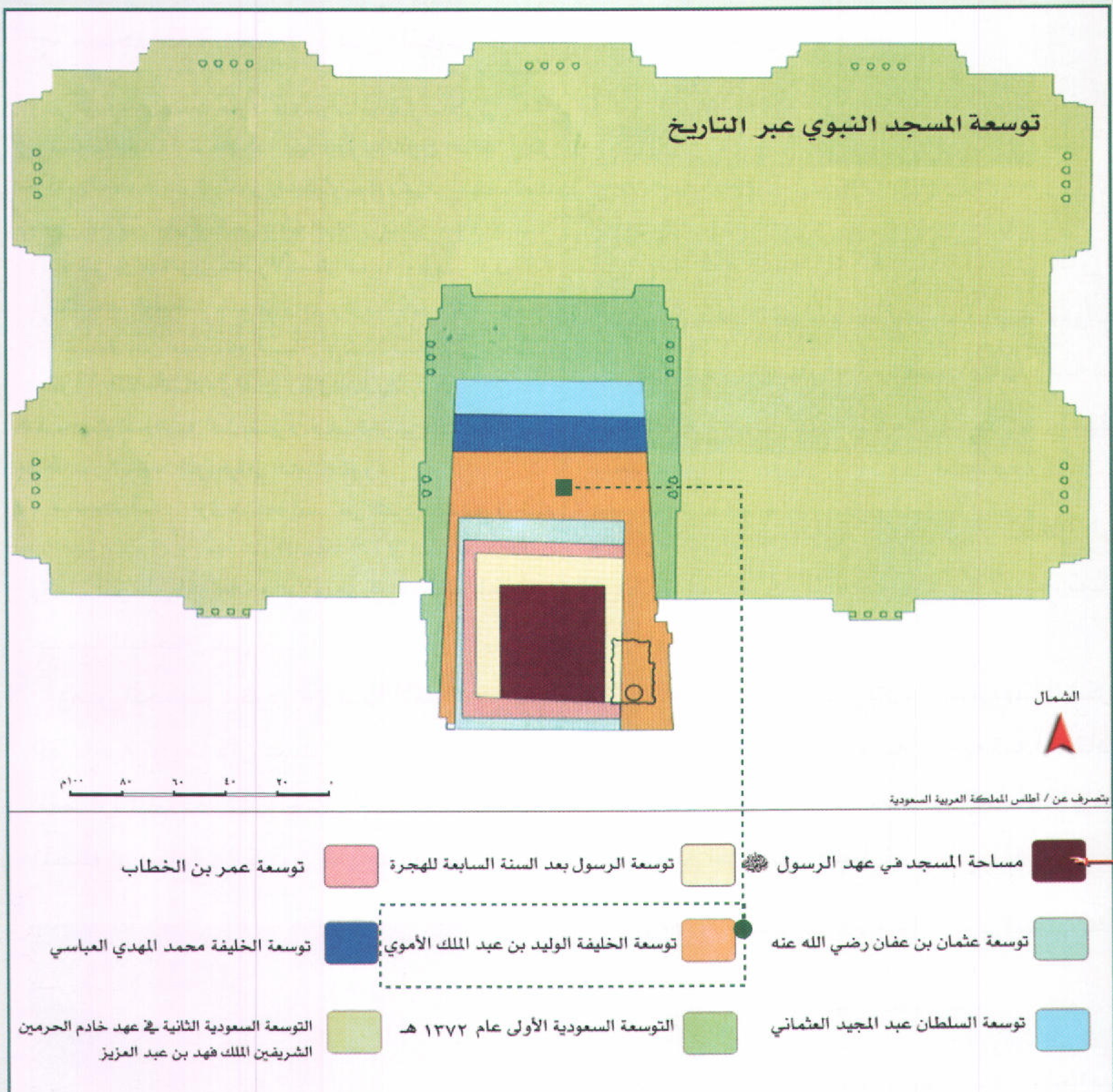

لمزيد من الاطلاع يرجع إلى كتابنا الموسوم «أطلس الحج والعمرة تأريخاً وفقهاً».

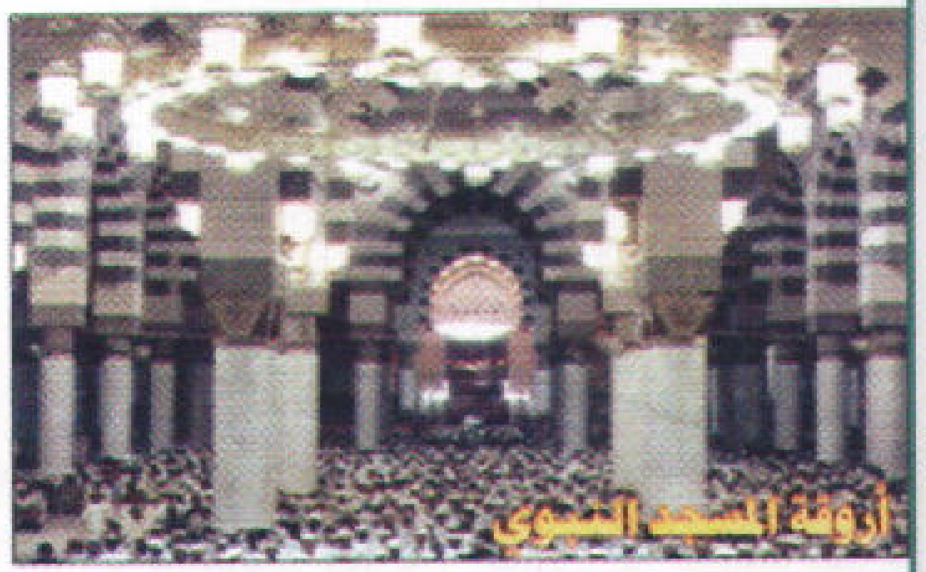
أروقة المسجد النبوي

باب الملك فهد بن عبد العزيز

المدينة النبوية من جهة باب الشامي في أوائل القرن الهجري الماضي

ج- مسجد قبة الصخرة في القدس :

من أقدم المنشآت الأموية الذي ما زال يحتفظ بملامحه الأصلية برغم الإضافات والإصلاحات التي مرّ بها .

كان عبد الملك بن مروان قد أمر ببناء هذا المسجد فوق الصخرة التي يُعتقد أن الرسول صلى الله عليه وسلم عُرج به منها إلى السماء ليلة الإسراء. ولذا يسمى البناء قبة الصخرة . وهو بناء حجري مُثمّن الشكل تعلوه قبة (قطرها ٤٤, ٢٠ م، وارتفاعها من القاعدة حتى القمة ٥, ٣١ م) فيها ستة عشر نافذة. وللمسجد أربعة أبواب رئيسة. وأشرف عليه منذ البدء في العمل فيه سنة ٦٨ هـ - ٦٨٨م وحتى الإنتهاء منه سنة ٧٢ هـ - ٦٩١ م، كل من رجاء بن حَيوة الكندي، ويزيد بن سلام (مولى عبد الملك) . ونُفِّذ بأيدي مهندسين وعمال وفنيين مهرة من أهل الشام .

ولا زالت أجزاء من الزركشة، والزخرفة، بالفسيفساء ذات صيغ نباتية كالنخيل، وأغصان الزيتون، وثمار الرمان، والعنب، والورود . وكذلك الخطوط التي كتبت بها الآيات القرآنية، وتاريخ البناء، تمثل مادة خصبة للباحثين في نشأة الفن العربي الإسلامي وتطوره .

ومن الجدير ذكره ، أن هذا المسجد هو أول بناء للمساجد الإسلامية في بلاد الشام بهذا الشكل وهذه الفخامة. وربما كان عبد الملك يهدف من بنائه إلى إظهار أن فن العمارة الإسلامية يمكنه أن ينافس فن العمارة البيزنطية. وتجدر الإشارة إلى أن هذا المسجد لا تقام فيه صلاة الجمعة أو الجماعة، وإنما يَأتَم المُصلّون، وعادة مايكونون خارجه والقبة خلف ظهورهم بإمام المسجد الأقصى [(١)] .

مسجد قبة الصخرة : نسبة إلى الصخرة المشرفة التي كانت أحد عناصر حادثة الإسراء والمعراج.

وقد بناه **عبد الملك بن مروان** عام ٧٢هـ لاستقطاب المسلمين إلى المسجد الأقصى، والذي أمر النبي بشد الرحال إليه. ويقع المسجد وسط هضبة صخرية واسعة على امتداد محوره الجامع القبلي.

وتقع الصخرة في مركز هذا المسجد ويعتقد العامة أن هذه الصخرة معلقة بين السماء والأرض وهذا اعتقاد خاطئ. ويوجد أسفل الصخرة كهف به محراب قديم يطلق عليه مصلى الأنبياء، ويحيط بالصخرة سياج من الخشب المعشق من تجديدات السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٢٥ هـ، وتحيط بمنطقة الصخرة أربع دعامات من الحجر المغلف ببلاطات الرخام بينها ١٢ عموداً من الرخام تحمل ١٦ عقداً تشكل في أعلاها رقبة أسطوانية، تقوم عليها القبة.

---

١ - د .عمر بن سليمان العقيلي، بناء المساجد في العصر الأموي، النسخة الرقمية .

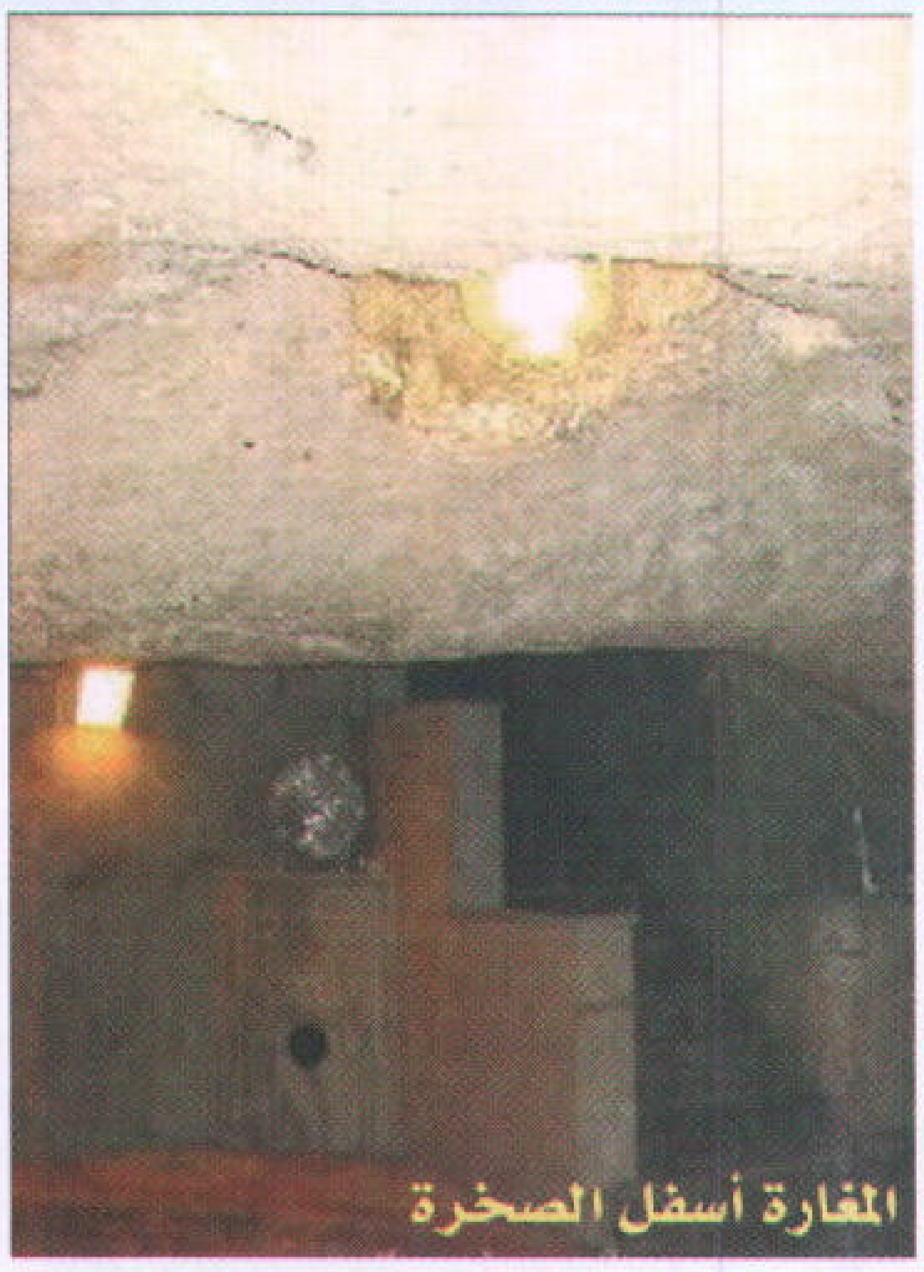
المغارة أسفل الصخرة

تحت هذه الصخرة توجد مغارة ينزل إليها من الناحية الجنوبية بـ ١١ درجة، وشكلها قريب من المربع، وطول كل ضلع حوالي أربعة أمتار ونصف، ولها سقف ارتفاعه ثلاثة أمتار، وفي السقف ثغرة اتساعها متر واحد، وعند الباب قنطرة مقصورة بالرخام على عمودين.

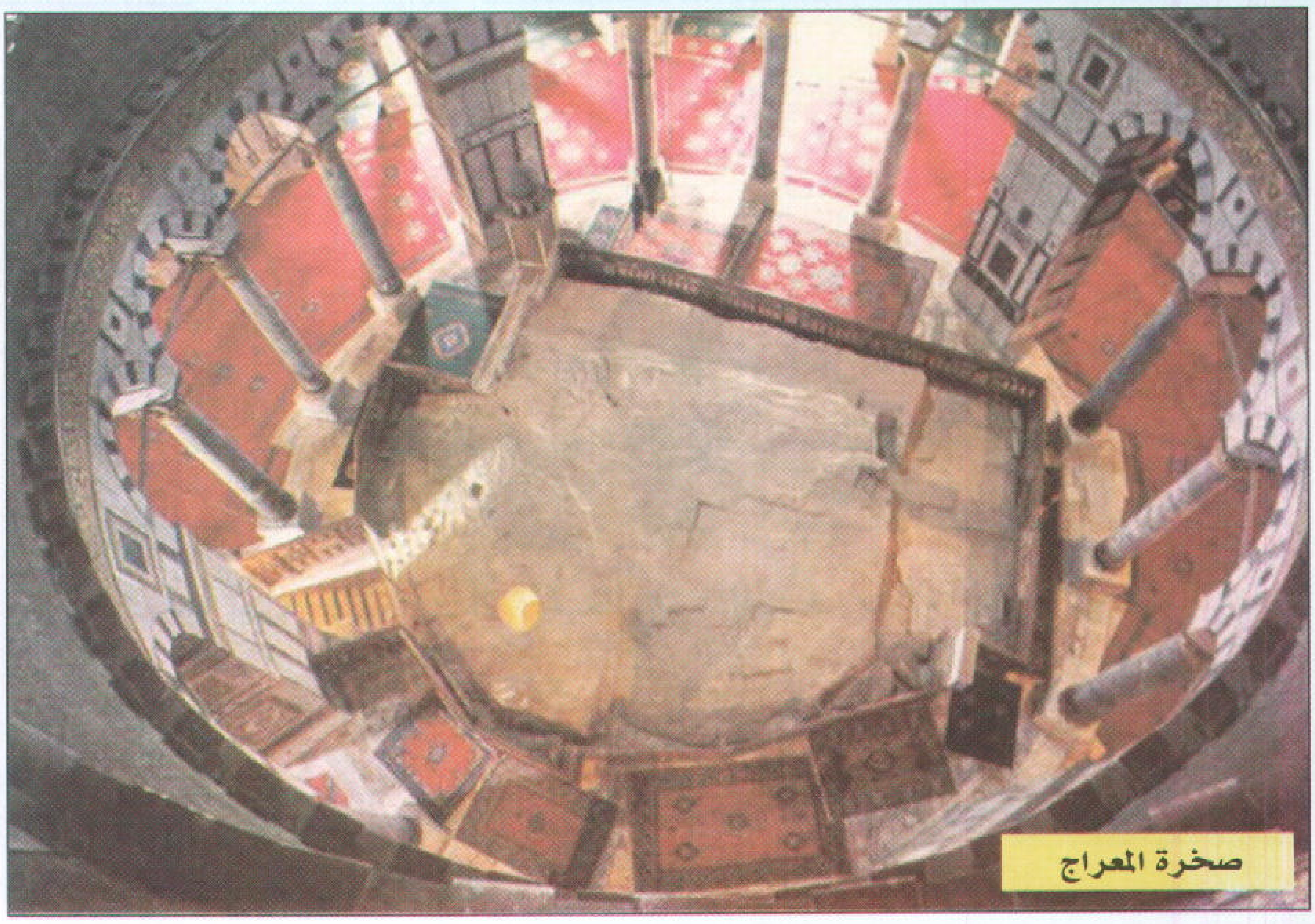
صخرة المعراج

د. المسجد الأقصى في القدس :

ورد ذكر هذا المسجد في قوله تعالى : (سُبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بَاركنا حوله لِنريهُ مِنْ آياتنا إنه هو السميعُ البصير) . وهذا المسجد قد بني بعد أربعين سنة من بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام للكعبة المشرفة . وتجدر الإشارة إلى أن بيعة معاوية العامة بالخلافه (٤١ هـ / ٦٦١ م) كانت قد تمت في هذا المسجد المبارك . وقد أعيد بناء هذا المسجد عدة مرات في فترات مختلفة.

والمسجد الأقصى هو واحد من أكثر المعالم قدسية عند المسلمين، حيث يعد أولى القبلتين في الإسلام. يقع المسجد الأقصى داخل البلدة القديمة لمدينة القدس في فلسطين. وهو اسم لكل ما دار حول السور الواقع في أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة القديمة المسورة، ويعد كل من مسجد قبة الصخرة والجامع القبلي من أشهر معالم المسجد الأقصى.

يتكون المسجد الأقصى من عدة أبنية ويحتوي على عدة معالم يصل عددها إلى ٢٠٠ معلم، منها مساجد، وقباب، وأروقة، ومحاريب، ومنابر، ومآذن، وآبار وغيرها من المعالم.

الجامع القِبلي (بكسر القاف وتسكين الباء): هو الجزء الجنوبي من المسجد الأقصى المواجة للقبلة ولذلك سمي بالجامع القبلي، وهو المبنى ذو القبة الرصاصية. ويعد هذا الجامع هو المصلى الرئيس للرجال في المسجد الأقصى، وهو موضع صلاة الإمام. بني هذا المسجد في المكان الذي صلى فيه الخليفة **عمر ابن الخطاب** رضي الله عنه، عند الفتح الإسلامي للقدس عام ١٥هـ. وقد بدأ بناء هذا المسجد الخليفة **عبد الملك بن مروان**، وأتم بناءه ابنه **الوليد بن عبد الملك**.

المصلى المرواني : يقع تحت أرضية المسجد الأقصى، في جهة الجنوب الشرقي.

الأقصى القديم : يقع تحت الجامع القبلي، وقد بناه الأمويون ليكون مدخلاً ملكياً إلى المسجد الأقصى من القصور الأموية التي تقع خارج حدود الأقصى من الجهة الجنوبية [١] . وشارك في بنائه عمال، وفنيون من مختلف الأقاليم . ولم يتبقّ من بناء الوليد سوى بعض الألواح الخشبية (من خشب الصّنوبَر) المحفورة والمزخرفة بأغصان وأوراق العنب، والورود (مثلما كانت الزخرفة في مسجد قبة الصخرة) ويحتفظ بهذه الألواح في متحف الآثار وفي متحف المسجد الأقصى بالقدس الشريف [٢] .

١ . المسجد الأقصى ، موقع ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية.

٢ . د .عمر بن سليمان العقيلي، بناء المساجد في العصر الأموي، النسخة الرقمية .

بانوراما المسجد الأقصى المبارك

المسجد الأقصى المبارك

على عكس ما يعتقد البعض أن المسجد الأقصى بناه عبد الملك بن مروان - وهو اعتقاد خاطئ حيث إن عبد الملك بن مروان بنى (قبة الصخرة) فقط. أما المسجد الأقصى فهو قديم، فهو أولى القبلتين، وثاني مسجد وضع في الأرض، بنص الحديث، وفي اعتقاد المسلمين أن الأرجح أن أول من بناه هو آدم عليه السلام، اختط حدوده بعد أربعين سنة من إرسائه قواعد البيت الحرام، بأمر من الله. وجاءت هجرة إبراهيم عليه السلام من العراق إلى فلسطين تقريباً في عام ١٨٠٠ ق . م. وبعدها، قام برفع قواعد البيت الحرام، ومن بعده إسحاق ويعقوب عليهما السلام، المسجد الأقصى. كما أعيد بناؤه على يد سليمان عليه السلام تقريباً في عام ١٠٠٠ ق . م. ومع الفتح الإسلامي للقدس عام ٦٣٦م (١٥ هـ)، بنى عمر بن الخطاب المصلى القبلي، كجزء من المسجد الأقصى. **وفي عهد الدولة الأموية**، بنيت قبة الصخرة، كما أعيد بناء المصلى القبلي، واستغرق هذا البناء قرابة ٣٠ عاماً من ٦٦ / ٩٦ هـ -٦٨٥ /٧١٥ م، ليكتمل بعدها المسجد الأقصى بشكله الحالي . المرجع السابق .

▲ إحدى واجهات المسجد القبلي.

١. باب الخليل
٢. باب النبي داود
٣. باب الجديد
٤. باب العمود
٥. باب الساهرة
٦. باب الأسباط
٧. باب الرحمة
٨. باب المغاربة
٩. باب السلسلة
١٠. باب القطانين
١١. باب الحديد
١٢. باب المجلس
١٣. باب الغوانمة
١٤. باب العتم
١٥. باب حطة

خارطة لأبواب المسجد الأقصى المبارك.

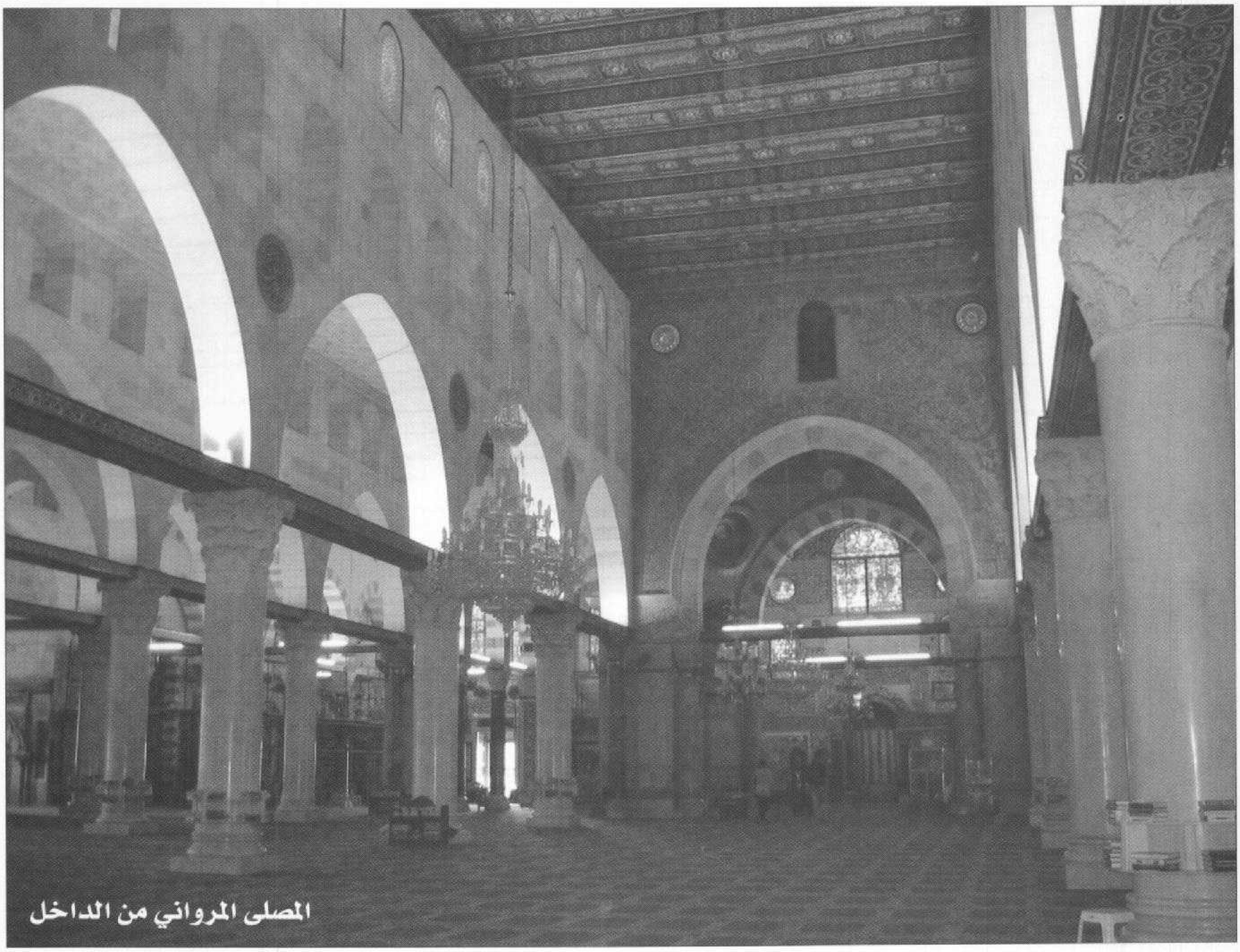

المصلى المرواني من الداخل

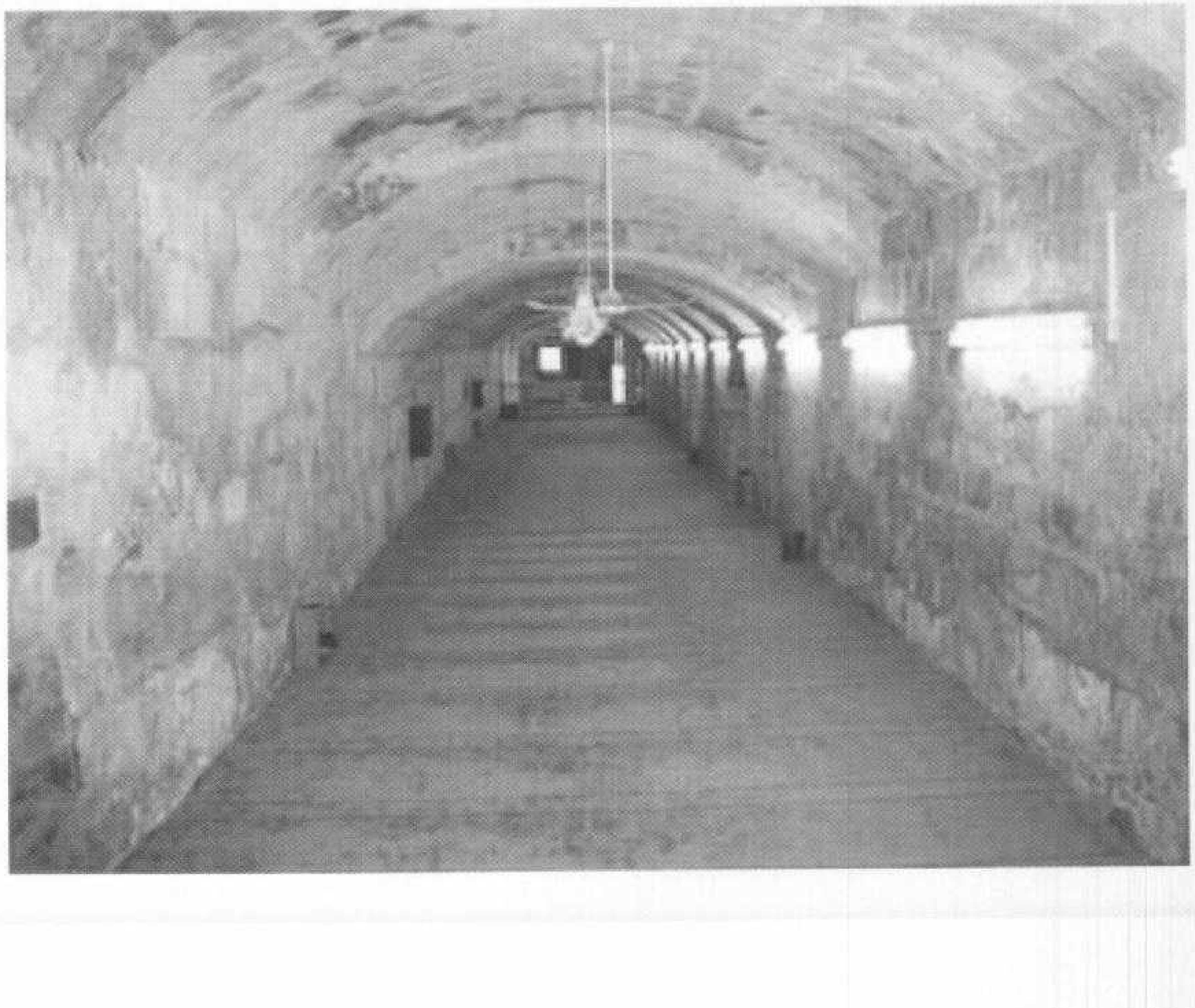

مصلى الأقصى القديم ويقع تحت الجامع القبلي، يدخل إليه عبر درج حجري يقع قرب الرواق الأوسط في الجهة الشمالية للجامع القبلي، وهو عبارة عن ممر يتكون من رواقين باتجاه الجنوب بنيا في **العهد الأموي**، وكانا يؤديان إلى الباب المزدوج (أحد أبواب المسجد الأقصى المبارك المغلقة اليوم) ومنه إلى القصور الأموية (أي دار الإمارة) التي تقع جنوبي المسجد الأقصى المبارك خارج أسواره.

د . عبد الله معروف، وأ. رأفت مرعي، أطلس معالم المسجد الأقصى، ص ٢٧ .

هـ. الجامع الأموي في دمشق :

كان معبداً منذ آلاف السنين فأيام الآراميين كان معبد للإله " حَدَدْ " و أيام الرومان كان معبداً نُسب للإله " جوبيتر " ، و له آثار حتى اليوم تتجلى بالقوس الخارجي في منطقة " المسكيّة " و هذا القوس هو بوابة معبد " جوبيتر " و معبد " جوبيتر " الدمشقي تحول بعد انتصار النصرانية على الوثنية أواخر القرن ٤م إلى كنيسة، وشيدت داخله أيام الإمبراطور " تيودوسيوس " ، كنيسة على اسم القديس " يوحنا المعمدان " .

اقتسم العرب بعد الفتح هذا المعبد الكبير مع النصارى، و ليس الكنيسة كما فهم بعض المؤرخين العرب وعلماء الآثار المستشرقين، الأمر الذي أوقعهم في الخطأ؛ لدرجة أن ظن بعضهم أن **الجامع الأموي** ما هو إلا الكنيسة ذاتها مع شيئ من التعديل و الزخرفة التي أدخلها " **الوليد بن عبد الملك** " و سبب الخطأ كله هو أن القدماء لم يُميزوا بين معنى المعبد و معنى الكنيسة، فقالوا باقتسام الكنيسة، و هم يريدون قول اقتسام أرض المعبد. و المُعتقد بعد دراسة و تمحيص أنه لما دخل العرب و المسلمون و أخذوا نصف المعبد الشرقي، تركوا الكنيسة بكاملها للنصارى، و أقاموا مسجدهم الذي عُرف باسم مسجد الصحابة في الجانب الشرقي من أرض المعبد، لأنه لا يُعقل أن يقتسم المسلمون الكنيسة و يُصلوا مع النصارى تحت سقف واحد[١] .

يقول " المهلبي " : بنى المسلمون الجامع إلى جانب كنيسة يوحنا المعمدان. إذاً كان هناك مسجد شيده المسلمون، مستقل عن بناء الكنيسة، يجمعهما سور واحد،هو سور المعبد "جوبيتير" ، وظل هذا التجاور في العبادة ٧٠ عاماً، فلما كانت الخلافة **للوليد بن عبد الملك**، وجد حاجة مُلحة لإقامة جامع كبير يليق بعظمة الدولة، و يلائم حالة التطور للمجتمع العربي الإسلامي. فقد كانت دمشق في عهد الوليد، عاصمة لأعظم دولة عربية في التاريخ، فدخل الوليد في مفاوضات مع الرعايا النصارى للتخلي عن نصف المعبد الذي تقوم عليه الكنيسة بالطرق المشروعة، و تم للوليد ما أراد. و هدم الكنيسة و كل ما كان داخل جدران المعبد من منشآت بيزنطية و رومانية، ثم شيّد الجامع وفق مخطط جديد يتجاوب مع شعائر الإسلام، و أغراض الحياة العامة[٢] .

قال الوليد عندما أراد بناء الجامع الأموي: « إني أريد أن أبني مسجداً لم يبن من مضى قبلي، و لن يبني من يأتي بعدي مثله » ، واستغرق بناؤه عشر سنوات، و كان ظهور هذا الجامع ثورة على البساطة و التقشف.

والجدير بالذكر: أن عمر بن عبد العزيز، لم يرض عن الإسراف و الترف الذي بالجامع، ففكر بنزع بعض النفائس و ردّها الى بيت مال المسلمين، و قيل: إن وفداً من الدولة البيزنطية زار دمشق فاستأذن هذا الوفد لزيارة الجامع، و قيل: إن رئيس الوفد سقط مغشياً عليه خلال تأمله لروائع البناء، فلما أفاق سُئل عما أصابه فقال ما معناه: " إننا أهل روميّة نتحدث أن بقاء العرب في هذه البلاد قليل، فلما شاهدنا هذا البنيان أيقنا بأنهم باقون فيها و لا رجعة لبيزنطة إليها بعد اليوم "

---

١ .عبد القادر الريحاوي، الجامع الأموي في دمشق .

٢ .عبد القادر الريحاوي، المرجع السابق .

الجامع الأموي في دمشق

بدأ العمل في عمارة الجامع الأموي الخالد بين أعوام ٨٨ - ٩٦ هـ /٧٠٧ - ٧٠٥م، واستغرقت عملية بنائه وزخرفته عشر سنوات، وذكر ابن كثير: أن الوليد قد أنفق على بناء الجامع خراج الشام سنتين، وفي رواية أخرى أن ما أنفق كان أربعمائة صندوق في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار، واستغرق بناؤه عشر سنوات.

بني المسجد على هندسة علمية، قال بعضهم: إنها مقتبسة من العمائر السورية القديمة، بينما يرى باحثون وعلماء أنه لا توجد عمائر قديمة تُشبه في تخطيطها مخطط الجامع، وأن شكل بنائه يخالف تقاليد العمارة السورية القديمة، وهو في واقع الأمر نموذجٌ معماريٌ متجانسٌ وزخارفه الإسلامية البديعة تنسجم مع البناء.ويعتمد على التخطيط الذي وضعه الرسول عليه السلام (عند بنائه لمسجده الأول في المدينة النبوية)، وكان هذا المخطط يقوم على تقسيم المسجد إلى بيت الصلاة وإلى فناء مفتوح. فاستبقى الوليد الجزء السفلي من جدار القبلة وأعاد الجدران الخارجية والأبواب، وأنشأ بيت الصلاة مسقوفًا مع القبة والقناطر وصفوف الأعمدة.ويبلغ طول الجامع ١٥٧ م، وعرضه ٩٧ م، وتقدر مساحته بـ٢٢٩ , ١٥ متراً مربعاً، يحتل صحن الجامع مساحة ٦٠٠٠ متراً مربعاً من جهة شمال الجامع.

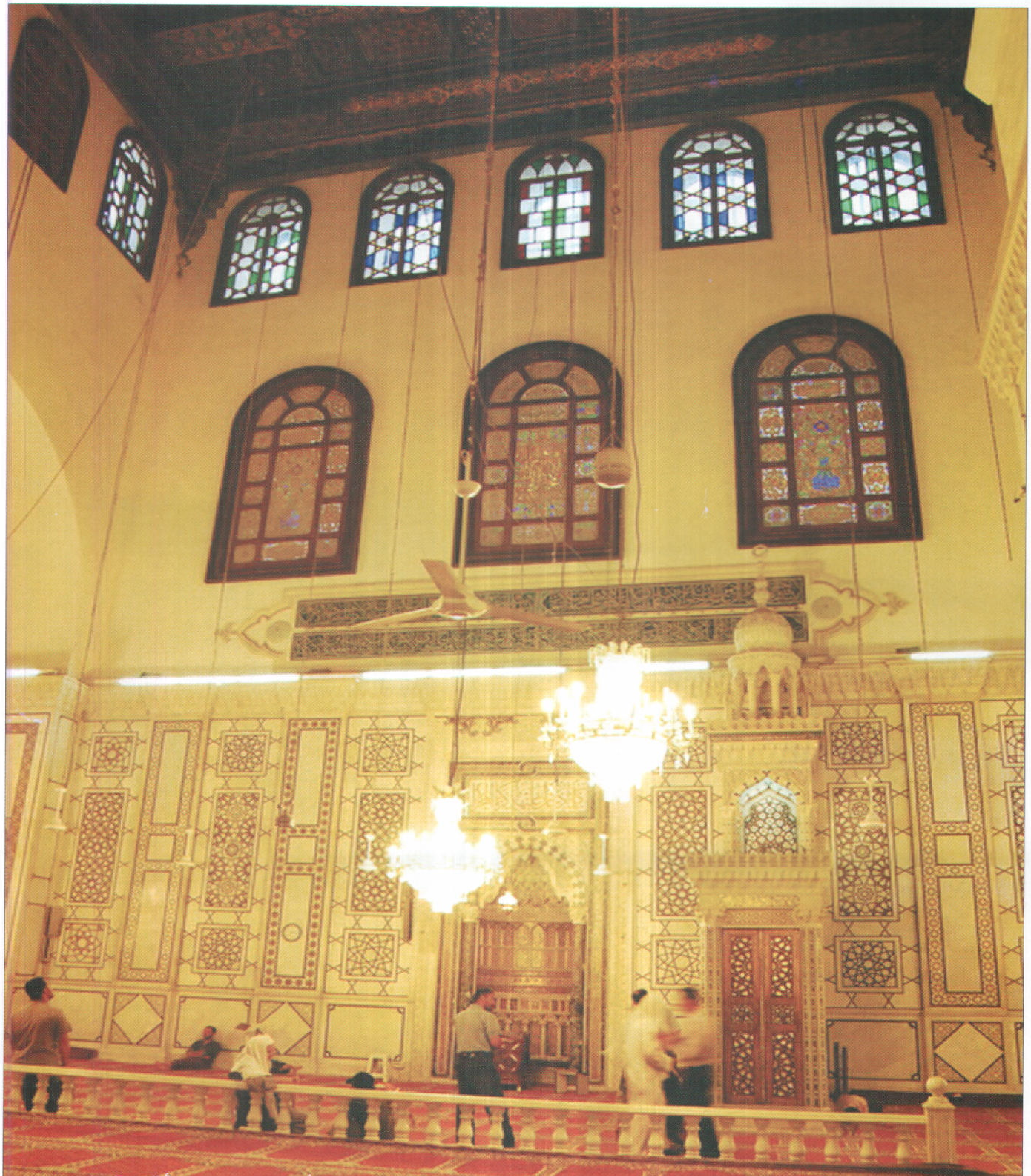

أمر الوليد بن عبد الملك بزخرفة الجامع وإنشاء الجملونات الواقفة على الأعمدة، وكذلك أقام قبة النسر، والواجهة المطلة على الصحن، حيث الأروقة الشمالية، والشرقية، والغربية، بأبعاد ١٢١ متراً×٢٩٧ متراً. وفي هذه الصورة يظهر المحراب والمنبر في الجامع الأموي وهما تحت قبة النسر.

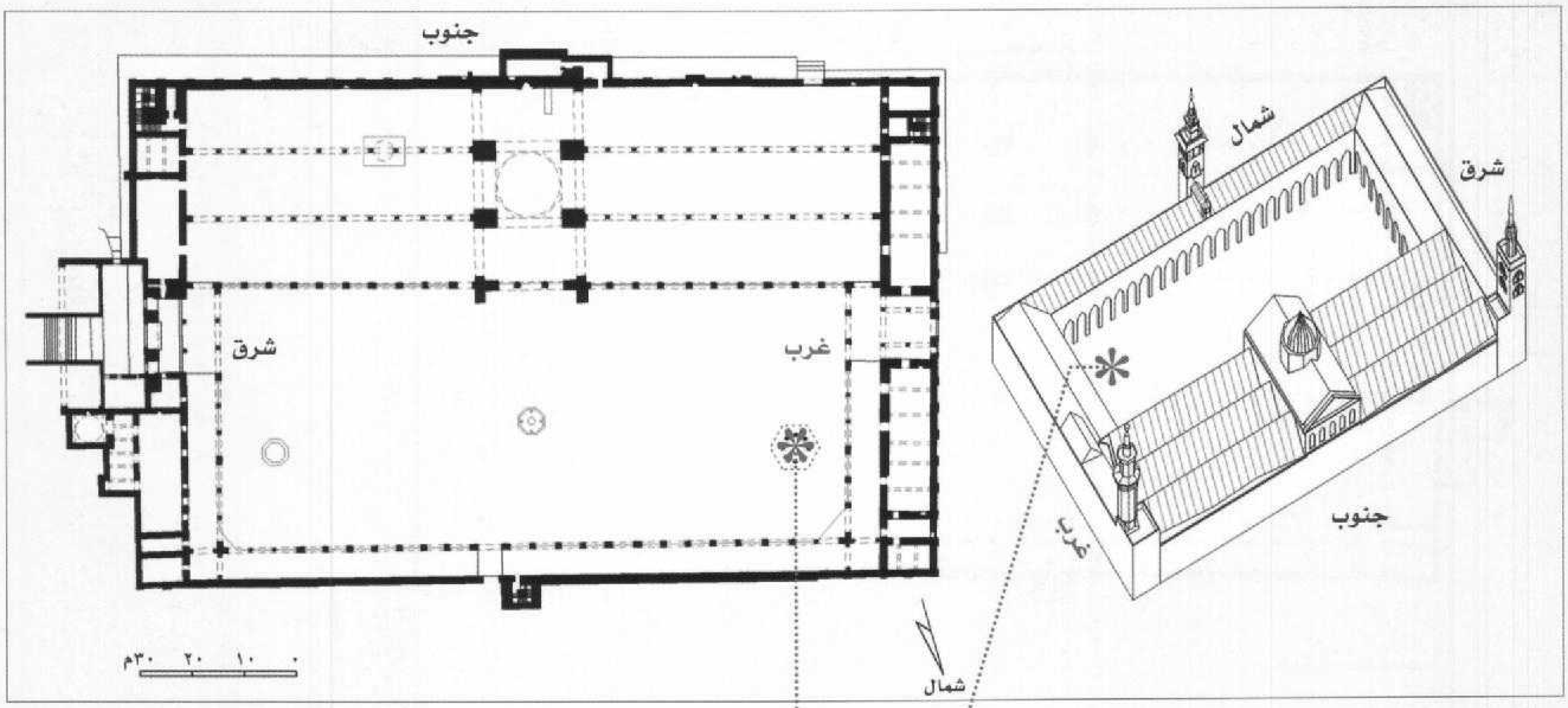

مخطط الجامع الأموي بدمشق

قبة الخزنة: (بيت المال): تقع في الجهة الغربية لصحن الجامع

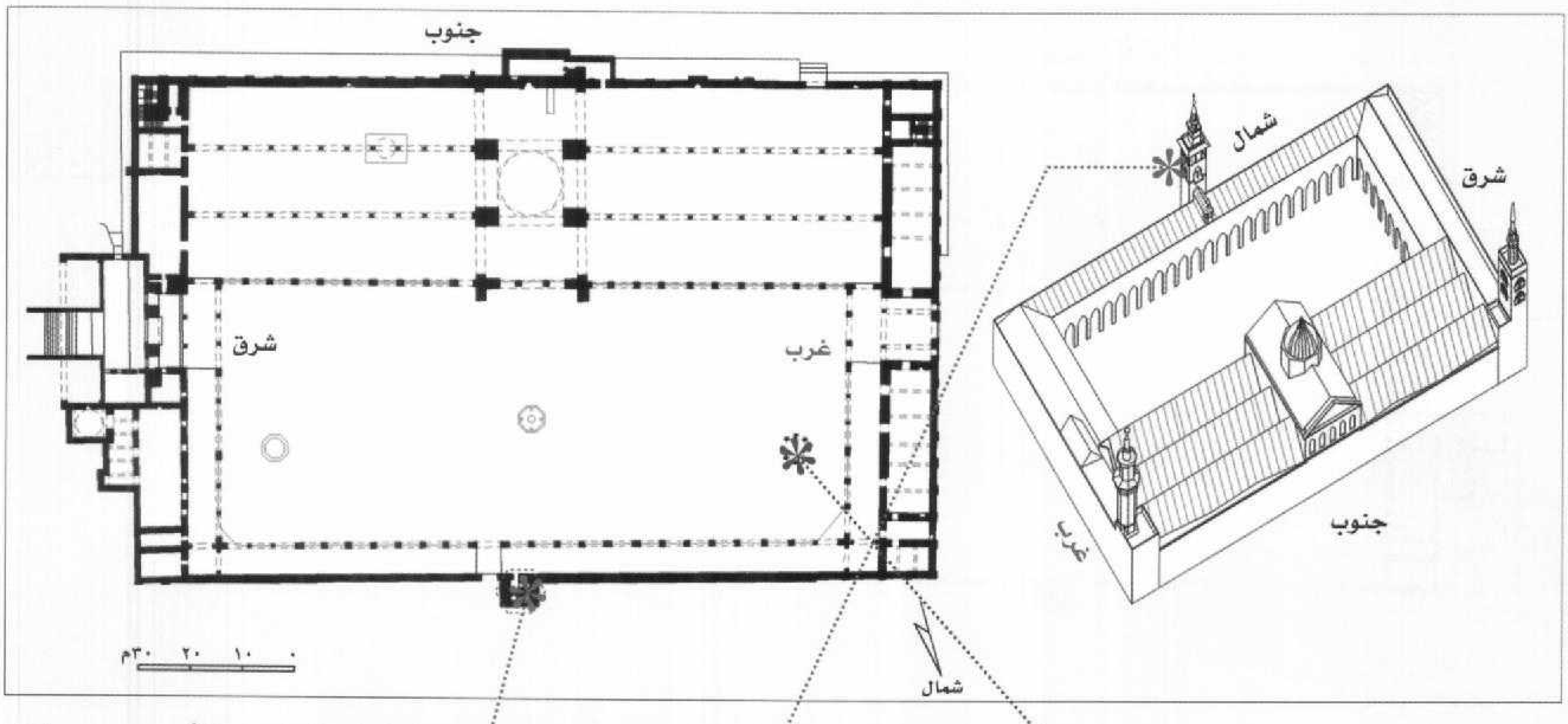

مخطط الجامع الأموي بدمشق

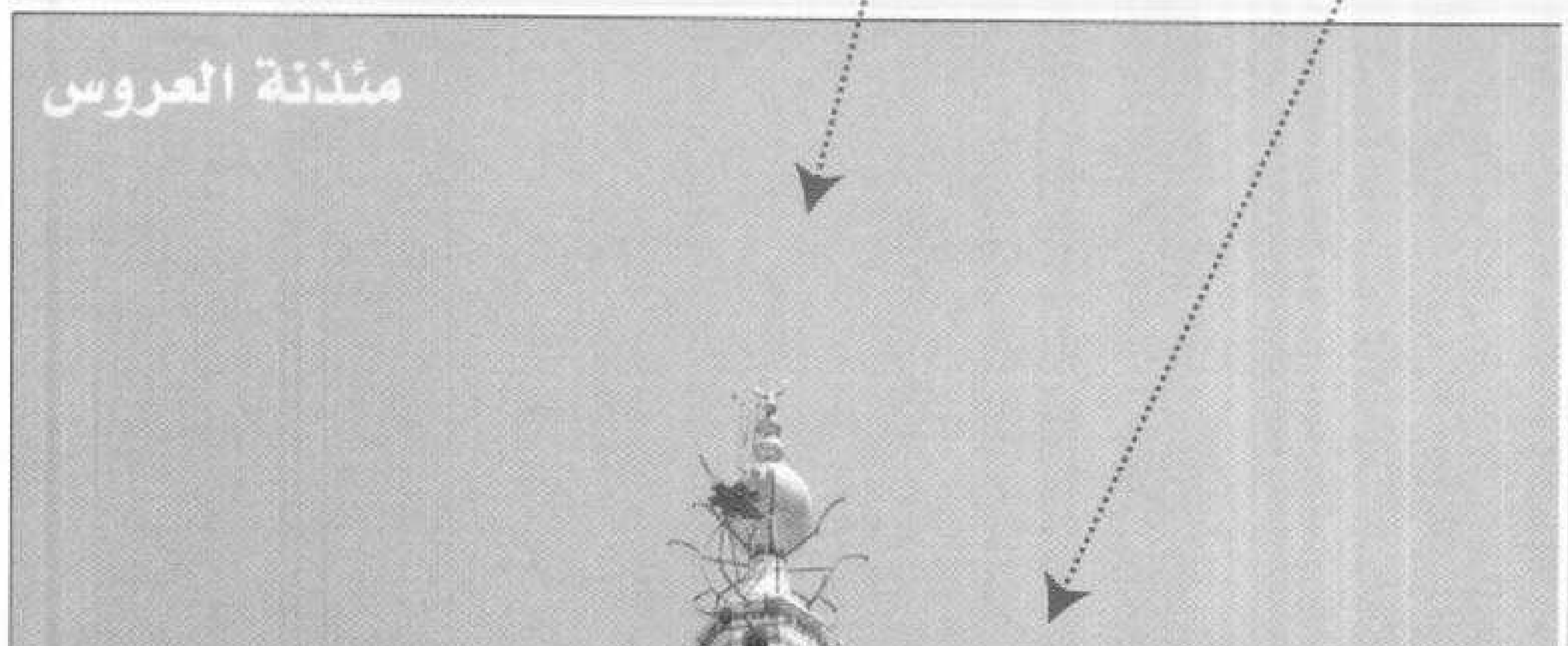

مئذنة العروس

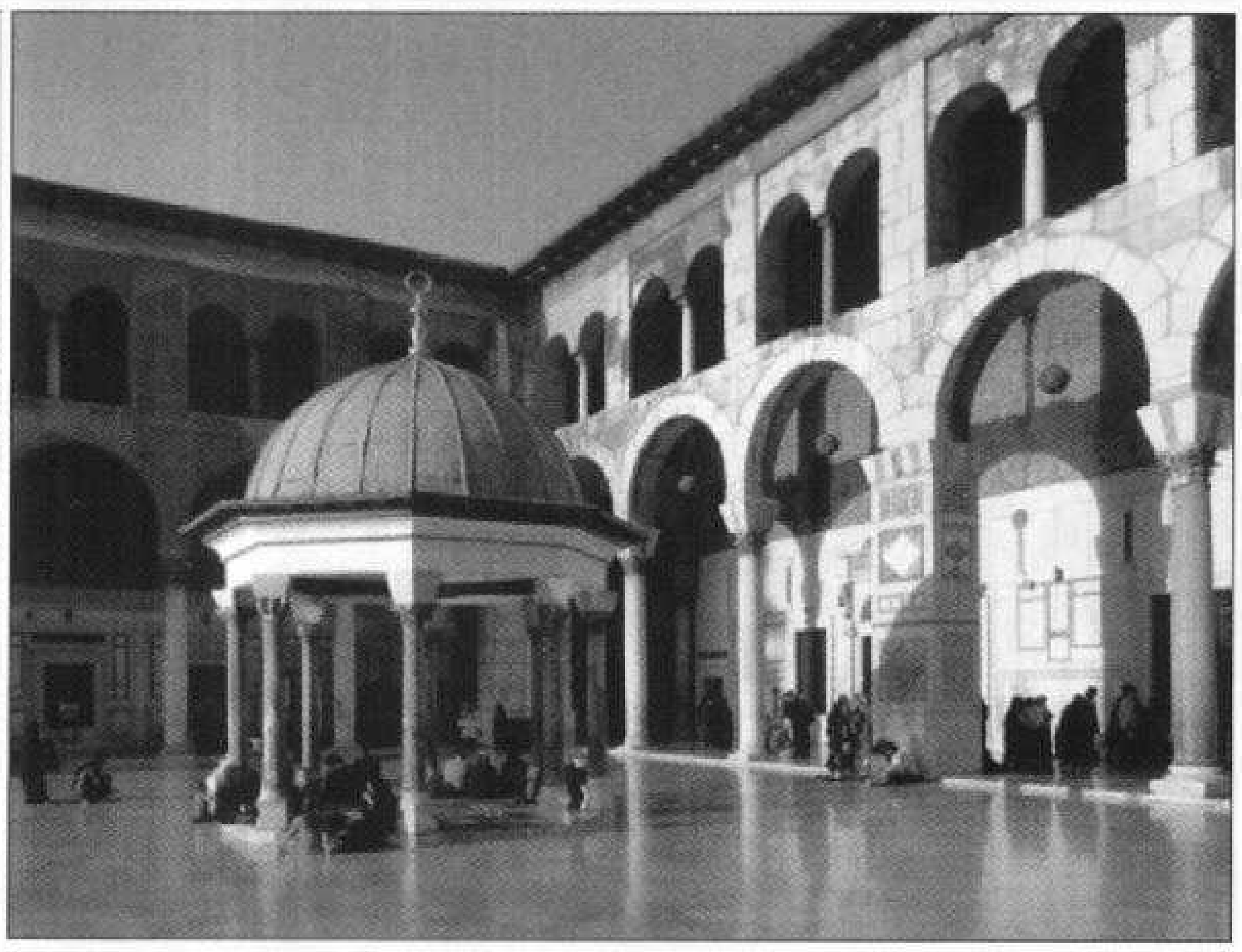

قبة الساعات (أو قبة زين العابدين)، تقع في الجهة الشرقية لصحن الجامع

تقع مئذنة العروس في منتصف الرواق الشمالي للجامع الأموي، فوق باب العمارة. لها عدة تسميات فاسمها المعروف والأكثر شهرة هو العروس، وتسمى أيضاً بمئذنة الكلاسة لإطلالتها على حي الكلاسة المجاور وسميت بالمئذنة البيضاء والمئذنة الشمالية. يذكر المؤرخون العرب أن هذه المئذنة شيدها الوليد وقد كساها بالذهب من أعلاها إلى أسفلها، ولم يبق من أصلها الأموي إلاّ بعض مداميك في قاعدة جذع هذه المئذنة، أصابتها أضرار كبيرة إثر حريق مدرسة الكلاسة فأعيد تجديدها في عهد صلاح الدين الأيوبي، والقسم الأعلى من البرج المربع الشكل والذي يضم نوافذ مزدوجة يعود إلى عصر المماليك، أما الشرفة وما يعلوها فتعود إلى العصر العثماني.

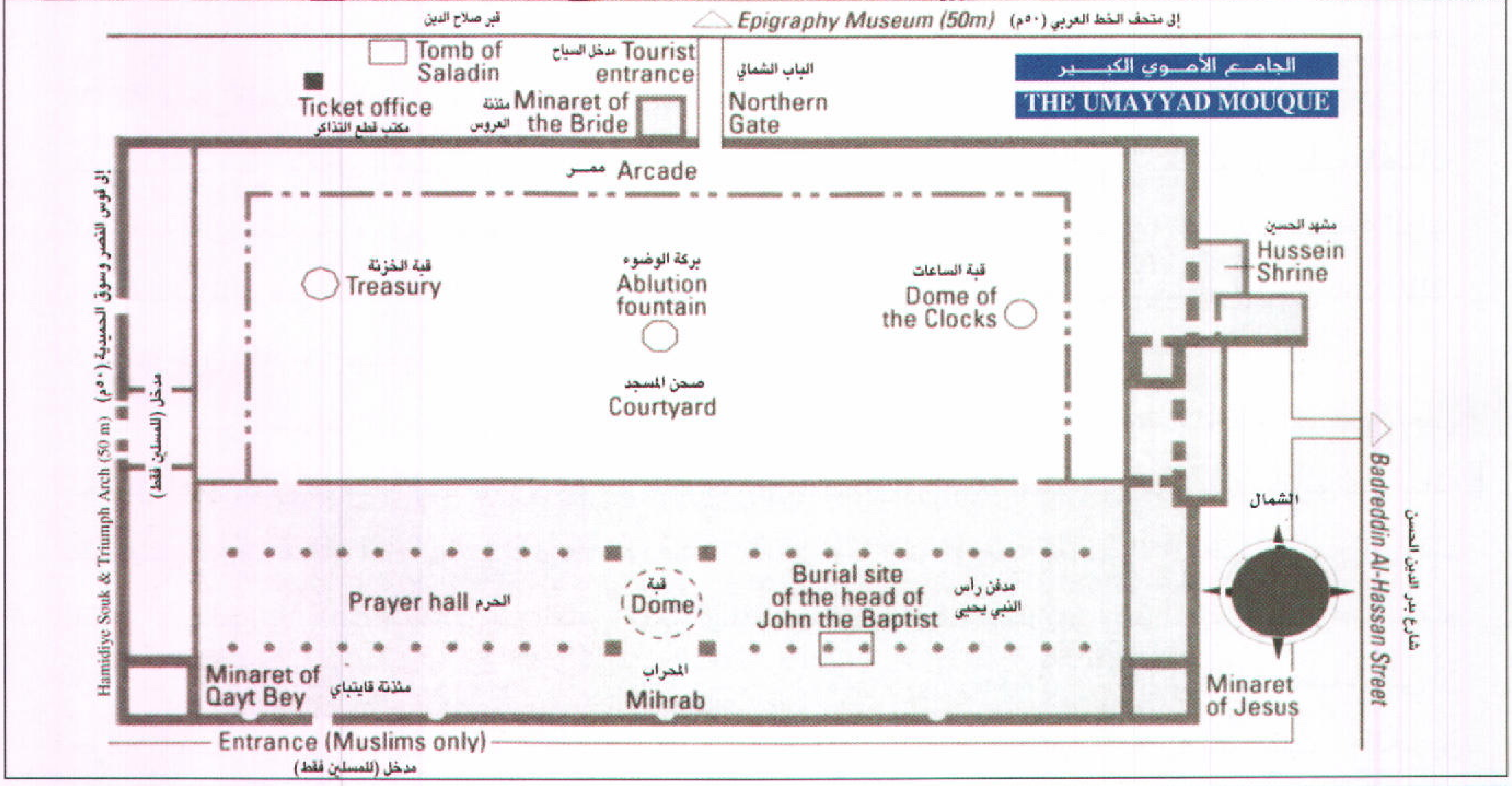

مدخل بيت الصلاة

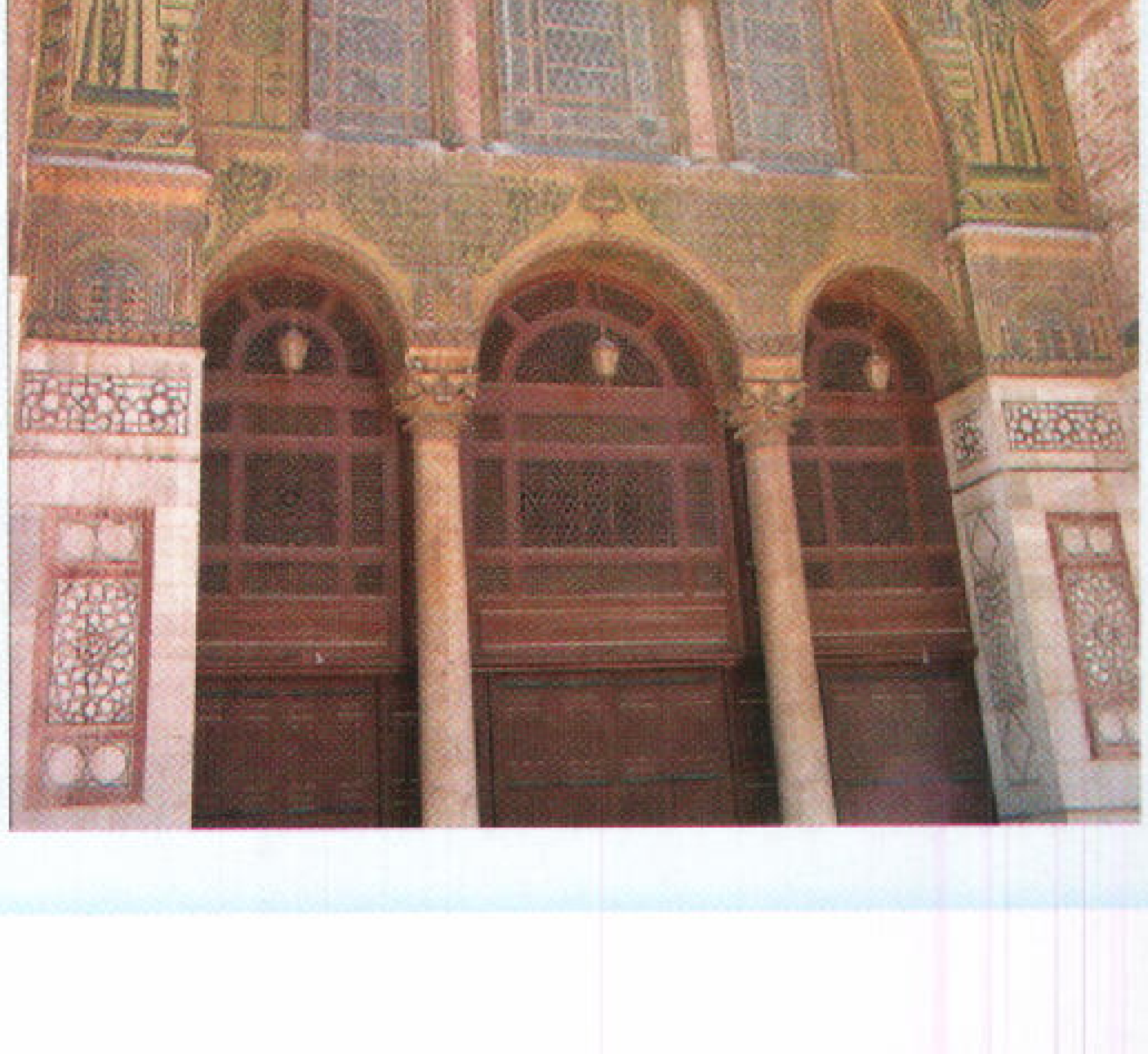

اهتم **الأمويون** وبخاصة الخليفة عبد الملك بن مروان، وولداه الوليد، وهشام بتزيين الأوابد التي أنشأوها بآيات الفن من الفسيفساء والزخارف، والوليد بن عبد الملك هو الذي تابع بناء المسجد الأقصى بعد أبيه، وهو الذي أمر بزخرفة آبدته الخالدة «جامع دمشق الكبير بالفسيفساء والزخارف النباتية»، وهذه الزخرفة تشكل بداية تأسيسية لفن الزخرفة العربي الإسلامي.

لقد تناول مصمم الفسيفساء في **الجامع الأموي** مواضيع مختلفة في بعض الأحيان ومشابهة للمواضيع التي نُفذت في قبة الصخرة أحياناً أخرى، وهذا التشابه يتجلى في تحوير العناصر النباتية مثل ورق الإكنثة، ولكن الشيء الجديد المختلف في مواضيع الجامع الأموي هو تصوير العمارات والأنهار، أما الأشجار التي تبدو واضحة كشجرة زيتون، أو نخلة فهي موجودة في قبة الصخرة دون أن نرى فيها أثراً لصور العمارات أو الأنهار.

و. الجامع الأموي في حلب :

الجامع الأموي الكبير في حلب هو أحد أكبر جوامع المدينة، وأحد المعالم الإسلامية التاريخية فيها، أنشئ هذا الجامع في العصر الأموي في مدينة حلب . ويطلق عليه البعض اسم جامع النبي زكريا عليه السلام بسبب دفن قطعة من جسد نبي الله زكريا عليه السلام في الجامع (والله أعلم).

يقوم الجامع اليوم على مساحة من الأرض يبلغ طولها ١٠٥ م من الشرق إلى الغرب، ويبلغ عرضه نحو ٧٧,٧٥ م من الجنوب إلى الشمال، وهو يشبه إلى حد كبير في مخططه وطرازه جامع دمشق.

فهذا الجامع الأموي الكبير يعود تاريخ بنائه إلى العهد الأموي (٩٨ هـ - ٧١٨ م) حيث تشير أغلب المصادر التاريخية: أن الخليفة الأموي **سليمان بن عبد الملك** هو الذي أمر بتشيده ليضاهي به ما شيده شقيقه الوليد ابن عبد الملك في جامع بني أمية الكبير بدمشق، وبعضها ينسب بناء المسجد للخليفة الوليد بن عبد الملك. لكن المؤرخين يكادون يجمعون على بناء سليمان بن عبد الملك له.

يذكرُ "ابن شداد" أنَّ موضع الجامع كان بستاناً للكنيسة العظمى في أيام الروم، ولمَّا فتح المسلمون حلب صالحوا أهلها على موضع المسجد. ويفيد ابن النديم بأنَّ سليمان بن عبد الملك هو الذي بناه، وتأنق في بنائه ليضاهي به ما عمله أخوه الوليد في جامع دمشق، كما ذكرنا آنفاً. ويعود العمر التاريخي للجامع إلى وقت الفتح، أي عام (١٧) هـ، بينما يرجع العمر المعماري للجامع إلى فترة سليمان بن عبد الملك أي في حدود عام (٩٨) هـ. وقيل: إن جامع حلب الأموي كان يضاهي جامع دمشق في الزخرفة، والرخام، والفسيفساء، إلى أن أحرقه « نقفور فوكاس » ملك الروم عندما اجتاح حلب عنوة بعد حصار محكم، وأعمل فيها النهب، والحريق سبعة أيام كاملة، فرممه سيف الدولة الحمداني .

المدخل إلى بيت الصلاة في الجامع الأموي بحلب الشهباء

صحن الجامع الأموي ، ويُرى مكان الوضوء، وسبيل الماء

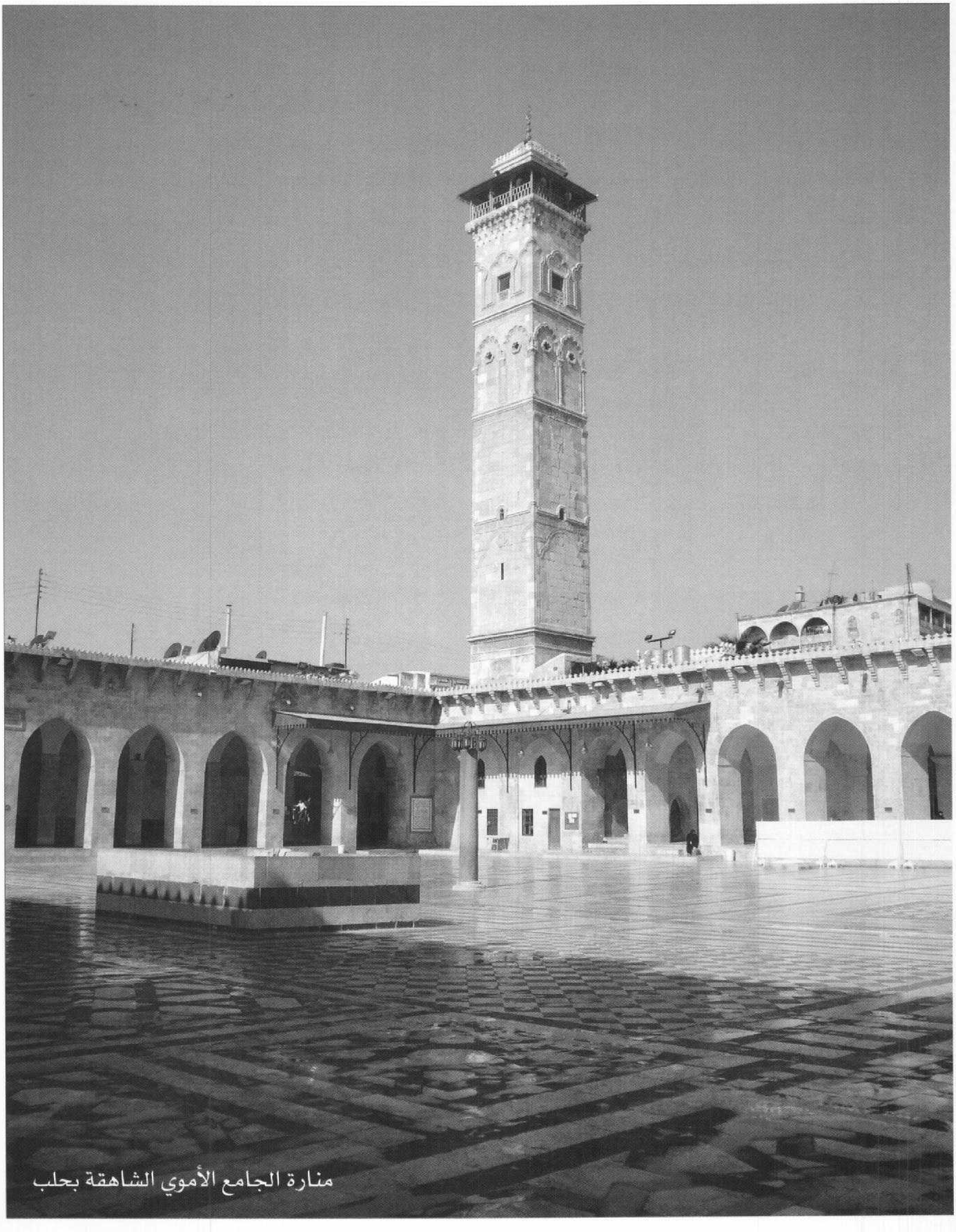
منارة الجامع الأموي الشاهقة بحلب

ن. جوامع أخرى :

جامع عمرو بن العاص في الفسطاط[١] **:**

بناه عمرو بن العاص (أول تأسيسه لمدينة الفسطاط سنة ٢٢ - ٢٣هـ / ٦٤٣ م) مستطيل الشكل، له سقف من الجريد على ساريات من جذوع النخيل . وفي أثناء **خلافة معاوية**، أمر مسلمة بن مخلد الأنصاري (واليه على مصر) بالزيادة في المسجد الجامع، فهدم سنة ٥٣هـ /٦٧٣ م ما كان عمرو بناه، ثم أعاد بناءه وضاعف في مساحته ، وبنى له أربع مآذن (منارات) (كانت أبراجاً صغيرة مربعة) فوق أركانه الأربعة ، وكانت أول ما عُرِف من المآذن في مصر. وأمر مسلمة بابتناء منار المساجد كلها. وأمر المؤذنين في مساجد الفسطاط أن يكون آذانهم في الليل في وقت واحد. فكان مؤذّنو المسجد الجامع يؤذنون للفجر فإذا فرغوا من آذانهم أذّن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد. وأمر مسلمة كذلك بفرش أرضية المسجد الجامع بالحُصُر.

وفي أثناء ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر لأخيه عبد الملك ، قام بهدم المسجد وأعاد بناءه وزاد في مساحته وزيَّنه وجمَّله ، وذلك في عام ٧٧ هـ/ ٦٩٦ م، ويبدو أن سقف المسجد كان قليل الارتفاع، فقام عبد الله بن عبد الملك، والي مصر لأخيه الوليد سنة ٨٩هـ ٧٠٧م، برفع سقف المسجد ، وظل الأمر كذلك، حتى تولى قُرَّة بن شريك ولاية مصر (٩٣ هـ / ٧١١م) فقام بهدم المسجد، وأعاد بناءه، ووسعه، وطلاه، وزخرفه وذهّب رؤوس العمد فيه، واستحدث فيه المحراب المجوّف لأول مرّة .

مسجد عقبة بن نافع في القيروان :

تقدم الحديث عنه، حينما تطرقنا في هذا الأطلس عن دور عقبة بن نافع في بناء مدينة القيروان وجامعها، ومن مسجد عقبة في القيروان ومنارته انتقلت طُرز العمارة الإسلامية الأموية إلى **جامع الزيتونة** في تونس (١١٤ هـ / ٧٣٢ م) ومساجد المغرب، والأندلس الأخرى .

وساهم خلفاء بني أمية وولاتهم في تشييد وإعمار مساجد كثيرة في أقاليم الدولة. ففي بلاد الشام أعاد عبد الملك بن مروان بناء **مسجد قيسارية** الذي هدمه الروم إثر هجومهم على المدينة في أثناء انشغال الأمويين بحركة عبد الله بن الزبير (٦٤ - ٧٣ هـ / ٦٨٣ -٦٩٢ م) .

وبدأ سليمان بن عبد الملك في بناء مسجد **مدينة الرَّمْلَة** (في فلسطين) التي أسسها هو أيضاً (ولكنه توفي فأتمّه عمر بن عبد العزيز من بعده) . كما أنه بنى **جامع حلب** - تقدم الحديث عنه - على غرار مسجد دمشق الذي بناه الوليد. وقام خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٩٠ هـ / ٧٠٨ م) إبان إمارته على مدينة حمص (٦٤ هـ / ٦٨٤ م) ببناء المسجد الجامع فيها **(جامع حمص)** .

أما عمر بن عبد العزيز فقد بنى مسجداً جامعاً من ناحية **كَفْربيا** . (واتخذ فيه صهريجاً كان اسمه مكتوباً عليه) ، كما أنه بنى مسجداً في **اللاذقية** ومسجداً في **أنطاكية** ومسجد **الخميس** في **البحرين**

---

١ - د .عمر بن سليمان العقيلي، بناء المساجد في العصر الأموي، النسخة الرقمية .

وكانت هـذه عادة عمر، فقد كتب إليه أيوب بن شرحبيل الأصبحي واليه على مصر (٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧١٩ م)، أن خزانته لكثرة ما كان فيها من أموال لم تعد تتسع لقبول موارد جديدة، ويطلب مشورة الخليفة فيمـا يمكنـه عمله بهذه الأموال . فأشار عليه الخليفة بأن ينفـق الفائض في بناء المساجد، وهاهو عمر نفسه يأمر أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري واليه على **المدينة النبوية** أن يبني **مسجد بني عدي بن النجار** باللّبن بناءً قاصداً (وسطاً).

وفي إقليم **العراق** : أعاد المغيرة بن شعبة الثقفي والي الكوفة (٤١ - ٥٠ هـ/ ٦٦١ - ٦٧٠ م) بناء **مسجد الكوفة** ووسعه. فجعله يتسع لأربعين ألفاً من المصلّين. ثم قام زياد بن أبي سفيان بالزيادة في مسجد الكوفة (٥٠ - ٥٣ هـ/ ٦٧٠ -٦٧٣ م) وفرش أرضيته بالحَصى، واتخذ فيه المقصورة .

كان زياد في أثناء ولايته على **البصرة** (٤٥ - ٥٣ هـ / ٦٦٥ - ٦٧٣ م) قد أعاد بناء **المسجد الجامع** وزاد فيـه زيادة كثيرة، وبنـاه بالآجر، والجص ، وسقفه بخشب السَّاج ، واتخذ له أعمدة من حجر نحتها من جبل الأهواز، وبنى منارته بالحجارة، وعمل فيه المقصورة ، وفرش أرضيته بالحصى (بدل التراب). وحوّل المنبر إلى صـدر المسجـد، فكان الإمام يخرج من دار الإمارة إلى قبلة المسجد ويدخل المسجد دون أن يتخطى أحداً . وبالرغم من أن زياداً قد بنى في ضواحي البصرة حوالي سبعة مساجد، مثل: مسجد بني عدي ، ومسجد بني مجاشع، إلا أنه لم يطلق اسمه على أي منها، كما أنه لم يَدَع أحداً يبني بالقرب مسجد الجماعة .

واختـط الحجـاج في أثناء بنائـه مدينة **واسط** المسجد الجامع فيها، وعمّـره وأحسن بناءه وكانت مساحته مائتي ذراع في مثلها (٦٤٤٤٠ م٢).

وفـي **اليمـن** : أعاد الوليد بن عبد الملك بناء **جامع صنعاء الكبير**، إذ أمر أيوب بن محمد الثقفي عامله على صنعاء ببناء المسجد والزيادة فيه، ففعل .

وأمـا فـي بلاد المغرب الإسلامـي والأندلس : فقد بنى عقبة بن نافع مسجداً فـي **مدينة إيجْلي** (قاعدة السوس الأقصي) . وقام **حسان بن النعمان الغساني** ببناء جامع في مدينة **تونس** عند إنشائه لها (٨٤ هـ / ٧٠٣ م) ثـم جـدده عبيـد الله بـن الحَبْحـاب (١١٤ هـ / ٧٣٢ م) وزاد فيه، وصار يعـرف **بمسجد الزيتونـة** . وقـام موسى بن نصير ببنـاء مسجد **الرايات** في **الجزيرة الخضـراء بالأندلس**. كما بنى موسـى وطـارق بن زيـاد **مسجد سرقسطـة** بعد فتحهما لهـا، وقد خطّطه وسـدّد قِبلته حَنَش بن عبدالله الصنعـاني مهندس المساجد في المغرب الإسلامي، والذي شارك بـدوره في بناء **مسجد قرطبة** و**مسجد إلْبيرة الجامع** في الأندلس .

وأما في إيران وأفغانستان وبلاد ماوراء النهر : فقد بنى ولاة الأمويين مساجد في مرو، ونيسابور، وأرجان، وجرجان، وهَرات. وكان أشهرها مسجد هرات، ثم بلخ، وسجستان[١] .

---

١ - د .عمر بن سليمان العقيلي، بناء المساجد في العصر الأموي، النسخة الرقمية .

وبنى قتيبة بن مسلم الباهلي مساجد في **سمرقند، وبخارى، وطشقند، وخوارزم**.

وفي بلاد السِّند : قام محمد بن القاسم الثقفي ببناء مساجد جامعة في **مدينة الدِّيبل**، وفي مدينة **الـرّور** (أرور)، **والنـيرون، وبرهمان أبـاد، وسيهوان، والملتان**. وبنى الحكم بـن عوانة الكلبي مسجداً جامعـاً فـي **مدينة المحفوظة**. وعمل عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي الشيء نفسه عندما شرع في بناء **مدينة المنصورة** .

ولم ينسَ الأمويـون أن يبنـوا مساجـد فـي مـا كان يعرف بالعـواصـم، والثغور (المدن أو القـرى أو القلاع والحصـون الواقعـة على الطـرق المؤدية إلى بلاد الروم من بـلاد الشام)، فقد ابتنى عبـدالله بن عبد الملك مسجـداً فـي بلدة **المَصِّيصَة**. علـى إثر فتحه لها (٨٤ هـ /٧٠٣ م). وبنى العباس بـن الوليد بن عبد الملك مسجداً جامعاً في بلدة **مَرْعَش** .

ولعـل مـن المفيـد أن نشير إلى أن الفن الإسلامي في **مساجد العصر الأموي** قد تميّز عما كان عليه في عصـر الخلفـاء الراشدين بوجود المقصـورة، والمئذنة (المنارة أو الصومعة) والمحـراب المجوّف . فلما أُخبر عمر بن عبد العزيز بذلك، قال: " ما أرى مسجد دمشق إلا غيظاً للأعداء"، فترك ما كان قد همّ به[١] .

جامع الزيتونة أول جامعة في العالم الإسلامي وهو جامعة وجامع بمدينة تونس. يعد ثاني الجوامع التي بنيت في "إفريقية" بعد جامع عقبة بن نافع في القيروان، يرجح المؤرخون أن من أمر ببنائه هو حسان ابن النعمان عام ٧٩ هـ وقام عبيد الله ان الحبحاب بإتمام عمارته في ١١٦ هـ، ٧٣٦ م.

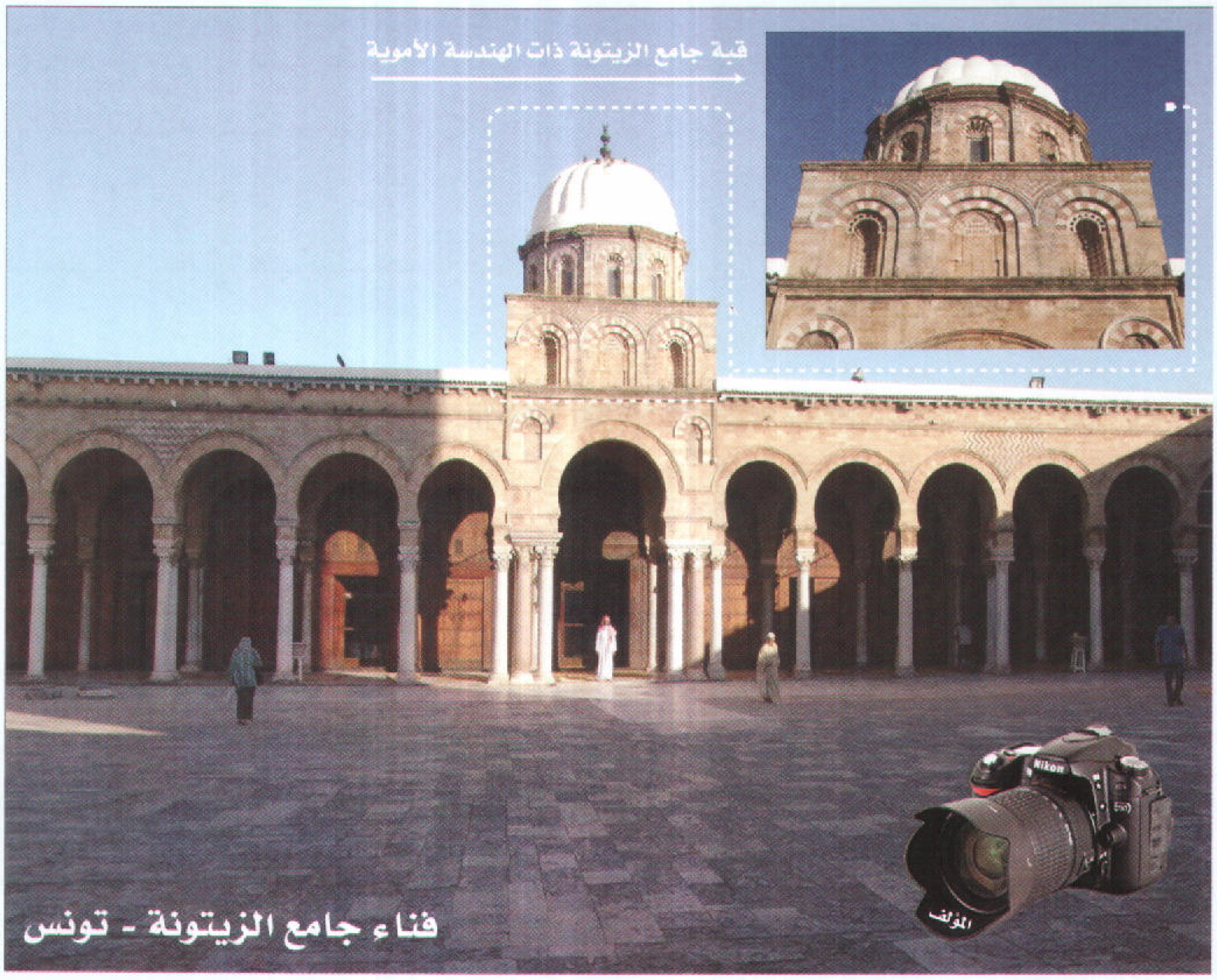

فناء جامع الزيتونة - تونس

١ - د .عمر بن سليمان العقيلي، بناء المساجد في العصر الأموي، النسخة الرقمية .

من أروقة جامع الزيتونة

لم يكنْ جامع الزيتونة مكاناً للصلاة والعبادة فقط؛ بل كان منارة للعلم والتعليم على غرار المساجد الكبرى في مختلف أصقاع العالم الإسلامي، حيث تلتئم حلقات الدرس حول الأئمة والمشايخ للاستزادة من علوم الدين، ومقاصد الشريعة، وبمرور الزمن أخذ التدريس في جامع الزيتونة يتخذ شكلاً نظامياً حتى غدا في القرن الثامن للهجرة عصر (ابن خلدون) بمثابة المؤسسة الجامعية التي لها قوانينها، ومناهجها وإجازاتها، ويقصده طلاب العلم وأرباب المعرفة من مختلف أنحاء المغرب العربي طلباً للعلم؛ أو للاستزادة منه .

منارة جامع الزيتونة

بناء المدن في العصر الأموي

شهد العصر الأموي نهضة عمرانية كبرى، استفاد فيها المسلمون من التراث، ومن الطرز المعمارية التي وجدوها في البلاد المفتوحة سواء أكانت فارسية، أم بيزنطية، أم مصرية، وطبعوها بطابع عربي إسلامي، ووضعوا بذور فن معماري متميز عن غيره من الفنون المعمارية الأخرى، وساعدهم على ذلك الثراء الواسع الذي كانت تتمتع به الدولة الأموية.

أنشأ الأمويون عدداً من المدن في المشرق والمغرب، ولا يزال معظمها قائماً معروفاً حتى الآن، فأنشأ عقبة ابن نافع في عهد معاوية بن أبي سفيان ٤١ - ٦٠هـ مدينة **القيروان** في تونس، وقد أصبحت عاصمة الشمال الإفريقي كله في العصر الأموي، ومركزاً من أعظم المراكز الحضارية الإسلامية. وفي عهد عبد الملك بن مروان ٦٥ -٨٦هـ أنشأ أخوه **عبد العزيز بن مروان** والي مصر مدينة **حلوان** جنوبي الفسطاط، وأنشأ **حسان بن النعمان الغساني** مدينة **تونس**، وأنشأ **الحجاج بن يوسف الثقفي** مدينة **واسط** في العراق بين البصرة والكوفة، ومدينة **قم** في منطقة الجبال في بلاد فارس، بين سأوة وأصفهان. وأنشأ **سليمان بن عبد الملك** في عهد أخيه الوليد ٨٦ - ٩٦هـ مدينة **الرملة**، كما أنشأ الخليفة **هشام بن عبد الملك** ١٠٥ - ١٢٥هـ مدينة **الرصافة** بالقرب من الرقة في العراق، وأنشأ **الحكم بن عوانة الكلبي** مدينة المحفوظة في السند، و**عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي** مدينة **المنصورة** في السند أيضاً[١].

لقد أضاف الأمويون الكثير من المرافق العامة للمدينة وتطور العمران بشكل ملحوظ في العهد الأموي واتضح بالتخطيط السليم للمدن والأبنية مثل منشأت الحكم، ودور العلم، والمشافي، والشرطة، والدواوين، ودور العبادة، ودوائر الحكم المختصة وغيرها، وكانوا يضعون هذه المرافق إما في المركز مع المرافق الرئيسة، أو على طول الشوارع الرئيسة، التي تربط الضواحي بمراكز المدن واتضحت بشكل منظم في دمشق.

ونظراً للتوسع الكبير في الحضارة الإسلامية في العهد الأموي فإن الطراز الأموي في البناء كان أول طراز إسلامي حقيقي نظراً لتأثره بالحضارات السابقة التي ذكرناها وإضافة الأفكار الإسلامية عليها فكان أسلوب بناء المدن الجديدة متماشياً مع سمت البناء الإسلامي ذي الخصوصية الدينية الحضارية، الذي يتفق مع الذوق السليم.

---

١ - موسوعة التاريخ الإسلامي على الشبكة العنكبوتية.

أشهر المدن التي أنشئت في العصر الأموي

العناية بالطرق: اهتمت الدولة الأموية اهتماماً كبيراً بإنشاء الطرق، لربط أجزائها التي امتدت من الصين إلى الأندلس، وهي مسافة تبلغ ١٢ ألف كم من الشرق إلى الغرب، ولتيسير الاتصال ببعضها، ولتحقيق كثير من الأغراض، منها ما هو عسكري لتيسير حركة الجيوش، ومنها ما هو اقتصادي لتيسير حركة التجارة، ومنها ما هو إداري لتسهيل وصول الأخبار عن طريق رجال البريد، ومنها ما هو ديني لتسهيل وصول حجّاج بيت الله الحرام من كل أنحاء الدولة إلى مكة المكرمة، لأداء فريضة الحج، وإلى المدينة النبوية؛ لزيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قسم الأمويون الطرق التي تربط العاصمة دمشق بعواصم الولايات - كالفسطاط والقيروان وقرطبة والكوفة والبصرة وخراسان، و ما وراء النهر - إلى مسافات صغيرة محددة، وجعلوا لها علامات تحمل أرقاماً؛ ليعرف المسافرون المسافات بين المدن والأقاليم، وهي مثل العلامات الإرشادية المستخدمة الآن في الطرق الإقليمية والدولية. وعمرت الطرق بالخانات والاستراحات، ليستريح الناس من وعثاء السفر، فوق ما كانت تتمتع به من أمن وأمان. وكان الناس يسافرون عبر هذه الطرق، ويتنقلون بين مدن الشرق والغرب دون تصريح مرور أو جواز سفر، فالدولة كلها على امتداد حدودها وطنهم، في أي مكان منه يستطيع الإنسان أن يسكن، ويتزوج، ويتاجر، دون مضايقة أو طلب إقامة. المرجع السابق.

بناء القصور في العصر الأموي [١].

لقد عرف في العصر الأموي نوعان من القصور: أولاً: القصور الرسمية: دار الخلافة ودار الإمارة. ثانياً: القصور الخاصة (غير الرسمية).

أولاً: القصور الرسمية:

دار الخلافة: وهي مقر إقامة الخلافة وعادة ما تكون في العاصمة ويطلق على المكان قصر الخلافة أو دار الخلافة. ولعل **قصر الخضراء** (نسبة إلى القبة الخضراء التي كانت تعلوه) **بدمشق** خير ما يمثل هذه الفئة. فقد اتخذه معاوية مقراً لإمارته على بلاد الشام (١٩ – ٤١ هـ) واستمر في الإقامة فيه بعد توليه الخلافة (٤١ – ٦٠ هـ).

ومن ناحية أخرى فقد بقي هذا القصر مقراً لإقامة معاوية وابنه يزيد من بعده، ثم آلت ملكيته إلى عبد الملك بن مروان (والذي اشتراه من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعين ألف دينار وأربع ضياع بأربعة أجناد من الشام). فأقام فيه عبد الملك وأولاده الوليد، وسليمان، وفترة قصيرة من عهد هشام . ولعل قيام الوليد ابن عبد الملك ببناء الجامع الأموي ملاصقاً لقصر الخضراء دفع الخلفاء للبقاء فيه كل هذه المدة، ولكن هذا القصر ما لبث أن فقد دوره منذ أن انتقل الخليفة هشام بن عبد الملك إلى **الرصافة** المطلة على نهر الفرات واتخذها دار إقامة، وابتنى فيها قصرين. وأما مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية فقد نقل العاصمة إلى مدينة **حرّان** وابتنى فيها قصراً بلغت تلكفة إنشائه حوالي عشرة ملايين درهم .

دار الإمارة: وهي الدار التي يقيم فيها الوالي في الإقليم الذي يتولاه. وعادة ما تكون دار الإمارة في المدينة الرئيسة لذلك الإقليم. ففي إقليم العراق. قام عبيد الله بن زياد (والي العراق لمعاوية ويزيد) ببناء مقر لإمارة البصرة عرف **بقصر الحمراء**: كما بنى مقراً للإمارة في الكوفة سماه **القصر الأبيض**. لكنه لم يسكنه إذ خرج إلى بلاد الشام سنة ٦٤ هـ، وقتل وهو في طريقه عائداً إلى الكوفة.

وقام الحجاج ببناء مقر للإمارة في مدينة **واسط**، عرف **بقصر الخضراء** نسبة إلى القبة الخضراء التي كانت وسط القصر وكان ديوان الحجاج ومجلسه اليومي تحت هذه القبة. وكانت مساحة القصر أربعمائة ذراع في مثلها (١٦٠ م × ١٦٠ م = ٢٥٦٠٠ م٢) وللقصر أربعة أبواب ، كل منها يفضي إلى طريق عرضه حوالي (٣٢ م).

وبنى الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم الأموي (والي **الموصل** أيام هشام بن عبد الملك) قصراً منيفاً للإمارة هناك تفنن في بنائه وزخرفته وسماه " **المنقوشة** ".

١– د . عمر بن سليمان العقيلي، بناء المدن في العصر الأموي، .

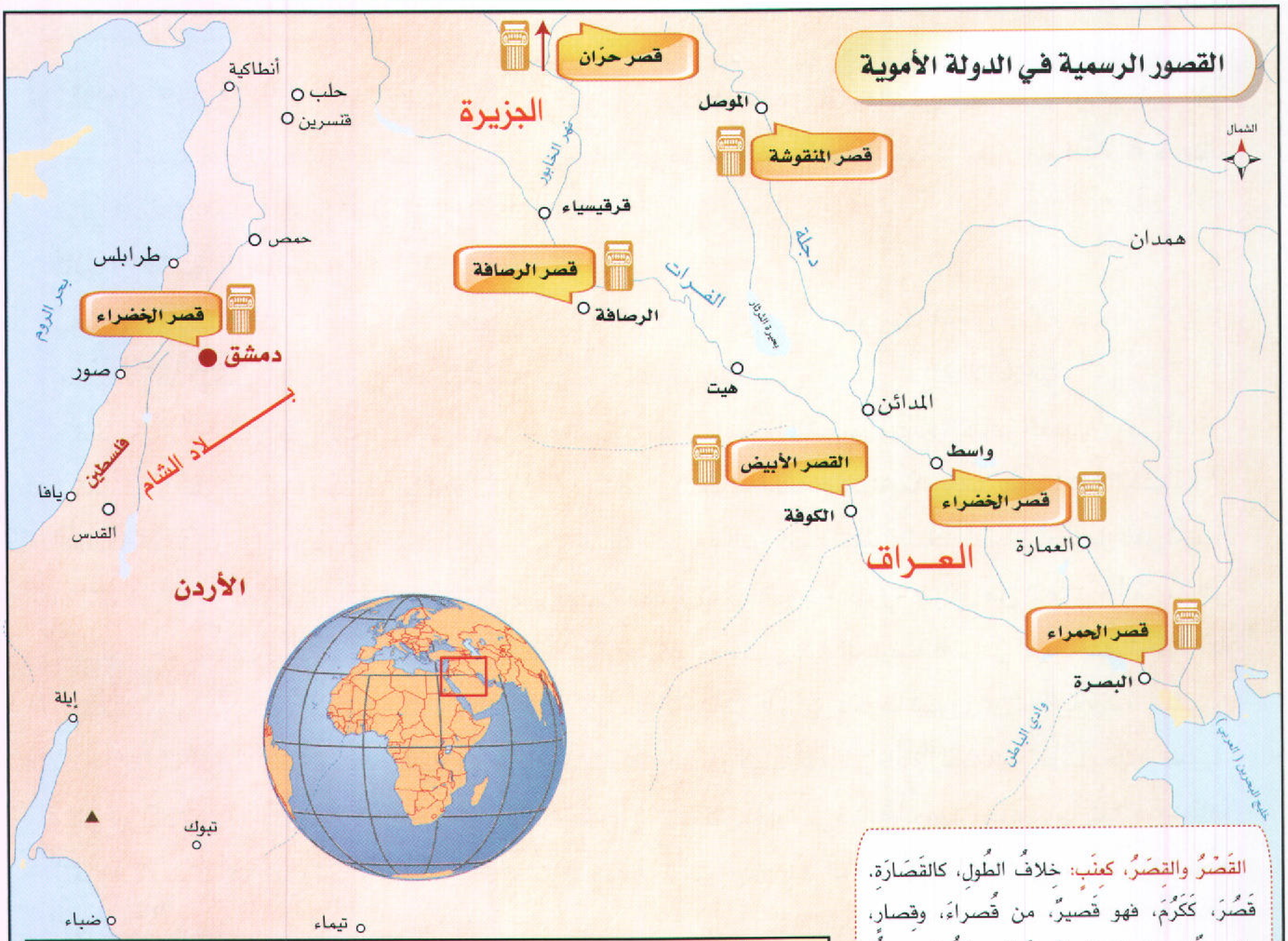

القَصْرُ والقِصَرُ، كعِنَب: خلافُ الطُّول، كالقَصَارَة. قَصُرَ، كَكَرُمَ، فهو قَصِيرٌ، من قُصراءَ، وقِصار، وقصيرةٌ، من قِصار وقِصارَة. أو القِصارَةُ: القصيرةُ، نادرٌ. والأَقاصِرُ: جمعُ أَقْصَرَ. وقَصَرَهُ يَقْصُرُهُ: جَعَلَهُ قَصِيراً، و- الشَّعَرَ: كَفَّ منه، والاسمُ: القِصارُ، بالكسر. وتَقاصَرَ: أظْهَرَ القِصَرَ، كتَقَوْصَرَ. والقَصْرُ: خلافُ المَدِّ، واخْتلاطُ الظَّلام، والحَبْسُ، والحَطَبُ الجزْلُ، والمَنْزِلُ، أو كُلُّ بَيْتٍ من حَجَرٍ، وعَلَمٌ لسَبْعَةٍ وخَمْسينَ مَوْضعاً، ما بَيْنَ مَدينَةٍ وقَرْيَةٍ وحِصْنٍ ودارٍ، أعْجَبُها قَصْرُ بَهْرام جُورَ من حَجَرٍ واحد قُرْبَ هَمَذانَ. وقَصَرَهُ على الأَمْر: رَدَّهُ إليه. و- عن الأَمرِ قُصُوراً، وأَقْصَرَ وقَصَّرَ وتَقاصَرَ: انْتَهَى، و- عنه: عَجَزَ، و- عَنّي الوَجَعُ والغَضَبُ قُصُوراً: سَكَنَ، كقَصَّرَ. وقَصَّرَ عنه: تَرَكَهُ، وهو لا يَقْدِرُ عليه، وأَحَبَّ القَصْرَ، ويُحَرَّكُ، والقُصْرَةَ، بالضم، أي: أن يُقَصِّرَ. وامرأةٌ مَقْصورَةٌ وقَصُورَةٌ وقَصيرَةٌ: مَحْبوسَةٌ في البيتِ، لا تُتْرَكُ أن تَخْرُجَ. وسَيْلٌ قَصيرٌ: لا يَسيلُ وادياً مُسَمّى. القاموس المحيط للفيروز آبادي

٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠كم

وفي مصر، ابتنى عتبة بن أبي سفيان ٤٤ هـ داراً للإمارة في **الإسكندرية**. ولما تولى عبد العزيز بن مروان، ولاية مصر لأخيه عبد الملك ٦٥ – ٨٥ هـ، بنى مقراً للإمارة في مدينة **الفسطاط** عرفت **بالدار المذهبة** ٦٧ هـ وتقع غربي المسجد الجامع ولعلها لعظم اتساعها كانت تدعى (المدينة).

ثانياً: القصور الخاصة:

هي تلك المنشآت التي بناها الخلفاء الأمويون خارج العاصمة دمشق وفي مناطق متفرقة من أقاليم الدولة. ولا يزال بعضها شاهداً يحكي عظمة الفن العربي الإسلامي في ذلك الزمن المبكر من عمر الدولة الإسلامية.

لقد احتار الباحثون في الأسباب التي دفعت خلفاء بني أمية لبناء هذه القصور وبهذه الكثافة العددية، وفي أماكن تكاد تكون على محور واحد تقريباً فقد تكون هذه القصور بنيت للراحة والاستجمام حيث يقصدها الخليفة (أو الخلفاء) للتنزه والصيد، أو بقصد التقرب من القبائل العربية التي كانت تقطن تلك المناطق، والعمل على تجنيد أبنائها في القوة العسكرية. أو ربما كان بناء بعض هذه القصور له صلة بوجود طرق للقوافل من الجزيرة العربية إلى الشام. وأنها كانت تستخدم **خاناً** لاستراحة القوافل ومكاناً يستقبل فيه الخليفة القوافل الرسمية الخاصة به وحاشيته، وأما عن أشهر القصور الأموية التي بنيت لأي من الأغراض السابق ذكرها فيروى أن معاوية وعبد الملك بن مروان وابنه الوليد كانوا يقضون بلدة في فصل الشتاء في قصور بنيت لهم في بلدة **الصنبرة** قرب بحيرة طبريا، وكان ليزيد بن معاوية قصراً في **حوارين** قرب **حمص** حيث كان يمارس هواية الصيد هناك. أما بلدة **صيدنايا** المعروفة بطيب هوائها وبساتينها فقد كانت منتجعاً صيفيا لبني أمية منذ أيام معاوية فلا بد من وجود أبنية خاصة لهم يقيمون فيها.

وحاول الخلفاء الأمويون بناء بيوت لهم في مدينة **القدس** فقد دلت الحفريات التي جرت قرب المسجد الأقصى في سنة ١٣٩٠ هـ. على وجود ثلاثة قصور تعود إلى أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك.

وأما عن أشهر القصور الأموية التي يمكن مشاهدتها حتى اليوم في أماكن متفرقة من بلاد الشام، فهي **قصر عمرة**، وبالقرب منه مبنى وقصر **أسيس** و **حمام الصرح**، وقصر **الحرانة** في الأردن، وقد بناها الخليفة الوليد ابن عبد الملك بالإضافة إلى قصر من الرخام رائع جداً في بلدة **عنجر** (عين الجَرّ) في البقاع اللبناني.

وأما الخليفة هشام بن عبد الملك فقد بنى قصرين له في **الرصافة**. كما بنى قصر **الحير الشرقي**، وقصر **الحير الغربي**، وكان قصر **خربة المفجر** يتخذه مشتى له، والمشهور بزخارف الفسيفساء فيه بأشكال متنوعة، هذا بالإضافة إلى قصر له كان على **جبل القلعة** في قلب العاصمة الأردنية **عمَّان**.

وأقام يزيد بن عبد الملك في قصر **الموقر** ٣٠ كم شمال شرقي عمّان، وأما الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقد بنى قصر **المشتى** ٣٢ كم جنوب شرقي عمَّان، وقصر **الطوبة** في **وادي الغدف** ١١١ كم جنوب شرقي عمّان.

القصور الخاصة لحكام الدولة الأموية
الدولة الأموية
الشمال
بلاد الأكراد
القامشلي
حران
عنتاب
عثمانية
عين زربة
جبال طوروس
أضنة
الإسكندرونة
اعزاز
منبج
تل أبيض
الحسكة
جبل سنجار
جبل عبد العزيز
سنجار
الرشيدية
أنطاكية
حلب
جبول
المعرة
قنسرين
مسكنة
الرقة
نهر البليخ
الجزيرة الفراتية
فدغمي
الجزيرة
مرقدة
راقب
الحمام
البدروسية
جبل الزاوية
الحمدانية
قصر الرصافة
الرصافة
نهر الخابور
دير الزور
اللاذقية
قبرص
عصرية
تغلب
بصيرة
الجزيرة الفراتية
بانياس
حماة
السلمية
قصر الحير الشرقي
طرطوس
قصر حوارين
الجبال التدمرية الشمالية
العراق
حمص
الصالحية
نهر الفرات
تدمر
قصر النجراء
طرابلس
جبال لبنان الغربية
قصر الحير الغربي
قصر النجراء: في بادية تدمر بناه الخليفة الوليد الثاني عام ٧٤٤م.
جبيل
الجبال التدمرية الجنوبية
البحر الكبير (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
بعلبك
قصر عنجر
سبع بيار
بادية الشام
قصر صيدنايا
صيدا
دمشق
قصر أسيس
الدولة الأموية
صور
سوريا
القنيطرة
نهاريا
صفد
شهباء
عكا
حيفا
الجابية
قنوات
طبريا
السويداء
قصر الصنبرة
سهل حوران
جبل العرب
قصر برقع
درعا
قيسارية
أربد
الرمثا
بصرى
صلخد
الرويشد
عجلون
جبل عنيزة
يافا
نابلس
جرش
الزرقاء
قصر حمام الصراح
قصر عين السل
قلعة عمان
قصر الفجر
أريحا
الأزرق
قصور بيت المقدس
قصر المشتى
قصر عمرة
بيت لحم
البحر الميت
غزة
الخليل
قصر الخرانة
قصر الموقر
فلسطين
قصر الطوبة
بئر السبع
أدوم
أرض البلقاء
الطفيلة
الأردن
الشوبك
البتراء
معان
سيناء
أيلة
خليج أيلة
٢٥٠ كم ٢٠٠ ١٥٠ ١٠٠ ٥٠ ٠
أوروبا
البحر الأسود (بنطس)
روما
البيزنطية
القسطنطينية
إيطاليا
بلاد اليونان
آسيا الصغرى
الأمبراطورية
بنزرت
قرطاج
صقلية
أنطاكية
المغرب الأدنى
سوسة
قبرص
سوريا
كريت
بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)
دمشق
ج. جربة
صيدا
القدس
درنة
برقة
قصور حسان
الفسطاط
الدولة الأموية
٨٠٠ كم ٤٠٠ ٠
ودان
مصر

في الصفحتين لقطات لقصر الحرانة الأموي

قصر الحرانة أو كما يسميه البعض قصر "الخرانة" هو قصر أموي يقع في الصحراء الأردنية على محاذات الطريق الدولي المتجه إلى الأزرق وعلى بعد ٦٥ كم شرقي عمان ويرتفع ٦٥٩م عن سطح البحر. سمي بقصر الحرانة كونه يقع في وادي الحرانة حيث تتناثر على سطحه آلاف الحجارة الصوانية فوق وجه الأرض والتي يطلق عليها اسم الحرَّة وهذا يغلب تسميته بقصر الحرانة لا الخرانة.

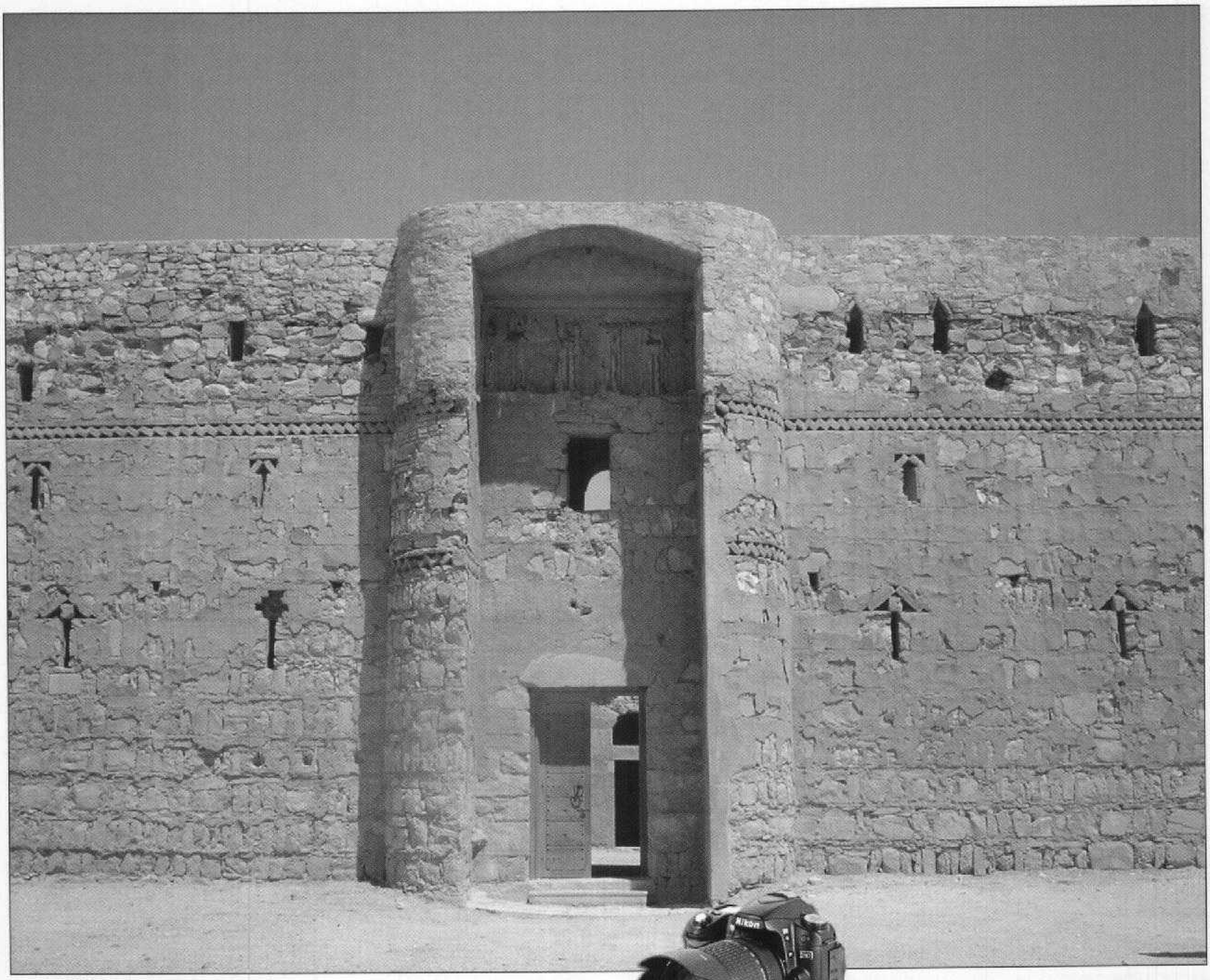

شيد قصر الحرانة في عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢ هـ - ٧١٠ هـ وذلك بدليل كتابة كوفية فوق باب إحدى حجرات طابقه الثاني، بعض المؤرخين يعتقد أن القصر بني قبل الأمويين ثم أعاد ترميمه وتمنيعه الأمويون واستفادوا منه أثناء حكمهم.

شيد قصر عمرة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك سادس الخلفاء الأمويين ٧٠٥ – ٧١٥ م. ويعتقد أن القصر كان يستخدم لرحلات الصيد التي يقوم بها الخلفاء وأمراء بني أمية.

على جدران القصر رسومٌ ونقوشات عديدة، مواضيعها تتعدد من مشاهد من رحلات الصيد والحيوانات التي وجدت في المنطقة في تلك الحقبة، ومنها الأسود والنمور والغزلان والنعام. قبة الحمام تظهر فيها الأبراج السماوية المرسومة يتميز بهندسته ويشبه الحمامات الرومانية بشكلها ومكوناتها.

المؤلف

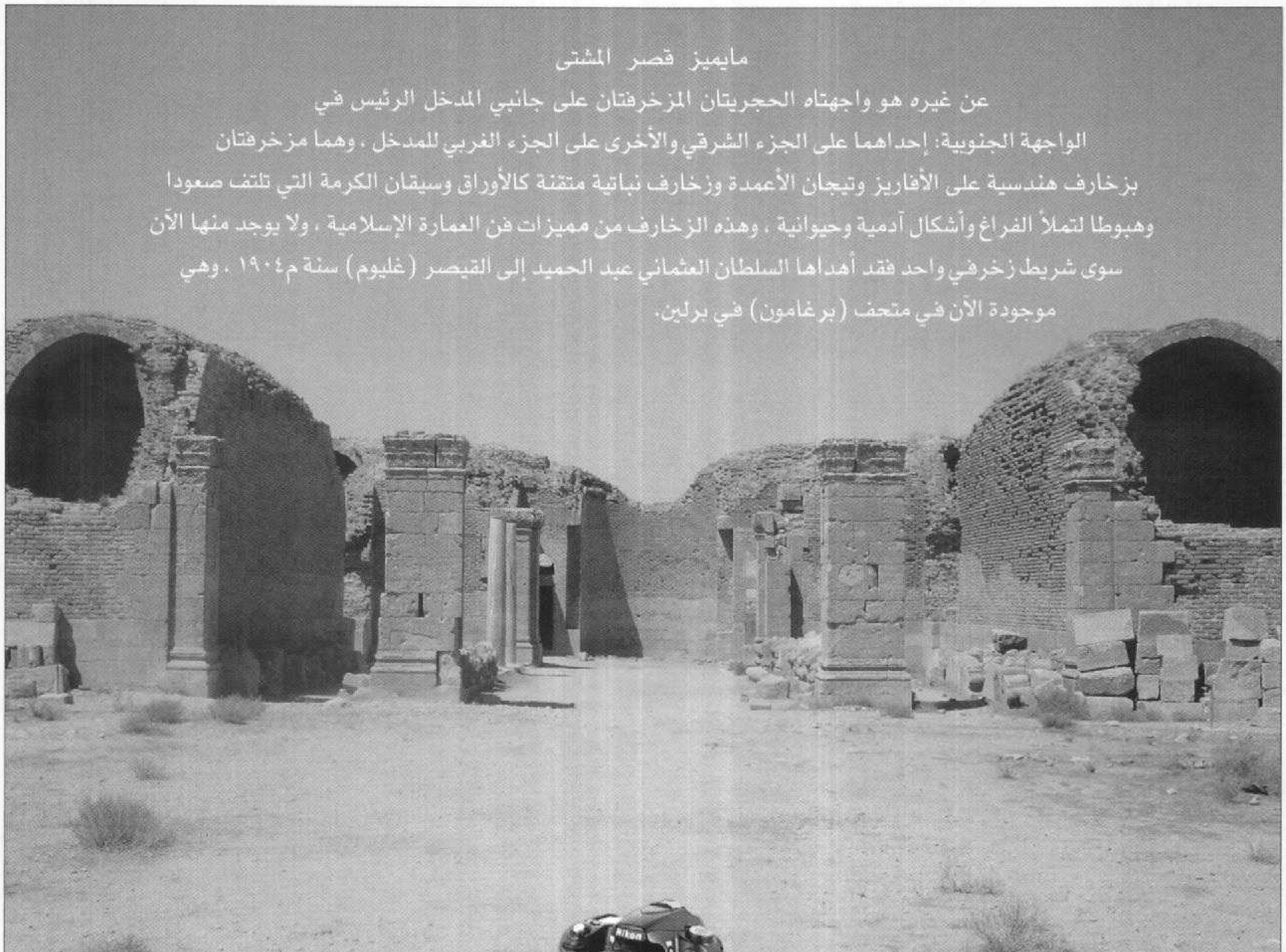

يقع قصر المشتى على بعد ٣٠ كم جنوبي مدينة عمان ويُعتقد أن الذي بناه هو الوليد بن يزيد الثاني بن عبد الملك عام ٧٤٣(- ٧٤٤ م) (وقد يكون هذا أحد أسباب عدم إكتمال بنائه). وتذكر المصادر التاريخية أن الوليد بن يزيد الثاني كان منفياً من بلاط الخلافة عندما كان أميراً ، وقد استقر في البادية الأردنية بالقرب من واحة الأزرق ، وينسب إليه بناء قصير عمرة. بنيت جدران القصر من الطوب المشوي كقصر الطوبة ويحيط به سور مربع الشكل بني من الحجارة الجيرية ، طول ضلعه ١٥٠ مترا تقريباً ، وفي السور ٢٥ دعامة نصف دائرية لزيادة التماسك بين أجزائه ، وتبلغ المساحة الكلية للموقع داخل السور ٢٢ دونما تقريباً. يعتبر قصر المشتى من أكثر القصور الأموية انتظاماً . جمعة الشوابكة، ج . الدستور الأردنية، ٢٠١٠/١/٢٩م.

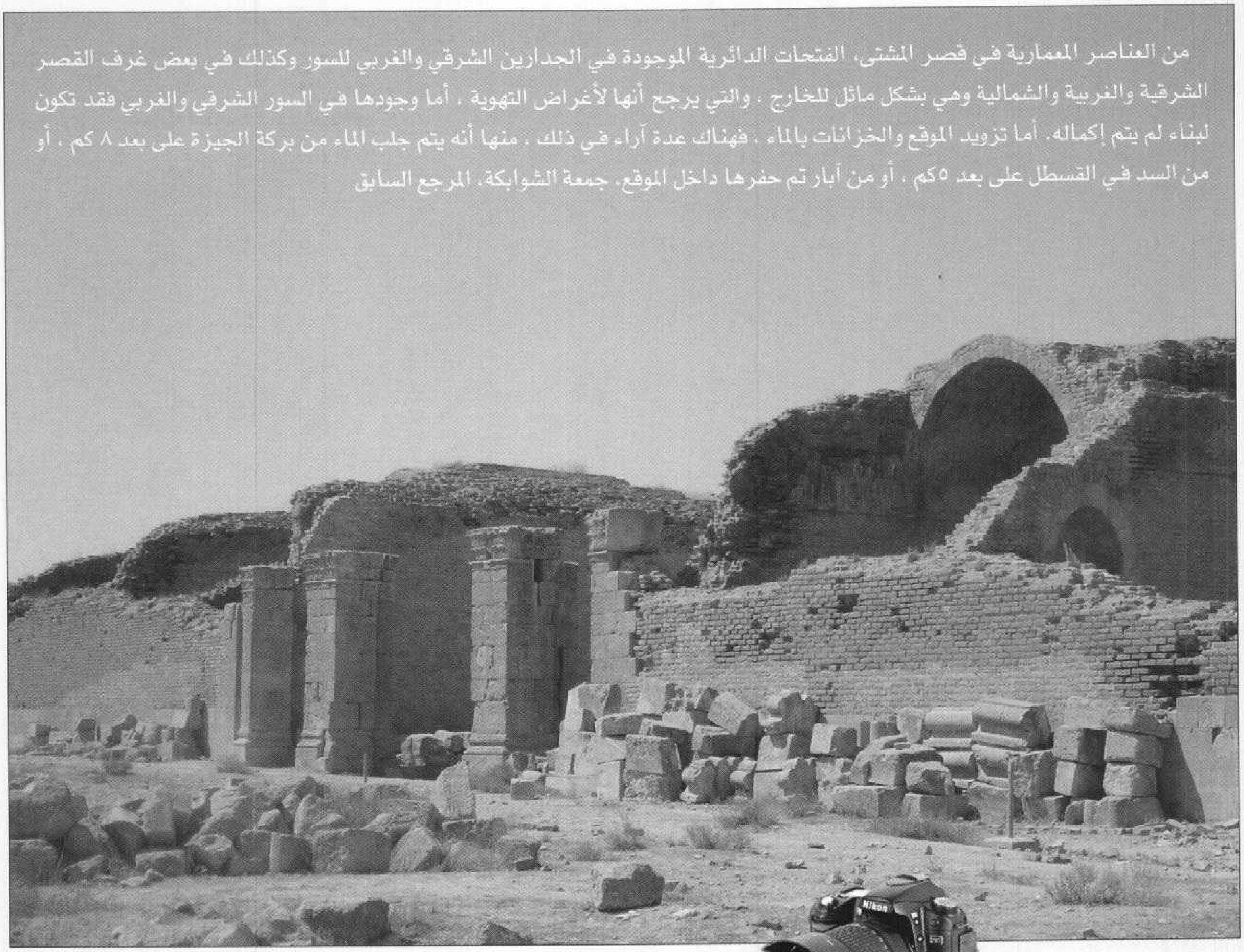

من العناصر المعمارية في قصر المشتى، الفتحات الدائرية الموجودة في الجدارين الشرقي والغربي للسور وكذلك في بعض غرف القصر الشرقية والغربية والشمالية وهي بشكل مائل للخارج ، والتي يرجح أنها لأغراض التهوية ، أما وجودها في السور الشرقي والغربي فقد تكون لبناء لم يتم إكماله. أما تزويد الموقع والخزانات بالماء ، فهناك عدة آراء في ذلك ، منها أنه يتم جلب الماء من بركة الجيزة على بعد ٨ كم ، أو من السد في القسطل على بعد ٥كم ، أو من آبار تم حفرها داخل الموقع. جمعة الشوابكة، المرجع السابق

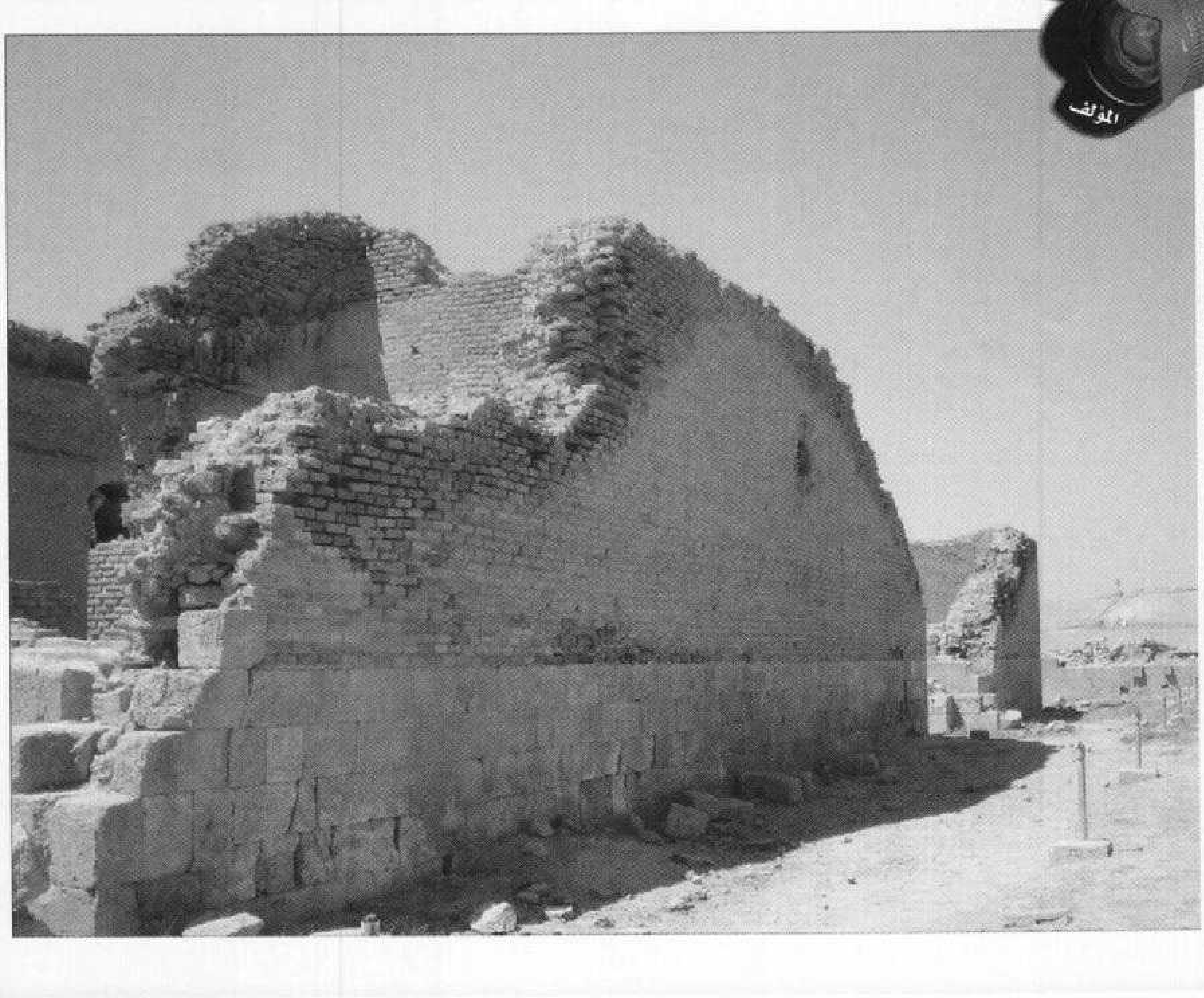

أمّا واجهة القصر ففيها الزّخرفة الفنّية التي تنحصر في إطارٍ أفقي بطول الواجهة الرّئيسة وبارتفاع ستّة أمتار. وقد قُسّم هذا الإطار إلى مُثلّثاتٍ عددها أربعون بواسطة شريطٍ متعرّجٍ ذي زوايا حادة.

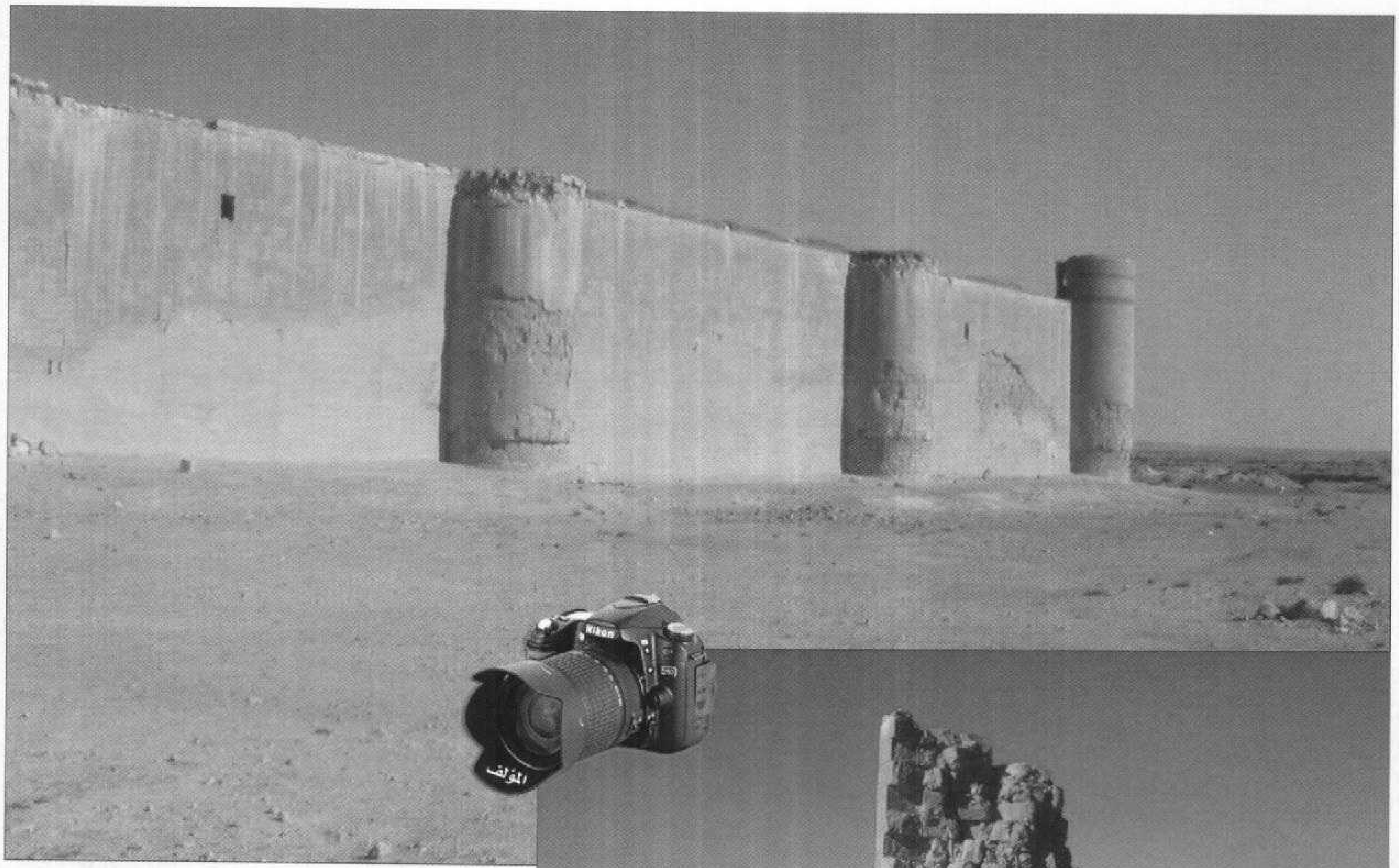

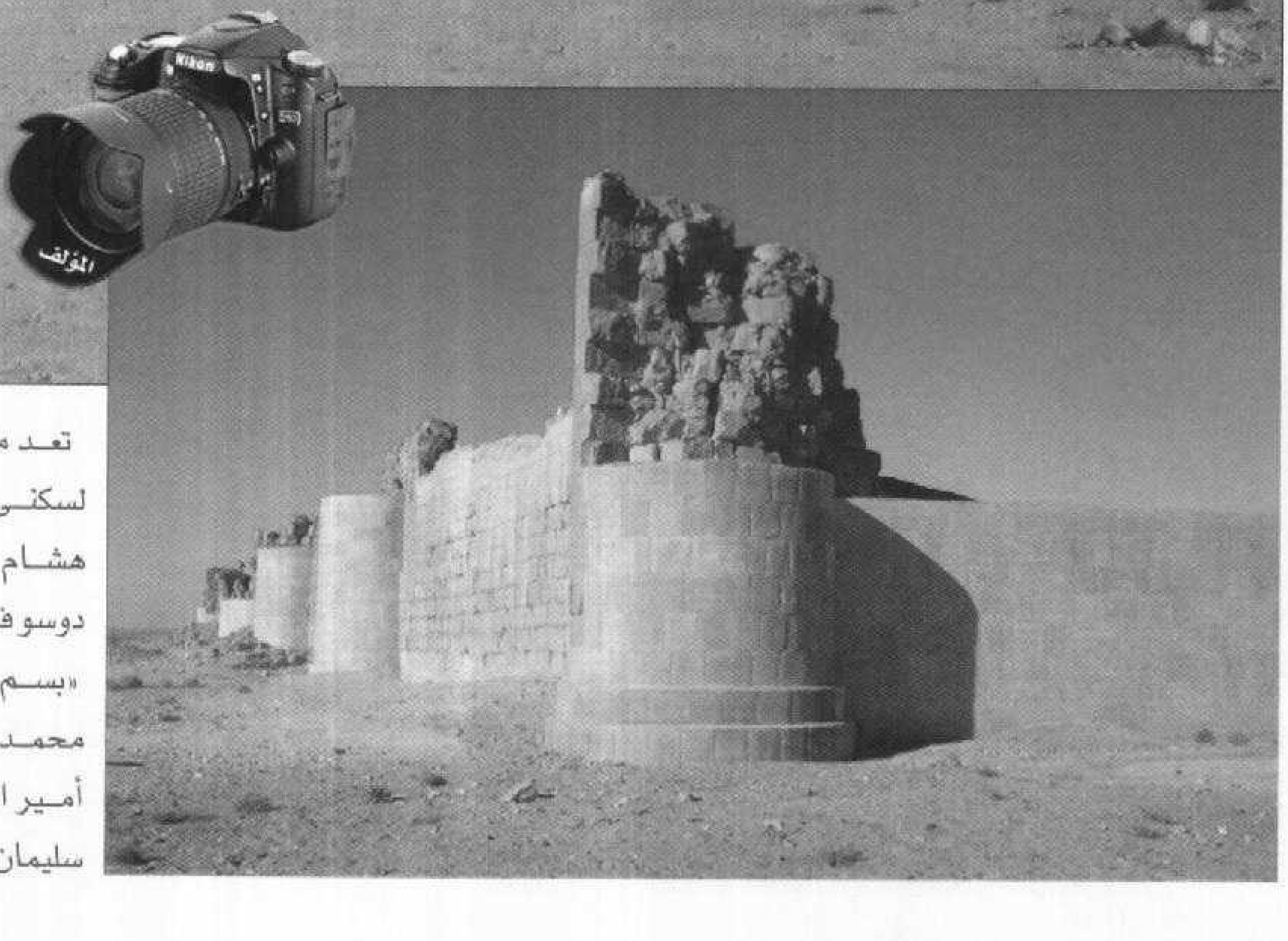

تعد منطقة **قصر الحير الشرقي** مدينة كانت معدة لسكنى الخليفة وحاشيته، وترجع هذه المدينة إلى عصر هشام بن عبد الملك، يؤيد ذلك الكتابة التي عثر عليها جاك دوسو في القصر، وهذا نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله، أمر بصنعة هذه المدينة عبد الله هشام، أمير المؤمنين، وكان هذا من عمل أهل حمص على يد سليمان بن عبيد».

يتألف **الحير الشرقي** من **قصرين**، قصر كبير مربع طول ضلعه ١٦٠م تقريباً، وآخر صغير مربع غير منتظم طول ضلعه ٧٠م وسطياً. وهذان القصران مدعمان بأبراج نصف دائرية، برجان في كل ضلع إضافة لإبراج الزوايا الأربعة. وينفتح مدخل القصر الكبير من جهة الجنوب ببوابة كبيرة على طرفيها برجان نصف دائريين، وينتهي الدهليز بالفناء المحاط. من جميع جوانبه بالغرف الواسعة ١١×٦م تقريباً، وتبدو الغرف الواقعة في الجهة الشرقية مقطوعة إلى قسمين. والقصر مؤلف من طابقين، ولهذا القصر أربعة مداخل بما فيها المدخل الرئيس عدا مدخلين إضافيين في الجدار الشرقي.

أما القصر الصغير فله مدخل وحيد من جهة الغرب نشاهد في داخله غرف ذات سقوف معقودة. وتشير الجدران الخارجية بما فيها من بروزات إلى تقسيمات الجدران الداخلية الرئيسة. موقع سوريا الأثري

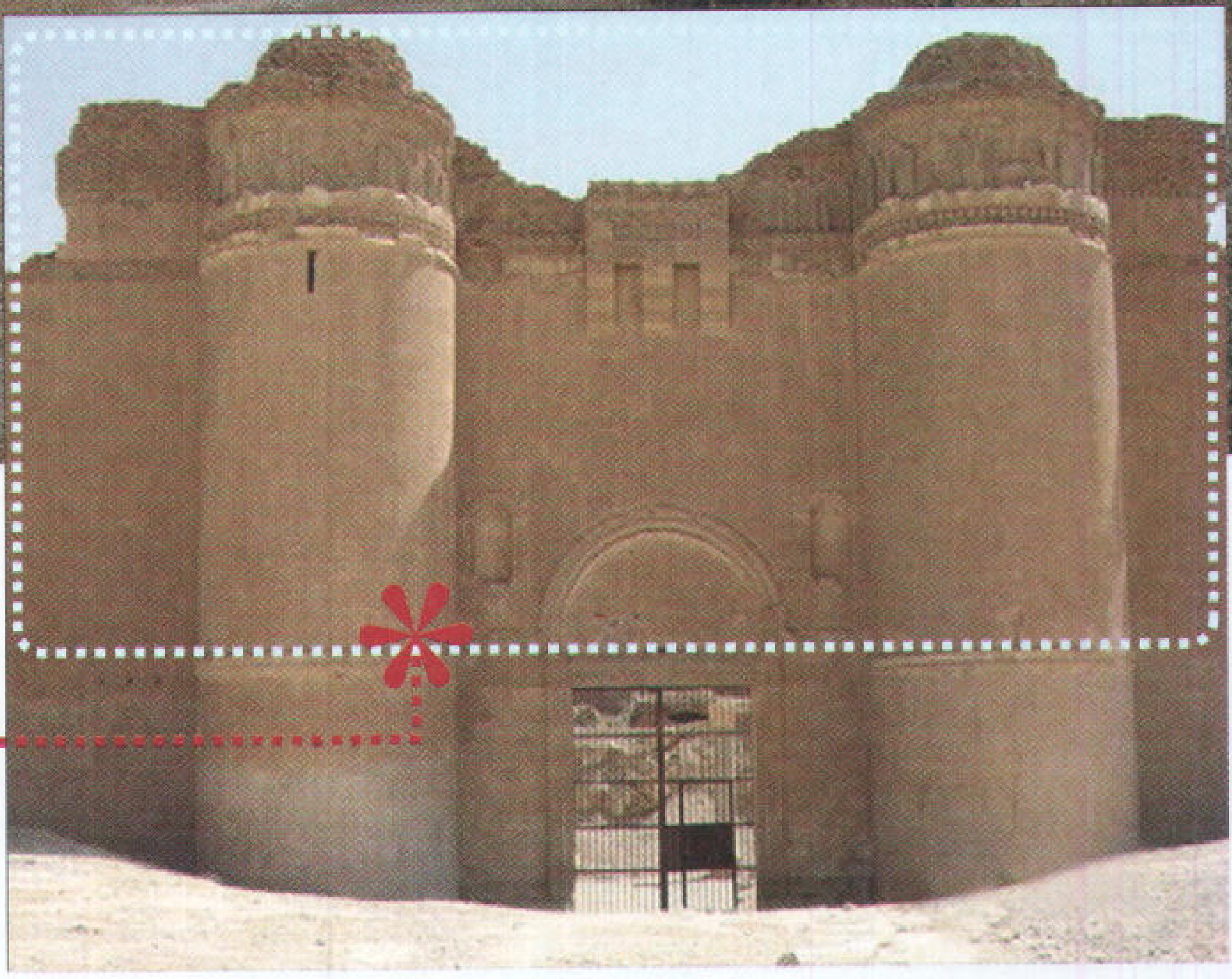

يقع القصر عند أقدام جبل البشرى حيث يلتقي مع سلسلة الجبال التدمرية في وسط سوريا تقريباً وقد بني القصر على شكل مربع تقريباً وله باحة مركزية كبيرة تحيط بها الدور، والغرف المزينة بنقوش، وزخارف كثيرة (نقل بعضها إلى متحف دمشق الوطني)

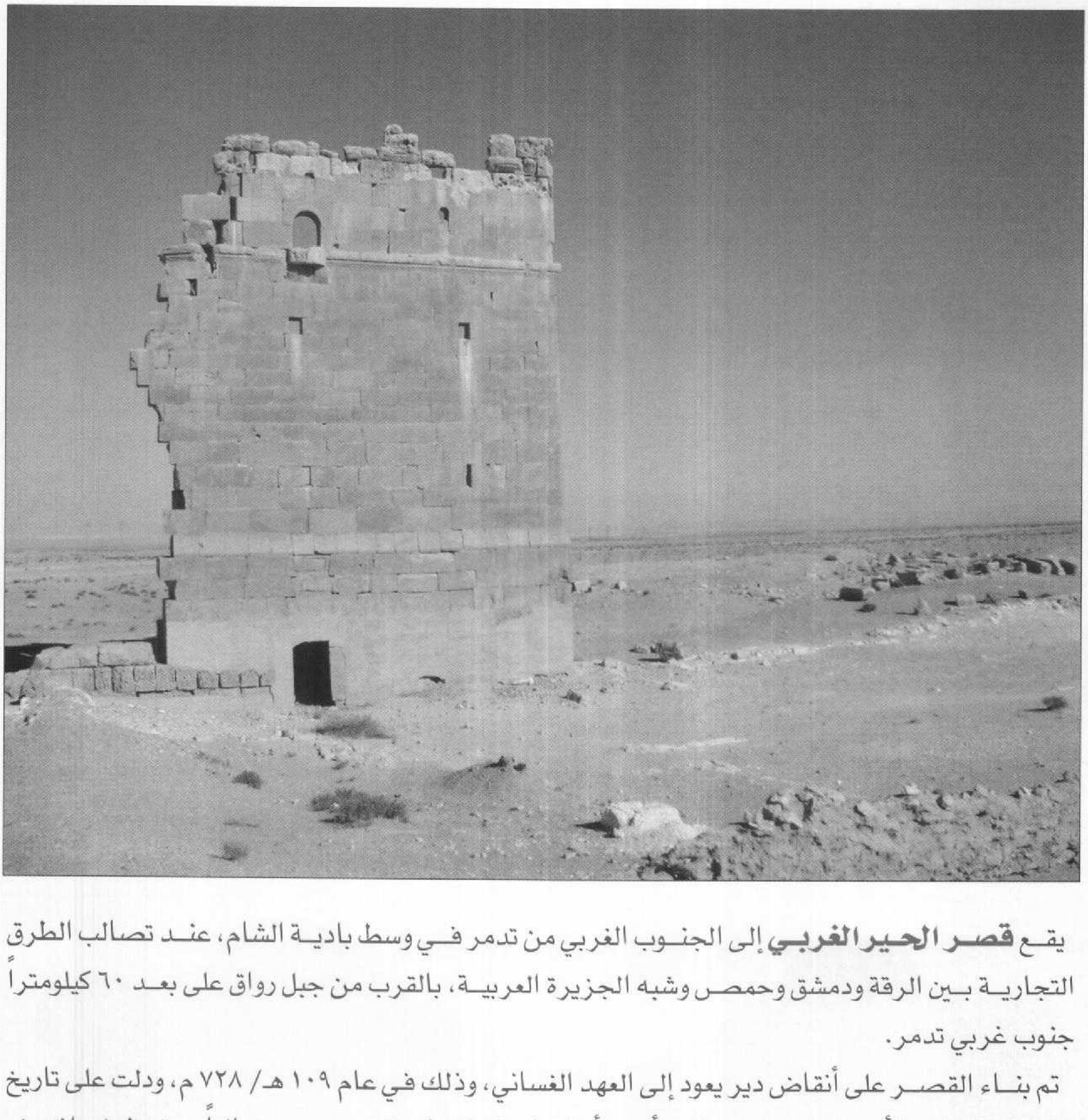

يقـع **قصـر الحـير الغربـي** إلى الجنـوب الغربي من تدمر فـي وسط باديـة الشام، عنـد تصالب الطرق التجاريـة بـين الرقة ودمشق وحمصـ وشبه الجزيرة العربيـة، بالقرب من جبل رواق على بعـد ٦٠ كيلومتراً جنوب غربي تدمر.

تم بنـاء القصـر على أنقاض دير يعود إلى العهد الغساني، وذلك في عام ١٠٩ هـ/ ٧٢٨ م، ودلت على تاريخ بنائـه كتابتـان، الأولى نقشت على ساقف أحـد أبواب الخان المجاور للقصر، وهـو حالياً محفوظ في المتحف الوطنـي بدمشـق، وعليه الكتابـة التالية: «بسم الله الرحمـن الرحيم، لا اله إلا الله، وحـده لا شريك له، أمر بصنعـة هـذا العمـل عبد الله هشـام أمير المؤمنـين أوجب أجره، على يـد ثابت بن ثابت في رجـب ١٠٩ هـ». والكتابـة الثانية نقشت على جزء من حجر رخامي حفظـت في جناح قصر الحير بمتحف دمشق، تنص على مايلـي: «مـن هشام أمير المؤمنين إلى الوليد أبي العباس أحمد الله إليـك». وكان يطلق على هذا القصـر اسم الزيتونة وهو الاسم الأصلي، أما اسم الحير فهي تسمية حديثة، استعيرت من معنى السور الذي كان يحده.

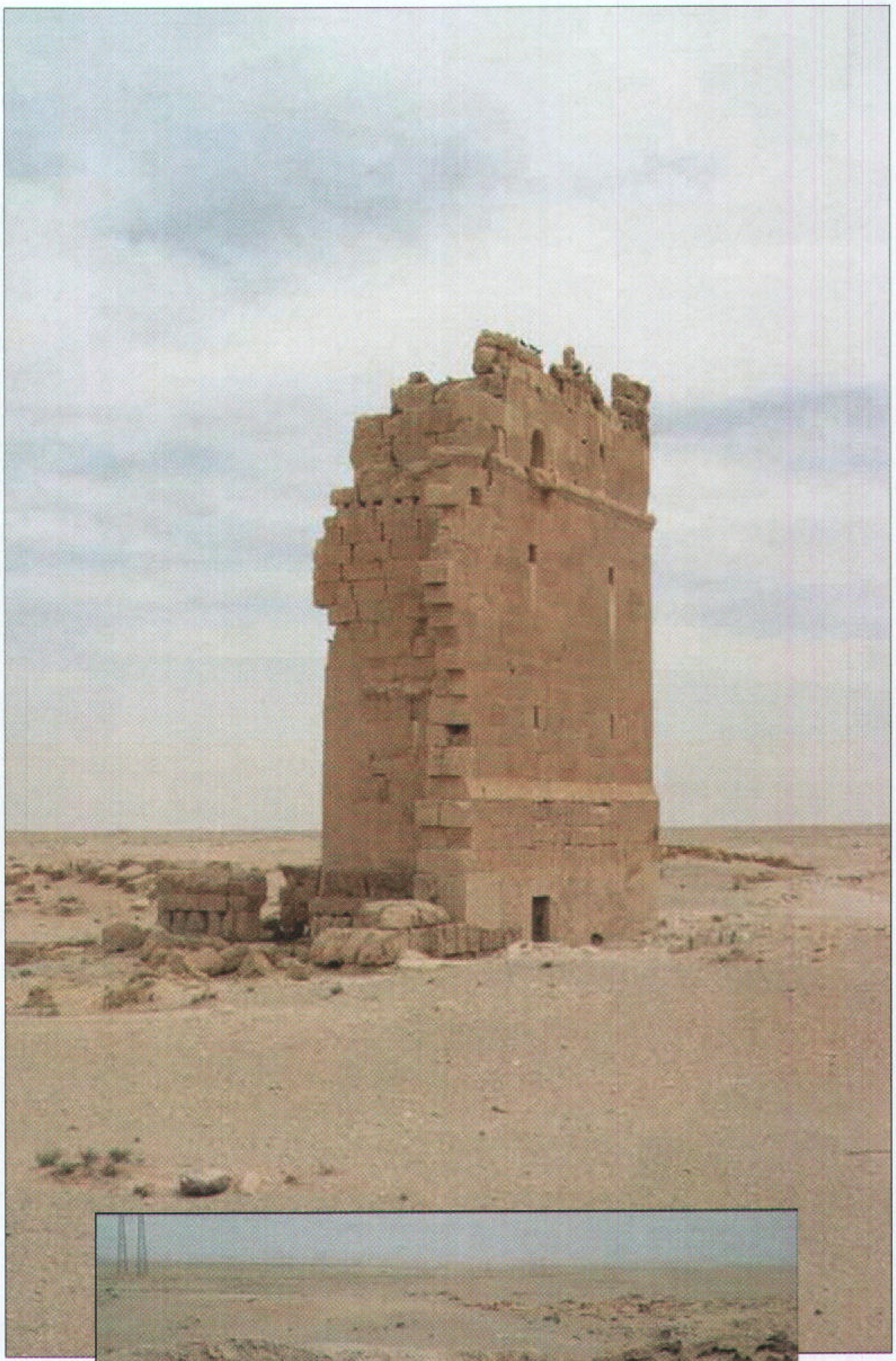

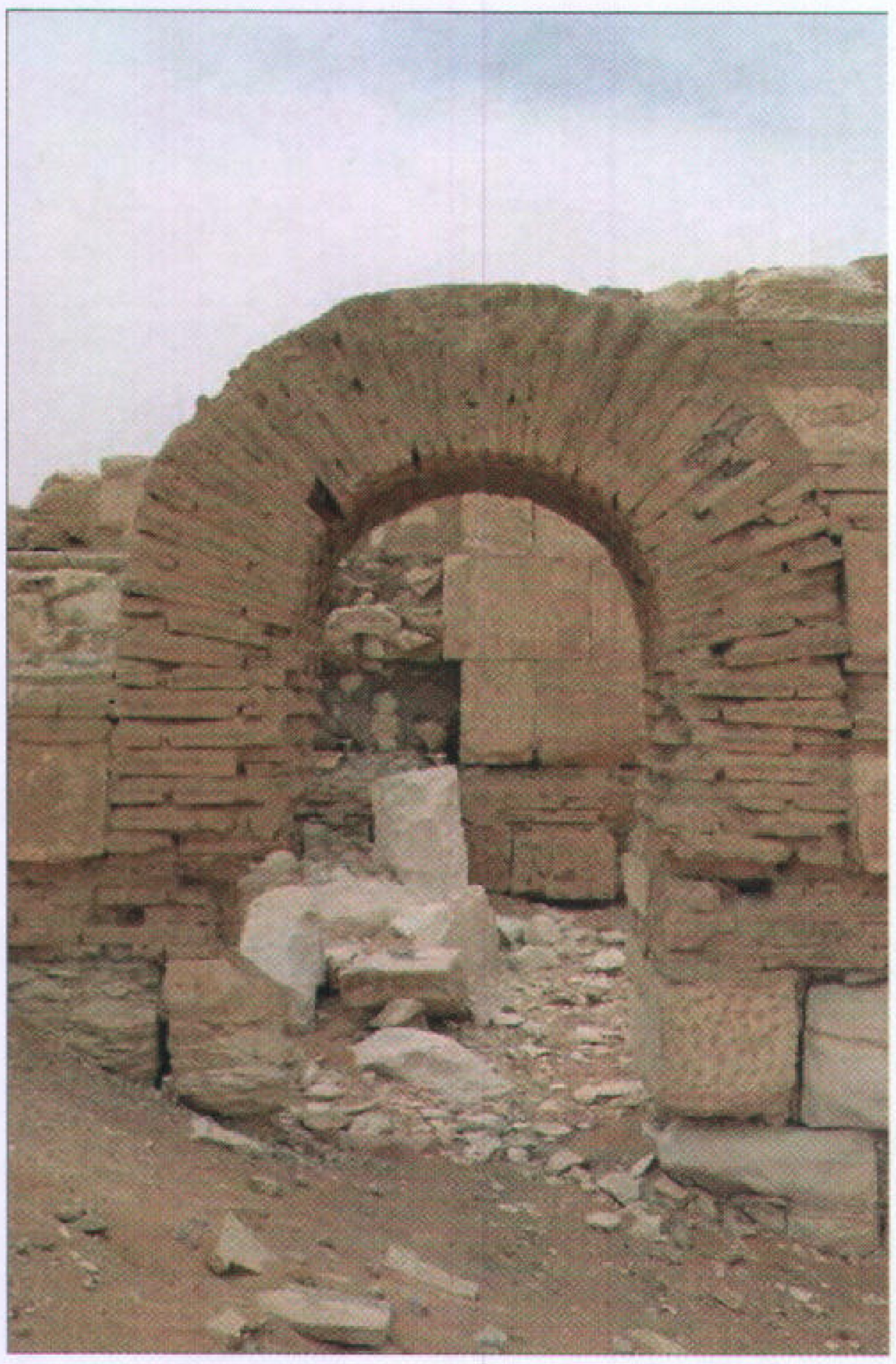

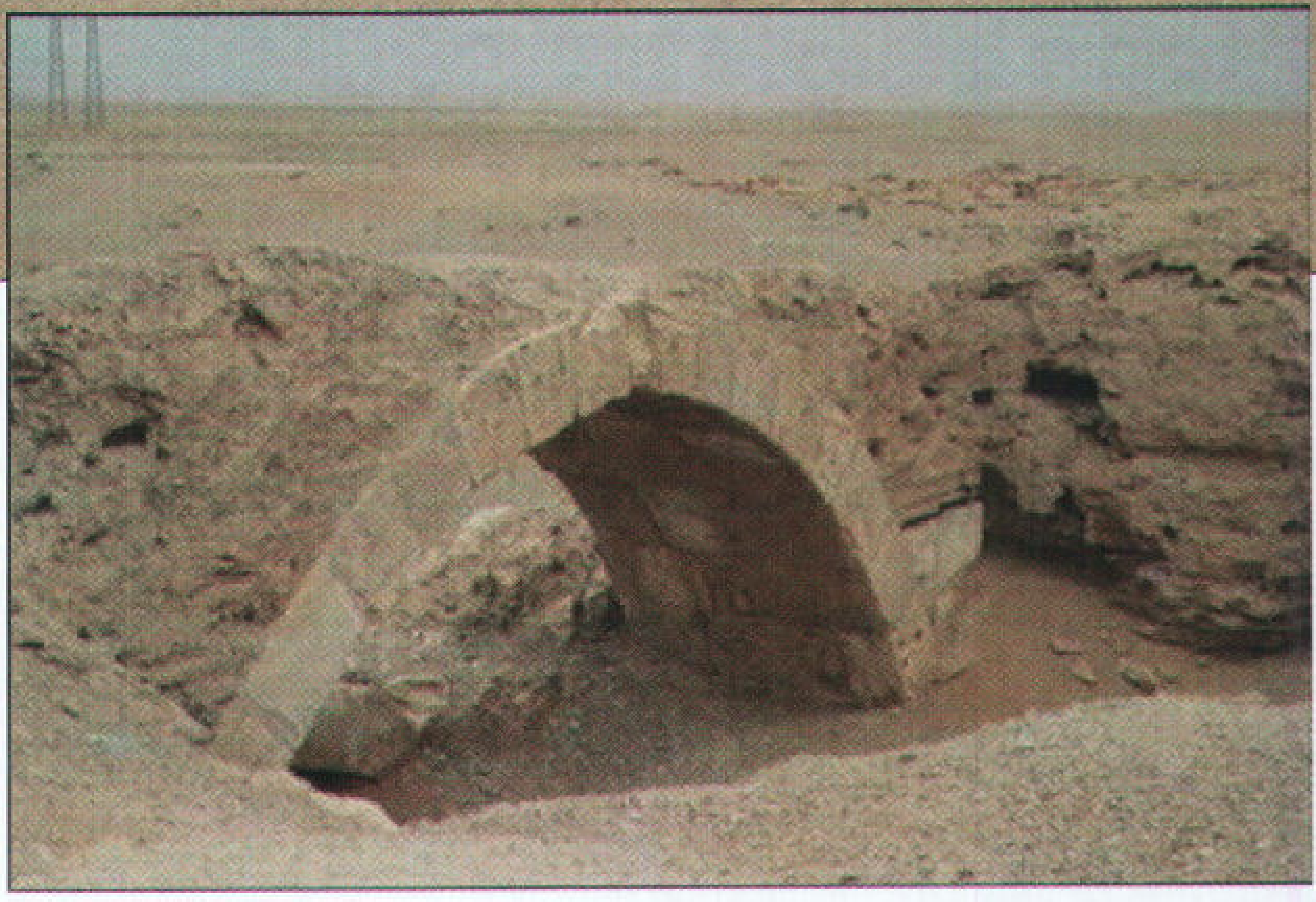

يُعد **قصر الحير الغربي** بالإضافة إلى شقيقه قصر الحير الشرقي، اللذان أمر ببنائهما الخليفة الأموي **هشام بن عبد الملك** من أبرز القصور في العصر الأموي المشيدة في بادية الشام.

واجهة قصر الحير الغربي بعد نقلها وترميمها لتكون واجهة المتحف الوطني بدمشق.

قصر الرصافة في سوريا: في عام ١٩٥٢م، اكتشفت كاترينا اوتو دورن – التي قامت بالتنقيب بحثاً عن آثار إسلامية – قصراً تعتقد جازمة أنه أحد القصرين اللذين بناهما **هشام بن عبد الملك** وهو مخصص لإقامته.

وقد كانت الرصافة إحدى مقرات الخليفة هشام وكانت تحمل اسم رصافة هشام كما جاء في كتب الطبري والبلاذري وياقوت الحموي، لكن مقر هشام لم يكن ضمن الرصافة المسيحية التي ما تزال آثارها باقية حتى اليوم سيرجيوبوليس، لأن هذه الحاضرة الدينية استمرت مركزاً للأسقفية حتى آخر القرن الحادي عشر م، لذا كان لا بد من وجود القصر خارج الحاضرة، وقد تمكنت الصور الفوتوغرافية الجوية من الاهتداء إلى مقر هشام خارج الحاضرة، وهو عبارة عن شبه حصن طول ضلعه ٧٤,٨٠م يقوم حول باحة مركزية وتحيط به أبراج مدورة، وهو مبني من اللبن والآجر المشوي والحجر.

بقايا أطلال قصر هشام بن عبد الملك بالرصافة

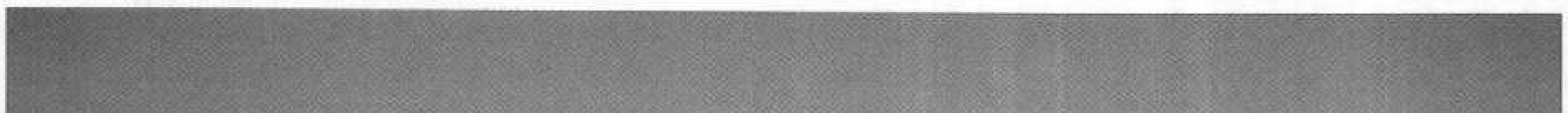

آثار الرصافة المسيحية (سيرجيوبوليس)

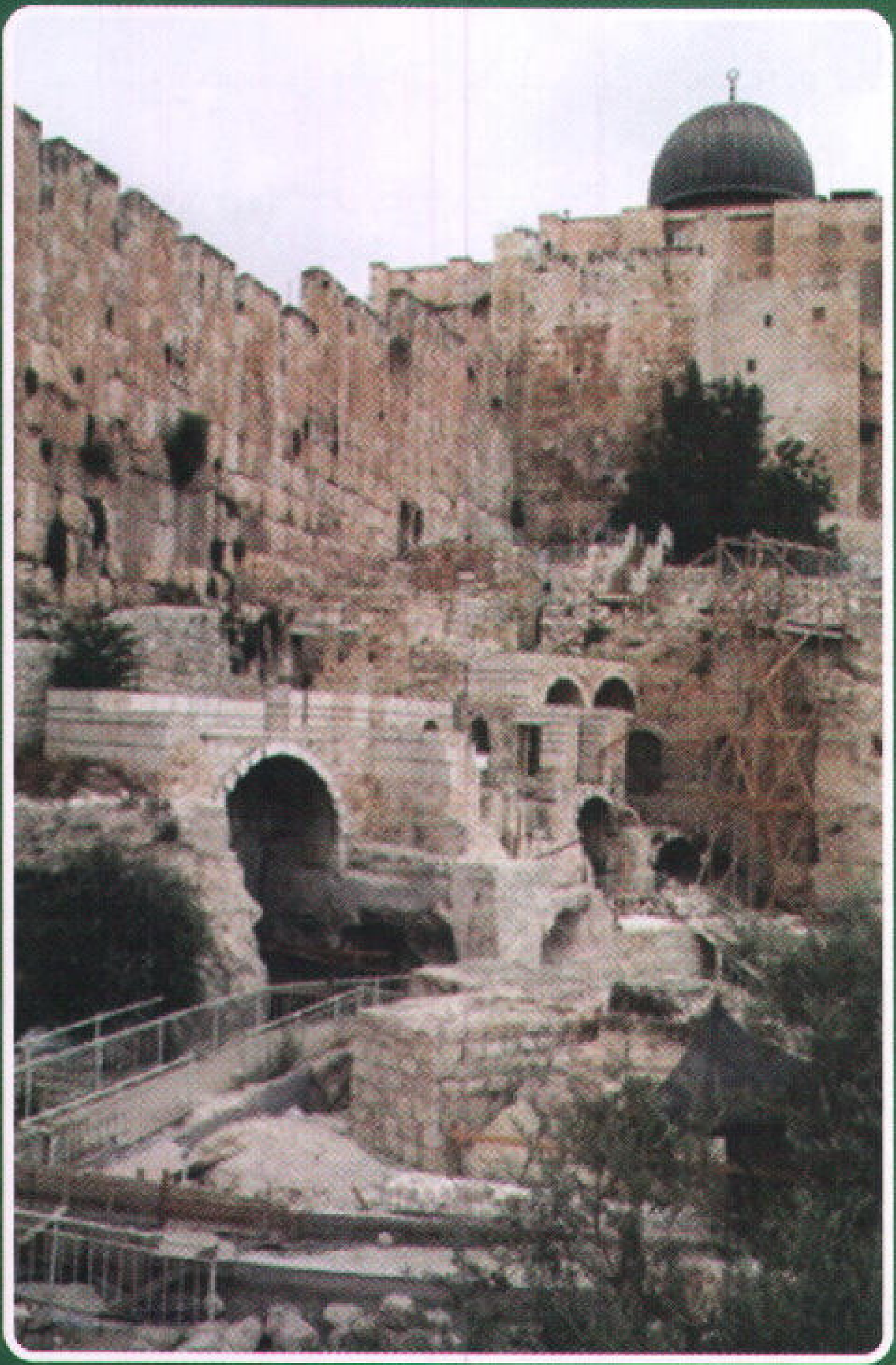

القصور الأموية في فلسطين :

قصر الميناء :

تم بناء هذا القصر في فلسطين بالقرب من شاطئ بحيرة طبريا في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك وبنيت جدرانه من أحجار كلسية، أما أرضية القصر فهي من الفسيفساء والرخام، وزينت القاعات بلوحات فنية رائعة.

القصور المكتشفة مؤخراً في القدس :

بعد حرب ١٩٦٧م قام عالم الآثار الصهيوني «مازار» مع طلابه بحفرياته في القدس، وكان يهدف إلى توسيع حدود حائط البراق، وإبراز معالم الهيكل المزعوم، وفي عام ١٩٧٠م كان الأثري« بن دوف» مساعداً «مازار» قد اكتشف في السوية الإسلامية وتحت مدينة البنات التي هدمت في حي المغاربة **ثلاثة قصور أموية** بنيت في عهد الوليد بن عبد الملك.

كشفت « مؤسسة الأقصى للوقف والتراث » أن المؤسسة الصهيونية وأذرعتها التنفيذية توسع من دائرة حفرياتها في المنطقة الواقعة خلف الجدار الجنوبي للمسجد الأقصى المبارك ، **والمعروفة بالقصور الأموية** ، بالإضافة الى إجراء عمليات بناء وتغيير للمعالم الأثرية العربية، وكما كشفت « مؤسسة الأقصى » أنه من خلال اجتماع قرائن عدة وتحليل واقع الأعمال الاحتلالية في منطقة القصور الأموية فإن المؤسسة الصهيونية تخطط إلى تحويل منطقة **القصور الأموية** إلى متنزه توراتي سياحي ببرامج مكثفة في ساعات الليل .المصدر Posted by alsavwa ٥ مارس ٢٠١٠م.

كشفت الحفائر التي
قامت بها الجامعة العبرية بحثاً عن بقايا هيكل سليمان المزعوم عن جدران لثلاثة
من **القصور الأموية** يبدو من موقعها القريب من **المسجد الأقصى** أنها كانت بمثابة دور **الإمارة** المعينة لإقامة والي القدس، وقد استخدم في تشييدها بعض أحجار ضخمة يغلب على الظن أنها كانت ضمن الحوائط والأسوار التي شيدت في القدس.

القصور الأموية والقلاع في العراق :

هنـاك قصـر واحد يشك في إسناده للأمويـين، ألا وهو قصر الأضيضر أو « الأخيضـر »، وهو من القصور أو القـلاع التي يعتز بها التاريخ العربي والذي لا زال يطاول الزمن متحدياً كافة وسائل التعرية الجوية، ولقد شيد فـي أرض صحراوية علـى وادي الأبيض الذي ربما كان فرعاً من الفرات، ولقـد شيد على بقعة تقع على طريق يوصـل البحر المتوسط بالبحـر العربي عن طريق الشام، ويربـط الأضيضر جنوب العـراق بأعالي الفرات في سورية، فالقصر يبعد ١٢٠ ميلاً من الجنوب من بغداد.

كمـا أن هنـاك **قلعة باشطابيا** على الشاطـئ الأيمن لنهر دجلة إلى الشمال من قـبر الإمام يحيى بن محمد القاسم، وقد بناها الخليفة الأموي **محمد بن مروان** سنة ٨٠ هجرية/٦٦٩ ميلادية، في عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك وهي واحدة من بين سبع قلاع كانت ضمن سور الموصل وأصبحت آخر ما تبقى منه.

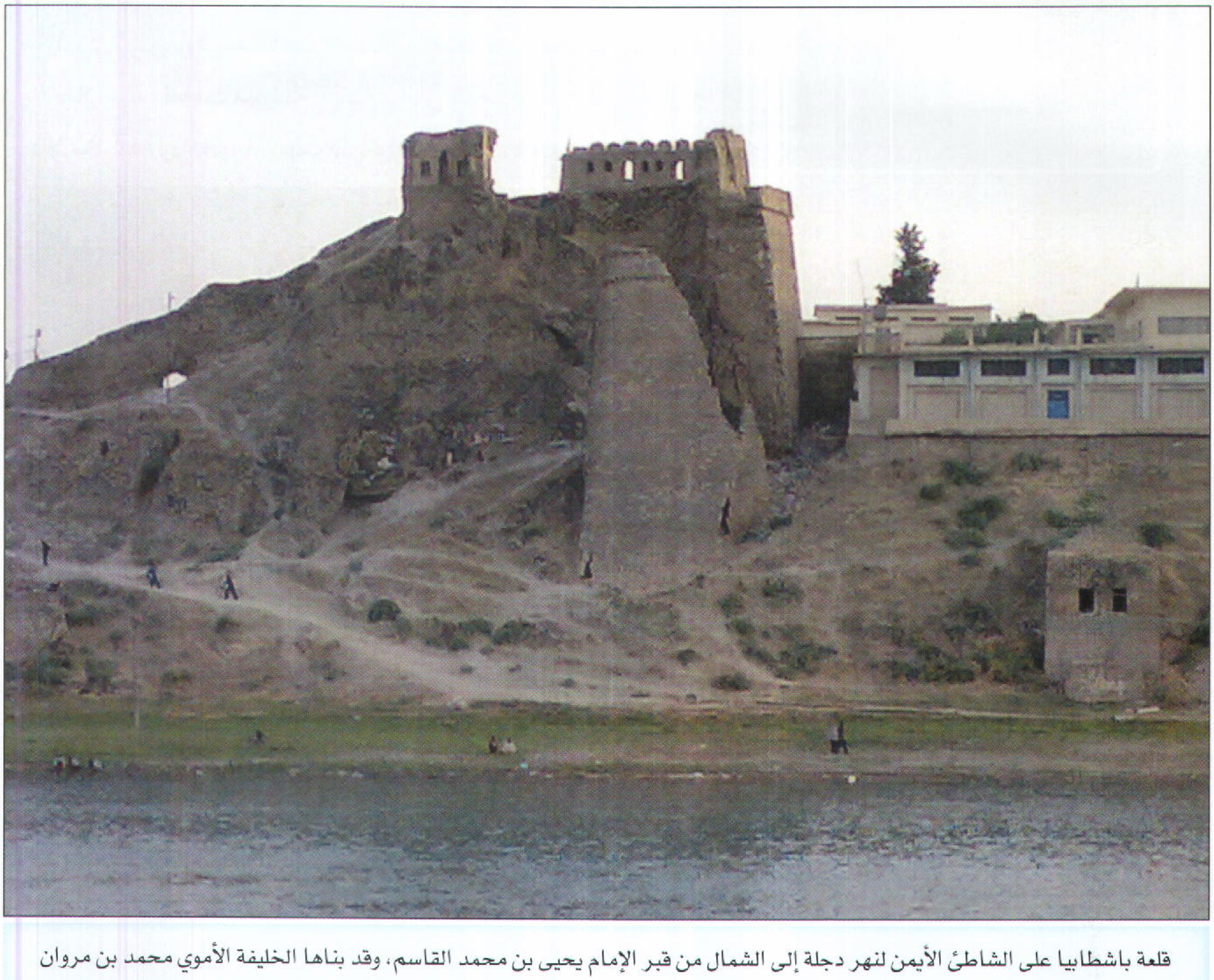

قلعة باشطابيا على الشاطئ الأيمن لنهر دجلة إلى الشمال من قبر الإمام يحيى بن محمد القاسم، وقد بناها الخليفة الأموي محمد بن مروان

يوجد عل **جبل القلعة** القصر الأموي، والمسجد، والبركة المنحوتة في الصخر، وهو بناء يعود إلى الفترة الأموية.

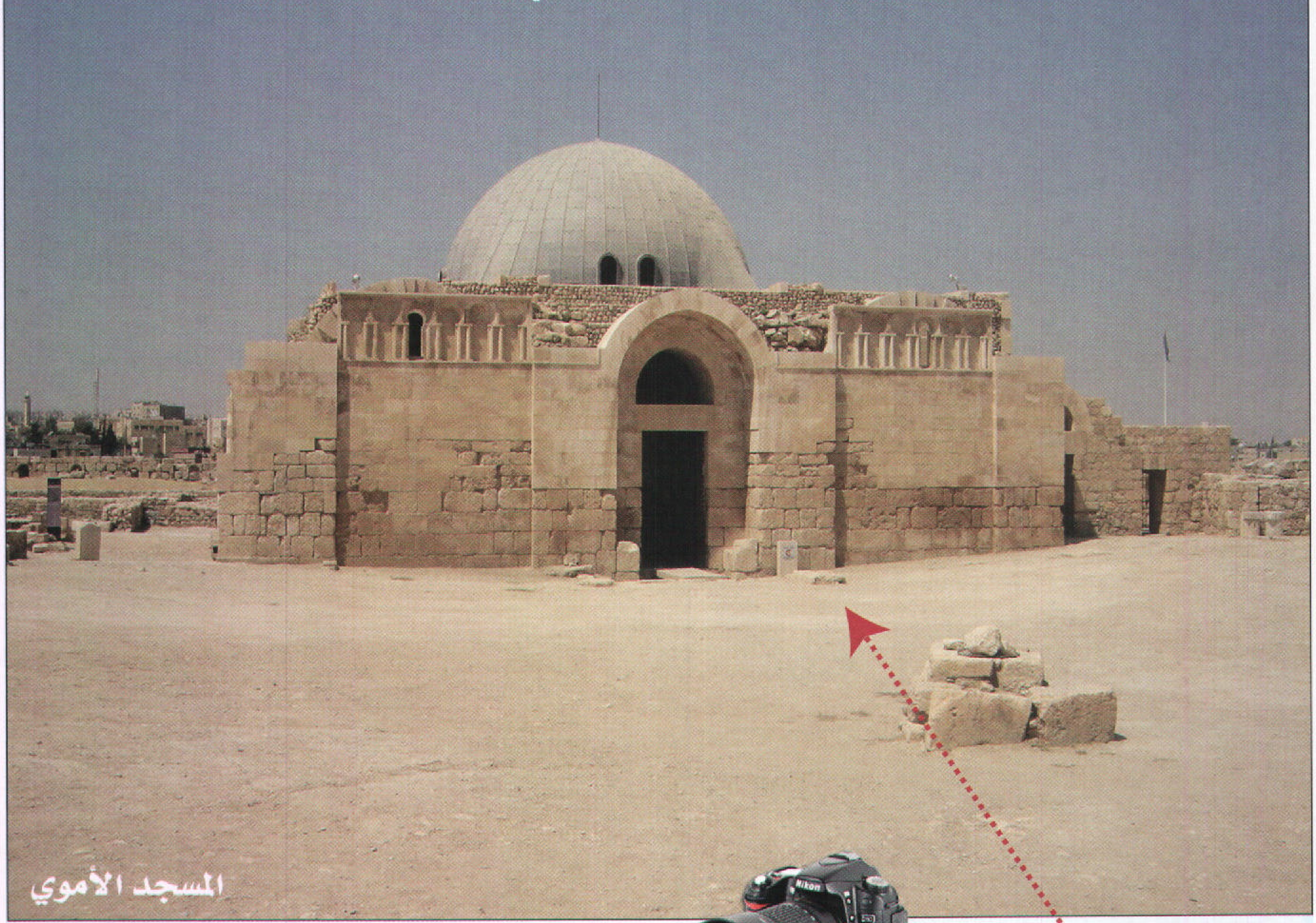

المسجد الأموي

قلعة عمّان الأثرية

جبل القلعة أحـد أقدم جبال مدينة عمّان السبعة والذي اتخـذه العمونيون منذ القـدم مقراً لحكمهم فـي المدينة، ومـن بعدهم كل من اليونـان والرومان والبيزنطيين الذين احتلوا المدينة على التوالي إلى أن هـلّ عليها الفتح الإسلامي المبين فـي القرن السابع الميـلادي، حيـث بنـي علـى قمتـه **القصـر الأموي**. ويحوي على آثار إسلاميـة تعود إلى العصر الأموي، ويضم الجبل أيضاً **المسجـد الأموي** الذي يتوسط المصطبـة العليـا، ويعتـبر أعلى مكان في جبـل القلعة ومخطط المسجـد مربع الشكل، ويتألف مـن صحن أوسط مكشـوف وثلاثة أروقة، وتقع البركـة الأموية في الزاوية الشمالية الشرقية، محفـورة في الصخر الطبيعي ويتم النزول إليها عبر درج الجهة الغربية.

عنجر : مدينة أثرية، تقع في الشطر الشرقي من سهل البقاع عند السفوح الشرقية لسلسلة جبال لبنان الشرقية، وهي تتبع قضاء زحلة، أقيمت على مقربة من أحد أهم ينابيع نهر الليطاني «عين جرا» الذي أعطى الموقع اسمه، عند ملتقى الطرق التي تربط شمالي سورية بفلسطين، والمدن الداخلية وخاصة دمشق، بمدن الساحل الشرقي للبحر المتوسط مثل بيروت وصيدا وصور. ذكرها رحالة القرن التاسع عشر الأوربيون مثل يوهان بوركهارت Johann L. Burckhardt وإدوارد روبنسون Edward Robinson.

تعود أغلب الآثار الظاهرة المتبقية في عنجر إلى العصر الأموي ـ عهد الخليفة **الوليد بن عبد الملك** (٧٨ـ٧٩هـ/٧٠٥ ـ ٧١٥م) الذي أمر ببنائها، ولربما غيبت عمائر هذه الفترة الآثار الأقدم في الموقع، والعائدة للإيطوريين والهيلنستيين والرومان والبيزنطيين. يحيط بمدينة عنجر سور خارجي بسماكة ٢م وارتفاع ٧م تقريباً، مدعم بستة وثلاثين برجاً نصف دائري، وقد بُنيت واجهتاه الداخلية والخارجية بأحجار كلسية نحيتة استخرجت من مقالع مجاورة، مثل مقالع بلدة كامد اللوز، واختلطت في بدنته الأحجار الغشيمة والحصى والكلس، كما أعيد استخدام عناصر معمارية قديمة في عمائر عنجر. تقابل واجهات السور الجهات الرئيسة الأربع، وتتوسط أضلاعه أربع بوابات، على جانبي كل منها برجان نصفيان.

محمد قدور، الموسوعة العربية « النسخة الرقمية ، موسوعة دار الفكر، دمشق، سوريا .

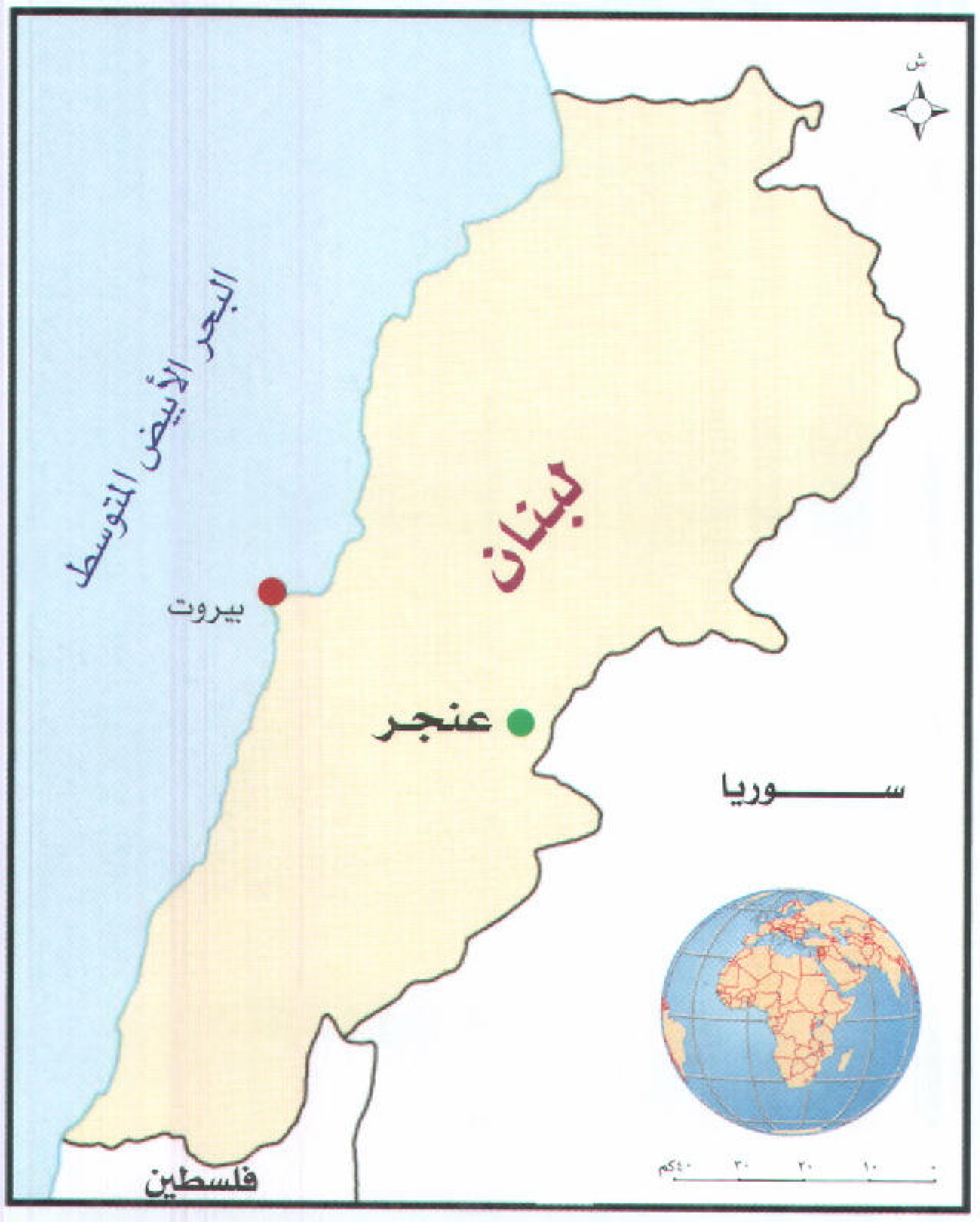

لم تدم فترة ازدهار مدينة عنجر الأموية طويلاً، بل اقتصرت على بضعة عقود في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي، فسرعان ما دمرها الخليفة الأموي مروان الثاني سنة ٧٤٤م إثر انتصاره على خصمه إبراهيم بن الوليد في معركة قريبة منها.

وتعدّ عنجر إحدى أهم المواقع الأثرية الأموية الفريدة في لبنان، التي ازدهرت في فترة وجيزة، مخلّفة العناصر المعمارية كافة من أسوار وتحصينات وقصور ومساجد وحمامات وشوارع وبيوت سكنية وحوانيت تجارية؛ التي تميز العمارة العربية الإسلامية في العصر الأموي، وعنجر اليوم موقع سياحي شهير يرتاده السائحون من شتى أنحاء العالم.

أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك (٧٠٥-٧١٥م) بإنشاء مدينة **عنجر** المحصنة على بعد نحو كيلومتر واحد إلى الجنوب الغربي من نبعها المعروف بـ"**عين جرا**". ولتنفيذ مشروعه، استعان الخليفة بعدد من المهندسين والحرفيين والصناع البيزنطيين والسوريين العارفين بتقاليد العمارة والزخرفة القديمة الموروثة من أيام الرومان والإغريق. وقد استخرج هؤلاء الحجارة اللازمة للمشروع من عدد من المقالع المجاورة، كمقالع بلدة كامد اللوز، كما نقلوا أعداداً من العناصر البنائية الأخرى، كالأعمدة وقواعدها وتيجانها وتعتيباتها، من بقايا الأبنية الرومانية والبيزنطية التي عثروا عليها في الجوار.

السدود وخزانات المياه في العصر الأموي

إن من أهم الأمور المتميزة في إبراز مقدار التطور والرقي في مجال المياه وسبل استغلالها هي بناء السدود وخزانات المياه، فهي تحتاج إلى إمكانات فنية كبيرة تتناسب وحجم المشروع المنفذ، لذا اهتم الأمويون اهتماماً كبيراً في هذا الجانب وأولوه جل عنايتهم .

وبحرص تام أنشأ الأمويون السدود وخزانات المياه في الكوفة، واستخدموا بحر النجف لهذا الغرض لتخفيف وطأة الفيضانات، وسعى "عبد الملك بن مروان" لإحصاء كميات الأمطار بالإمكانات المتاحة لديهم في ذلك الوقت، فقد بدأ في تلك الفترة بداية الاهتمام بالأنواء عن العرب والمسلمين، كما عمل "الحجاج" والي العراق على إقامة السدود لتجفيف البطائح (المقصود بها الأهوار) وإعمار شمال مدينة البصرة ، وبمساحة نحو مئة ألف دونم[١] .

ومن أهم السدود التي أنشأها الأمويون هو سد "خربقة" مع خزان ضخم لتخزين وجمع المياه وتوزيعها، وقد كان هذا السد والخزان يقع على الطريق المؤدية من مدينة دمشق إلى مدينة تدمر ، ويبدو أن العرب والمسلمين أعادوا إنشاء هذه المدينة بعد أن أصبحت أطلالاً في القرون الخوالي، والجميل في الأمر أن الأمويين استخدموا الأقنية الخزفية وشبكة ري حجرية في توزيع المياه هناك[٢] .

ومن أشهر السدود الأموية في الجزيرة العربية، سد معاوية هو سد معاوية بن أبي سفيان الذي شيده في وادي الخنق شرق المدينة المنورة في عام ٥٠ هـ خلال حكم معاوية . ويقع هذا السد في ممر ضيق بين جبلين ، ويعجب المرء للبراعة المساحية (الجيولوجية) لمن اختار مكانه ، لأنه قد لا توجد نقطة أضيق من هذا المكان على طول الوادي كله ، وربما جاء اسم الوادي نفسه (أي الخنق) من هذا الممر أو المجرى الضيق ، ذي الجوانب الشاهقة ، الذي بني فيه السد . ويوجد أسفل السد جرف عميق قد رسم فيه الماء خطوطاً قد ارتفعت لحوالي ستة أمتار ، كما يرى آثار طحالب وأعشاب مائية على الجوانب الصخرية للجرف مما يدل على طول مكث الماء فيه ، ولا زالت بقية من السد مبنية بقرميدها الأحمر المحروق ثابتة في قعر الجرف ، فيما انهار وسط السد وبقي منه كتلتان ضخمتان ثابتتان في جوانب الجبل ، ويلاحظ أن الجدار الباقي من السد مبني على شكل مدرج ، ويمكن تعليل ذلك : الرغبة في زيادة مقاومة القاعدة ، أي : قاعدة السد ، كما أنه نظرًا لارتفاعه (حوالي ٣٠ م) فإنه بوضعه المدرج هذا يساعد العمال في الصعود عليه، وبناء بقية المدرجات أو الطبقات التي فوقه، وبهذا يغنيهم عن الاستعانة بأخشاب أو نحوها للوصول إلى الأعلى[٣] . وهناك سد آخر بني في عهد معاوية وهو سد سيسد بالطائف (انظر الصور) .

١ - الصوفي، أحمد علي ، أرض السواد، بغداد، ص٢٧ .

٢ - الخربوطلي، علي حسين، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، بغداد ص ٦٥ .

٣ - صالح المطيري، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

سد معاوية بن أبي سفيان والذي شيده في وادي الخنق شرقي المدينة النبوية في عام ٥٠ للهجرة المباركة. عدسة إبراهيم الأحمدي

سـد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بوادي الخنق من جهة ثانية بمنطقة المدينة النبوية، عدسة موقع طيبة نت

يرى بعض الباحثين أن السد (سد معاوية بمنطقة المدينة النبوية) تهدم بفعل الزلازل والبراكين التي تعرضت لها المنطقة في القرون الغابرة، وهو الأصوب .

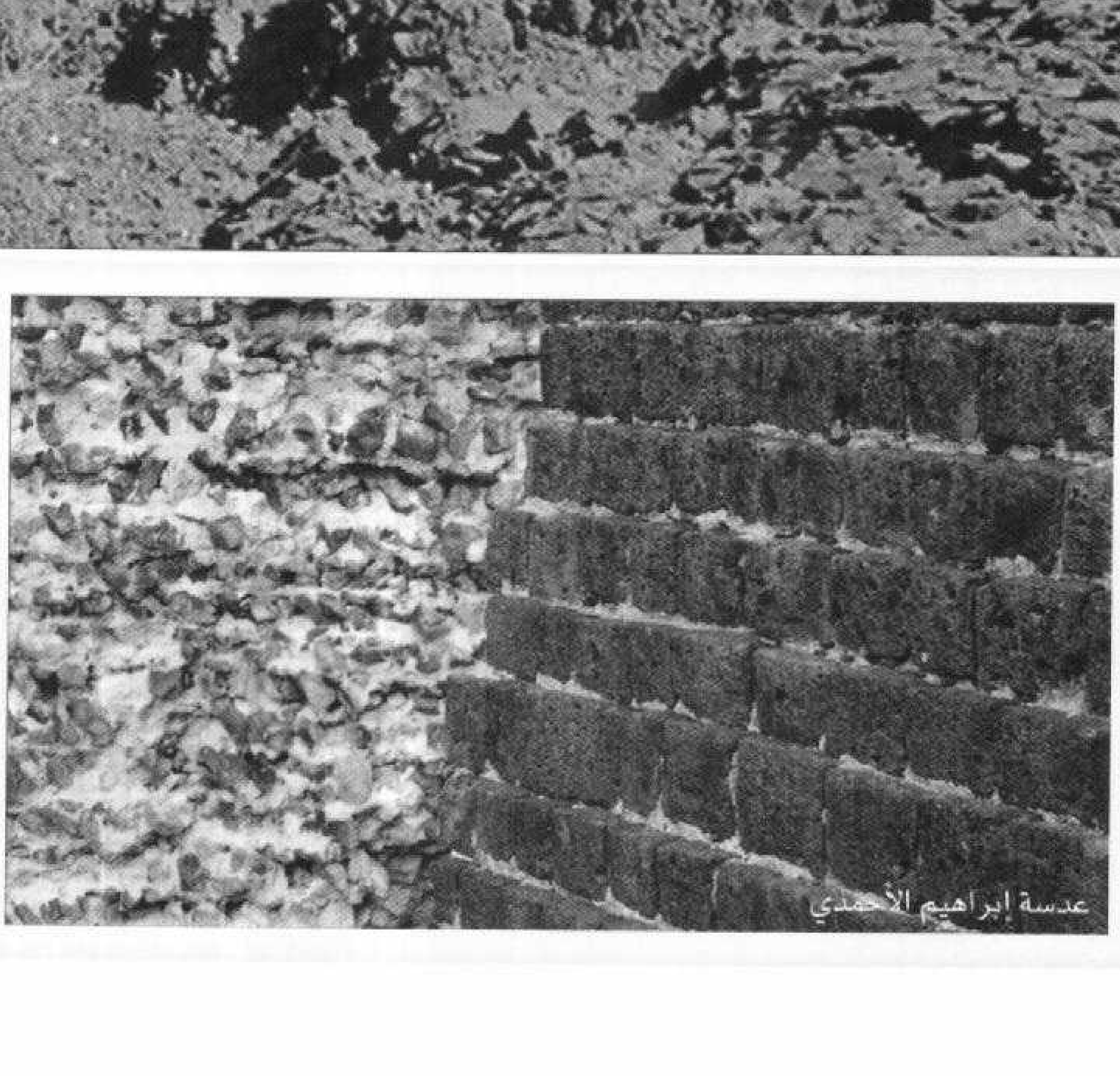

عدسة إبراهيم الأحمدي

سد سيسد الأثري شرقي الطائف والذي بني في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

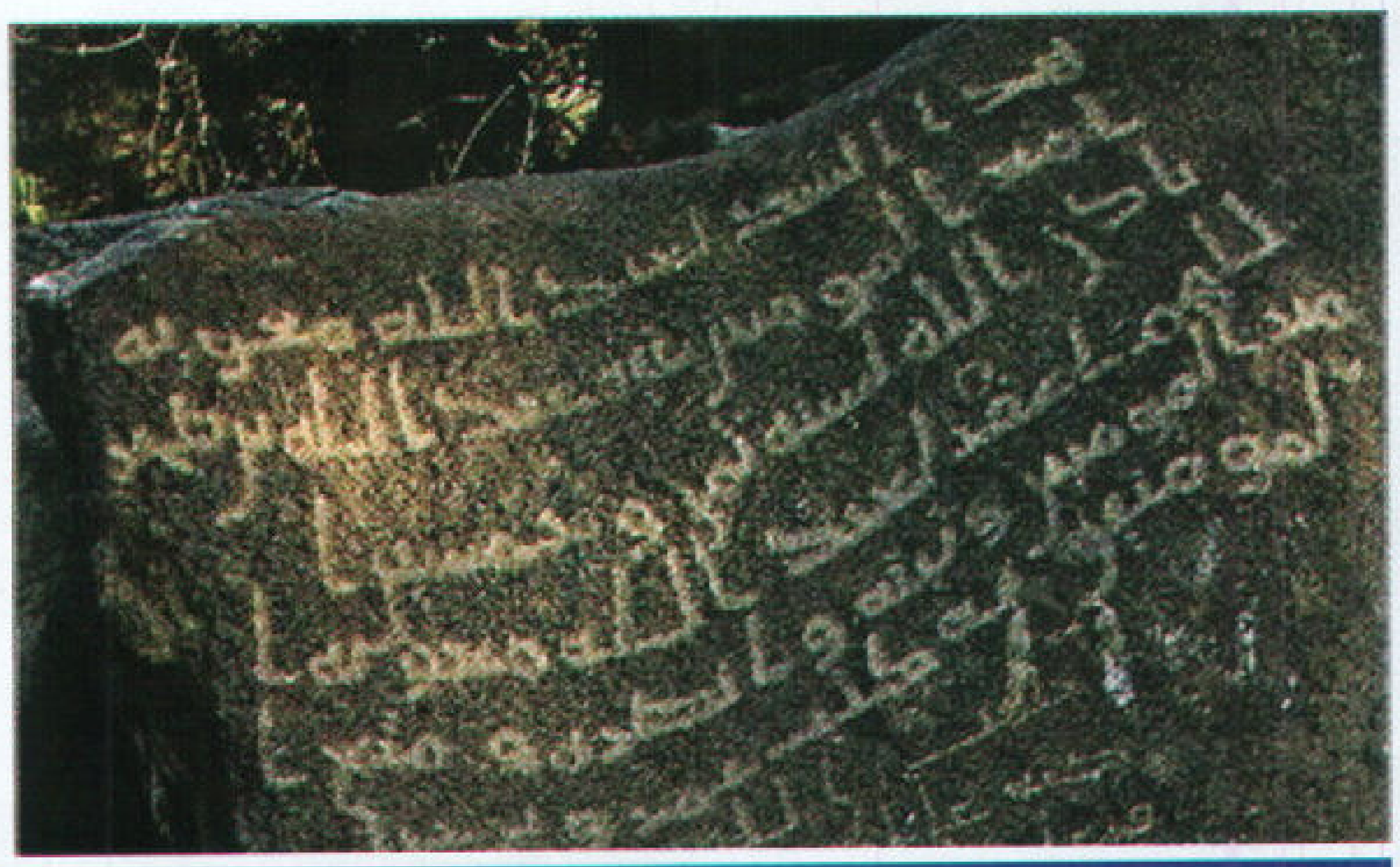

في اليمين نقش أثري يؤرخ لبناء السد في عهد معاوية بن أبي سفيان، ويقابله نصب لبناء معاصر يترجم للنقش

سد سيسد: مشيد من أحجار كبيرة، ومستطيلة بنيت في مداميك أفقية، يبلغ طوله (٥٨) متراً وعرضه (٤،١٠) أمتار، وارتفاعه (٨،٥) أمتار، وهذا السد له شهرة كبيرة لأنه بني في عهد الخليفة الأموي **معوية** (معاوية) بن أبي سفيان، وقد عثر به على نقش تأسيسي يؤرخ بسنة (٥٨هـ) (٦٧٧-٦٧٨ م) جاء فيه:

١- هذا السد لعبد الله معوية (معاوية).

٢- أمير المؤمنين بناه عبد الله بن صخر.

٣- بإذن الله سنة ثمان وخمسين.

٤- اللهم اغفر لعبد الله معوية (معاوية).

٥- أمير المؤمنين وثبته وانصره ومتع المؤمنين به كتب عمرو بن حباب.

بركة قلعة عمَّان والتي حفرت في العصر الأموي

سلم البركة

توجد في جبل القعلة (قلعة عمَّان) **بركةٌ** تقع بجانب القصر الأمويّ، وهي مستديرةٌ وواسعةٌ، حُفِرَت في الصّخر وكانت مُعدّةً لجمع المياه في فصل الشّتاء، وتُزوّد سكّان القلعة بالماء في وقت الحاجة .

يوجد فـي قلعة جبل عمَّان بقايا المسجد الأموي « تقـدم ذكره ص ٣١٧ مـن هـذا الأطلس »، والذي يرجع - كما أسلفنا - إلى العصر الأمـوي فـي القرن السـابع الميـلادي، الأول الهجـري، وبعض المباني الأثريـة والتـي تتغـذى جميعها من مياه بركة القلعة.

الفصل الرابع عشر

تعريب الدواوين والإصلاح النقدي

بعـد أن تخلص **عبد الملك بن مروان** مـن مشاغله الداخلية، التي تجسدت في قمع حركات التمرد، التي أقضت مضجع البيت الأموي إلى حـد كبير، لأنها كثيراً ما هددت الحكم الأمـوي بالسقوط والزوال في وقت مبكـر. مـا إن انتهى من هـذه الحركات، حتى بدأ في أكبـر عملية حضارية، أراد أن يقـوي من خلالها جذور الوجـود العربي وأركانه، هـذه العملية هي عملية التعريـب، التي شملت دواوين الدولـة برمتها، وكذلك عملة الدولـة المتداولة بين النـاس. فتعريب الدواوين يـؤدي إلى تدعيم سلطة الدولة العربيـة إدارياً بعد إن بسطت الدولة سلطتها السياسية على مختلف أرجاء الدولة، وكذلك الأمر بالنسبة **لتعريب النقود**. وكل هذا يساعد حتمـاً على نشـر اللغة العربية والتخلص مـن الموظفين غير العرب، وإتاحة الفرصة للعـرب للوصول إلى أرفع المناصب الإدارية وأهمها شأناً، بعد أن كان ذلك يقتصر على غير العرب، الأمر الذي كان يضعف تكوين الدولة القومي، ويتناقض مع سياسة الدولة العامة، ويوهن الثقة بين الدولة والإدارة، ولا يمكن أن تقوى هذه الثقة ما دام موظفوها ليسوا عرباً، وما دامت لغتها غير عربية. لهذا فقد كان **لفكرة التعريب** أثرها العظيم في رفع شـأن اللغـة العربيـة، حتى غدت اللغـة الرئيسة بعد أن كانـت تُعد لغة أجنبيـة كسواها بالنسبـة لأهل البلاد المفتوحة[١].

ولاسيما أنه قد اشتغل في الدولة الإسلامية من بقي على دينه من أهل الذمة مطمئناً بالمهن، في ظل الحكم الإسلامـي، فكادوا يحتكرون المِهن لانشغال المسلمين بالجهاد، وشؤون الحكم، ورعاية شؤون الناس. فاحترف اليهود مثلاً: الصياغة، ونسج الحرير، وصناعة الزجاج، وأدوات السفن. ونفذ النصارى إلى الوظائف الكتابية الإداريـة فـي الدولة الإسلامية في الدواوين، وتركت لهم حرية تنظيـم جماعاتهم، وأقرّ المسلمون الناس في بلادهم، لذلك جاءت مناسبة تعريب الدواوين في الدولة أمراً غاية في الأهمية.

فالدواويـن لغـةً: جمع "ديوان" ويعنـي السجل الذي يتم فيه تدوين الأعمال والأمـوال والقائمين بها أو عليهـا، أو على حد تعبير المـاوردي في الأحكام السلطانية: بأنه موضوع لحفظ مـا يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال، والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال، ثم أطلقت الكلمة أيضاً من باب المجاز على المكان الذي تحفظ فيه السجلات ويجري العمل بها. وقد اختلف الباحثون في أصل هذه الكلمة، فذهب البعض إلى القول بأنها ترجع إلى أصل فارسي كما يذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته، بينما يعود بها البعض الآخر إلى أصول عربية، من دَوّنَ الشيء أي: أثبته، على حد قول ابن منظور في لسان العرب أخذاً عن سيبويه[٢].

وخلاصة القول: إن، عمليات التعريب في ميدان الإدارة والنقد تعد من أعظم المنجزات في العصر الأموي، لأنهـا سـاعـدت على تقوية الحكـم العربي بعد أن حولـت أجهزة الدولـة إلى العربية، وخاصـة الدواوين التي أصبحت تدار باللغة العربية، بعد أن كانت تدار بلغات أهل الأمصار المفتوحة.

---

١ - د. علي أحمد، مظاهر التعريب في العصر الأموي، كلية الاداب. جامعة دمشق، النسخة الرقمية.

٢ - د. رأفت عبد الحميد محمد، موقع وزارة الأوقاف المصرية.

الإصلاح النقدي في العصر الأموي

كان العرب في جزيرتهم يتعاملون بالنقود الرومية (دينار الذهب وفلس النحاس) والساسانية (درهم الفضة) وبقليل من نقود اليمن الحميرية إضافة إلى بعض العملات العربية القديمة كالنبطية والتدمرية وبعض العملات المحلية، في الوقت الذي ظل فيه أهل البادية يتعاملون بالطرق التقليدية القائمة على نظام المقايضة في تجارتهم .

وظل هذا الأمر عند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أبقى الرسول عليه السلام على هذا التعامل النقدي، حيث كان الذهب والفضة خلال هذه الفترة النبوية المباركة؛ يمثلان ذروة التعامل النقدي حينها. ونظراً لانشغال النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته الأبرار بتوطيد أركان الدولة الإسلامية الناشئة والقضاء على أعداء الدعوة الإسلامية، أقر عليه الصلاة والسلام العملات النقدية المتداولة في عهده لتنظيم جباية الزكاة، على الرغم من أنها تحمل شعارات وصور تتعارض وروح الإسلام .

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم استمر الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم بالتعامل بالمسكوكات النقدية الأجنبية السابقة؛ لكن الفاروق رضي الله عنه ضرب الدرهم سنة ١٨ هـ على نقش الكسروية وأشكالها وأعيانها ولم يحاول ضرب سكة جديدة تختلف عن الموجودة على الساحة الاقتصادية آنذاك؛ حيث أضاف إليها رضي الله عنه نقش بعض العبارات الإسلامية مثل (الحمد لله ، ومحمد رسول الله ، ولا إله إلا الله، لله ، أو بسم الله ، أو بسم الله ربي) (انظر كتابنا الموسوم « أطلس الخليفة عمر بن الخطاب »). وخلاصة القول: فإن عهود الخلفاء الراشدين: اقتضت حكمتهم السياسية أن يضيفوا إلى نقودهم بعض العبارات باللغة العربية لتشير إلى عقيدة الإسلام، أو إلى جواز التعامل بهذه النقود أو حتى إلى الأماكن التي سكت بها هذه النقود [١].

ولما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة كتب إلى زياد بن أبيه والي العراق ليضرب عملة جديدة غير عملة عمر ينقش عليها اسمه. ولما أعلن عبدالله بن الزبير نفسه خليفة في الحجاز ضرب دراهم ونقش على أحد وجهي الدرهم (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (أمر الله بالوفا والعدل) وضرب أخوه مصعب سنة ٧٠هـ دراهم في العراق أعطاها للناس في العطاء. نقش على أحد وجهي الدرهم (بركة) وعلى الوجه الآخر كلمة: (الله).

ولم يكن في الأمصار الإسلامية في بداية العهد الأموي سكة عربية إسلامية معترف بها قبل مجيئ عبدالملك بن مروان بل كان لأمراء الولايات دور سك خاصة يسكون فيها العملة حسب احتياجاتهم ولهذا كانت

١ - عمر البساطي، رحلة النقد العربي السعودي، تقديم أ . سامي المغلوث (رحلة العملة النقدية).

الدينار البيزنطي

الدينار الرومي (البيزنطي) المتداول في الدولة الإسلامية قبل عملية الإصلاح النقدي الكبير في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

مراحل تعريب الدينار الأموي

بدأت مراحل تطور العملة الإسلامية الحقيقية بوضع عبد الملك بن مروان لشهادة التوحيد على العملات، كما ألغى في هذه المرحلة صورة هرقل وولديه واستبدلها بصورته هو، ونراه فيها واقفاً مرتدياً العباءة العربية وظهر رأسه بغطاء الرأس العربي، وحول الشكل كتابات كوفية بشكل دائري، ويبدو عبد الملك بن مروان في هذه العملات وبيده سيفه رمز الخلافة والجهاد في سبيل الله، وقد اختلف الباحثون حول هذه الصورة هل هي صورة عبد الملك بن مروان شخصياً أم مجرد رمز لخليفة المسلمين فقط؟! وفي المرحلة الأخيرة لتطور العملة في عهد عبد الملك بن مروان أصبحت العملات تعكس خصائص الفن الإسلامي وأصبحت عربية خالصة بعيدة عن التأثيرات البيزنطية وذلك بما تحمله من عبارات إسلامية لشهادة التوحيد وتاريخ الإصدار، ونلاحظ تشابه العملات التي تسك في مصر ودمشق خلال هذه الفترة حتى ليصعب الفصل بينها دون قراءة مكان السك.

د. سمير شوشان، فن العملة الإسلامية وتطوره.

قيـم النقد غـير مستقرة. الأمر الذي شجع علـى التزييف والتلاعب. وإن ما فعله عبـد الملك والحجاج من تعريـب للنقـود إنما جـاء مبنياً على ما صنعـه **عمر بن الخطاب** حـين نظر إلى الدراهـم الفارسية التي اختلفـت أوزانها عشرة قراريط، أو اثني عشر قيراطـاً، أو عشرين قيراطاً، فجمع ذلك فبلغ اثنين وأربعين، فأخـذ ثلثه أو (معدله) فكان أربعة عشر قيراطاً فجعله الوزن الشرعي الذي حدده عمر كاملاً غير منقوص وروى البـلاذري: أن سعيـد بن المسيب سئل : عن أول من ضرب الدنانـير المنقوشة ؟ فأجاب: عبد الملك بن مروان عام الجماعة سنة ٧٤هـ، وأن ضرب الدراهم بدأ في سنة ٧٥هـ، ثم أمر بتعميمه في جميع النواحي سنة ٧٦هـ. وقال ابن الأثير : "إنه لما صارت الخلافة إلى ملوك بني أمية وقد أغفلوا أمر المعاملة بما تشاغلوا بـه عن أمـور نفوسهم تفاحش الغش في التجـارة، وصارت تنسب إلى الروم سكـة ليست من ضربهم فيما ابتـدع الناس من دنانير كسرى وقيصر، فعني **عبد الملك** بتمييـز المغشوش من الدنانير والدراهم فضرب في دمشق"[١].

لقـد ذكـرت المصادر التاريخية أن سببـاً رئيساً أدى إلى عملية التعريب النقـدي يعود إلى اعتراض ملك الـروم جستنيـان الثاني على أوراق البردي التي كانت تصل بيزنطة مـن مصر وهي تحمل عبارات التوحيد بـدلاً مـن عقيدة الإيمان النصرانية " باسم الأب والابـن وروح القدس" مما أغضب جستنيان وهدد بكتابة عبـارات تسيء للمسلمين علـى الدنانير البيزنطية، مما دفـع بالخليفة عبد الملك بن مـروان إلى استشارة الفقهـاء وأهل الرأي بذلك، فأشاروا عليه بسك مسكوكات عربية وترك دنانيرهم، ويذكر أن خالد بن يزيد ابـن معاوية بن أبي سفيـان أشار على الخليفة عبد الملك بقوله:"يا أمير المؤمنين إن العلماء من أهل الكتاب الأول يذكرون أنهم يجدون في كتبهم أن أطول الخلفاء عمراً من قدس الله تعالى في درهمه.

ويـرى البعـض الآخر من المؤرخين أن السبب الذي أدى إلى تعريب المسكوكات هو نقض المعاهدة التي كانت معقودة بين الخليفة عبد الملك وملك الروم جستنيان الثاني سنة ٦٧ هـ / ٦٨٦ م، التي يدفع بموجبها الخليفة الإسلامـي ولمـدة عشر سنوات مبلغـاً من المال قدره ألف دينـار ذهبي إتاوة أسبوعية، ولكـن هذه الاتفاقية نقضت سنة ٧٣ هـ / ٦٩٠ م . ومهما كانت الدوافع التي مر ذكرها؛ فإن السبب الحقيقي الذي دفع عبد الملك لتعريب السكة هو إتمام استقلال الدولة العربية الإسلامية.

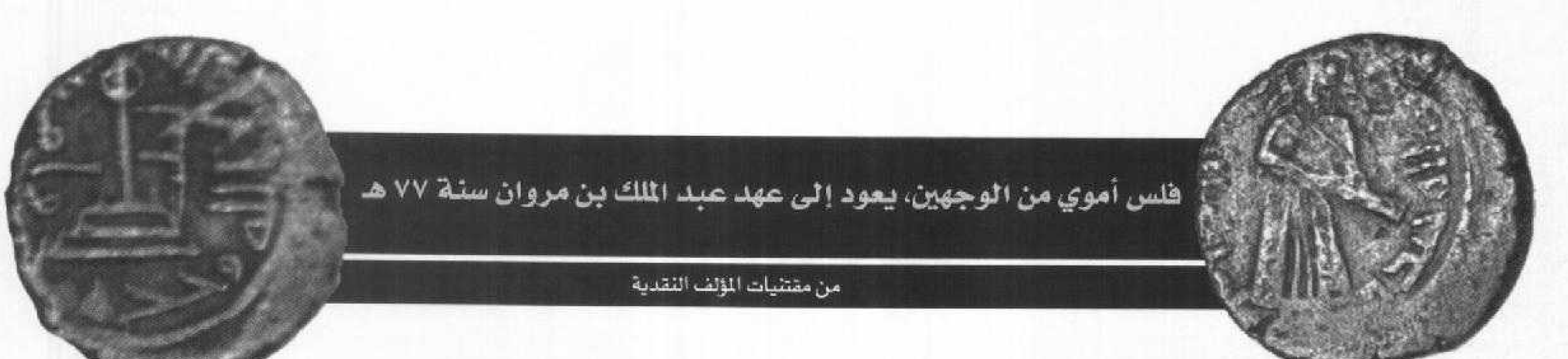

فلس أموي من الوجهين، يعود إلى عهد عبد الملك بن مروان سنة ٧٧ هـ

من مقتنيات المؤلف النقدية

١ - د . توفيق سلطان اليوزبكي، التعريب في العصرين الأموي والعباسي.

الدرهم الساساني

الدرهم الأموي

معاوية بن أبي سفيان - البصرة

عبد الملك بن مروان - الكوفة

الوليد بن عبد الملك - دمشق

هشام بن عبد الملك - واسط

م . الصور الخاصة بالدراهم الأموية ، موقع مجموعة نقود العصور الوسطى والإسلامية للبحر الأبيض المتوسط على الشبكة العنكبوتية

أبرز الدواوين في العهد الأموي:

١ـ ديوان الخراج: مسؤول عن الواردات والنفقات وعن إرسال الجباة لجباية الجزية والخراج، وكان يسجل فـي ديـوان الخراج كل ما يرد من أموال الفيء (جزية، خراج، عشـور التجارة التي تؤخذ من أهل الذمة وأهل الحرب، وما يرسل من خمس الغنائم).

٢ـ ديـوان الجنـد: هو الذي يحصر فيه جند كل إمارة وأعطياتهم وكل ما يختص بشؤونهم، وأول من وضعه الخليفـة الثـاني عمر بـن الخطاب، وكان بالعربية منـذ أن وضع. ويتم فيه حفظ أسمـاء الجند، وأوصافهم، وأنسابهـم، ورواتبهم. وعلينا هنا أن ننظر في موضوع الفـرق بين الجند والعسكر، **فالعسكري** هو من امتهن مهنـة القتـال وأقام في معسكراتهـا التي كانت في بداية الدولـة الإسلامية وعادة تقام فـي المدن لجعل أسر المقاتلـين قريبـة منهم كما وضع تلك الصيغة عمر بـن الخطاب رضي الله عنه. وكان شيـوخ القبائل هم قادة المحاربـين مـن تلـك القبائل. أما **الجند** فهـم من يقومون بالقتال لمـرة واحدة في حين تكـون مهنهم مختلفة يعودون لمهنهم بعد انتهاء الواجب.

يعـرِّف ابـن خلدون مهمة ديوان الجند، بقوله: "للقيام على أعمال الجبايـات، وحفظ حقوق الدولة في الدّخل والخَرج، وإحصاء العساكر بأسمائهم، وتقدير أرزاقهم، وصَرْف أُعطياتهم في إبّاناتها، والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتّبها قَوَمَة تلك الأعمال".

كان هنـاك ديـوان مركـزي في العاصمة "دمشق" وتتفـرع منه دواوين أخرى في الولايـات. وقد خضع ديوان الجنـد في العصر الأموي لبعض التعديلات وذلك حسب ما تقتضيه الظروف. فـيروى أن ديوان مِصر مرّ في **أربـع مراحـل:** الأولى علـى عهد عمرو بن العاص الذي كان أَول من دَوّن هذا الديوان، ثم دَوّن عبد العزيز بن مروان التدوين الثاني في خلافة عبد الملك ابن مروان، ودوّن قُرّة بن شَريك العَبْسي التدوين الثالث في خلافة الوليد ابن عبد الملك، ودَوّن بِشْر بن صفوان الكلبي التدوين الرابع على عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك.

وكان مـن يتـولّى هذا الديوان، في العصر الأموي يدعى كاتب ديوان الجنـد. وقد تولاه عدة أشخاص منهم: عبـد الملـك بن مروان، وعمرو بن سعيد بن العاص، ومسلمة بن مخلد الأنصاري وذلك في خلافة معاوية وابنه يزيـد، وكان ميمـون بن مهران كاتب ديوان الجند في خلافة عمر بن عبد العزيز، وأُسامة بن زيد التنوخي كاتب ديـوان الجنـد فـي خلافة يزيد بن عبد الملك. وعبـد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسـف الثقفي في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك. ومصعب بن الربيع الخثعمي في خلافة مروان ابن محمد".

كان مـروان بـن محمد بن مـروان آخر خلفـاء بنـي أُميـة قـد حـدّد لأحـد ولاته الشـروط التي يجـب أن تتوفر فيمن يوليه صاحب شرطته، وكتب له : " فَوَلِّ شُرطتك وأَمـر عسكـرك، أوثـق قُـوّادك عنـدك، وأَظهرَهـم نصيحةً لـكَ، وأنفذَهم بصيرة فـي طاعتك، وأَقواهـم شكيمةً فـي أَمرك، وأمضاهم صَريمة (عزيمـة)، وأصدقَهم عَفافـاً، وأَجـزأَهـم غنـاءً، وأكفأَهـم أُمانـةً، وأَصحّهم ضميراً، وأَرضاهم في العامة دينـاً، وأَحمدهم عند الجماعة خُلقـاً، وأَعطَفَهـم علـى كافّتهـم رأفـة ، وأَحسنَهـم لهـم نَظَراً، وأَشدهـم فـي دين الله وحقـه صلابـةً (...) ولْيكُـن عالمـاً بمراكـز الجنـود، بصيراً بتقـدم المنازل، مجرِّباً، ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة ، له نباهةٌ فـي الذِّكر، وصيتٌ في الولاية، معروفَ البيت، مشهور الحَسَب ".

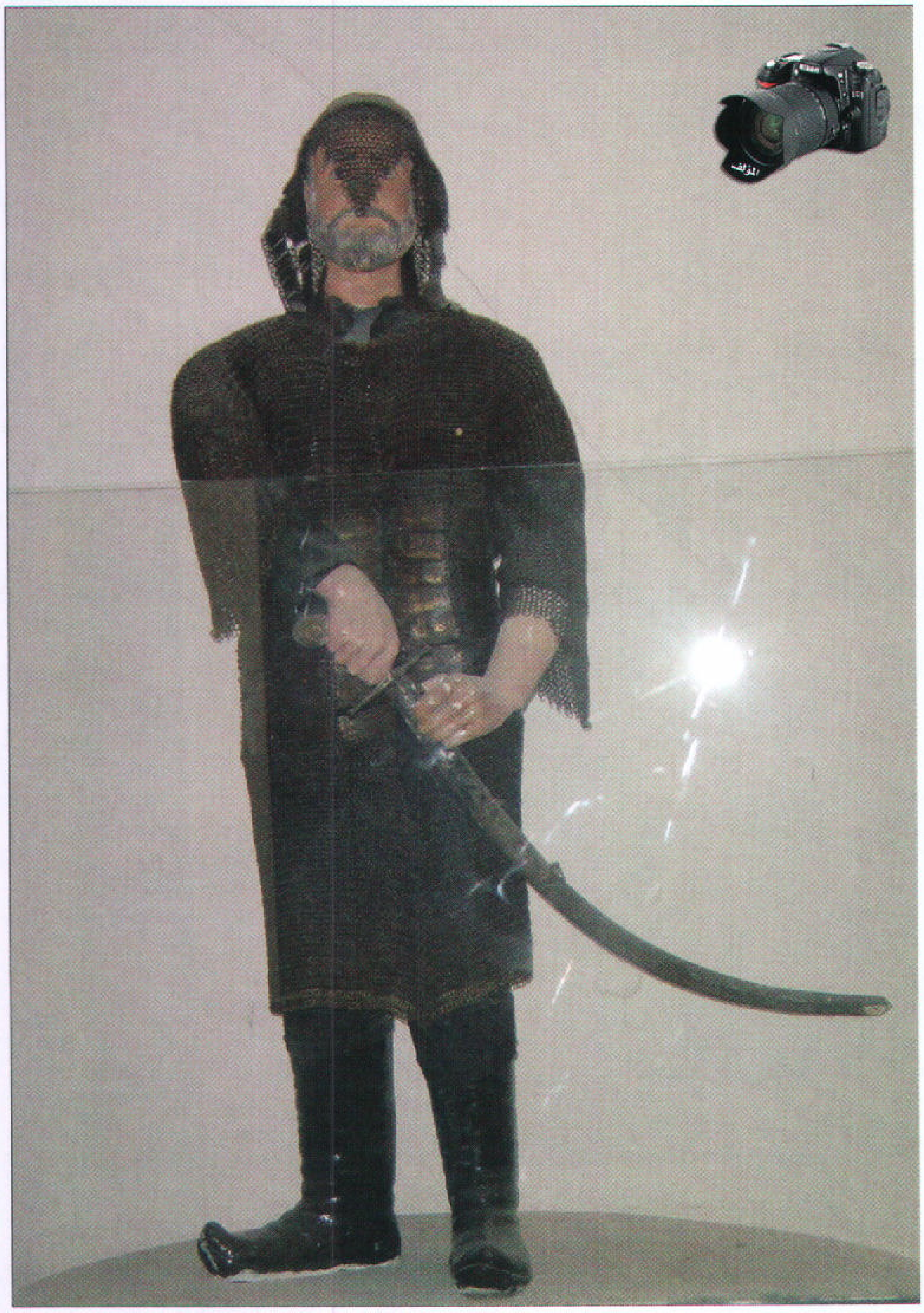

نموذج للباس الجندي في العصرين الأموي والعباسي . م . متحف دمشق - سوريا

لقـد أدّى اختـلاف الزمان والمكان فيما بين العصر الراشدي والعصر الأمـوي، وبخاصة فيما يتعلق بتنامـي حـركات المعارضـة، إلى تشدد الخلفاء الأمويـين وولاتهم في مسألتين، أولاهمـا : إلزام الجند باللّحـاق بثغورهم باستمـرار. وثانيهما : التأكيد على بقاء الجند في ثغورهم التي وجِّهوا إليها وبخاصة على الجبهة الشرقية (من الأهواز حتى خراسان وما حولها) طالما كان هناك داع لذلك. وهو ما يعرف بعملية تَجْمير البُعوث.

٣. **ديوان الخاتم:** وقد أنشأه معاوية بن أبي سفيان بعد عملية التزوير التي حدثت في عهده.

٤. **ديوان الرسائل:** ويقوم على تحرير الرسائل، ومكاتبات الخليفة مع ولاته، أو مع من يريد من ملوك، وأمراء الدول الأخرى، ويعتبر الرسول عليه السلام أول من أسسه.

٥. **ديوان البريد:** ومهمته نقل الأخبار والرسائل بين المركز والولايات، أو فيما بين الولايات بعضها البعض. وقد يقوم بنقل الحاجيات كما فعل الوليد بن عبد الملك عندما نقل الفسيفساء من القسطنطينية الى دمشق.

كان معاوية بن أبي سفيان أول من نظّم البريد في الدولة الأُموية. فبنى لهذا الغرض محطات أو مراكز على الطرق الرئيسة التي يمرّ منها البريد بحيث تبعد كل محطة عن الأخرى بمقدار أربعة فراسخ (١٢ ميلاً أو حوالي ٢١ كيلا) ورتب للبريد خيلاً وموظفين فإذا وصل صاحب البريد من محطته إلى المحطة التي تليها يستريح، إن كان قد تعب أو تعبت فرسه، ويَترك نظيره في تلك المحطة ينطلق للمحطة التي بعدها وهكذا حتى المحطة الأخيرة . ونتيجة لهذا التنظيم أصبح البريد بما يحمله من رسائل وطرود يصل بسرعة وأمان.

كان صاحب البريد في أول أمره يحمل رسائل الخليفة إلى ولاته ولقادة الجند وكبار الموظفين ويحمل كذلك رسائل الولاة إلى عمالهم أو قادة الجند في ثغورهم. ثم تطور الأمر بحيث أصبح صاحب البريد يحمل رسائل المواطنين إلى الخليفة. فيشير الطبري في إحدى رواياته أن عامل معاوية على المدينة إذا أراد أن يُبرد بَريداً إلى معاوية أمر مناديه فنادى : " من له حاجة فليكتب إلى أمير المؤمنين" . وكان بريد عمر بن عبد العزيز لا يعطه أحد من الناس إذا خرج كتاباً إلاّ حَمَله ".

وبمرور الوقت بدأت دواب البريد تحمل الأشخاص المطلوبين للمثول أمام الخليفة لترشيحهم لمنصب معين أو لتكليفهم بمهمة ما، أو لمساءلتهم.. واستخدمت دواب البريد لنقل الجند الذاهبين كمدد إلى الثغور. كما أن صاحب البريد أصبح عيناً للخليفة على ولاته وموظفيه، وقد يكون أُذُناً للولاة في مجلس الخليفة.

ونظراً لأهمية ما يمكن أن يحمله صاحب البريد فقد أصدر عبد الملك أوامره إلى حاجبه بأن يدخل عليه صاحب البريد حال وصوله حتى ولو كان آخر الليل . وكان يقول : " ورسول الثغر ، فإنه إن أبطأَ ساعة أَفسَد عمل سَنة ".

٦- ديـوان النفقـات: يقوم بتسجيل كل ما ينفق في مرافق الدولة مـن أموال بدلاً من أن تكون هذه المسؤولية ملقاة على عاتق ديوان الخراج فقط، ويذكر الجهشياري أن سليمان بن عبد الملك هو أول من أنشأه.

٧- ديوان الصدقة: وينظر في موارد الزكاة والصدقات وتوزيعها، وأسماء من يستحقونها من الرعايا، كما جاء في القرآن والسنة. ويذكر الجهشياري أن هشام بن عبد الملك هو أول من أنشأها.

٨- ديوان المستغلات: وينظر في أموال الدولة غير المنقولة من أبنية، وحوانيت، وعمارات وغيرها. ولأول مرة تـرد إشـارة ديـوان المستغلات فـي عهد الوليد حيث ذكـر أن نفيع بن ذؤيـب تقلد للوليد بن عبـد الملك ديوان المستغلات.

٩- ديـوان الطراز: ومهمتـه الإشراف على المصانع التي تنسج الملابس الرسميـة، والشارات، والأعلام وهي تشبه اليوم هيئة المواصفات القياسية، وأول من نقل الطراز إلى العربية من الخلفاء عبد الملك بن مروان .

يشـرف هـذا الديوان على المصانـع التي تقوم بنسج الملابـس الرسمية للخلفاء والـولاة وكبار موظفي الدولـة، والشـارات والأعـلام. ولعلها كانت تزيّـن بأشكال وعلامـات ونماذج من الخـط العربي، وتكون الخيوط المستخدمة في ذلك بلَوْن يختلف عن لَوْن الثوب . وقيل إن هذا الديوان قد نشأ في عهد عبد الملك ابن مروان أو ابنه هشام.

للأهمية

قصـة الجمع بـين ديـوان الرسـائل والبريد.

حينمـا أنشـأ **معاوية بن أبـي سفيان** رضي الله عنه ديـوان الخاتم بعد حادثة التزويـر في محتويات إحدى رسائله إلى عامله على العراق . بعد أن قام الرجل « حامل الرسالة » ، بفتحها وزاد في رقم المنحة المعطاة إليه من مائة ألف درهم إلى مائتي ألف درهم استلمها من الوالي، واكتشف معاوية ذلك أثناء تدقيقه في كشوف حسابات الولاية المرسلة إليه، فطلب الرجل وواجهه بفعلته وطلب منه إعادة المبلغ.

ومن أجل تيسير العمل وسهولته فقد جمع معاوية ديوان الرسائل في العاصمة مع ديـوان الخاتم في ديوان واحد. وعيّن عليهـا عبيد الله بن أَوس الغساني . ولكن عبد الملـك بن مـروان جعلهما إدارتين مستقلتين. وظل الأمر كذلك حتـى نهاية العصر الأموي. علماً بأنه لم يكن لديوان الخاتم أية فروع في الولايات.

تعد اللغة العربية ذات أهمية قصوى لدى المسلمين، فهي لغة مقدسة (لغة القرآن الكريم)، ولا تتم الصلاة (وبعض العبادات الأخرى) في الإسلام إلا بإتقان بعض من كلماتها. فهي أغزر اللغات كلماً، وأدقها تعبيراً وأصحها قياساً، وسعت جميع الأغراض، وتقبَّلت ثمرات القرائح ونتاج الأفكار، وبها نزل القرآن الكريم، فكان سجلاً خالداً لهذه اللغة، وحفظها على مر الزمن، وفتح لها أبواباً كثيرة من فنون القول، فعولجت بها أمور لم تكن العربية لِتُعنى بِها من قبل، وذلك كمسائل القوانين والتشريع، والقصصِ والتاريخ، والعقائدِ الدينية، والجدلِ فيما وراء الطبيعة، والإصلاحِ الاجتماعي، والنُّظُم السياسية، وشؤونِ الأسرة، وأصول القضاء والمعاملات، ودراسةِ مظاهر الفلك والطبيعة والحيوان والنبات، وهَلُمَّ جَرّاً.

فالعربية كذلك لغة شعائرية رئيسة لدى عدد من الكنائس النصرانية في الوطن العربي، كما كتبت بها الكثير من أهم الأعمال الدينية والفكرية اليهودية في العصور الوسطى. وأثّر انتشار الإسلام في العهدين **الراشدي والأموي** إلى بسط نفوذ اللغة العربية جنباً إلى جنب مع انتشار الإسلام، **ففي العهد الأموي** على وجه التحديد أدى ارتفاع مكانة اللغة العربية؛ نتيجة لتعريب الدواوين إلى تدعيم سلطة الدولة العربية إدارياً - كما أسلفنا - بعد إن بسطت الدولة الأموية سلطتها السياسية على مختلف أرجاء الدولة، لذلك تعد هذه الخطوة من أعظم المنجزات في العصر الأموي؛ لأنها ساعدت على تقوية الحكم العربي بعد أن حولت أجهزة الدولة إلى العربية، وخاصة الدواوين التي أصبحت تدار باللغة العربية، بعد أن كانت تدار بلغات أهل الأمصار المفتوحة. وأصبحت اللغة العربية لغة السياسة، والعلم، والأدب لقرون طويلة في الأراضي التي حكمها المسلمون، وأثَّرت اللغة العربية، تأثيراً مباشراً و غير مباشر على كثير من اللغات الأخرى في العالم الإسلامي، كالتركية، والفارسية، والكردية، والأوردية، والماليزية، والإندونيسية، والألبانية، وبعض اللغات الإفريقية الأخرى مثل: الهاوسا، والسواحلية، وبعض اللغات الأوروبية وخاصةً المتوسطية منها كالإسبانية، والبرتغالية، والمالطية، والصقلية. كما أنها تُدرس بشكل رسمي أو غير رسمي في الدول الإسلامية والدول الإفريقية المحاذية للوطن العربي.

ومهما يكن من أمر فإن اللغة العربية سايرت حركة الفتوح الإسلامية مداً وجزراً واستوعبت مختلف الحضارات والثقافات. إلاَّ أنها بالرغم من هذه القدرة الخارقة لم تسلم من الحاقدين عليها، ومن الخصوم المهاجمين لها، والداعين إلى إبادتها وإفنائها. ولكن الله سبحانه وتعالى قد قيّض لهذه اللغة من يدافع عنها ويذود عن حماها في كل زمان ومكان.

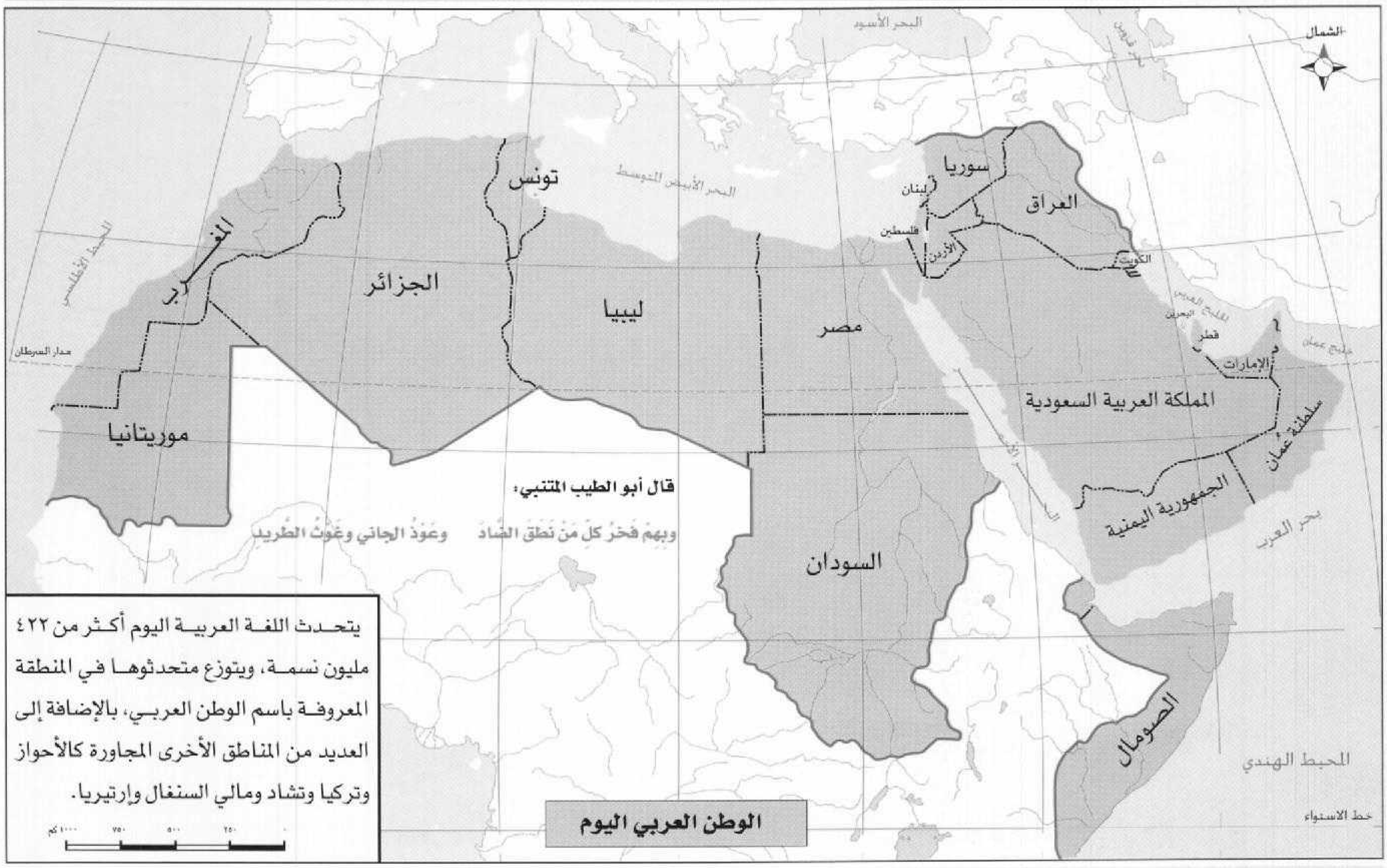

يتحدث اللغة العربية اليوم أكثر من ٤٢٢ مليون نسمة، ويتوزع متحدثوها في المنطقة المعروفة باسم الوطن العربي، بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى المجاورة كالأحواز وتركيا وتشاد ومالي السنغال وإرتيريا.

نقش كتابي على صخرة في طلب الصلاة (القرن الأول الهجري) مركز الصويدرة التابع لمنطقة المدينة المنورة.

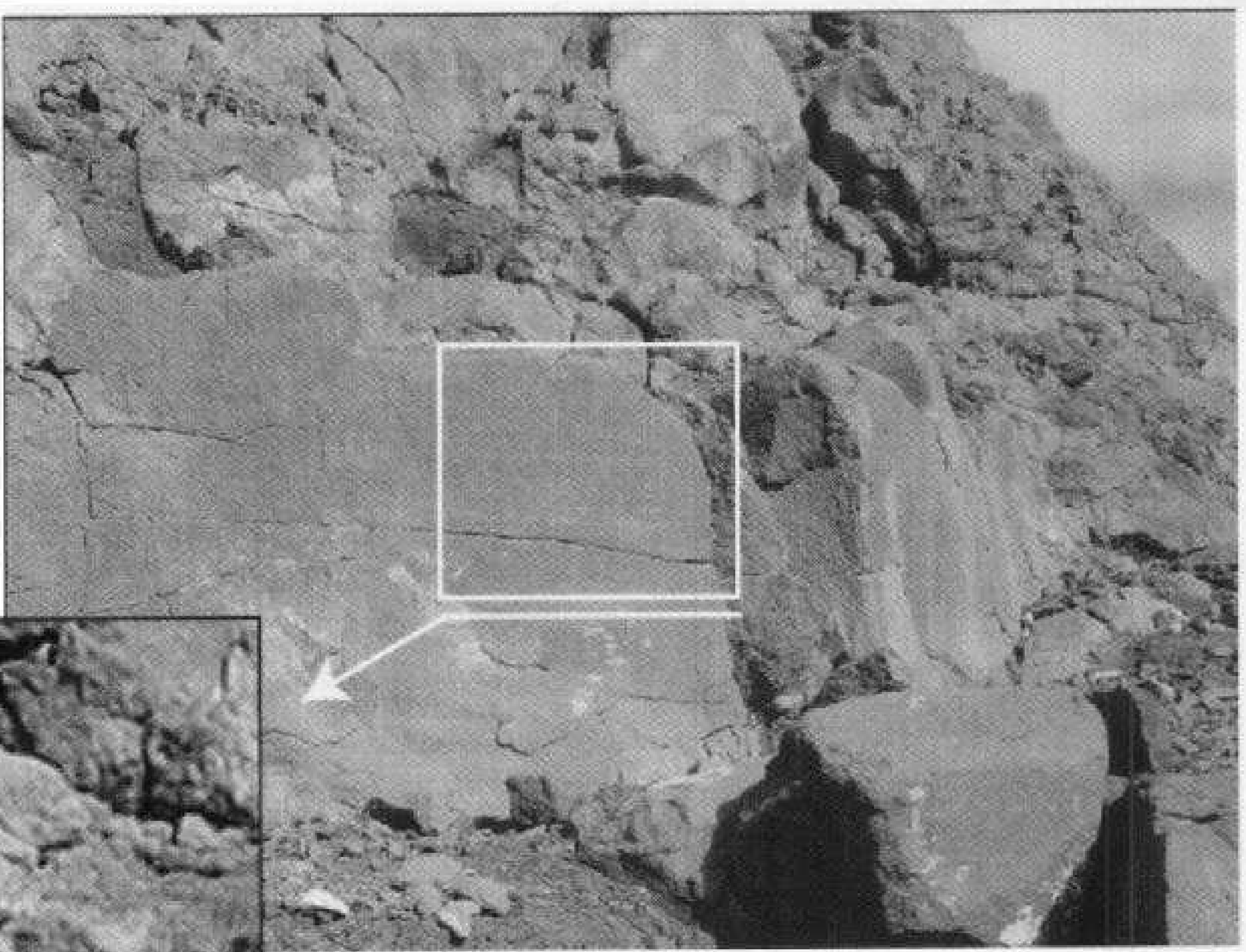

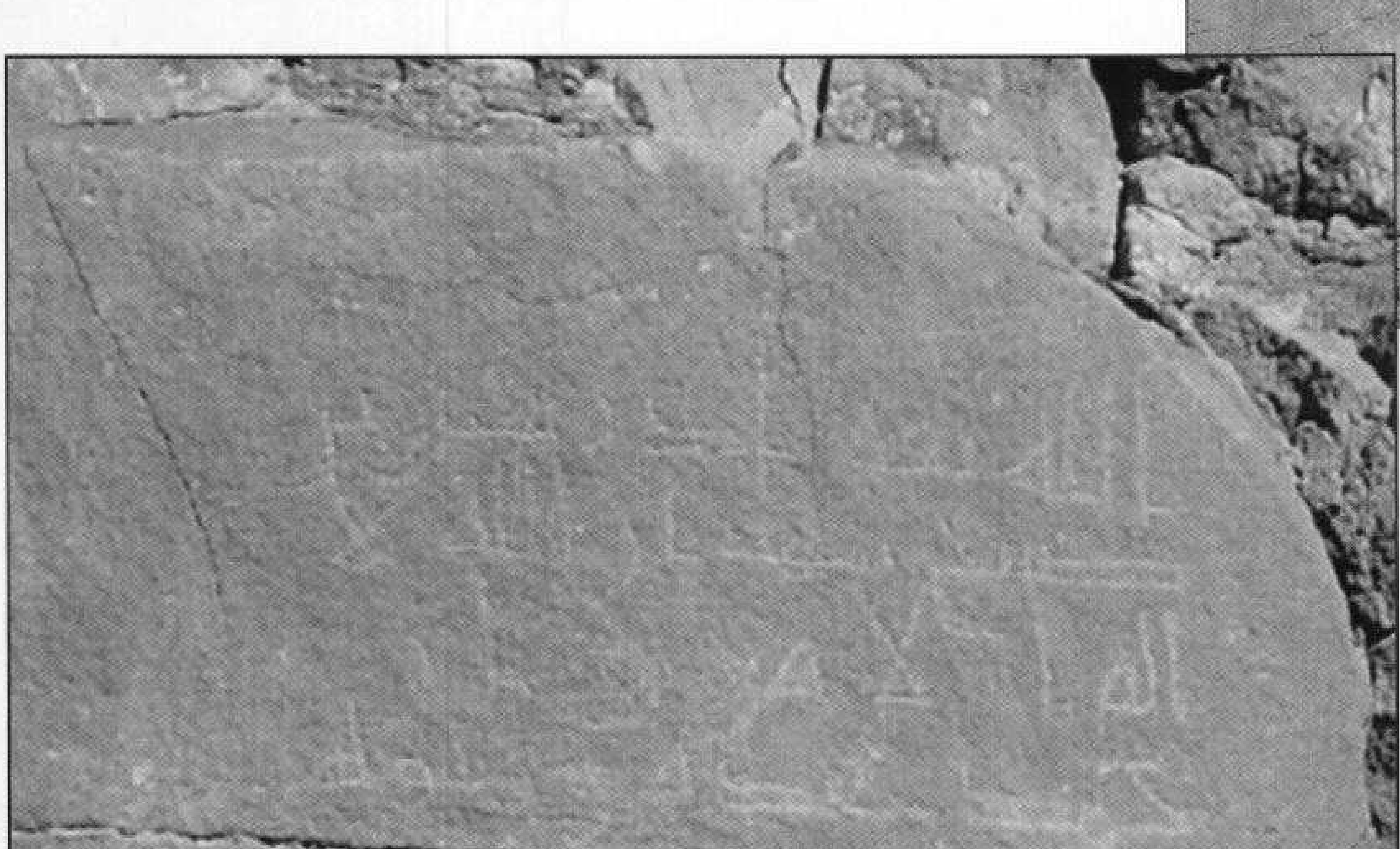

نقش كتابي على صخرة بدأ بلفظ الجلال سبحانه وتعالى(القرن الأول الهجري) محافظة خيبر في شمالي المدينة المنورة .

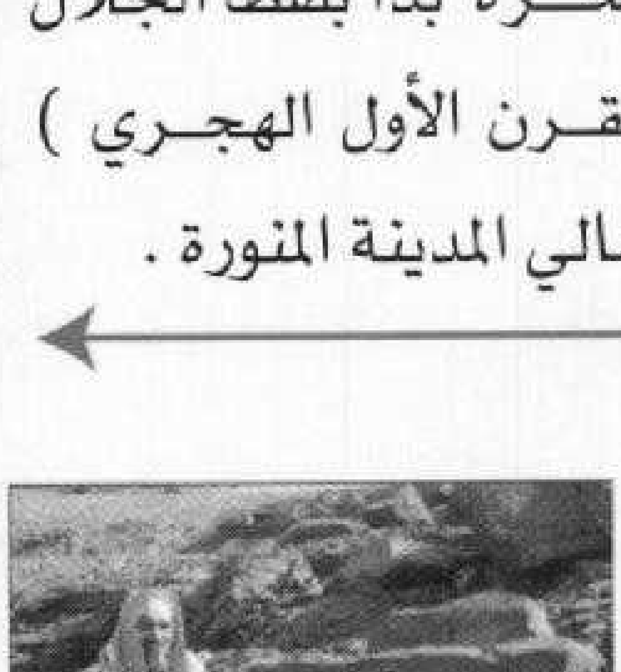

المؤلف بجانب نقش كتابي يعود إلى بداية القرن الثاني الهجري .

ملاحق الكتاب

ثبت المصادر والمراجع	٣٤٢
فهرس العناوين والفصول	٣٤٤

أولاً: المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. كتب السنة النبوية.

٣. الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود(ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، "الأخبار الطوال"، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب، القاهرة، ١٩٦٠م.

٥. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت ٧٤٨ هـ، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط. الرابعة ١٤٠٦ هـ.

٦. خليفة بن خياط العصفري(ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، "تاريخ خليفة"، تحقيق د. أكرم العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م.

٧. الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود(ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، "الأخبار الطوال"، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب، القاهرة، ١٩٦٠م.

٨. ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٣٠٦م)، "المقدمة"، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٩. أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مكتبة مشكاة الإسلام.

١٠. محمد بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - مطابع دار السراج، ط. ٢ - ١٩٨٠م.

١١. البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)، "فتوح البلدان"، تحقيق د عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعرف للطباعة والنشر- بيروت.١٤٠٧ هـ.

١٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)، "سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز"، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م.

١٣. أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

١٤. أبو عبيد عبد الله البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

١٥. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت – ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل(الأمم) والملوك، طبعة بيت الأفكار الدولية ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ونسخة ثانية لتاريخ الأمم والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة (١٩٩٦م).

١٦. ابن عبد الحكم، عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤هـ/ ١٢٨م)، فتوح مصر وإفريقيا، و"سيرة عمر بن عبد العزيز"، تحقيق أحمد عبيد، الطبعة الخامسة، المكتبة العربية، دمشق، دار العلم للملايين، بيروت.١٩٦٧م.

١٧. الماوردي، علي بن حبيب(ت ٥٤٠هـ/ ١٠٥٨م)، "الأحكام السلطانية"، الطبعة الثالثة، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٨. زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.

١٩. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، "تاريخ اليعقوبي"، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

٢٠. الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ت – ٧٧٤ هـ، البداية والنهاية، مكتبة الرياض الحديثة.

٢١. شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، ت – ٧٢٨ هـ، مجموع الفتاوى، جمع ابن قاسم، الرياض، ط١.

٢٢. قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، ط. ١٩٨١ م، بغداد، العراق.

٢٣. محمد بن مكرم بن منظور، ت ٧١١ هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٤. ابن الأثير. الكامل في التاريخ، – دار صادر – بيروت – ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

٢٥. العواصم من القواصم ، القاضي أبو بكر بن العربي تحقيق محب الدين الخطيب ، إعداد محمد سعيد مبيض ، دار الثقافة قطر الدوحة الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

ثانياً: المراجع

١. د. علي بن محمد الصلابي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الإنهيار، الناشر الدولي للطباعة والنشر والتوزيع، جزءان، جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤٣١ هـ.

٢. د. محمد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، ط ٥.

٣. صالح حسن عيد عيسى الشمري، العلاقات العربية البيزنطية في العصر الأموي ، جامعة بغداد رسالة ماجستير ، عام ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٤. الشيخ محمود شاكر، سلسلة التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة ١٤١١ هـ، بيروت - لبنان.

٥. د. محمد الطيب النجار، الدولة الأموية بين عوامل البناء ومعاول الفناء، دار العلوم للطباعة ، جمهورية مصر العربية، ط ٣.

٦. د. يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

٧. مبرة الآل والأصحاب ، دولة الكويت.

٨. الشيخ محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية « الدولة الأموية » ، المكتبة العصرية ، صيدا - لبنان ، ط ١٤٢٦ هـ، اعتنى به د. درويش جويدي.

٩. نجدة خماش، عبد الملك بن مروان، موسوعة المعرفة، دار الفكر ، ج ١، النسخة الرقمية. خماش، نجدة خماش، "الإدارة في العصر الاموي" دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م.

١٠. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز ابن باز – رحمه الله -.

١١. د. أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، د. ت. الطباعة.

١٢. عيسى الحسن، الدولة الأموية « عوامل البناء وأسباب الإنهيار » ، الأهلية للطباعة والنشر ، عمّان - المملكة الأردنية الهاشمية، ط. ١ سنة ٢٠٠٩ م.

١٣. د. طارق السويدان، الأندلس « التاريخ المصور »، ط ١، ١٤٢٦ هـ، مؤسسة الإبداع الفكري - الكويت.

١٤. د. فتحية النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ٣، جدة - المملكة العربية السعودية.

١٥. د. عبد الواحد ذنون طه، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، منشورات مكتبة بسام، الموصل العراق، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

١٦. د. حسين محمد سليمان، رجال الإدارة في الدولة الإسلامية العربية، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية.

١٧. د. أحمد مصطفى الصغير، الدولة الأموية، الناشر الدولي ١٤٢٧ هـ، جمهورية مصر العربية.

١٨. د. راغب السرجاني، الموقع الإلكتروني لقصة الإسلام.

١٩. د. عبد الله عثمان الخراشي ، عبد الله بن الزبير، رسالة ماجستير جامعة الملك سعود كلية الآداب ١٤٠٨هـ.

٢٠. د. عمر العقيلي ، خلافة معاوية، الرياض، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى الرياض،١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٢١. أحمد تمام، مجموعة من المقالات الإسلامية التاريخية، موقع إسلام أون لاين.

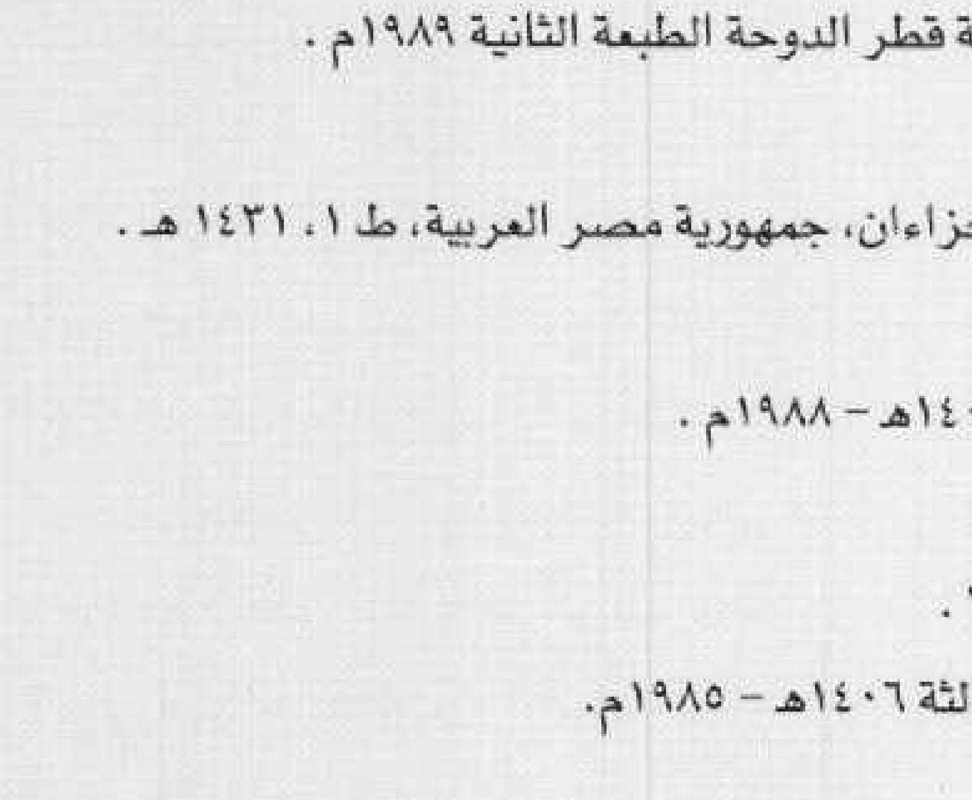

٢٢. سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، مكتبة العبيكان،ط ١، ١٤٣٠هـ .

٢٣. د. سلامة محمد الهرفي، دور قبيلة بلي في الفتوحات الإسلاميه، موقع قبيلة بلي.

٢٤. د . محمد الباجي بن مامي، جامع الزيتونة، أهمّ معالم مدينة تونس الأثرية والتاريخية، المعهد الوطني للتراث . تونس.

٢٥. مجلة مواقع ومعالم بقلم: خير الدين العنابي.

٢٦. إسماعيل حقي شن كولر – قضية تركستان الشرقية..

٢٧. منيرة الديلمي، مقال عن فتح الأندلس في صحيفة اليوم.

٢٨. د. عبد الرحمن علي الحجي ، « عبد العزيز بن موسى ابن نُصَيْر » رائب الصدع وفاتح شرق الأندلس وغربه، مجلة المجتمع، عدد ١٧٤١ لسنة ٢٠٠٧ م .

٢٩. الشيخ عثمان الخميس، حقبة من التاريخ ، دار الإيمان الإسكندرية .

٣٠. د. السيد الباز العريني. الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م. دار النهضة العربية .

٣١. مكة المكرمة والمدينة المنورة صور نادرة، " نماذج من مقتنيات مكتبة الملك عبد العزيز العامة " ط . ١٤٢٧ هـ

٣٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧/١٢٠٠م)، "سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز" ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م.

٣٣. د. عايض بن عبد الله القرني ، عمر بن عبد العزيز ، خطبة صوتية .

٣٤. عبد الكريم العلي، عنبسة بن سحيم الكلبي، الموسوعة العربية الرقمية .

٣٥. يوسف الأمير علي، موسوعة المعرفة، النسخة الرقمية للمجلد الأول، دار الفكر، دمشق - سوريا .

٣٦. أ . عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، ط ١(١٩٧٠ م)، بيروت - لبنان .

٣٧. محمد قبّاني، الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط، دار وحي القلم، دمشق - سوريا.

٣٨. د . عبد الأمير عبد حسين دكسن، الخلافة الأموية، ط ١ (١٩٧٣ م)، بغداد - العراق .

٣٩. د . لطيفة البكاي، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي، دار الطليعة بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٤٠. د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف – العالم الإسلامي في العصر الأموي – القاهرة – ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

٤١. أ. عمر بن علي البساطي ، رحلة النقد العربي السعودي، ط . ١٤٢٩ هـ .

٤٢. د. عبد الله كامل عبده ، الأمويون وآثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وإفريقية، دار الآفاق العربية ، طبعة أولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٤٣. اللواء محمود شيت خطاب، قادة فتح السند وأفغانستان، دار الأندلس الخضراء ، دار ابن حزم ،الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٤٤. د . عبد الله معروف، وأ. رأفت مرعي، أطلس معالم المسجد الأقصى، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، ط الأولى ١٤٣١ هـ.

٤٥. مكتبة طالب العلم الإلكترونية، إصدار مكتبة العريس - بيروت - لبنان .

٤٦. د. منير الغضبان، معاوية بن أبي سفيان ، دار القلم دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٤٧. عبد القادر الريحاوي، الجامع الأموي في دمشق . .

٤٨. مواقع سورية عن المساجد الأموية. .

٤٩. د. علي حسني الخربوطلي – عبد الله بن الزبير – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر – القاهرة – بدون تاريخ.

٥٠. د. علي حسين الخربوطلي، « تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي » ط . ١٩٥٩ م.

٥١. د. عماد الدين خليل، ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥٢. د. إبراهيم عامر الرحيلي ، موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة الطبعة الأولى لعام ١٤٢٢هـ .

٥٣. موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية).

٥٤. بسام العسلي، معاوية بن أبي سفيان ، دار النفائس ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ .

٥٥. د. عبد الحليم عويس، دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية دار الصحوة ، دار الوفاء الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٥٦. د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨١م.

٥٧. أحمد علي الصوفي، أرض السواد، بغداد سنة ١٩٥٥ م.

٥٨. محمد محمد حسن شُرّاب، المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدي دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٥٩. أحداث التاريخ الاسلامي بترتيب السنين .د. عبدالسلام الترمانيني .

٦٠. د. حمدي شاهين دار الوفاء، الدولة والمجمع في العصر الأموي، مصر عام ٢٠٠١م.

٦١. يوسف الأمير علي، موسوعة المعرفة، النسخة الرقمية للمجلد الأول، دار الفكر، دمشق - سوريا .

٦٢. صالح المطيري، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

٦٣. د. ناصر بن عبد الكريم العقل، الخوارج ، دار الوطن ، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٦٤. م . الصور الخاصة بالدراهم الأموية ، موقع مجموعة نقود العصور الوسطى والإسلامية للبحر الأبيض المتوسط على الشبكة العنكبوتية

٦٥. د. يحي بن إبراهيم اليحي، الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري جمعاً وترتيباً ، دار الهجرة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ ، السعودية .

٦٦. د. علي أحمد، مظاهر التعريب في العصر الأموي، كلية الاداب . جامعة دمشق، النسخة الرقمية .

٦٧. مواقع فلسطينية على الشبكة العنكبوتية .

٦٨. جمعة الشوابكة، ج . الدستور الأردنية، ٢٠١٠/١/٢٩م.

٦٩. د . توفيق سلطان اليوزبكي، التعريب في العصرين الأموي والعباسي.

٧٠. موقع ويكيمابيا لبعض الخرائط الفضائية .

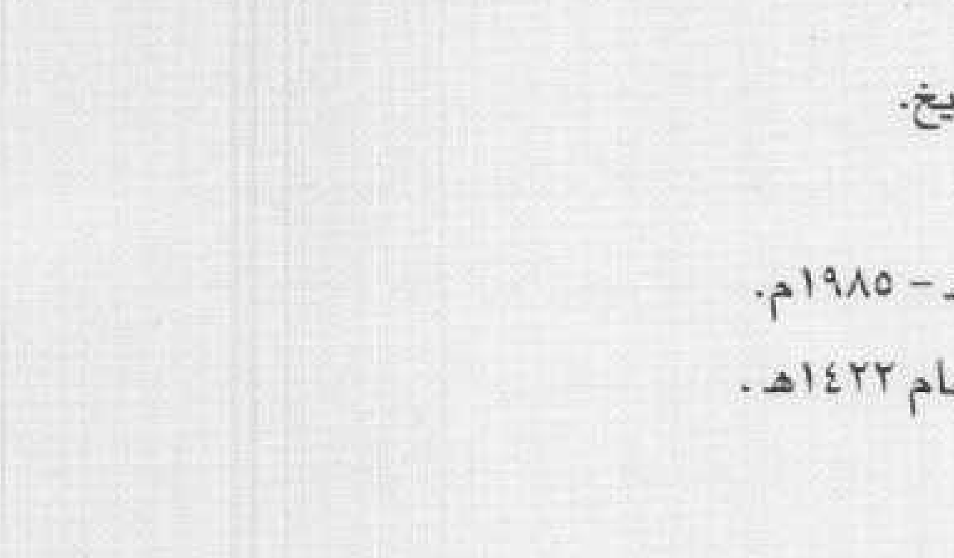

مقدمة الكتاب

الفصل الأول	معاوية بن أبي سفيان	٩
الفصل الثاني	يزيد بن معاوية	٧٣
الفصل الثالث	خلافة عبد الله بن الزبير	١٠١
الفصل الرابع	مروان بن الحكم	١٠٧
الفصل الخامس	عبد الملك بن مروان	١١٥
الفصل السادس	الوليد بن عبد الملك	١٥١
الفصل السابع	سليمان بن عبد الملك	١٩٥
الفصل الثامن	عمر بن عبد العزيز	٢٠٧
الفصل التاسع	يزيد بن عبد الملك	٢١٥
الفصل العاشر	هشام بن عبد الملك	٢٢٣

الفصل الحادي عشر	الوليد الثاني بن يزيد يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك	٢٤٧
الفصل الثاني عشر	مروان بن محمد	٢٥٥
الفصل الثالث عشر	أبرز الجوانب الحضارية في العصر الأموي	٢٧١
الفصل الرابع عشر	تعريب الدواوين والإصلاح النقدي	٣٥٧
ملاحق الكتاب		٣٤١
ثبت المصادر والمراجع		٣٤٢
فهرس العناوين والفصول		٣٤٤

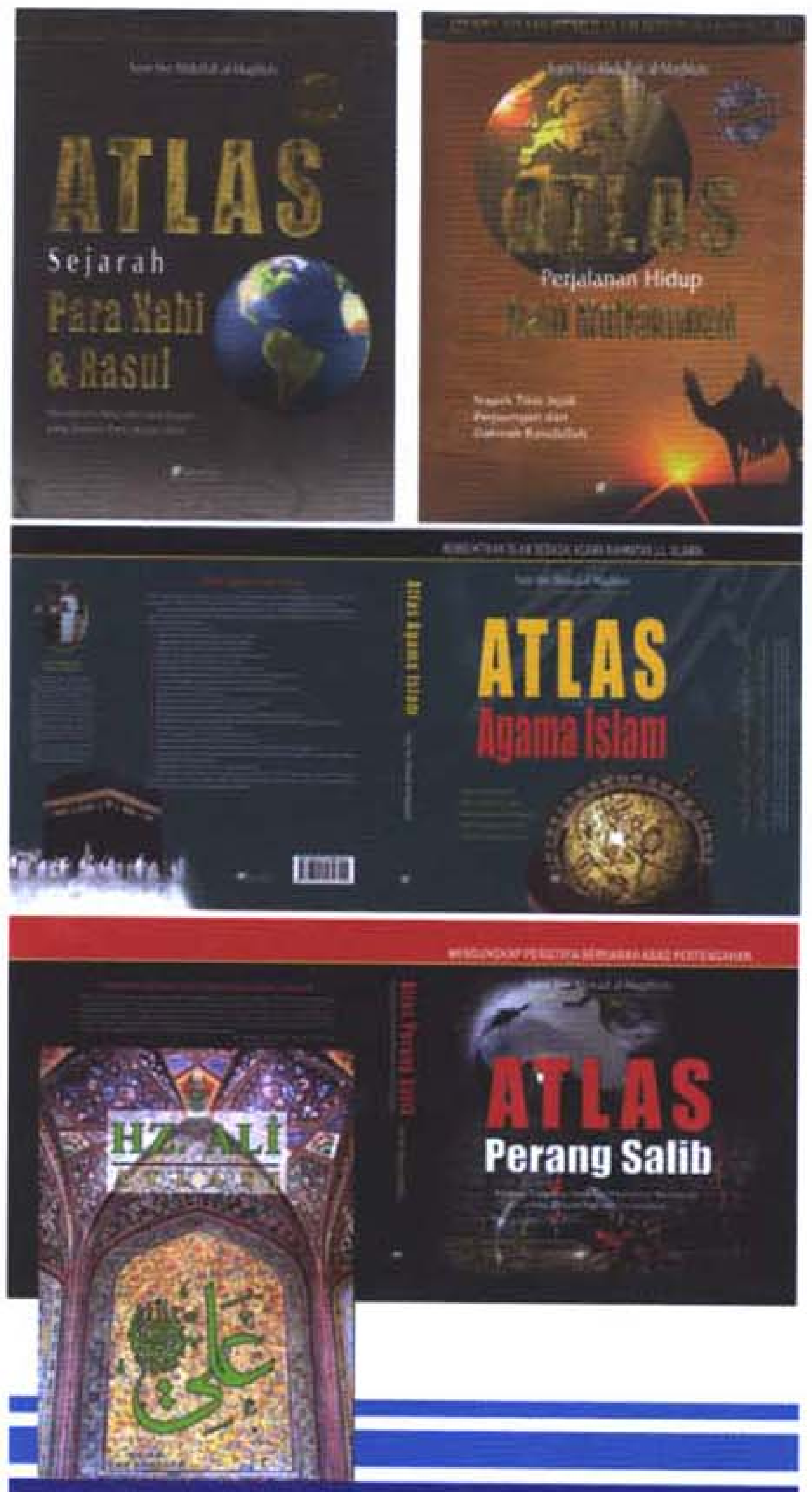

بعض أطالس المؤلف التي ترجمت إلى بعض اللغات العالمية

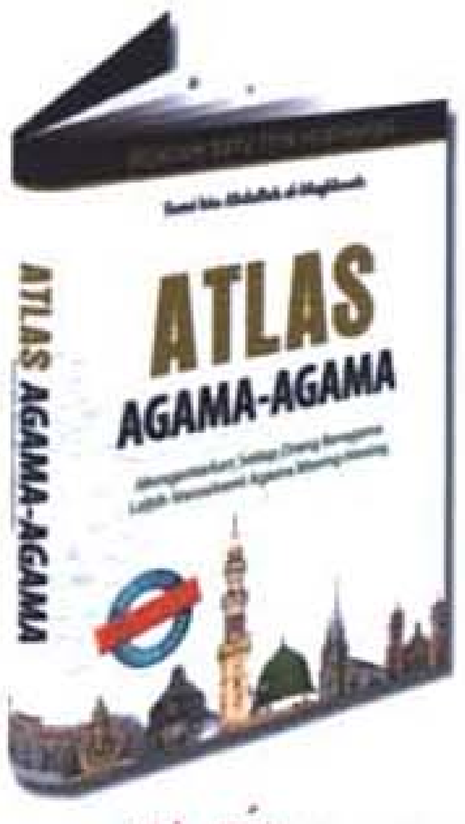

صدر حديثاً للمؤلف

أطلس الأديان ، تاريخ - عقائد - انتشار ، باللغة الإندونيسية : طبع ونشر مكتبة الماهرة - جاكرتا.

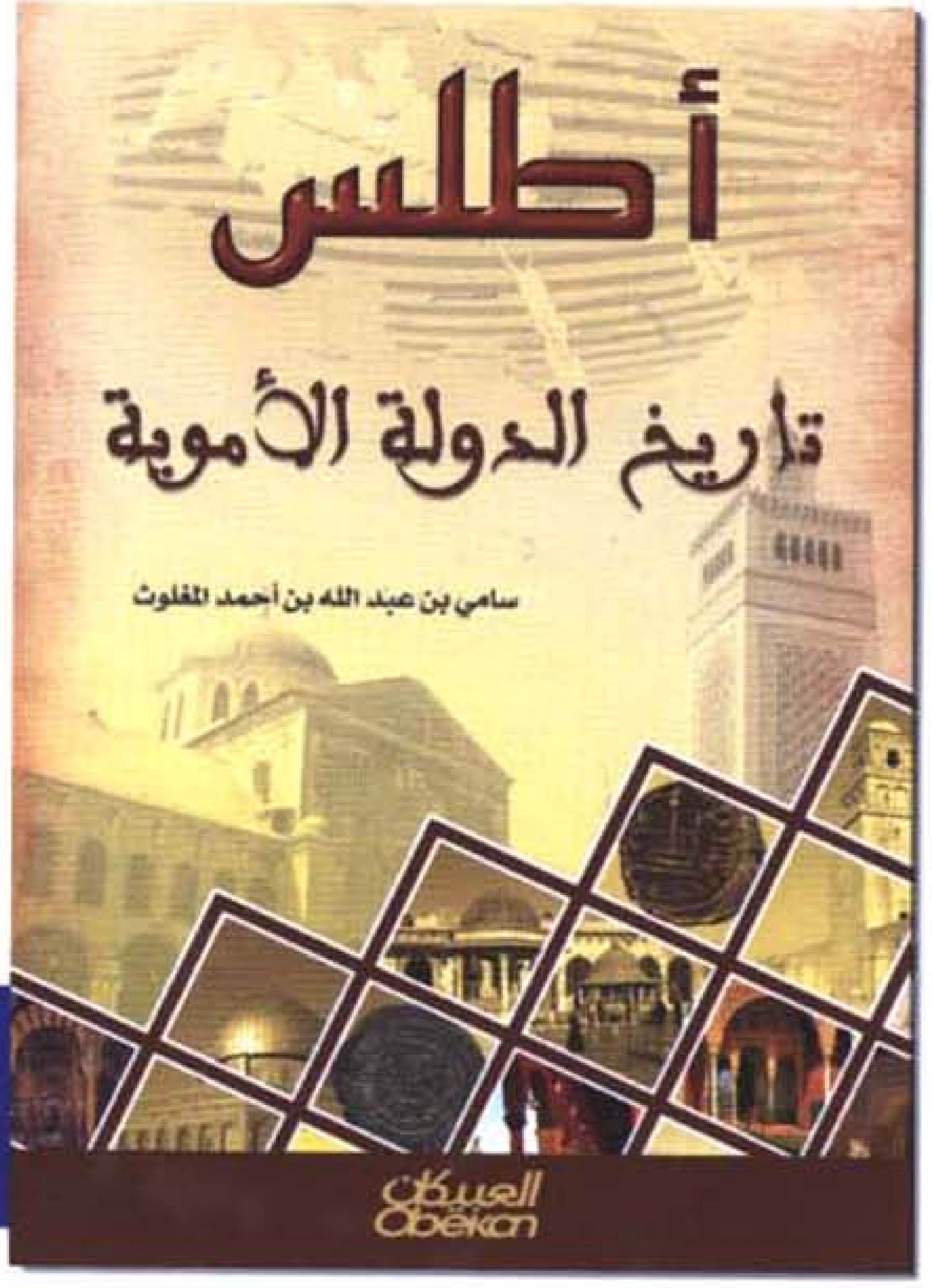

هذا الكتاب

أطلس تاريخ الدولة الأموية

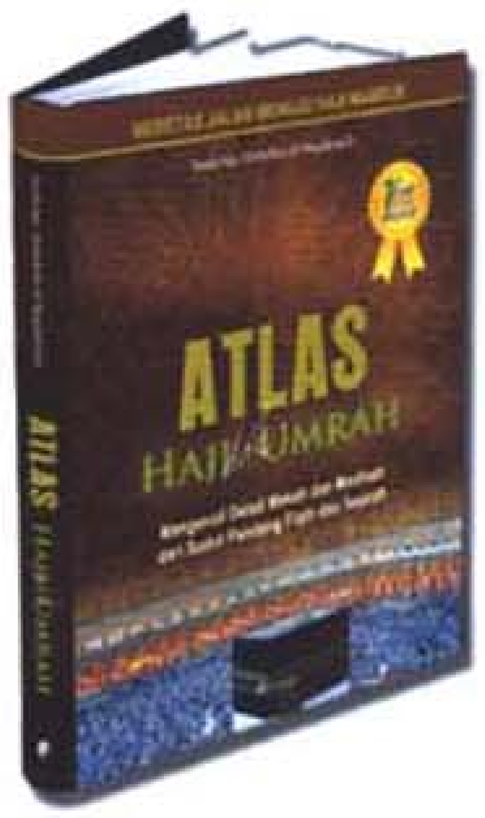

صدر حديثاً للمؤلف

أطلس الحج والعمرة ، تأريخاً وفقهاً ، باللغة العربية : طبع ونشر مكتبة العبيكان - الرياض.

أطلس الحج والعمرة ، تأريخاً وفقهاً ، باللغة الإندونيسية : طبع ونشر مكتبة الماهرة - جاكرتا.

ISBN:978-603-503-150-9

9786035031509

موضوع الكتاب: ١- التاريخ الإسلامي - عصر صدر الإسلام
٢- الدولة الأموية

موقعنا على الإنترنت:
http:/www.obeikanbookshop.com